حقوق النبي ﷺ
على أمته
في ضوء الكتاب والسنة

تأليف
الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي

الجزء الأول

أضواء السلف

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزيمي

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
ت ٤٥٠٠٢٣٢١ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

- المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
- قطر: مكتبة ابن القيم - ت ٨٦٣٥٣٣.
- باقي الدول: دار ابن حزم - بيروت - ت ٧٠١٩٧٤.

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذُ باللَّه من شُرور أَنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أنْ لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .

أرسله بين يدى الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وفتح به أعينًا عميًا ، وأذانًا صمًا ، وقلوبًا غُلفًا ، فبلغ الرسالة وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين من ربه ، صلى عليه وعلى آله وسلم تسليما .

أما بعد : فما من بناء إلا وله أصل وأساس يقوم عليه ، وإن أساس بناء دين الإسلام يقوم على أصلين هما :

١ـ عبادة الله وحده لا شريك له .

٢ ـ الإيمان برسوله ﷺ .

وهذا حقيقة قول « لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله » فمن خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين .

ومن أجل ذلك فإن من المتعين على كل مسلم أن يعرف ما يدل عليه كل واحد من هذين الأصلين وما يشتمل عليه من أمور وأحكام ، معرفة تخرجه من حد الجهل على أقل الدرجات ، وأن يلتزم بذلك إعتقاداً وقولاً وعملاً لينال بذلك الفوز والسعادة في الحياة الدنيا وبعد الممات .

وهذه الرسالة موضوعها الأصل الثاني من أصلي هذا الدين وقد سميتها

« حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة »

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أهميته بالدرجة الأولى فهو كما أسلفت يُعنى بأحد أصلي الدين « شهادة أن محمدًا رسول الله »

فمن المهم والمفيد أن تبحث جوانب هذا الأصل وتعرف وتعرض وفق ما جاءت بذلك نصوص القرآن والسنه ووفق ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عنهم أجمعين .

وبخاصة أننا نعيش في زمان قد حاد فيه كثير من الناس عن جادة الصواب في هذا الأصل واضطربوا اضطرابا شديدا .

فتجلية الأمر وتوضيح الصواب وبيان الحق في هذا الأُصل من الواجبات المتعينة على طلبة العلم في هذا الزمان ، نظراً لعدم توفر كتاب بعينه يكون شاملًا لجميع جوانب هذا الموضوع وتطمئن له النفس من جهة سلامة ما احتواه يمكن إحالة عامة الناس عليه .

فرأيت أن من الرأي القويم أن أكتب في هذا الموضوع لأجمع فيه ما تفرق وأرتب ما تشتت ، وأشرح ما يحتاج إلى شرح ، وذلك وفق ما كان عليه منهج سلفنا الصالح من الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة ونقل كلام الصحابة والتابعين وأئمة هذا الدين رضي الله عنهم أجمعين .

فأرجو أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع على الوجه المطلوب ، كما وفقت في حسن الاختيار أولا .

○○○○

عملي في الكتاب

○ ويتلخص عملي في النقاط التالية :

١ـ جمعت المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار مروية عن سلف الأمة ، ونقول وأقوال للمتقدمين والمتأخرين مما له صلة بالموضوع .

٢ـ قسمت ما جمعت على أبواب الرسالة وفصولهاومباحثها ومطالبها ومسائلها ونقاطها ، فرتبت ما تشتت وجمعت ما تفرق واختصرت وانتقيت مما توسع فيه . حسب ما يقتضيه المقام وتدعو إليه الحاجة .

٣ـ جعلت الآيات القرآنية بين قوسين هكذا ﴿ ﴾ وأشرت في الحاشية إلى رقم تلك الآية والسورة التي وردت فيها .

٤ـ جعلت الأحاديث النبوية بين فاصلتين مزدوجتين « » مع تخريج كل حديث أوردته حسب ما يقتضيه المقام ، وفي حالة ورود الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفى بذلك عن عزوه إلى غيرهما

٥ـ عزوت الأثار المروية عن الصحابة والتابعين وأئمةهذا الدين إلى مصادرها بحسب ما وقفت عليه منها .

٦ـ شرحت بعض الكلمات الغريبة معتمدًا في ذلك على كتب غريب الحديث وشروحه والمعاجم اللغوية .

٧ـ وثقت النقول والأقوال والآراء من المصادر والمراجع التي نقلتها منها وذلك بذكر الجزء والصفحة ، وما تصرفت فيه أشرت إلى ذلك بعبارة « بتصرف » في أغلب الأحيان .

٨ـ ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة عند أول موضع يرد فيه ذكر العلم

٩ـ وضعت فهارس للأمور التالية :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث المرفوعة والموقوفة .

٣- فهرس للآثار على ترتيب أصحابها .

٤- فهرس للكلمات الغريبة والمواطن والفرق .

٥- فهرس للأعلام المترجم لهم .

٦- فهرس للمصادر والمراجع .

٧- فهرس لموضوعات الرساله .

وبعد : فهذا جهد المقل واستسمح القارىء الكريم عذرًا إذا ما وجد في عملي هذا تقصيرًا ، فهذا جهد بشر ، والمرء يستحضر في هذا المقام قول القائل : إني رأيت أنه لا يكتب انسان كتابًا في يوم إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر[١] .

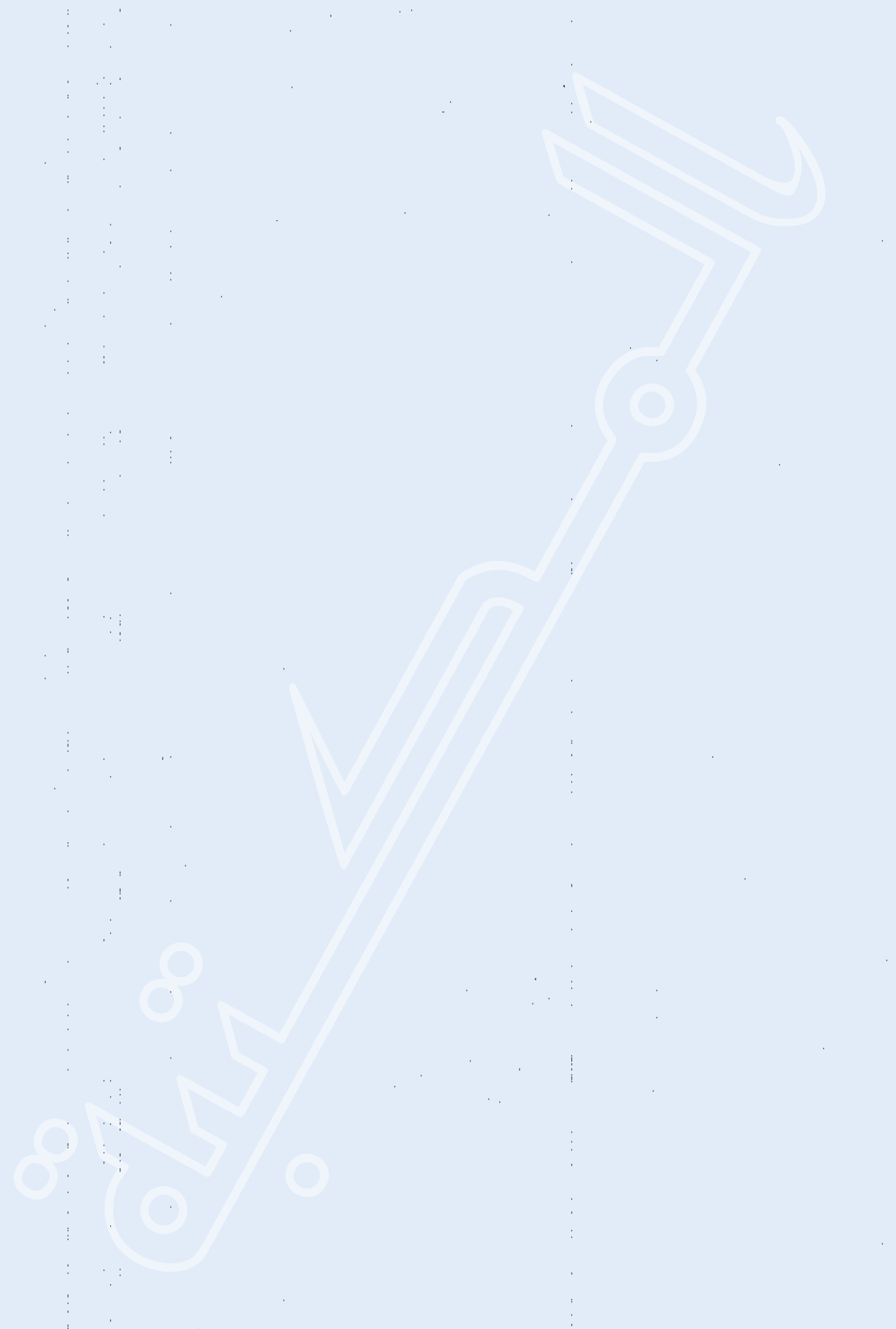
وفي الختام : أتوجه بالشكر إلى الله تعالى الذي سهل لي أمر إعداد هذه الرسالة بفضل منه وتوفيق ، وأسأله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه وأن ينفعنا بما علمنا إنه على كل شيء قدير .

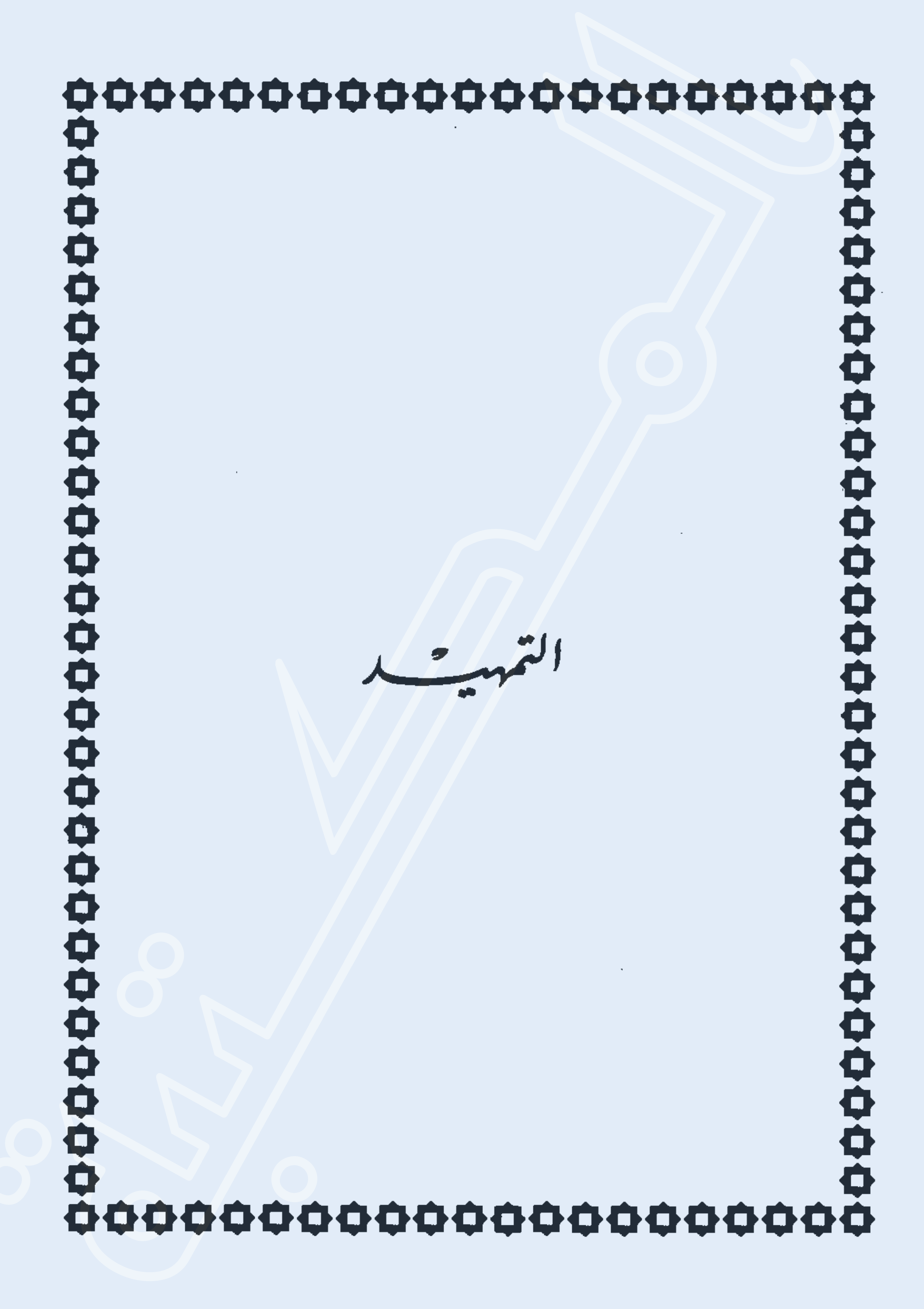
ومن ثم أشكر فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري المشرف على هذه الرسالة على بذله من جهد وعون وتوجيه في إعدادها فجزاه الله خيرا ، وكذلك كل من بذل المساعدة لي في إنجازها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) هذه العبارة للعماد الأصفهانى ، وقد أوردها طه عبد الرؤوف فى مقدمة تحقيقه لكتاب اعلام الموقعين (ص م) .





التمهيد

تمهيد

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإسلام دينًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالدين القيم ، والملة الحنيفية ، وجعله على شريعة من الأمر ، أمر باتباعها ، وأمره بأن يقول ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾(1) صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا .

وبعد : فان الله عز وجل لم يخلق الخلق عبثًا قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(2) .

بل خلقهم لغاية ذكرها في كتابه الكريم في أكثر من موضع فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(3) .

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(4) .

وقال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(5) .

فالحكمة من خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته . فهذه هي الحكمة من خلقهم أولًا وبعثهم ثانيًا . ولذلك لم يتركهم هملًا ، بل أرسل إليهم رسله ، فكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة

---

(1) الآية (١٠٨) من سورة يوسف .

(2) الآية (١١٥) من سورة المؤمنون .

(3) الآية (٢) من سورة الملك .

(4) الآية (٧) من سورة هود .

(5) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

الرسل وتعميم الخلق بهم ، بحيث يبعث في كل أمة رسولًا ليقيم هداه وحجته كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّاغُوتَ ﴾(١) وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ﴾(٣) وقال تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٤) فالرسل هم الواسطة بين الله عز وجل وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه وإرشاد العباد إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم .

وإن الله تبارك وتعالى جعل محمدًا ﷺ خاتم النبيين ، وأرسله للناس أجمعين ، وأكمل له ولأمته الدين ، وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطماس السبل ، فأحيا به ما درس من معالم الإيمان ، وقمع به أهل الشرك والكفر من عبدة الأوثان والنيران والصلبان ، وأذل به كفار أهل الكتاب ، وأهل الشرك والارتياب ، وأقام به منار دينه الذي ارتضاه ، وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه .

فالله سبحانه وتعالى أرسل محمدًا ﷺ للناس رحمة وأنعم به نعمة يا لها من نعمة : قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٥) .

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾(٦) وهم الذين لم

---

(١) الآية (٣٦) من سورة النحل .

(٢) الآية (٢٤) من سورة فاطر .

(٣) الآية (٤٤) من سورة المؤمنون .

(٤) الآية (١٦٥) من سورة النساء .

(٥) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .

(٦) الآية (١٢٨) من سورة ابراهيم .

يؤمنوا بمحمد ﷺ . فإرساله أعظم نعمة أنعم الله به على عباده .

فقد جمع الله لهذه الأمة بخاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين ما فرّقه في غيرهم من الفضائل ، وزادهم من فضله أنواع الفواضل ، بل أتاهم كفلين من رحمته ، كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١] .

وقال ﷺ : « إنما أجلكم ـ في أجل من خلا من الأمم ـ ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالًا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ، ألا لكم الأجر مرتين ، فغضبت اليهود والنصارى ، فقالوا : نحن أكثر عملًا وأقل عطاءً ، قال الله : هل ظلمتكم من حقكم شيئًا ؟ قالوا : لا ، قال : فإنه فضلي أعطيه من شئت »[٢].

وقد خص الله تعالى محمدا ﷺ بخصائص ميزه الله بها على جميع الأنبياء

---

(١) الآيتان (٢٨ ـ ٢٩) من سورة الحديد .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل . فتح الباري (٦ / ٤٩٥ ـ ٤٩٦) ح ٣٤٥٩ .

والمرسلين ، وجعل له شرعةً ومنهاجًا ـ أفضل شرعه وأكمل منهاج مبين ـ كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله(١)من جميع الأجناس ، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم وجعلهم وسطا عدلًا خيارًا ، فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته ، وفي الإيمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام ، فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث ، فأخرجهم بذلك من الظلمات إلى النور فحصل لهم ببركة رسالته ويمن سفارته خير الدنيا والآخرة .

فلقد هدى الله الناس ببركة نبوة محمد ﷺ وبما جاء به من البينات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين وفاقت معرفة العارفين ، حتى حصل لأمته المؤمنين به عمومًا ، ولأُولي العلم منهم خصوصًا من العلم النافع ، والعمل الصالح ، والأخلاق العظيمة ، والسنن المستقيمة ، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم علمًا وعملًا ـ الخالصة من كل شوب ـ إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوتا تفاوتًا يمنع معرفة قدر النسبة بينهما فلله الحمد والمنة كما يحب ربنا ويرضى »(٢) .

فهو المبعوث بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فكمل الله به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينًا عميًا ، وأذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام بها الملة العوجاء

---

(١) انظر في هذا الموضوع وأدلته : المبحث الثالث من الفصل الأول من الباب الثالث .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣) .

وأوضح بها المحجة البيضاء . فبين عن طريقه ﷺ الكفر من الإيمان ، والربح من الخسران ، والهدى من الضلال ، وأهل الجنة من أهل النار ، والمتقين من الفجار ، فهو المبعوث رحمة للعالمين ، ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين .

ولقد نوه الله عز وجل في كتابه الكريم بهذه النعمة العظمى التي امتن بها على هذه الأمة في آيات كثيرة منها :

* قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[١]

* وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٢] .

* وقال تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَٱذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[٣] .

* وقال تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤] .

---

(١) الآية (١٦٤) من سورة آل عمران .

(٢) الآيات (٢ ـ ٣ ـ ٤) من سورة الجمعة .

(٣) الآيتان (١٥١ ـ ١٥٢) من سورة البقرة .

(٤) الآية (١٢٨) من سورة التوبة .

وإنما كان إرساله ﷺ إلى الناس أعظم مِنَّة امتن بها على عباده لأن في ذلك تخليص من وفقه الله وهداه منهم من العذاب السرمدي ، وذلك بسبب الإيمان بالله ورسوله والابتعاد عن كل ما يوجب دخول النار والخلود فيها .

ولذلك فإن الناس أحوج ما يكونون إلى الإيمان بالرسول ﷺ والأخذ بما جاء به من الدين فهم أحوج إلى ذلك من الطعام والشراب بل ومن نفس الهواء الذي يتنفسونه ، فإنهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾(١)، أي كذب به وتولى عن طاعته . فهم محتاجون إلى الإيمان بالرسول وطاعته والأخذ بما جاء به والالتزام بذلك في كل مكان وزمان ليلا ونهارًا ، سفرًا وحضرًا سرًا وعلانيةً .

ولما كانت منزلة النبي ﷺ عند ربه بهذه المرتبة وكانت حاجة الناس إليه بهذه الدرجة ، فقد أوجب الله لنبيه ﷺ على هذه الأمة جملة من الحقوق والواجبات تنظم العلاقة التي تربطهم به تنظيمًا دقيقًا لا لبس فيه ولا اشتباه .

وهذه الحقوق منها ما يتصل بجانب الرسالة التي بعث بها ، ومنها ما يتعلق بخاصة شخص الرسول ﷺ تفضيلًا وتكريمًا من الله له .

وقد وردت في شأن تلك الحقوق نصوص كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وضَّحتْ ، وفَصَّلَتْ ، وبينت جوانب تلك الحقوق .

وهذه الحقوق في جملتها هي الأصل الثاني من أصلي الدين كما يدل عليه قولنا « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله » .

ولذا فقد كان لزامًا على كل من ينطق بهذه الشهادة ، ويدين الله بهذا الدين

(١) الآيات (١٤ - ١٥ - ١٦) من سورة الليل .

أن يحيط بتلك الحقوق معرفة ، ويلتزم بها اعتقادًا وقولًا وعملًا . فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يحصل إيمان العبد الا به .

ومما يؤسف له أن كثيرًا من المسلمين اليوم هم على درجة كبيرة من الجهل بهذه الحقوق . فتراهم لذلك على طرفي نقيض في هذا المقام .

- فإما مقصر عن القيام بهذه الحقوق التي أوجبها الله على الأمة فتراه لا يقيم لها وزنًا ولا يلقي لها بالًا .

- وإما غال مبتدع منكب على ما ابتدعه ، يظن أنه بما يفعله من أمور مبتدعة في هذا المقام قد أحسن صنعًا وأنه مؤد لما أوجبه الله من حق لنبينا محمد ﷺ وكلا الطرفين صاحب حال مذموم غير محمود . فلما كان عامة أصحاب هذين الطرفين إنما أوقعهم فيما هم فيه ، جهلهم بمعرفة تلك الحقوق على الوجه المطلوب شرعًا .

ولما كانت هذه الحقوق هي من جملة هذا الدين الذي تعبدنا الله به ، فكان لا بد فيها من توفر شرطي القبول :

١- الإخلاص .

٢- الصواب (الاتباع) .

كما قال تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(١)

فقد أحببت أن أوضح تلك الحقوق النبوية وفق ما جاءت بذلك النصوص الشرعية ، وما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها ، عسى أن يكون في هذا البيان والتوضيح تعليم للجاهل ، وتذكير للغافل ، وتحذير وردع للمبتدع ، ومدارسة للعارف .

---

(١) الآية (١١٠) من سورة الكهف .

فأسأل الله عز وجل التوفيق والرشاد وأن يرزقنا التمسك بسنة نبيه ﷺ والسير على هديه والتأسي به ، وأن يشرح لذلك صدورنا وينير قلوبنا إنه جوّاد كريم وعلى كل شيء قدير .

o o o o

الباب الأول

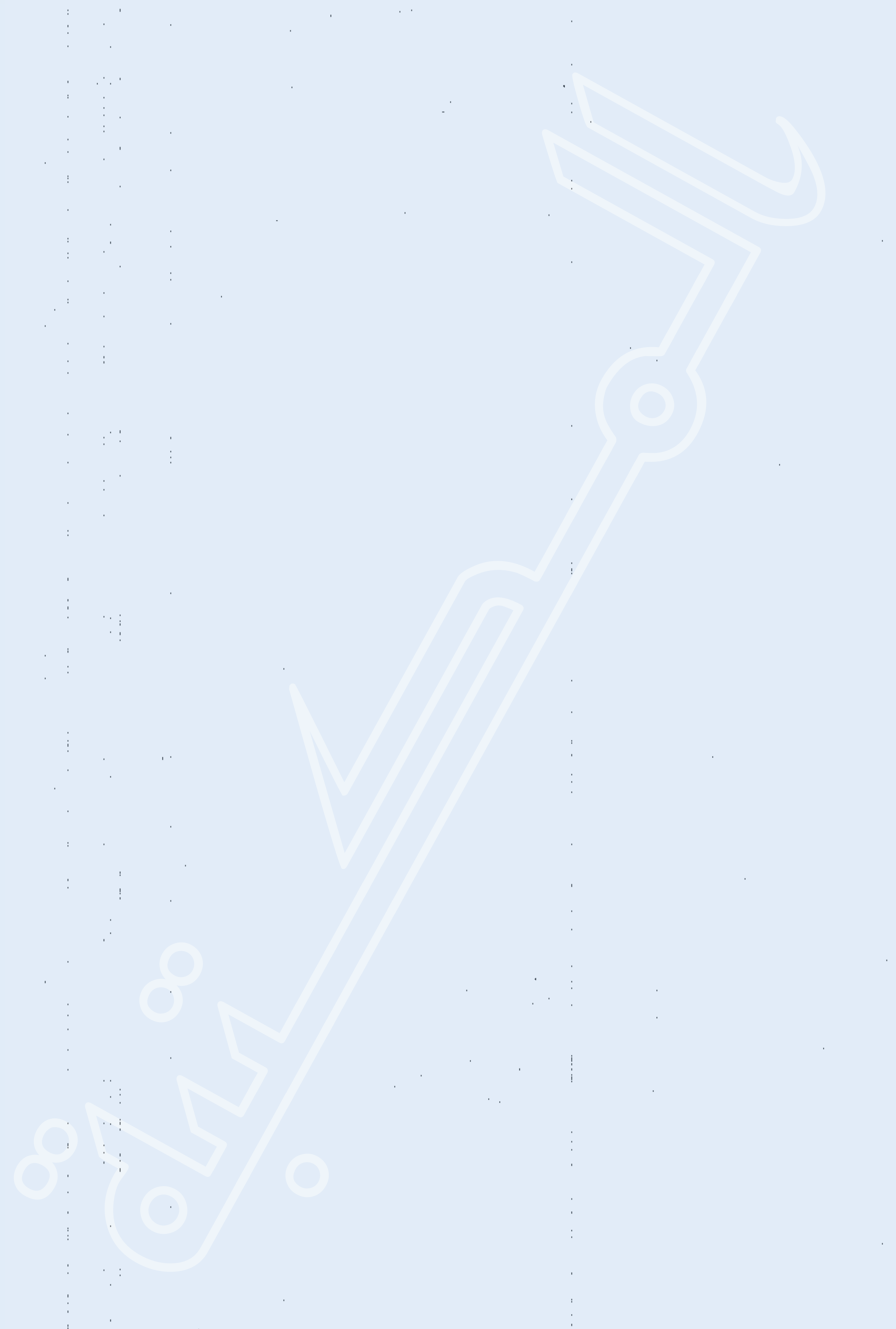
وجوب الإيمان بالنبي ﷺ وطاعته واتباع سنته

● وفيه فصلان :

الفصل الأول : وجوب الإيمان بالنبي ﷺ .

الفصل الثاني : وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها .

○ ○ ○ ○



الفصل الأول

وجوب الإيمان بالنبي ﷺ

• وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان وبيان معنى شهادة أن محمدًا رسول الله .

المبحث الثاني : وجوب الإيمان بنبوته ورسالته ﷺ .

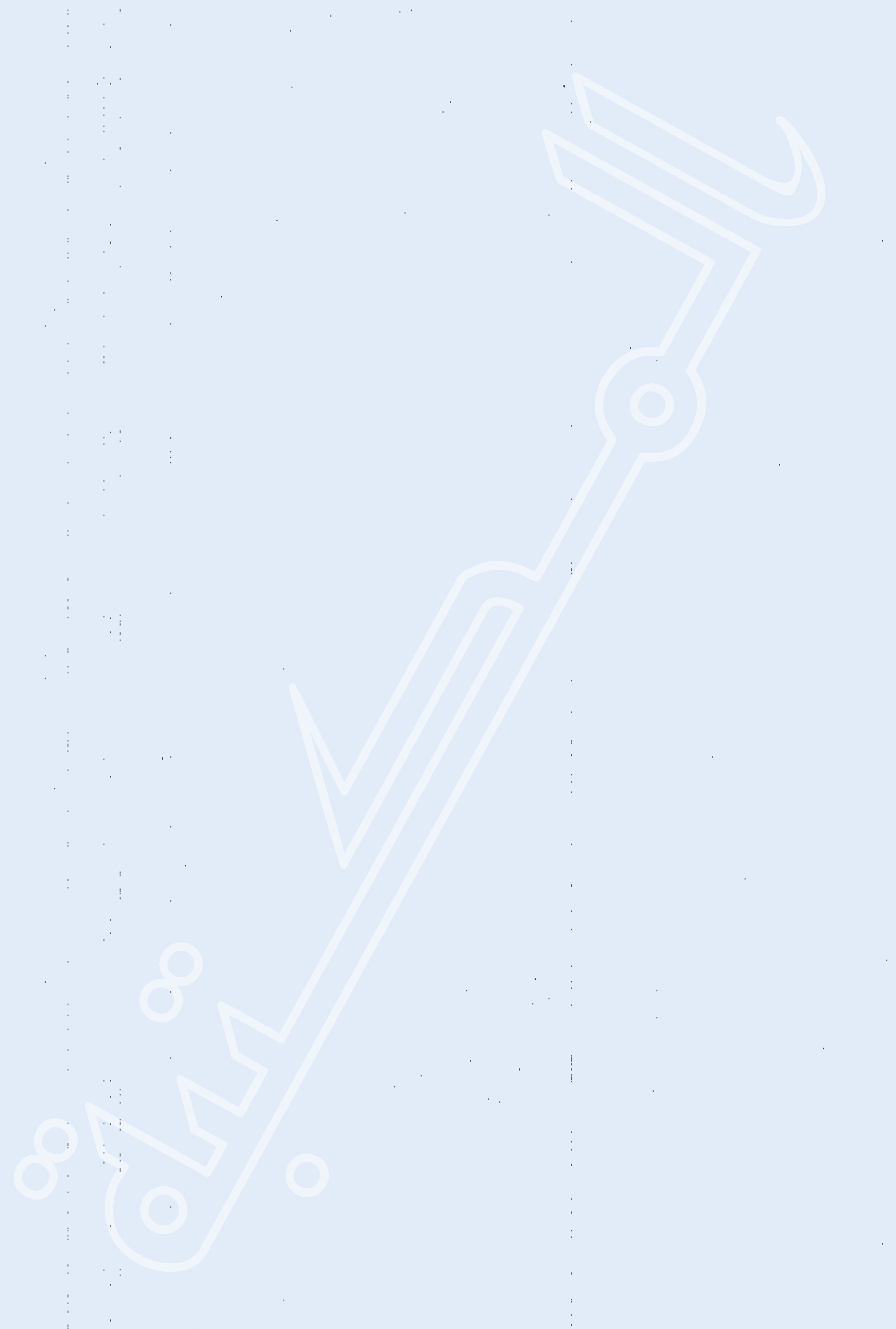
المبحث الثالث : وجوب الإيمان بعموم رسالته ﷺ.

المبحث الرابع : وجوب الإيمان بأنه ﷺ خاتم النبيين .

المبحث الخامس : وجوب الإيمان بأن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها .

المبحث السادس : وجوب الإيمان بعصمته ﷺ .

• • • •



المبحث الأول

تعريف الإيمان وبيان معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ

● وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف الإيمان عمومًا .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ــ المعنى اللغوي لكلمة « آمن » .

ب ــ المعنى الشرعي للإيمان .

ج ــ دلالة اسم الإيمان.

المطلب الثاني : تعريف الإيمان بالنبي ﷺ .

المطلب الثالث : معنى شهادة أن محمدا رسول الله .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ــ معناها .

ب ــ شروط الشهادتين .

ج ــ مراتب الشهادة .

المطلب الرابع : نواقض الإيمان بالنبي ﷺ،وهي على قسمين .

القسم الأول : الطعن في شخص الرسول ﷺ .

القسم الثاني : الطعن فيما أخبر به .

● ● ● ●

المطلب الأول

تعريف الإيمان عمومًا

أ ـ المعنى اللغوي لكلمة « آمن » :

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن.

١ـ ويرى جمع من أهل اللغة أن الإيمان في اللغة معناه : التصديق وقد حكوا الإجماع على ذلك قال الأزهري[١] : « واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق »[٢] .

واستدلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[٣] فقالوا معناه ما أنت بمصدق لنا[٤] .

٢ـ أما علماء السلف[٥] فيقولون إن الإيمان يأتي في اللغة لمعنيين هما :

أ ـ بمعنى صدق به وذلك إذا عدى بالباء كما في قوله تعالى ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ... ﴾ الآية[٦] أي صدق الرسول[٧] .

ب ـ وبمعنى أقر له وذلك إذا عدي باللام كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾[٨] .

---

(١) هو : محمد بن أحمد بن الأزهر الهروى أبو منصور أحد الائمة فى اللغة والأدب ولد سنة ٢٨٢ هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ وهو صاحب كتاب تهذيب اللغة . انظر الأعلام للزركلي (٥ / ٣١١) .

(٢) تهذيب اللغة (٥ / ٥١٣) .

(٣) الآية (١٧) من سورة يوسف .

(٤) لسان العرب لابن منظور ، مادة آمن (١٣ / ٢٣) .

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص ١٤٣) .

(٦) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

(٧) تفسير القرطبى (٣ / ٤٢٥) .

(٨) الآية (٢٦) من سورة العنكبوت .

وقد اعترض السلف على حصر أهل اللغة لمعنى الإيمان بالتصديق فقط وقالوا : « إن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق ، وإنما هو الإقرار[١] والطمأنينة أيضا »[٢]. واستدل السلف لقولهم بالأمور التالية :

أولا : إن الترداف التام ممتنع بين التصديق والإيمان من عدة وجوه . يوضحها الجدول التالي :

الإيمان	التصديق
ـ إن كلمة آمن تتعدى بالباء وباللام وقد تقدم التمثيل لذلك .	ـ أما كلمة « صدق » فلا تتعدى باللام فلا يقال « صدق له » إنما يقال « صدق به » فهي تتعدى بالباء وبنفسها فيقال صدقه .
ـ إن كلمة آمن تتضمن ثلاثة معان هي : الأمن ، والتصديق ، والأمانة .	ـ أما كلمة صدق فلا تتضمن معنى الأمن والأمانة .
ـ إن لفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب لأن فيه أصل معنى الأمن والائتمان وهذا إنما يكون في الخبر عن الغائب ، فلا يقال لمن قال طلعت الشمس آمنا له وإنما يقال صدقناه ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في الخبر عن الغائب .	أما لفظ التصديق فيستعمل في كل مخبر عن مشاهد أو غيب ، فمن قال السماء فوقنا ، قيل له : صدقت .
ـ إن لفظ الإيمان ضده الكفر ، والكفر لا يختص بالتكذيب فقط بل هو أعم منه ، إذ يمكن أن يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب ومع ذلك يسمى كفرا كما لو قال شخص : أنا أعلم أنك صادق ، ولكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ، فهذا كفر أعظم .	أما لفظ التصديق ضده التكذيب فقط .

(١) الاقرار : متضمن لمعنيين هما : قول القلب الذى هو التصديق . وعمل القلب الذى هو الانقياد . مجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٨ ـ ٦٣٩) . (٢) الصارم المسلول لابن تيمية (ص ٥١٩) .

وبهذا يتبين عدم الترادف التام بين اللفظين ، وأن الإيمان ليس التصديق فقط[(١)] كما أن الكفر ليس التكذيب فقط .

ثانيا : من المعلوم أن كلام الله وشرعه إنما هو خبر وأمر .

فالخبر : يستوجب تصديق المخبر .

والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام ، وهو عمل في القلب جماعه : الخضوع والانقياد للأمر ، وإن لم يفعل المأمور به .

فإذا قوبل الخبر بالتصديق ، والأمر بالانقياد ، فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو « الطمأنينة والاقرار » فان اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة ، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد .

فلوفُسّر الإيمان بالتصديق فقط ، كما قال أهل اللغة ؛ فإن التصديق إنما يعرض للجزء الأول من الشرع فقط الذي هو الخبر ، ولا يعرض للجزء الثاني وهو الأمر ؛ لأن الأمر ليس فيه تصديق من حيث هو أمر .

ومن المعلوم أن إبليس لم يكفر بسبب عدم تصديقه ، فانه سمع أمر الله فلم يكذب رسولًا ، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له ، واستكبر عن الطاعة فصار كافرًا ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾[(٢)] فسماه الله كافرًا وسلب عنه وصف الإيمان لاستكباره وعدم انقياده لأمرالله له بالسجود لآدم .

لازم القول بأن الإيمان مجرد التصديق فقط .

وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٠ - ٣٨١) .

(٢) الآية (٣٤) من سورة البقرة .

إلا التصديق ، ثم يرون مثل إبليس وفرعون مما لم يصدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون .

ومثل هؤلاء القوم لو أنهم هدوا لما هدى إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولًا في القلب ، وعملًا في القلب ، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته ـ وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره فيصدق القلب أخباره تصديقًا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به ، والتصديق هو من نوع العلم والقول ، وينقاد لأمره ويستسلم ، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل ، ولا يكون مؤمنًا إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرًا فصار من الكافرين وإن كان مصدقًا ؛ لأن الكفر أعم من التكذيب ، فالكفر يكون تكذيبًا وجهلًا ، ويكون إستكبارًا وظلمًا ، ولهذا لم يوصف ، إبليس إلا بالكفر والاستكبار ، دون التكذيب ، ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس .

وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالًا وهو « الجهل » ألا ترى أن نفراً من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء ، فأخبرهم ، فقالوا نشهد أنك نبي ، ولم يتّبعوه ، وكذلك هرقل وغيره ، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق .

ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله ، وقد تضمنت خبرًا وأمرًا ؛ فإنه يحتاج إلى مقام ثان ، وهو تصديق خبر الله وانقياده لأمر الله ، فإذا قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره . « وأشهد أن محمدا رسول الله » تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله .

فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار .

فلما كان التصديق لا بد منه في كلا الشهادتين ـ وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول ـ ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد ، وإلا فقد يصدق الرسول ظاهرًا وباطنًا ثم يمتنع من الانقياد للأمر ، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه كإبليس »[1] .

ثالثًا : ما استدل به أهل اللغة على أن معنى الإيمان في قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ هو التصديق غير مسلم .

إذ يرى علماء السلف أن تفسيرها « بأقررت » أقرب من تفسيرها « بصدقت » وذلك لأن لفظ آمن متى عدى باللام يكون بمعنى أقر وليس بمعنى صدق ، إذ لا يكون بمعنى صدق الا إذا عدى بالباء أو بنفسه .

ب ـ المعنى الشرعي للإيمان :

تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان :

١ـ فتارة يقولون : الإيمان قول وعمل .

٢ـ وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية .

٣ـ وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية واتباع سنة[2] .

٤ـ وتارة يقولون : الإيمان : قول اللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[3] .

---

(١) الصارم المسلول (ص ٥١٩ ـ ٥٢٠) بتصرف .

(٢) هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه الايمان . انظر (ص ١٦٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٤٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [١] بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول (وكل هذا صحيح) [٢] وعلل ذلك بقوله [٣] :

(فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح) . وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان .

وأما المقصود من قول القلب : فهو إقراره ومعرفته وتصديقه .

وأما عمله : فهو انقياده لما صدق به .

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال .

كما أن تعبير بعض السلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على المرجئة [٤] الذين جعلوه قولا فقط ، فقال بعض السلف ردًا عليهم : بل قول وعمل [٥] .

---

(١) هو شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد ابن تيمية النميرى ، الحرّاني الدمشقي ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة (٦٦١ هـ) بحرّان وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بدمشق ، اشتهر رحمه الله بالعلم والزهد والورع والعبادة والجهاد والدفاع عن عقيدة السلف وقد ألف فى سيرته المؤلفات الكثيرة .

انظر : كتاب الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية تأليف مرعي بن يوسف الحنبلي .

(٢) كتاب الإيمان لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص ١٦٢) .

(٣) كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الايمان (ص ١٦٢ - ١٦٣) .

(٤) المرجئة هم الذين أرجؤا العمل عن مسمى الايمان وهم خمس طوائف سيأتي ذكرهم .

(٥) قال شيخ الاسلام ابن تيمية : « الناس لهم فى مسمى الكلام والقول عند الاطلاق أربعة أقوال :

١ ـ فالذى عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا .

٢ ـ وقيل : بل مسماه اللفظ ، والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه ، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة ، وهو قول النحاة لأن =

وأما من عرفه بقوله هو قول و عمل ونية ؛ فمقصوده بزيادة لفظ « ونية » : أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان .

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك[١] .

وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سنة ، فقد زاد لفظة « واتباع سنة » لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد سئل سهل بن عبد الله التستري[٣] عن الإيمان ما هو ؟ فقال : قول وعمل ونية واتباع سنة .

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر .

وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق .

وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة[٤] .

وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو : أن الإيمان قول اللسان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

= صناعتهم متعلقة بالألفاظ .

٣ ـ وقيل : مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه .

٤ ـ وقيل : بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز فى كلام الله حقيقة فى كلام الأدميين » كتاب الإيمان (ص ١٦٢) .

(١) كتاب الإيمان (ص ١٦٣) .

(٢) كتاب الإيمان (ص ١٦٣) .

(٣) هو : سهل بن عبد الله بن يونس التسترى أبو محمد ولد سنة ٢٠٠ هـ وتوفى سنة ٢٨٣ هـ ، عامة كلامه فى تصفية الأعمال من المعائب ، وأسند الحديث وأسند عنه .
شذرات الذهب (٣ / ١٨٢) والأعلام (٣ / ١٤٣) .

(٤) كتاب الإيمان (ص ١٦٣) .

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق[١] ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم .

ج ـ دلالة اسم الإيمان :

تتحدد دلالة اسم « الإيمان » بحسب سياق الكلام الذي تستعمل فيه هذه اللفظة فلفظ « **الإيمان** » إما أن يستعمل :

١ـ مطلقا : أي يذكر مطلقا عن لفظ « العمل » و« الإسلام » .

٢ـ أو مقيدًا : فتارة يقرن بالعمل الصالح ، وتارة يقرن بالإسلام .

فإذا استعمل مطلقا : فجميع ما يحبه الله ورسوله من أقوال العبد وأعماله

---

(١) الذين خالفوا السلف فى مسمى الإيمان هم :

أ ـ المرجئة بطوائفهم الخمس :

١ ـ الجهمية : وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط : أى المعرفة الفطرية التى هى المعرفة بربوبية الله .

٢ ـ الأشاعرة : وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أى التصديق بما جاء به النبى ﷺ من عند الله .

٣ ـ الماتريدية : وقولهم فى الإيمان مثل قول الأشاعرة .

٤ ـ الكرّامية : قالوا الإيمان قول باللسان فقط .

٥ ـ مرجئة الأحناف (أو مرجئة الفقهاء) قالوا : الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان . وهو قول الكلابية . وكل هذه الطوائف الخمسة أخرجت العمل عن الإيمان .

ب ـ الخوارج : قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل ولكنهم يكفرون من أخل بشئ من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر فى الدنيا وفى الآخرة خالد فى النار .

جـ ـ المعتزلة : وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه فى الدنيا فى منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر ، واتفقوا معهم فى باقي الأمور .

انظر تفاصيل هذه الأقوال : فى كتاب الإيمان لابن تيمية ، والجزء السابع من مجموع الفتاوى ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٧٣ ـ ٣٩٢) وكتاب النبوات (ص ١٩٩) .

الباطنة والظاهرة ، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة ـ من الصحابة والتابعين وتابعيهم ـ الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ويدخلون جميع الطاعات ـ فرضها ونفلها ـ في مسماه)[١] .

ويلاحظ هنا أن لفظ « الإيمان » على هذا الاستعمال يكون مرادفا للفظ « العبادة » والعبادة كما هو معروف هي : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة .

ومن استعمال الشارع للفظ الإيمان بهذا المعنى ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة[٢] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »[٣] .

فالإيمان في هذا الحديث شمل جميع أمور الدين بما في ذلك أمور الإسلام .

ومن هذا الاستعمال أيضا ما جاء في حديث عبد الله بن عباس[٤] رضي الله

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٤٢) .

(٢) أبو هريرة بن عامر واختلف فى اسمه إلى عدة أقوال : منها أنه عبد الرحمن ، وهو دوسي أسلم عام خيبر وشهدها ثم لازم رسول الله ﷺ حتى قبضه الله اليه ، وكان من أحفظ الصحابة رضي الله عنهم توفى عام ٥٧ هـ . أسد الغابة (١٢ / ١٦٧) .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أمور الدين .
انظر : فتح البارى (١ / ٥١) ح ٩ وأخرجه مسلم « واللفظ له » كتاب الإيمان ، باب شعب الإيمان (١ / ٤٦) .

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى ـ ابن عم رسول الله ﷺ ـ ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات فى الشعب أثناء الحصار ، وكان رضي الله عنه ترجمان القرآن وحبر الأمة لعلمه وفهمه ، توفى سنة ٨٤ هـ . الإصابة (٦ / ١٦٧ ـ ١٧٣) .

عنهما : أن وفد عبد القيس[١] لما أتوا النبي ﷺ أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع : « أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم خمس ... » الحديث[٢] .

فلفظ الإيمان استعمل في الحديث مطلقا فدخل فيه الأمور الظاهرة مع أنها من أمور الإسلام كما جاء في حديث جبريل المشهور .

وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيدا كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ﴾[٣] وقوله ﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[٤] .

وقول النبي ﷺ - في حديث جبريل المشهور « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره »[٥] .

فهنا قد يقال : إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف

---

(١) هى قبيلة كبيرة كانوا يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى - بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن أعمى - ابن دعمى - بضم ثم سكون المهملة وكسر الميم بعدها تحتانية ثقيلة - ابن جديلة بالجيم وزن كبيرة - ابن أسد بن ربيعة بن نزار . انظر : فتح البارى (٨ / ٨٥) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه « واللفظ له » كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان . انظر : فتح البارى (١ / ١٢٩) ح ٥٣ وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء اليه (١ / ٣٥ - ٣٦) .

(٣) الآية (٢٧٧) من سورة البقرة وغيرها .

(٤) الآية (٦٣) من سورة يونس .

(٥) أخرجه بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (١ / ٢٩) . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل بلفظ « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، ولقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث » . انظر : فتح البارى (١ / ١١٤) ح ٥٠ .

الخاص على العام كقوله تعالى : ﴿ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾[(١)].
وقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ الآية[(٢)].

وقد يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين ، فان أحدهما إذا أفرد تناول الآخر ، وإذا جمع بينهما كانا صنفين : كما في آية الصدقة ، ولا ريب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين ، وهي مع جميعه كالبعض مع الكل »[(٣)].

قلت : إن القول بأن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ينطبق على الآية وهي قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

والقول بأن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران ينطبق على حديث جبريل حيث ذكر الإسلام والإيمان فأصبح كل واحد منهما يختص بأمور معينة فالإسلام اختص بالأمور الظاهرية ، والإيمان اختص بالأمور الاعتقادية الباطنية .

« فلفظ الإسلام والإيمان إذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما ، ودخوله فيه تضمنًا أظهر ، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر ، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة أشكلت على كثير من الناس »[(٤)].

---

(١) الآية (٩٨) من سورة البقرة .
(٢) الآية (٧) من سورة الأحزاب .
(٣) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٤٧ - ٦٤٨) .
(٤) كتاب زاد المهاجر إلى ربه (الرسالة التبوكية) (ص ٧) بتصرف .

○ **فخلاصة القول :**

إن اسم الإيمان إذا أفرد : تناول جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة كما في حديث الشعب .

وإذا اقترن اسم الإيمان مع الإسلام دل الإيمان على الأمور الباطنة ودل الإسلام على أمور الدين الظاهرة كما في حديث جبريل .

وإذا اقترن العمل مع الإيمان : فهو من باب عطف الخاص على العام[1] كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ .

○ ○ ○ ○

---

(١) قال شارح الطحاوية : « اعلم أن عطف الشئ على الشئ يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك فى الحكم الذى ذكر لهما ، والمغايرة على مراتب :

١ ـ **أعلاها** : أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ، ولا جزءًا منه ، ولا بينهما تلازم ، كقوله تعالى : (خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور) الآية (١) من سورة الأنعام ، وقال تعالى : (وأنزل التوراة والإنجيل) الآية (٣) من سورة آل عمران ، وهذا هو الغالب .

٢ ـ **ويليه** : أن يكون بينهما تلازم ، كقوله تعالى ، (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) الآية (٤٢) من سورة البقرة ، وقال تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الآية (٩٢) من سورة المائدة .

٣ ـ **الثالث** : عطف بعض الشئ عليه كقوله تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) الآية (٢٣٨) من سورة البقرة ، وقال تعالى : (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) الآية (٩٨) من سورة البقرة وقال تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك) الآية (٧) من سورة الأحزاب وفى مثل هذا وجهان : أحدهما : أن يكون داخلًا فى الأول ، فيكون مذكورا مرتين . والثانى : أن عطفه عليه يقتضى أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردًا كما قيل فى لفظ « الفقراء والمساكين » ونحوهما ، تتنوع دلالته بالإفراد والإقتران .

٤ ـ **الرابع** : عطف الشئ على الشئ لاختلاف الصفتين ، كقوله تعالى : (غافر الذنب وقابل التوب) الآية (٣) من سورة غافر . شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨) .

المطلب الثاني

تعريف الإيمان بالنبي ﷺ

(الإيمان بالرسول : هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته)[١]

وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي ﷺ وعن بيان هذه الأمور المطلوبة عند الإيمان به بالنبي ﷺ .

قال العلماء :

أ ـ أما تصديقه ﷺ فيتعلق به أمران عظيمان :

أحدهما : إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله ، وهذا مختص به ﷺ[٢].

ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها :

١ـ الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم .

٢ـ الإيمان بكونه خاتم النبين ورسالته خاتمة الرسالات .

٣ـ الإيمان بكون رسالته ناسخةً لما قبلها من الشرائع .

٤ـ الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها وأدّى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها .

٥ـ الإيمان بعصمته ﷺ .

٦ـ الإيمان بماله من حقوق خلاف ما تقدم ذكره كمحبته وتعظيمه ﷺ .

وسيأتي تفصيل الأمور الخمسة المتقدمة بأدلتها في المباحث اللاحقة من هذا الفصل بإذن الله تعالى .

---

(١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص ٩٢) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٥ / ٩١) .

أما الحقوق الأخرى الواجبة له فسيأتي تفصيلها في الأبواب القادمة إن شاء الله تعالى .

الثاني : (تصديقه فيما جاء به ، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه . وهذا يجب عليه ﷺ وعلى كل أحد)[١] .

فيجب تصديق النبي ﷺ في جميع ما أخبر به عن الله عز وجل ، من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي ، وفيما أحل من حلال وحرم من حرام ، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٢].

قال شارح العقيدة الطحاوية : (يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا مجملًا ، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية)[٣] .

ب ـ طاعته واتباع شريعته : إن الإيمان بالرسول ﷺ كما يتضمن تصديقه فيما جاء به فهو يتضمن كذلك العزم على العمل بما جاء به وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان به ﷺ .

وهي تعني : الانقياد له ﷺ وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالًا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[٤].

فيجب على الخلق اتباع شريعته والالتزام بسنته مع الرضا بما قضاه والتسليم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥ / ٩١) .

(٢) الآية (٣ ، ٤) من سورة النجم .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٦٦) .

(٤) الآية (٧) من سورة الحشر .

له ، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله وأن معصيته معصية لله لأنه هو الواسطة بين الله وبين الثقلين في التبليغ .

وسيأتي بيان هذه المسئلة في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « يجب على الخلق الإقرار[1] بما جاء به النبي ﷺ فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل ، فلا يكون الرجل مؤمنًا حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة »[2].

٥٥٥٥

---

(١) يقول ابن تيمية فى بيان معنى الاقرار « إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق ، والإقرار ضُمن قول القلب الذى هو التصديق وعمل القلب الذى هو الانقياد ».

مجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٨ ، ٦٣٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ١٥٤) .

المطلب الثالث

معنى شهادة ان محمدًا رسول الله ﷺ

أ ـ معناها :

(معنى شهادة أن محمدا رسول الله : طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)[١] .

وهذه الشهادة هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة .

كما أن الإيمان بالنبي ﷺ داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة ، ويشهد لذلك حديث جبريل المشهور . ويلاحظ أننا عرّفنا الشهادة والإيمان به بتعريف واحد ، وهذا الأمر يصح في حالة الإفراد كما سبق وأن ذكرت في لفظ الإسلام والإيمان ، أما في حالة الاقتران فالإيمان به يختص بتصديق القلب وإقراره ، والشهادة يراد بها نطق اللسان واعترافه ، ويجب تحقيق هذه الشهادة معرفة وإقرارًا وانقيادًا وطاعةً[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما الإيمان بالرسول فهو المهم ، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه ، إذ هو الطريق الى الله سبحانه ، ولهذا كان ركنا الإسلام « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله »[٣] .

ب ـ شروط الشهادتين :

بعد ذكر معنى « شهادة أن محمدًا رسول الله » ناسب المقام أن نشير ههنا

---

(١) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٩) ضمن مجموعة الرسائل المفيدة .

(٢) زاد المعاد (١ / ٣٤) .

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٦٣٨ ، ٦٣٩) .

إلى شروط هذه الشهادة بشقيها ، لأننا في زمان يجهل فيه كثير من الناس هذه الشروط ، إذ يعتقد كثير منهم لجهلهم أن التلفظ وحده يكفي لتحقيق الشهادة ويستغنون بهذا عن العمل بالمقتضى المترتب على هذه الشهادة .

وتصويبًا لهذا الخطأ وإزالة لهذا الجهل أقول : إنه من المعلوم أن العبد لا يدخل في دين الإسلام إلا بعد الإتيان بالشهادتين « شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله » .

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[1]

وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله »[2] .

ومن المعلوم كذلك أن جميع الدين داخل في الشهادتين إذ مضمونهما أن لا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع على لسان رسوله ﷺ ونطيعه فيما جاء به عن ربه سبحانه وتعالى . والدين كله داخل في هذا .

ولهاتين الشهادتين شروط لا بد من توفرها فيهما ، إذ لا يمكن لقائلهما أن ينتفع بهما الا بعد اجتماعها فيهما ، وهذه الشروط مطلوبة في كلا الشهادتين ، وذلك لما بينهما من التلازم ، فالعبد لا يدخل في الدين إلا بهما معا .

□ وهي سبعة شروط :

الشرط الأول : العلم :

---

(١) الآية (١٥) من سورة الحجرات .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٥٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدًا رسول الله (٢ / ٣٨) .

إذ العلم بالشيء شرط عند الشهادة به ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

ومن الأدلة على وجوب العلم بالشهادة قوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢]؛

وقوله النبي ﷺ : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة »[٣].

والعلم المراد به هنا هو معرفة معنى الشهادتين ومقتضاهما واللوازم المترتبة على ذلك .

فلا إله إلا الله معناها : لا معبود بحق إلا الله .

ومقتضاها ولازمها : نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله تعالى وإفراده بالعبادة مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به[٤] .

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله : الإقرار والاعتراف للرسول ﷺ أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة[٥] .

ومقتضاها ولازمها : طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع .

الشرط الثاني : اليقين :

أي استيقان القلب بالشهادتين ، وذلك بأن يعتقدهما اعتقادًا جازمًا لا

---

(١) الآية (٨٦) من سورة الزخرف .

(٢) الآية (١٩) من سورة محمد .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان ، باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار . انظر (١ / ٤١) .

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٨) .

(٥) دليل المسلم فى الاعتقاد للشيخ عبد الله خياط (ص ٤٥) .

يصاحبه شك أو ارتياب ، لأن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن ، قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : « من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقينًا بها قلبه فبشره بالجنة » الحديث[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة »[٣].

الشرط الثالث : الإخلاص :

(وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك)[٤] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الآية[٥] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[٦]« أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له ».

وقال قتادة[٧]في قوله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ شهادة أن لا

(١) الآية (١٥) من سورة الحجرات .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١ / ٤٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١ / ٤١ - ٤٢) .

(٤) معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمي (١ / ٣٨٢) .

(٥) الآية (٥) من سورة البيّنة .

(٦) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٧) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري . ولد سنة ٦١ هـ وتوفي سنة ١١٨ هـ ثقة ثبت ، مفسر حافظ ضرير أكمه . قال عنه الإمام أحمد : قتادة أحفظ أهل البصرة .

انظر : تهذيب التهذيب (٨ / ٣٥١) وتذكرة الحفاظ (١ / ١١٥)

إله إلا الله »[١] .

وعن عتبان بن مالك[٢] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه »[٤] .

الشرط الرابع : (الصدق فيها المنافي للكذب،وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطيء قلبه لسانه)[٥] .

قال تعالى : ﴿ الم أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ ﴾[٦] .

« أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه ، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٥) .

(٢) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي السالمي صحابي ، من البدريين آخى النبي ﷺ بينه وبين عمر ، مات فى خلافة معاوية وقد كبر .
الاصابة (٢ / ٤٤٥) رقم ٥٣٩٨

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب المساجد فى البيوت .
انظر : فتح البارى (١ / ٥١٩) ح ٤٢٥ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الصلاة ، باب الرخصة فى التخلف عن الجماعة بعذر (٢ / ١٢٦) .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .
انظر : فتح البارى (١١ / ٤١٨) ح ٦٥٧٠

(٥) معارج القبول (١ / ٣٨١) .

(٦) الآيات (١ / ٣) من سورة العنكبوت .

وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة »[١] .

وعن أنس بن مالك[٢] رضي الله عنه أن النبي ﷺ - ومعاذ[٣] رديفه على الرحل - قال : يا « معاذ بن جبل » قال : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : « يا معاذ » قال لبيك يا رسول الله وسعديك « ثلاثا » . قال : « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار » الحديث[٤] .

الشرط الخامس : المحبة :

(لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها والعاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك)[٥] .

قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٠٤) .

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري أبو حمزة ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة توفي سنة ٩٣ هـ . الإصابة (١ / ٨٤ ، ٨٥) رقم ٢٧٧

(٣) معاذ بن جبل الأنصاري : أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، وقد شهد بعد ذلك المشاهد كلها ، كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام ، توفي سنة ١٧ هـ في طاعون عمواس بالشام . الإصابة (٣ / ٤٠٦ ، ٤٠٧) رقم ٨٠٣٩

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه « واللفظ له » كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا . انظر فتح البارى (١ / ٢٢٦) ح ١٢٨ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١ / ٤٣)

(٥) معارج القبول (١ / ٣٨٣) .

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[١] .

ففي الآية دليل على وجوب محبة الله ورسوله ولا خلاف في ذلك بين الأمة وأن ذلك مقدم على كل محبوب[٢] .

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ الآية[٣] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ الآية[٤] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »[٥] .

الشرط السادس : الانقياد :

أي الانقياد والاستسلام ظاهرا وباطنا لأوامر الله وما أنزله من الشرع على لسان نبيه ﷺ .

---

(١) الآية (٢٣٤) من سورة التوبة .

(٢) تفسير القرطبي (٨ / ٩٥) .

(٣) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٤) الآية (٥٤) من سورة المائدة .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من كره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يلقى فى النار من الإيمان . انظر : فتح البارى (١ / ٧٢) ح ٢١ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، واللفظ له . انظر : (١ / ٤٨) .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(١) .

ففي هذه الآية « يقول تعالى مخبرًا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ، ولهذا قال « وهو محسن » أي في عمله : باتباع ما به أمر ، وترك ما عنه زجر « فقد استمسك بالعروة الوثقي » أي فقد أخذ موثقا من الله متينًا أنه لا يعذبه « وإلى الله عاقبة الأمور »(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾(٣) .

والآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٤)(٥) .

الشرط السابع : القبول :

أي قبول الشهادتين والالتزام بمقتضياتها ولوازمها .

قال تعالى ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

---

(١) الآية (٢٢) من سورة لقمان .

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٥٠) .

(٣) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

(٤) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٥) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٩٠) .

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١] .

وقال تعالى في شأن من لم يقبلها : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[٢] .

وعن أبي موسى الأشعري[٣] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها نقية[٤] قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجاذب[٥] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[٦] لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وَعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به[٧] » .

فهذه هي شروط الشهادتين يجب على المسلم تحقيقها والإتيان بها على الوجه المطلوب حتى يكون من أهلها .

---

(١) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

(٢) الآيتان (٣٥ - ٣٦) من سورة الصافات .

(٣) واسم أبي موسى : عبد الله بن قيس بن سليم من بني الأشعر من قحطان ، صحابي أسلم بمكة ثم رجع إلى اليمن وقدم مع الأشعريين وكان حسن الصوت بالقرآن ، وكان من الشجعان الولاة الفاتحين توفي بالكوفة سنة ٤٤ هـ ، وقيل غير ذلك . الإصابة (٢ / ٣٥١) رقم ٤٨٩٩

(٤) هي مستنقع الماء في الجبال والصخور . فتح الباري (١ / ١٧٦) .

(٥) هي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء . فتح الباري (١ / ١٧٦) .

(٦) بكسر القاف جمع قاع وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت . فتح الباري (١ / ١٧٧) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم واللفظ له .
انظر : فتح الباري (١ / ١٧٥) ح ٧٩ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم . انظر : (٧ / ٦٣) .

ج ـ مراتب الشهادة :

إذا علم العبد معنى الشهادتين وشروطهما فينبغي له أن يكون على علم بأن للشهادة مراتب يتدرج عليها الشاهد مرتبة بعد مرتبة حتى يتم له تحقيق الشهادة على الوجه المطلوب .

○ ومراتب الشهادة أربع هي[١] :

المرتبة الأولى : العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به وثبوته ، فلا بد للشاهد أن يعلم ويعرف معنى الشهادتين وإلا كان الشاهد شاهدًا بما لا علم له به قال تعالى :﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

المرتبة الثانية : تكلمه بالشهادتين وإن لم يُعلم بها غيره ، بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها .

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[٣] فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم .

المرتبة الثالثة : أن يُعلم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له ومرتبة الإعلام والإخبار نوعان : إعلام بالقول ، وإعلام بالفعل .

وهذا شأن كل مُعْلِمٍ لغيره بأمر ، تارة يعلمه به بالقول وتارة بفعل ومما يدل

---

(١) انظر : كتاب الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان من (ص ٣٨ إلى ص ٤٠) بتصرف .

(٢) الآية (٨٦) من سورة الزخرف .

(٣) الآية (١٩) من سورة الزخرف .

على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ ٱللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ الآية [١] فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه[٢] .

المرتبة الرابعة : أن يلتزم بمضمونها ويأتمر به .

ومجرد الشهادة لا يستلزم هذه المرتبة ، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه ، فإنه سبحانه وتعالى شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ الآية[٤] .

والقرآن كله شاهد بذلك .

وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية فقال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥] فشهادته سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع وهي : علمه بذلك ، وتكلمه ، وإخباره لخلقه ، وإلزامهم وأمرهم به[٦]

○○○○

---

(١) الآية (١٧) من سورة التوبة .

(٢) الكواشف الجلية (٣٩ ـ ٤٠) بتصرف .

(٣) الآية (٢٣) من سورة الاسراء .

(٤) الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٥) الآية (١٨) من سورة آل عمران .

(٦) الكواشف الجلية (ص ٤٠) بتصرف .

المطلب الرابع

نواقض الإيمان بالنبي ﷺ

إنّ مما ينبغي معرفته بعد توضيح معنى الإيمان بالنبي ﷺ وتبيين شروط الشهادة ومراتبها أن تعرف نواقض هذا الأمر ومبطلاته حتى يحترز المسلم من الوقوع فيها ، فعن حذيفة بن اليمان[١] رضي الله عنه قال : «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ...» الحديث[٢] .

وعن عمر بن الخطاب[٣] رضي الله عنه « إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية »[٤] .

ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أعظم هذه الأمة إيمانا لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر ، لما علموه من حسن حال الإيمان والعمل الصالح ، وقبح حال الكفر والمعاصي » .

ولمعرفة نواقض الإيمان به ﷺ نقول :

---

(١) حذيفة بن اليمان العبسي ، شهد أُحدًا وكان من كبار الصحابة وصاحب سر رسول الله ﷺ ، توفى عام ٣٦ هـ الإصابة (١ / ٣١٦ ، ٣١٧) ت رقم ١٦٤٧

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ،كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟ انظر : فتح البارى (١٣ / ٣٥) ح ٧٠٨٤ . وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر . انظر : (٦ / ٢٠) .

(٣) عمر بن الخطاب بن نفيل : ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، كان إسلامه فتحا على المسلمين ، شهد المشاهد كلها ، توفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، ولى الخلافة بعد الصديق واستشهد سنة ٢٣ هـ ، قتله أبو لؤلؤة المجوسي . الإصابة (٢ / ٥١١ ، ٥١٢) ت رقم ٥٧٣٨

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص ٩٠) .

لما كان الإيمان به ﷺ يعني تصديقه وتصديق ما جاء به ﷺ ، والانقياد له ، فإن الطعن في أحد هذين الأمرين ينافي الإيمان ويناقضه فالنواقض على هذا الإعتبار يمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : الطعن في شخص الرسول ﷺ .

القسم الثاني : الطعن فيما أخبر به الرسول ﷺ مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، إما بإنكاره أو بانتقاصه .

القسم الأول : الطعن في شخص الرسول ﷺ :

ومما يدخل تحت هذا القسم نسبة أي شيء للرسول عليه الصلاة والسلام مما يتنافى مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده ، فيكفر كل من طعن في صدق الرسول ﷺ أو أمانته أو عفته أو صلاح عقله ونحو ذلك .

كما يكفر من سب الرسول ﷺ ، أو عابه ، أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه ، أو خصلة من خصاله ، أو عرض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه أو العيب له ، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كفرًا ، وكذلك من لعنه ، أو دعا عليه ، أو تمنى مضرة له ، أو نسب إليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم ، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر[١]ومنكر من القول وزور ، أو عَيَّرَهُ بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو تنقصه ببعض العوارض البشرية الجائزة المعهودة لديه »[٢] .

---

(١) الهجر : بالضم : القبيح من الكلام . لسان العرب (٥ / ٢٥٣) .

(٢) الشفا للقاضي عياض (٢ / ٩٣٢) بتحقيق علي محمد البجاوي .

فالساب إن كان مسلمًا فانه يكفر ويقتل بغير خلاف ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم .

وإن كان ذميًا فإنه يقتل أيضا فى مذهب مالك[(١)] وأهل المدينة وهو مذهب أحمد[(٢)] وفقهاء الحديث وهو المنصوص عن الشافعى[(٣)] نفسه كما حكاه غير واحد »[(٤)]

وهذا الحكم على الساب والمستهزئ ، يستوى فيه الجاد والهازل بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[(٥)] .

وهذا نص فى أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر ، (فالسب المقصود بطريق الأولى) ؟ وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جادًا أو هازلًا فقد كفر .

---

(١) مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، وأحد أئمة أهل السنة المشهورين ، وإليه تنسب المالكية له مؤلفات عدة على رأسها (الموطأ) الكتاب المشهور ، ولد بالمدينة ، وتوفى بها عام ١٧٩ هـ . الديباج المذهب (١ / ٨٢ - ١٣٥) والبداية (١٠ / ١٧٤) .

(٢) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المشهور فى الفقه والحديث ونصرة الإسلام ، إمام أهل السنة والجماعة أعز الله به السنة وقمع به البدعة وفضائله أكثر من أن تحصر توفى سنة ٢٤١ هـ تاريخ بغداد (٤ / ٤١٢) وطبقات الحنابلة (١ / ٤) .

(٣) محمد بن إدريس الشافعى الإمام المشهور أحد الأئمة الأربعة ولد بغزة بفلسطين ثم سافرت به أمه إلى مكة ، كان ذكيًا فطنًا برع فى الأدب واللغة ثم أقبل على الحديث والفقه وله مصنفات عدة من أشهرها : الأم والرسالة ، توفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ . تاريخ بغداد (٢ / ٥٦) والتذكرة (٣٦٧) .

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٤ و ٨) بتصرف .
وقد تعرض شيخ الاسلام لهذه المسائل مفصلة فى هذا الكتاب فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه .

(٥) الآيتان (٦٥ ، ٦٦) من سورة التوبة .

وقد رُوي عن رجال من أهل العلم منهم ابن عمر[1] ومحمد بن كعب[2] وزيد ابن أسلم[3] وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، فقال له عوف ابن مالك[4] كذبت ولكنك رجل منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يارسول الله إنما كنا نلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق .

قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة[5] ناقة رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة لتنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله ﷺ : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » ما يلتفت إليه ،

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ولد بعد البعثة بثلاث سنوات وهاجر وهو ابن عشر سنين ، وقد كان من أشد الصحابة تتبعًا للسنن ومن أكثرهم عبادة مع زهد وورع توفى عام ٨٤ هـ .
الإصابة (٢ / ٣٣٨ - ٣٤١) ت رقم ٤٨٣٤

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي المدني ، كان أبوه من سبي قريظة ، ثقة ، عالم ، ولد سنة أربعين على الصحيح ، ومات سنة ١٢٠ هـ وقيل غير ذلك . وقال عنه ابن حبان : كان من أفاضل أهل المدينة علمًا وفقهًا . تهذيب التهذيب (٩ / ٤٢٠ ، ٤٢٢) .

(٣) زيد بن أسلم المدني الفقيه : كان عالماً بالتفسير وكان له حلقة بالمسجد النبوي توفي عام ١٣٦ هـ تهذيب التهذيب (٣ / ٣٩٥) .

(٤) عوف بن مالك بن أبى عوف الأشجعي الغطفاني ، صحابي جليل ، شهد مؤتة ، وشهد الفتح وكانت معه راية قومه يومئذ وشهد فتح الشام ، توفى سنة ثلاث وسبعين بالشام .
تهذيب التهذيب (٨ / ١٦٨) والبداية (٨ / ٣٤٦) .

(٥) « النِسْعة » بكسر فسكون : سير مضفور يجعل زمامًا للبعير . لسان العرب (٨ / ٣٥٢) .

ولا يزيده عليه[١] .

فهؤلاء لما تنقصوا النبي ﷺ حيث عابوه والعلماء من أصحابه واستهانوا بخبره أخبر الله أنهم كفروا بذلك ، وإن قالوه استهزاءً فكيف بما هو أغلظ من ذلك ؟[٢]

ومن الأدلة على كفر الطاعن فى شخص الرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٣] .

واللعن : الإبعاد عن الرحمة ، ومن طرده عن رحمته فى الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا[٤] .

وفى هذه الآية قرن الله بين أذى النبي ﷺ وأذاه كما قرن في آيات أُخر بين طاعته وطاعة نبيه ، وفى هذا وغيره بيان لتلازم الحقين ، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة ، فمن أذى الرسول فقد أذى الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة النبي ﷺ ، وليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه ، وقد أقامه الله مقام نفسه فى أمره ونهيه وإخباره وبيانه فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله فى شيء من هذه الأمور[٥].

ومن الأدلة الواردة فى السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما[٦] قال :

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦٧) .

(٢) الصارم المسلول (ص ٣١ - ٣٣) .

(٣) الآية (٥٧) من سورة الأحزاب .

(٤) الصارم المسلول (ص ٤١) .

(٥) الصارم المسلول (ص ٤٠ - ٤١) بتصرف .

(٦) جابر بن عبد الله الأنصارى : شهد العقبة الثانية وهو صغير وشهد المشاهد كلها بعد أحد ، وكان من المكثرين الحفاظ للسنة توفى سنة ٧٤ هـ . وقيل غير ذلك .
الإصابة (١ / ٢١٤) ت رقم ١٠٢٦

قال رسول الله ﷺ : « من لكعب بن الأشرف[١] فانه قد آذى الله ورسوله » فقام محمد بن مسلمة[٢] فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم ... » الحديث[٣]. فعلم من هذا الحديث أن من آذى الله ورسوله كان حقه أن يقتل كما قتل كعب بن الاشرف والأدلة من الكتاب والسنة على هذه المسألة كثيرة ولا مجال لاستيعابها هنا .

ـ **الإجماع** : وقد أجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه ، وكذلك حكى غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره .

وقال الإمام إسحاق بن راهوية[٤] أحد الأئمة الأعلام : أجمع المسلمون على أن من سب الله ، أو سب رسوله ﷺ ، أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل ، أو قتل نبيًا

---

(١) كعب بن الأشرف الطائي ، من بني نبهان ، كانت أمه من « بني النضير » فدان باليهودية وكان سيدًا فى أخواله اليهود . أدرك الاسلام ولم يسلم ، وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم والتشبب بنسائهم .
خرج إلى مكة بعد وقعة « بدر » فندب قتلى قريش فيها ، وحض على الأخذ بثأرهم ، وعاد الى المدينة ، فأمر النبي ﷺ بقتله ، فانطلق إليه نفر من الأنصار ، فقتلوه فى ظاهر حصنه .
تاريخ الطبري (٣ / ٢) .

(٢) محمد بن مسلمة الأنصاري ، من فضلاء الصحابة شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك فإنه تخلف بإذن النبي ﷺ له أن يقيم فى المدينة ، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وقيل غير ذلك .
الإصابة (٣ / ٣٦٣ ، ٣٦٤) ت رقم (٧٨٠٨)

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه ـ واللفظ له ـ كتاب المغازي باب قتل كعب بن الأشرف .
انظر : فتح الباري (٧ / ٣٣٦) ح ٤٠٣٧ وأخرجه فى مواضع أُخر .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب قتل كعب بن الأشرف . انظر : (٥ / ١٨٤) .

(٤) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهوية المروزي قال عنه الخطيب البغدادي : كان أحد أئمة المسلمين وعَلَمًا من أعلام الدين اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد توفي سنة ٢٣٨ هـ . تاريخ بغداد (٦ / ٣٤٥) .

من أنبياء اللّٰه عز وجل أنه كافر بذلك وإن كان مقرًا بكل ما أنزل إليه .

وقال الخطابي[1] : لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله .

وقال محمد بن سحنون[2]: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر ، والوعيد جاء عليه بعذاب اللّٰه له ، وحكمه عند الأمة القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر[3] .

ومن المعلوم أن سب النبي ﷺ تعلق به عدة حقوق :

١ ـ حق اللّٰه سبحانه :

من حيث كفر برسوله ، وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ، ومن حيث طعن فى كتابه ودينه ، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة ، ومن حيث طعن فى أُلُوهِيته ، فإن الطعن فى الرسول طعن فى المرسل وتكذيبه تكذيب للّٰه تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته

٢ ـ وتعلق حق جميع المؤمنين :

من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم به ، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به ، بل عامة الخير الذى يصيبهم فى الدنيا والآخرة بواسطته وسفارته فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم ، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم

(١) أبو سليمان حمد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المجتهدين المكثرين ، له من المصنفات معالم السنن وشرح البخاري وغير ذلك ، توفي بمدينة بست سنة ٣٨٨ هـ . البداية : (١١ / ٣٢٤) .

(٢) محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التنوخي ، أبو عبد اللّٰه فقيه مالكي ، مناظر كثير التصانيف ، توفي سنة ٢٥٦ هـ . الوافي بالوفيات : (٣ / ٨٦) والأعلام (٦ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) .

(٣) الصارم المسلول (ص ٣ ـ ٤) .

وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين .

٣ - وتعلق حق رسول الله ﷺ به :

من حيث خصوص نفسه ، فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة فى عرضه أكثر مما يؤذيه أخْذُ ماله ، وأكثر مما يؤذيه الضرب ، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه ، خصوصًا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك فى الدنيا والآخرة ، فإن هتك عرضه وعلو قدره قد يكون أعظم عنده من قتله ، فإن قتله لا يقدح عند الناس فى نبوته ورسالته وعلو قدره كما أن موته لا يقدح فى ذلك ، بخلاف الوقيعة فى عرضه فإنها قد تؤثر فى نفوس بعض الناس من النفرة عنه وسوء الظن به ما يفسد عليهم إيمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة ... »[1]

وبهذا يعلم أن السب فيه من الأذى لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ما ليس فى غيره من الأمور كالكفر والمحاربة .

وبما تقدم ذكره من الأدلة يتضح انتقاض إيمان من طعن فى شخص الرسول ﷺ بسب أو استهزاء أو انتقاص سواء كان فى ذلك جادًا أو هازلًا .

ويستثنى من ذلك المكره بدليل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾[2] فالآية نزلت فى عمار بن ياسر[3] حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فوافقهم على ذلك مكرَهًا وجاء معتذرًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله

---

(١) الصارم المسلول (ص ٢٩٣ - ٢٩٤) .

(٢) الآية (١٠٦) من سورة النحل .

(٣) عمار بن ياسر حليف بنى مخزوم من السابقين الأولين هو وأبوه وأمه ، هاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها ، قتل بصفين سنة ٣٧ هـ . الإصابة (٢ / ٥٠٥ ، ٥٠٦) ت رقم ٥٧٠٦

هذه الآية ؛ وروى أن مما قاله أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير ، قال : « كيف تجد قلبك » ؟ قال : مطمئنًا بالإيمان ، فقال : « إن عادوا فعد » وفى ذلك أنزل الله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته ، ويجوز له أن يأبى ، كما كان بلال[1] رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك ، وهم يفعلون به الأفاعيل ... »[2]

القسم الثانى : من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ :

الطعن فيما أخبر به الرسول ﷺ ـ مما هو معلوم من الدين بالضرورة ـ اما بإنكاره أو انتقاصه .

○ فإذا اجتمعت الشروط التالية فى المنكر وهي :

أ ـ أن يكون ذلك الأمر المنكر من الأمور التي أجمعت عليها الأمة وأن يكون من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة : أى أن يكون علمه منتشرًا كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان ، وعموم رسالته[3] .

ب ـ أن لا يكون المنكر حديث عهد بالإسلام لا يعرف حدوده فهذا إذا أنكر

(١) بلال بن رباح الحبشى مؤذن رسول الله ﷺ ، أحد السابقين إلى الاسلام الذين عذبوا بمكة ، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ﷺ فيقول وهو على ذلك أَحَدٌ أَحَدٌ ، فمر به أبو بكر فاشتراه منه وأعتقه ، ومناقبه كثيرة ، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، مات بالشام سنة عشرين . الإصابة (١ / ١٦٩) ت رقم ٧٣٦ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٨٧ ، ٥٨٨) بتصرف .

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١ / ٢٠٥) .

شيئا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة جهلا به فانه لا يكفر[١] .

ج ـ أن لا يكون المنكر مكرهًا على ذلك ، فإن المكره له حكم آخر كما قدمنا ذلك .

والمنكر فى هذه الحالة يحكم بكفره وانتقاض إيمانه . والمنتقص لأمور الدين إذا كان غير مكره فانه يكفر سواء كان جادًا فى ذلك أم هازلا .

والأمثلة على هذا القسم كثيرة جدًا نذكر منها على سبيل المثال ما يختص بجانب الإيمان برسالة النبي ﷺ .

أولاً : « أن يعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه وأن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون القانون الوضعي على حكم الشرع ويصفون الشريعة الإسلامية بالقصور والرجعية وعدم مسايرة التطور ، وهذا من أعظم المناقضة لشهادة أن محمدًا رسول اللّٰه .

ثانيًا : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فهو كافر[٢].

ثالثًا : اعتقاد الإنسان أنه يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ .

ولهذا الأمر صورتان :

الأولى : أن لا يرى وجوب تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به ولا وجوب طاعته فيما أمر به وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر علمًا وعملًا وأنه يجوز تصديقه وطاعته ولكنه يقول إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدًا ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته وهذا هو

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١ / ٢٠٥) .

(٢) الجامع الفريد رسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٨٢) .

قول الفلاسفة والصابئة[١] وهذا القول لا ريب فى كفر صاحبه (فمن نواقض الإسلام أن يعتقد الانسان عدم كفر المشركين ويرى صحة مذهبهم ، أو يشك فى كفرهم)[٢] .

وهذا القول هو الذى ينادي به فى وقتنا الحاضر من يدعون إلى وحدة الأديان ويروج لهم فى ذلك الماسونية[٣] اليهودية[٤] .

الثانية : من يرى طلب العلم بالله من غير خبره ، أو العمل لله من غير أمره ، وهؤلاء وإن كانوا يعتقدون أنه يجب تصديق الرسول أو تجب طاعته ، لكنهم فى سلوكهم العلمي والعملي غير سالكين هذا المسلك بل يسلكون مسلكا آخر إما من جهة القياس والنظر ، وإما من جهة الذوق والوجدان ، وإما من جهة التقليد ، وما جاء عن الرسول إما أن يعرضوا عنه وإما أن يردوه إلى ما سلكوه .

وإضافة إلى هذه النواقض فإن الإيمان بالنبي ﷺ ينتقض أيضا بالنواقض العامة الأخرى للإسلام وهي :

١ ـ الشرك فى عبادة الله تعالى :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[٥]

---

(١) مجموع الفتاوى (٧ / ٦٣٩) .

(٢) الجامع الفريد (ص ٢٨٢) .

(٣) الماسونية : عبارة فرنسية معناها البناؤون الأحرار ، والماسونية حركه يهودية سرية تعمل تحت ستار التآخي بين الأديان وهدفها الرئيسى السيطرة على العالم عن طريق أصحاب الجاه والنفوذ فى بقاع العالم ، وذلك بواسطة المحافل التي تقيمها فى بقاع كثيرة من العالم .

انظر : كتاب الماسونية ذلك العالم المجهول ـ لصابر طعيمة

(٤) كتاب الولاء والبراء (ص ٣٤٤) .

(٥) الآية (٤٨) من سورة النساء .

وقال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾[١]، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٣] .

٢ ـ أن يجعل بينه وبين الله وسائط :

يدعوهم ويسألهم الشفاعة فيما لا يقدر عليه إلا الله ، ويتوكل عليهم فهذا كافر بالاجماع[٤] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[٥]

وقال تعالى : ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾[٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[٧] .

٣ ـ السحر :

ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضى به كفر[٨] ؛ بدليل قوله تعالى :

---

(١) الآية (٦٥) من سورة الزمر .

(٢) الآية (٨٨) من سورة الأنعام .

(٣) الآية (٧٢) من سورة المائدة .

(٤) الجامع الفريد (ص ٢٨٢) .

(٥) الآية (١٩٤) من سورة الأعراف .

(٦) الآيتان (١٢ ـ ١٣) من سورة الحج .

(٧) الآية (١٨) من سورة الجن .

(٨) الجامع الفريد (ص ٢٨٢) . والمراد بالصرف : التفريق بين الزوجين . والعطف : الجمع بينهما .

﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[١] .

٤ ـ (مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين)[٢]

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[٣] وهذا من أعظم النواقض التي وقع فيها سواد الناس اليوم فى الأرض وهم بعد ذلك يحسبون على الإسلام ويتسمون بأسماء إسلامية . فلقد صرنا فى عصر يستحى فيه أن يقال للكافر يا كافر .

ومظاهرة المشركين أخذت صورًا شتى فمن الميل القلبي إلى انتحال مذاهبهم الإلحادية إلى مجاراتهم فى تشريعاتهم ، إلى كشف عورات المسلمين لهم ، إلى كل صغير وكبير فى حياتهم ... »[٤]

٥ ـ الإعراض عن دين الله تعالى :

لا يتعلمه ولا يعمل به[٥] والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[٦] .

ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطرًا ، وأكثر ما يكون وقوعا فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه[٧]

(١) الآية (١٠٢) من سورة البقرة .
(٢) الجامع الفريد (ص ٣٨٣) .
(٣) الآية (٥١) من سورة المائدة .
(٤) كتاب الولاء والبراء فى الإسلام تأليف محمد بن سعيد القحطاني (ص ٨٣) بتصرف بسيط .
(٥) الجامع الفريد (ص ٣٨٤) .
(٦) الآية (٢٢) من سورة السجدة .
(٧) الجامع الفريد (ص ٣٨٤) .

ومعرفة المسلم لهذه الأمور تجعله على بصيرة من أمره ، وتكسبه وتزيده معرفة لأمور عقيدته فبضدها تتميز الأشياء .

o o o o

المبحث الثاني

وجوب الإيمان بنبوته ورسالته ﷺ

□ وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : معنى النبوة والرسالة .

ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ معنى النبي لغة وشرعا .

ب ـ معنى الرسول لغة وشرعا .

المطلب الثاني : الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به ﷺ .

ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ الأدلة من القرآن .

ب ـ الأدلة من السنة .

ج ـ دليل الإجماع .

المطلب الثالث : دلائل نبوته ﷺ .

ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ القرآن الكريم .

ب ـ انشقاق القمر .

ج ـ نبع الماء بين أصابعه .

د ـ اشباع العدد الكثير من الطعام القليل .

هـ ـ ما اطلع عليه من الغيوب وما سيكون فى المستقبل .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

معنى النبوة والرسالة

جمع الله لنبيه محمد ﷺ بين النبوة والرسالة قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾(١) .

أ ـ معنى النبي لغة وشرعا :

النبوة فى اللغة العربية مشتقة إما من (النبأ) أو (النباوة) أو (النبوة) أو (النبي)(٢)؟

١ ـ فإذا كانت مأخوذة من (النبأ) فتكون بمعنى الإخبار ، لأن النبأ هو الخبر .

٢ ـ وإذا كانت مأخوذة من (النباوة أو النبوة) فتكون بمعنى الرفعة والعلو ، لأن (النباوة أو النبوة : هي الشيء المرتفع) .

٣ ـ أما إذا كانت مأخوذة من (النبي) بدون همز ، فيكون معناها الطريق إلى الله عز وجل لأن معنى « النبي » الطريق .

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعانى إذ النبوة إخبار عن الله عز وجل ، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم ، وهى الطريق الموصلة إلى الله سبحانه .

أما النبوة فى اصطلاح الشرع : « فهى خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدًا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد »(٣) .

(١) الآية (٤٠) من سورة الأحزاب .

(٢) انظر : لسان العرب مادة « نبأ » (١ / ١٦٢ ـ ١٦٣) ومعجم مقاييس اللغة (٥ / ٣٨٤ ، ٣٨٥) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقى ـ الباب الثاني من شعب الإيمان (ص ٢٧٥) رسالة ماجستير فى الجامعة الإسلامية بتحقيق فالح بن ثاني .

أما النبي فقد اختلف العلماء فى تعريفه .

ـ فمنهم من قال :هو الذي أوحى الله إليه بشرع[١]ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه .

ـ فمنهم من قال : هو الذى أوحى اللّه إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[٢].

ـ ومنهم من قال : هو الذي أوحى اللّه إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره ، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين[٣] وهذا هو الذى اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله هو أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[٤] يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير[٥]

وكذلك مما يؤكد كون الانبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : « كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي ... » الحديث[٦]

« أى تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية . والسياسة : القيام على الشيء بما يصلحه »[٧] .

(١) المصدر السابق (ص ٢٧٥) وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧)

(٢) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطى (٥ / ٧٣٥) .

(٣) كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٥٥) .

(٤) الآية (٥٢) من سورة الحج .

(٥) أضواء البيان (٥ / ٧٣٥) .

(٦) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل . انظر : فتح البارى (٦ / ٤٩٥) ح ٣٤٥٥. وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦ / ١٧) .

(٧) النهاية فى غريب الحديث (٢ / ٤٢١) .

وقد اعترض على القول الثانى بأن الضابط الذى ذكروه لا يستقيم فيوسف عليه السلام كان رسولًا وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾[١] .

وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكان على شريعة التوراة قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٢] .

٤ ـ معنى الرسول لغةً وشرعًا :

الرسول لغة : إما مأخوذ من الرَّسل .

والرَّسل : هو الانبعاث على تؤدة . يقال : ناقة رسله : أي سهلة السير ، وإبل مراسيل : منبعثة انبعاثًا سهلًا . ولفظ الرَّسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث . فإذا تصور منه معنى الرفق يقال على رسلك إذا أمرته بالرفق .

وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال إبل مراسيل أى منبعثة .

ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث .

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث[٣]

---

(١) الآية (٣٤) من سورة غافر .

(٢) الآيتان (١٦٣ ـ ١٦٤) من سورة النساء .

(٣) المفردات فى غريب القرآن تأليف أبى القاسم حسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ص ١٩٥) مادة « رسل » .

وإما مأخوذ من الرَّسْلُ وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رَسْلًا أى متتابعة ، ويقال جاءوا أَرْسَالًا : أي متتابعين .

ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق : هو الذى يتابع أخبار الذى بعثه[1]

ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد أن لفظ الرسول فى اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل اللّٰه ، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من اللّٰه تعالى .

ولفظ الرسول تارة يقال للقول المُتَحَمَّلِ كقول الشاعر :

ألا بلغ أبا حفص رسولا .

وتارة لمُتَحَمِّل القول والرساله[2] .

والرسول فى الشرع : عرف بعدة تعريفات :

فمن العلماء من عرفه بقوله : هو الذى أوحى اللّٰه إليه بخبر وأمره بتبليغه للناس ، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه[3].

ومنهم من عرفه بقوله : هو الذى أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته .

وقالوا : إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس الى شريعة رسول قبله[4] .

ومنهم من قال : إن الرسول هو الذى ينبئه اللّٰه ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى

(١،٢) المصدر السابق (ص ١٩٥) ولسان العرب مادة « رسل » (١١ / ٢٨٤) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقى (ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦) بتحقيق فلاح بن ثاني ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٦٧) .

(٤) أضواء البيان (٥ / ٧٣٥) .

من خالف أمره أي إلى قوم كافرين .

أما النبي فهو من أوحى اللّٰه إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره ، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما .

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، واستشهد لذلك بأن نوحًا عليه السلام كان هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك باللّٰه قد وقع فى قومه .

وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبيا مكلمًا ، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون فى هذه القرون أنبياء فقط[١] .

وهذا القول الثالث هو أرجح الأقوال .

أما القول الأول فهو غير مسلم كما سبق وأن وضحت فى الكلام على معنى النبي .

وكذا الأمر بالنسبة للقول للثانى فليس من شرط الرسول أن يأتى بشريعة جديدة كما تقدم ذكر ذلك .

○ ○ ○ ○

---

(١) النبوات (ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

المطلب الثاني

الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به ﷺ

أ ـ الأدلة من القرآن :

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين ـ الإنس والجن ـ الذين أدركتهم رسالة النبي ﷺ ، أن يؤمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز .

كما أكد الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها :

قال تعالى : ﴿ ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٢] .

وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٤] .

---

(١) الآيتان (٧ ـ ٨) من سورة الحديد .

(٢) الآية (٨) من سورة التغابن .

(٣) الآية (١٣٦) من سورة النساء .

(٤) الآية (٩) من سورة الفتح .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾[2] .

والإيمان به ﷺ واحد من ثلاثة حقوق اقترن بها حقه ﷺ مع حق الله تعالى فى القرآن الكريم .

أما الحق الثاني له :

فهو طاعته قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3] ، وسيأتى بيانه فى الفصل الثاني من هذا الباب .

والحق الثالث هو :

محبته قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[4] وسيأتى بيانه فى الباب الثاني .

« كما أن الإيمان به واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه »[5] .

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (١٥) من سورة الحجرات .

(٣) الآية (١٣٢) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٥) الشفا للقاضي عياض (٢ / ٥٣٨) بتصرف .

وقال تعالى فى حق من لم يؤمن : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾(١) .

وبما تقدم من آيات يعلم وجوب الإيمان بالرسول ﷺ وأهميته وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، ولذلك كان أول أركان الإسلام « شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله » .

ب ـ الأدلة من السنة على وجوب الإيمان به ﷺ :

وردت فى السنة أحاديث كثيرة جدا تدل على وجوب الإيمان به ﷺ على الجن والإنس الذين أدركتهم رسالته ، سواء كانوا أهل كتاب ، أم ليسوا بأهل كتاب ، ويستوى فى ذلك عربهم وعجمهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلا يسع أحدًا من هؤلاء الخروج عن شريعته أو التعبد لله بغير ما جاء به . لأن الله لا يقبل من أحد عملًا يخالف شرع نبيه محمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾(٢). وسأورد ههنا بعضا من تلك الأحاديث الواردة فى هذا الشأن

١ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »(٣).

---

(١) الآية (١٣) من سورة الفتح .

(٢) الآية (٨٥) من سورة آل عمران .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١ / ٣٩)

٢ ـ وعن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّٰه ، وأن محمدًا رسول اللّٰه ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على اللّٰه »[(١)] .

٣ ـ عن أبى هريرة رضي اللّٰه عنه عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال : « والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »[(٢)] .

٤ ـ وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما فى حديث وفد عبد القيس أن النبي ﷺ قال لهم :« أتدرون ما الإيمان باللّٰه وحده ؟ قالوا : اللّٰه ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس .... » الحديث[(٣)]

٥ ـ وعن معاذ بن جبل رضي اللّٰه عنه قال : بعثني رسول اللّٰه ﷺ فقال : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأني رسول اللّٰه فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللّٰه افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللّٰه افترض عليهم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » . انظر : فتح الباري (١ / ٧٥) ح ٢٥ . وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه . انظر (١ / ٣٩)

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١ / ٩٣) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣١) .

صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[١] .

وهذه الأحاديث وغيرها تؤكد وجوب الإيمان به ﷺ وبما جاء به ، وكذلك طاعته ، ويكون ذلك بأن يحل ما أحل الله ورسوله ، ويحرم ما حرم الله ورسوله ، ويوجب ما أوجبه الله ورسوله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ، ويكره ما كرهه الله ورسوله . وقد تقدم معنى الإيمان بالنبي ﷺ فى المبحث الأول فليرجع إليه .

ج ـ دليل الإجماع :

أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبى ﷺ ، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم[٢]. لأن الرسول ﷺ هو الذى جاء بذلك وذكره الله فى كتابه وبينه الرسول أيضا فى الحكمة المنزلة عليه من غير الكتاب ، فان الله تعالى أنزل عليه الكتاب والحكمة ، ولم يبتدع المسلمون شيئا من ذلك من تلقاء أنفسهم[٣] .

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (١ / ٣٥) ، وأخرجه بنحوه البخاري فى صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء فى دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى . انظر : فتح الباري (١٣ / ٣٤٧) ح ٧٣٧٢

(٢) إيضاح الدلالة فى عموم الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية . انظر : (٢ / ٩٩) .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١٢٦) .

المطلب الثالث

دلائل نبوته ﷺ

أيد اللّٰه تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدلائل والمعجزات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصدق رسالته وهذه الدلائل والمعجزات فاقت الألف معجزة كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء[١] . ومنها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي ، وكذلك هي متنوعة فمنها ما كان قبل مولده كبشارات الأنبياء به ومنها ما كان وقت ولادته كقصة الفيل والعجائب التي حدثت عام مولده الدالة على نبوته ، ومنها ما كان عند مبعثه كالقرآن الكريم وانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابعه ﷺ وغير ذلك .

ومن تلك الدلائل ما استمر بعد وفاته ﷺ كالقرآن الكريم ، وما أخبر به من المغيبات كعلامات الساعة ، وما يحدث بعده . ولقد ألف عدد من العلماء مؤلفات في هذا الشأن جمعوا فيها تلك الدلائل والمعجزات[٢] .

وإن من أعظم دعائم الإيمان معرفة المسلم لهذه الدلائل وأخذ العظة والعبرة منها وذلك بتدبر ما فيها من حكم وآيات دلت على صدق رسالة نبينا ﷺ .

والمقام هنا لا يستوعب إيراد هذه الدلائل والمعجزات ، ولكني سأشير الى بعض هذه الدلائل إشارات سريعة على سبيل المثال :

أ ـ القرآن الكريم :

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (١ / ١٤٠) .

(٢) من تلك المؤلفات : دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، ودلائل النبوة لقوام السنة الأصبهاني ، ودلائل النبوة للبيهقي ، والخصائص الكبرى للسيوطي .

هو أعظم الآيات والبراهين والدلائل والمعجزات التي أعطيها النبي ﷺ ، وليس من آية أبدع ولا أروع منه .

فهو المعجزة الخالدة التي أعطاها اللّه لرسوله ﷺ لتكون خالدة كخلود رسالته ، ومشهودة لكل من أتى بعد زمانه ليعم الانتفاع بها ولتقوم بها الحجة على أهل كل زمان إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ولقد تعهد اللّه بحفظه وبقائه فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[1] فكان فى هذا الحفظ دوامه وبقاؤه إلى قيام الساعة .

ولقد ميز اللّه نبيه بهذه المعجزة عن سائر إخوانه من الأنبياء كما جاء فى حديث أبى هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه اللّه إلى ، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة »[2] .

وفى تخصيص النبي ﷺ للقرآن بالذكر هنا دون المعجزات الأخرى التي أعطيها - والتي تزيد على الألف - إشارة إلى عظم هذه المعجزة ومكانتها حتى أنه أصبح غيرها بالنسبة إليها كلا شيء لشيء .

ولقد تضمنت هذه المعجزة وجوهًا متعددة من الإعجاز ، فالقرآن الكريم معجز بلغته وفصاحته وبيانه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وبما حواه من أخبار

---

(١) الآية (٩) من سورة الحجر .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » واللفظ له انظر فتح البارى (١٣ / ٢٤٧) ح ٧٢٧٤. وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته . انظر (١ / ٩٢ ، ٩٣) .

وقصص ، ومغيبات ، وعلوم ، فهو معجز من جميع الوجوه ، ولقد تحدى الله قوم النبي ﷺ على أن يأتوا بمثله أو بشئ منه ، فالقرآن الكريم نزل بلغتهم فهم يعرفون حروفه ومعانيه ، إضافة إلى أنه نزل فى أوان وزمان بلغت فيه قريش ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان ، فلقد كان فيهم أولوا الأحلام والنهى والأفهام والألسن الحداد ، والقرائح الجياد ، والعقول السداد .

فالتحدى كان لهم بأمر يعرفون طريقه ولهم بجنسه عهد بل إنهم نبغوا فيه وبلغوا فيه ذروته .

ولذلك فقد توهم كفار قريش فى بداية أمرهم أن باستطاعتهم الاتيان بمثله وقدروا أن فى وسعهم معارضته فقالوا : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾[١] .

فجاءهم التحدى من الله على ثلاث مراحل هى :

المرحلة الأولى :

التحدى بالإتيان بمثل القرآن وذلك كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[٢] .

المرحلة الثانية :

تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله حيث قال تبارك وتعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُم

---

(١) الآية (٣١) من سورة الانفال .

(١) الآيتان (٣٣ ـ ٣٤) من سورة الطور .

(٢) الآية (١٣) من سورة هود .

صَادِقِينَ ﴾[٣] .

ثم المرحلة الثالثة :

حيث تحداهم تبارك وتعالى بالإتيان بسورة واحدة فقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١] .

فعجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مع شدة الإجتهاد وقوة الأسباب فقد كانوا حريصين على تكذيبه وإبطاله بكل طريق ولكن مع هذا كله فقد عجزوا عن ذلك .

ولقد أخبر اللّٰه بعجزهم عند تحدّيه إياهم بالإتيان بسورة من مثله فقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[٢] .

ولما عجزوا عن الإتيان بما تحداهم به قطع اللّٰه طمعهم على أن يأتوا بمثله فقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٣] .

وبعد مرحلة قطع الطمع أنزل اللّٰه فواتح السور كـ ﴿ الم ، الر ، المر ﴾ وغيرها . تقريعا وتوبيخا للكفار ، مخبرًا لهم أن ما تحداهم به مكون من حروف هى حروف العربية التي يتحدثون بها والتي بلغوا ذروتهافهم أفصح العرب ، والقرآن نزل بلغة العرب ، ولقد جرت سنة اللّٰه بأن يعطي كل رسول من المعجزات ما

(١) الآية (٢٣) من سورة البقرة .
(٢) الآية (٢٤) من سورة البقرة .
(٣) الآية (٨٨) من سورة الاسراء .

يناسب ما اشتهر به قومه ، فلقد أعطى موسى العصا لاشتهار من أرسل إليهم بالسحر وما يتعلق به ، وأعطى عيسى معجزة إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى لاشتهار قومه بالطب وهكذا ، فأعطى نبينا محمدًا ﷺ القرآن لما اشتهرت به قريش من الفصاحة والبيان .

فهذا ما كان من أمر التحدي الذى تحدى اللّٰه به أهل مكة وغيرهم من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، وسأعرض لذكر بعض جوانب هذا الإعجاز القرآني الذى عجز الكفار أن يأتوا بمثل هذا القرآن من جهتها وهى ما يلى :

أولًا :

تحداهم بفصاحة القرآن وعلو أسلوبه ، وأحكامه ، ودقة تعبيره ، ولذا تكلف بعض سفهاء الأحلام منهم أن يأتوا بسور خيل لهم أنها على نمطه وشاكلته ، فأضحكوا على أنفسهم العقلاء ، وأما ذووا العقل والرأى منهم فأسلموا أنفسهم إلى العجز وأيقنوا من قرارة نفوسهم أنه الحق وأنه من عند اللّٰه لا من كلام البشر ولكن أكثرهم يجهلون فأبوا إلا الكفر أنفة واستكبارا .

ثانيًا :

تحداهم بتشريعه الكامل الموافق لمقتضى العقل والفطرة ، الهادي جميع البشر إلى سواء السبيل من جوانب الحياة كلها عقيدة وعبادة واقتصادًا وسياسةً وأدبًا وأخلاقًا مع بقاءه كذلك صالحا لهداية العالم وإصلاحه وسياسة وأدبا وأخلاقا مع بقائه كذلك صالحا لهداية العالم وإصلاحه في جميع جوانب الحياة إلى يوم القيامة .

ثالثا :

تحداهم بما تضمنه القرآن من الأخبار الغيبية التفصيلية المسهبة ، وبوقوف

الرسول ﷺ من إخوانه المرسلين السابقين موقف المصدق لهم المبين لتحريف أقوامهم لشرائعهم ، المعلن لخزاياهم وفضائحهم فى خروجهم على أنبيائهم بيان الواثق بنفسه المؤمن بما أوحي إليه من ربه ، وهو أمي عاش فى أمة أمية ، ومن أمته أهل الكتاب الذين فضحهم بسوء صنيعهم مع رسلهم وفى شرائعهم ومع ذلك لاذوا بالصمت ولم يردوا عليه ما اتهمهم به تبرئة لأنفسهم ودفعا للنقيصة والعار عنها ، فكان ذلك إيذانًا بأنه رسول اللّٰه الصادق الأمين وأن ما جاء به إنما هو وحي من رب العالمين(١) .

ولقد تضمن القرآن الكريم جوانب أخرى من الإعجاز فنحن فى زمان انتشر فيه سلطان العلم المادي وتباهى الانسان بمعرفته لكثير من الأمور التي خفيت عمن قبله من الأجيال ، ولكن كثيرًا من هذه الأمور التي يدعي الإنسان اكتشافها ومعرفتها ، نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عنها وبينها فعلى سبيل المثال تكوين الإنسان فى بطن أمه تحدثت عنه آيات كثيرة من القرآن قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان بينما لم يتعرف علماء الطب على ذلك إلا فى زمن متأخر وكذا الأمر بالنسبة لكثير من الأمور الأخرى كتكوين الارض وعلوم البحار وعلوم الحيوان وشتى أنواع العلوم الأخرى ، وقد اهتم عدد من العلماء المسلمين بهذا الشأن فأنشؤوا ما يسمى « بهيئة الإعجاز العلمي فى القرآن » لبيان سبق القرآن فى توضيح كثير من أمور العلم التي يدعي كثير من العلماء الماديين أنها لم تعرف إلا فى هذا الزمان .

وهذا كله شاهد بأن كتاب اللّٰه العزيز يبقى المعجزة الخالدة التي لا تنتهي

---

(١) انظر : مجلة البحوث الإسلامية ، العدد التاسع (ص ٢٧ - ٢٨) مقال بعنوان بيان ما يسمى معجزة محمد الخالدة والمعجزة القرآنية إعداد هيئة كبار العلماء .

عجائبها ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[١].

فالقرآن يبقى معجزًا فى عصر العلم كما كان معجزًا فى عصر الفصاحة والبلاغة . ومن الآيات الحسية التي أعطيها النبي ﷺ زمن بعثته .

ب ـ انشقاق القمر :

قال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[٢].

وعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه « أن أهل مكة سألوا رسول اللّه ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[٣]

وعن عبد اللّه بن مسعود[٤]رضي اللّه عنه قال : « انشق القمر على عهد النبي ﷺ شقين ، فقال : « اشهدوا »[٥] .

ج ـ نبع الماء بين أصابعه :

فعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : « أُتي رسول اللّه ﷺ بإناء وهو

---

(١) الآية (٨٩) من سورة الأسراء .

(٢) الآيتان (١ ، ٢) من سورة القمر .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبى ﷺ آية ، فأراهم انشقاق القمر . انظر : فتح الباري (٦ / ٦٣١) ح ٣٦٣٧

(٤) عبد اللّه بن مسعود الهذلي ، أسلم قديما ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرا والمشاهد بعدها ، وكان أول من جهر بالقرآن بمكة وكان من فقهاء الصحابة ، توفى عام ٣٢ هـ بالمدينة .
الإصابة : (١ / ٣٦٠ ، ٣٦٢) ت رقم ٤٩٥٤

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية ، فأراهم لنشقاق القمر . انظر : فتح البارى (٦ / ٦٣١) ح ٣٦٣٦

بالزوراء[١] فوضع يده فى الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ القوم . قال قتادة : قلت لأنس كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة ، أو زهاء ثلاثمائة »[٢]

وقد روى حديث نبع الماء من بين أصابعه ﷺ جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود[٣] .

د ـ إشباع العدد الكثير من الطعام القليل :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أبو طلحة[٤] لأم سليم[٥] : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا

---

(١) الزوراء : موضع بالمدينة عند سوقها فى ذلك الوقت . وفاء الوفاء (٤ / ١٢٢٩) .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه « واللفظ له » كتاب المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٨٠) ح ٣٥٧٢ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب فى معجزات النبي ﷺ (٧ / ٤٩)

فائدة : قال ابن حجر فى فتح البارى (٦ / ٥٨٥) : « حديث نبع الماء من أصابعه ﷺ جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق . وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من طريقين . وعن ابن أبي ليلى والد عبد الرحمن عند الطبراني .انتهى كلامه .

(٣) الشفا (١ / ٤٠٢) .

(٤) أبو طلحة : إسمه زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري النجاري الخزرجي ، مشهور بكنيته ، شهد العقبة ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد ، توفي عام ٣١ هـ وقيل ٣٤ هـ .
الإصابة (١ / ٥٤٩) ت رقم ٢٩٠٥

(٥) أم سليم بنت ملحان بن خالد الأنصارية وهى أم أنس خادم رسول الله ﷺ إشتهرت بكنيتها واختلف فى اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل غير ذلك . أسلمت مع السابقين من الأنصار ، ولها مواقف مشهودة تدل على فضلها ومكانتها . الإصابة (٤ / ٤٤١ ، ٤٤٢) ت رقم ١٣٢١

لها ، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ، ولاثتني ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم . فقال لي رسول الله ﷺ : « آرسلك أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم . قال : بطعام ؟ قلت : نعم ، قال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته . فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم . فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : « هلمي يا أم سليم ما عندك » فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ففت ، وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : « إئذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا . ثم قال : « إئذن لعشرة » فأكل القوم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلًا »[١] .

وأحاديث تكثير الطعام القليل تعددت ، وتكررت فى مواطن متعددة ورويت عن بضعة عشر من الصحابة ، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يُعد بعدهم ، وأكثر هذه الأحاديث مروية فى الصحيح وأكثرها فى قصص مشهورة ، ومجامع مشهورة ، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ، ولا يسكت

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام .
انظر فتح الباري (٦ / ٥٨٦) ح ٣٥٧٨

الحاضر لها على ما أنكر منها[١] .

هـ ـ ما أطلع عليه من الغيوب وما سيكون في المستقبل :

« والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ، ولا ينزف غمره . وهي من جملة معجزاته المعلومة على القطع »[٢] ومنها على سبيل المثال حديث حذيفة ابن اليمان قال : « قام فينا رسول اللّه ﷺ مقاما ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه »[٣] .

وبعد فهذا جزء يسير جدا من دلائل نبوته المعنوية والحسية وصدق رسالته ﷺ ، أيد اللّه بها نبيه ليقيم الحجة على الخلق فيحيا من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

فيجب على كل مسلم أن يتدبر في دلائل نبوته ﷺ ويَطّلع عليها، فان فيها عظة وعبرة وتزيد من إيمان المرء ويقينه بنبوة خاتم المرسلين وإمامهم ، الذي أعطاه اللّه من الآيات والبراهين ما لم يعط أحدًا من الأنبياء قبله .

○○○○

---

(١) الشفا (١ / ٤١٩) بتصرف .

(٢) الشفا (١ / ٤٧٠) وقد ذكر طرفا من هذه الأحاديث فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٨ / ١٧٢) .

المبحث الثالث

وجوب الإيمان بعموم رسالته ﷺ

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على عموم رسالته .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « الناس » .

ب ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « العالمين » .

ج ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « كافة » و « جميعًا » .

د ـ الآية التي ورد فيها لفظ (ومن بلغ)

هـ ـ الآيات التي ورد فيها خطاب الجن .

و ـ الآيات التي ورد فيها دعوة أهل الكتاب .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على عموم رسالته .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ السنة القولية .

ب ـ السنة العملية .

المطلب الثالث : دليل الإجماع على عموم رسالته .

• • • •

تمهيد

إن من الإيمان بنبوة محمد ﷺ الإيمان بجميع ما جاء به ، ومما جاء به ﷺ الإخبار بعموم رسالته للإنس والجن بجميع أجناسهم وأشكالهم وألوانهم ومللهم ولغاتهم . لذا فإنه يجب أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدًا ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن وأنه أوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته ، وأنه لا يسع أحدًا من هؤلاء الخروج عن شريعته ولا أن يدين لله بغير ما جاء به « ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله »[١] قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٢].

وعموم رسالة النبي ﷺ وعالميتها هى إحدى الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن الأنبياء قبله ، إذ كان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجا الى من يبلغهم أمر الله عز وجل ، أما محمد ﷺ فقد بعثه الله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرًا ، فهو المبعوث رحمة للعالمين ، فعمت رسالته جميع المكلفين إنسهم وجنهم ، كما صحبت كذلك الزمان فى مسيرته ، فإذا انتهى جيل من الناس فإن الجيل الذى يليه مخاطب ومكلف بها .

والإيمان بعموم الرسالة وعالميتها هو الذى يدين به كل مسلم يؤمن بالله ورسوله ، فهذا ما جاءت به آيات الكتاب الكريم ونصوص السنة الثابتة ، فهو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي أجمعت عليها الأمة .

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٤٢٢) .

(٢) الآية (٨٥) من سورة آل عمران .

المطلب الأول

الأدلة من القرآن على عموم رسالته

وردت آيات كثيرة فى كتاب اللّٰه العزيز تثبت عموم دعوته وعالمية رسالته ﷺ ومن سمة هذه الآيات أنها اتصفت بتنوع العبارة مع اتحاد فى المضمون الذى هو الدلالة على عموم الرسالة وعالميتها .

وسوف نعرض لهذه الآيات بحسب اتحادها فى السياق .

أ ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « الناس » منها :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾[٦] .

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٢٨) من سورة سبأ .

(٣) الآية (٧٩) من سورة النساء .

(٤) الآية (١٧٤) من سورة النساء .

(٥) الآية (٢) من سورة يونس .

(٦) الآية (٥٢) من سورة إبراهيم .

وقوله تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[١] .

والشاهد من هذه الآيات أنها بينت شمول رسالة محمد ﷺ للناس[٢] جميعا .

قال صاحب اللسان : « الناس قد يكون من الإنس ومن الجن »[٣] .

فلفظ الناس يطلق على الجن والإنس كما فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[٤] فسمى اللّه الجن فى هذا الموضع ناسًا كما سماهم فى موضع آخر رجالًا ، فقال : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[٥] فجعل الجن رجالا وكذلك جعل منهم ناسا[٦] .

وهناك رأي آخر يقول إن لفظ الناس دخل فيه الجن تغليبا[٧] .

والذى أراه أن الآيات تفسر بالمعنى الشامل للإنس والجن إذ لا مخصص للعموم هنا .

وكنموذج لتفسير ما أوردته من آيات فى هذا الشأن أذكر ما قاله بعض علماء التفسير فى بيان قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

---

(١) الآية (١) من سورة إبراهيم .

(٢) لفظ « الناس » فيه وجهان : أحدهما : أن يكون جمعا لا واحد له من لفظه وانما واحده « إنسان » وواحدته « إنسانة » . والوجه الآخر : أن يكون أصله « أناس » أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها تخفيفا ، ثم أدخلت الألف واللام المعرفتان ، فأدغمت اللام التي دخلت مع الألف فيها للتعريف فى النون . انظر : تفسير الطبرى (١ / ١١٦) .

(٣) لسان العرب (٦ / ٢٤٤) مادة نوس .

(٤) الآيتان (٥ - ٦) من سورة الناس .

(٥) الآية (٦) من سورة الجن .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠ / ٣٥٦) .

(٧) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٧٥) .

قال أبو جعفر الطبرى[١] فى تفسيرها : « قل يا محمد للناس كلهم ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ لا إلى بعضكم دون بعض ، كما كان من قبلي من الرسل مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض ، فمن كان منهم أرسل كذلك ، فان رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم »[٢] .

وقال ابن كثير[٣]: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أى جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة[٤] .

ب ـ الآيات التي ورد فيها لفظ « العالمين » : ومنها

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٧] .

---

(١) هو محمد بن جرير الطبري ، المؤرخ المفسر الإمام ، كان مولده سنة أربع وعشرين ومائتين ، روى الكثير عن الجم الغفير ، صنف التاريخ الحافل ، وله التفسير الكامل الذى لا يوجد له نظير توفي سنة ٣١٠ هـ . البداية (١١ / ١٤٥ - ١٤٧) .

(٢) تفسير الطبري (٩ / ٨٦) .

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير البصري الدمشقي ، حافظ مؤرخ فقيه ولد سنة ٧٠١ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ وهو صاحب كتاب تفسير القرآن العظيم والبداية والنهاية . شذرات الذهب (٦ / ٢٣١) والأعلام (١ / ٣٢٠) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٥٤ - ٢٥٥) .

(٥) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .

(٦) الآية (٩٠) من سورة الأنعام .

(٧) الآية (١٠٤) من سورة يوسف .

وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[3] .

والمراد بالعالمين هنا هم الإنس والجن إذ هم المكلفون .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « العالمون الجن والإنس ، دليله قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ولم يكن نذيرًا للبهائم »[4] .

ج الآيات التي ورد فيها لفظتا « كافة » و « جميعا » وهي :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[6]. وهناك ثلاث عبارات هى « الناس » و « كافة » و « جميعا » دلت جميعها على العموم .

د ـ الآية التي ورد فيها لفظ « ومن بلغ »

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[7] .

---

(١) الآية (١) من سورة الفرقان .

(٢) الآية (٥٢) من سورة القلم .

(٣) الآيتان (٢٦ ، ٢٧) من سورة التكوير .

(٤) تفسير القرطبى (١ / ١٣٨) .

(٥) الآية (٢٨) من سورة سبأ .

(٦) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٧) الآية (١٩) من سورة الأنعام .

فالشاهد من الآية هو قوله تعالى : ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ فلفظ من فى قوله ﴿ وَمَن بَلَغَ ﴾ من صيغ العموم ، فالآية نص فى عموم رسالة النبي ﷺ .

ومعنى الآية أن اللّٰه يأمر رسوله ﷺ أن يقول لقومه إن اللّٰه أوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة ، أو يا معشر العرب ومن بلغه هذا القرآن سواء كان عربيا أو عجميا وسواء كان موجودًا الآن ، أم سيأتي بعد إلى أن تقوم الساعة ، وهذا هو الذى ذكره أهل التفسير عند هذه الآية[1] .

هـ ـ الآيات التي ورد فيها خطاب الجن : ومنها

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[2] إلى آخر الآيات التي نزلت فى شأن دعوة الجن إلى الإيمان برسالة محمد ﷺ وسميت هذه السورة بسورة الجن .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3]

والآيات نزلت فى جن نصيبين[4]عندما سمعوا القرآن ، فآمن به من آمن منهم ثم ولوا إلى قومهم منذرين ، ثم أتوا إلى النبي ﷺ فبايعوه على الإسلام

(١) انظر على سبيل المثال ، تفسير الطبري (٧ / ١٦٢ ، ١٦٣) وتفسير ابن كثير (٢ / ١٢٦) .

(٢) الآيتان (١ ، ٢) من سورة الجن .

(٣) الآيات (٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١) من سورة الأحقاف .

(٤) مدينة تقع فى تركيا بالقرب من الحدود السورية . أطلس العالم (ص ٥٢) .

بشعب معروف بمكة ، والأحاديث بذلك كثيرة مشهورة فى الصحيح والسنن والمسند وكتب التفسير والفقه وغيرها[١] .

وكذلك فإن سورة الرحمن هى خطاب للثقلين الإنس والجن معا .

و ـ الآيات التي وردت فى دعوة أهل الكتاب :

ومنها : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٢] .

﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣].

وبالجملة فإن فى القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام[٤] .

○ ○ ○ ○

---

(١) كتاب النبوات لابن تيمية (ص ٣٩٦) .

(٢) الآية (٢٠) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (١٩) من سورة المائدة .

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١١٢) .

المطلب الثاني

الأدلة من السنة على عموم رسالته

الأدلة على عموم رسالته ﷺ وعالميتها كثيرة جدًا فى السنة النبوية سواء من الناحية القولية أو الناحية العملية وسنعرض هنا لكلتا الناحيتين بإذن اللّه .

أ ـ السنة القولية :

١ ـ عن أبى الدرداء[١] رضي اللّه عنه قال : « كانت بين أبى بكر[٢] وعمر محاورة ، فأغضب أبو بكر عمر ، فانصرف عنه عمر مغضبا ، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل ، حتى أغلق بابه فى وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول اللّه ﷺ ، فقال أبو الدرداء ونحن عنده : فقال رسول اللّه ﷺ : « أما صاحبكم هذا فقد غامر »[٣] .

قال : وندم عمر على ما كان منه ، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ ، وقص على رسول اللّه ﷺ الخبر قال أبو الدرداء : وغضب رسول اللّه ﷺ ، وجعل أبو بكر يقول : واللّه يارسول اللّه ، لأنا كنت أظلم .

---

(١) واسم أبى الدرداء كما قيل عويمر بن عامر ، ولعل كنيته هى اسمه ، أنصاري أسلم يوم بدر وشهد المشاهد بعدها ، وكان أحد الحكماء العلماء الفضلاء توفى فى عهد عثمان .
الاستيعاب (٤ / ٥٩ ـ ٦٠) .

(٢) واسمه عبد اللّه بن عثمان بن عامر : ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر ، صحب النبي ﷺ سنين قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طوال إقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى الغار وفى المشاهد كلها إلى أن مات ، وولى الخلافة من بعده فكان أول الخلفاء الراشدين ، ومناقبه كثيرة رضي الله عنه توفي سنة ١٣ هـ الإصابة (٢ / ٣٣٣ ـ ٣٣٦) ت رقم ٤٨١٧

(٣) غامر : أى خاصم غيره ، ومعناه : دخل فى غمرة الخصومة ، وهى معظمها والمغامر الذى يرمي بنفسه فى الأمور المهلكة . النهاية : (٣ / ٣٨٤) .

فقال رسول الله ﷺ : « هل أنتم تاركوا لى صاحبي هل أنتم تاركوا لي صاحبى ؟ إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ، فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدقت »[1] .

٢ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »[2] .

٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فضلت على الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون »[3]

٤ ـ وعن أبي ذر[4] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أوتيت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب تفسير قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾ . انظر : فتح الباري (٨ / ٣٠٣) ح ٤٦٤٠ ، وأخرجه أيضا في كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا » . انظر : فتح الباري (٧ / ١٨) ح ٣٦٦١

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب التيمم واللفظ له . انظر فتح الباري (١ / ٤٣٥ ـ ٤٣٦) ح ٣٣٥ ـ وكذلك ٤٣٨ ـ ٣١٢٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد (٢ / ٦٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد (٢ / ٦٤) .

(٤) أبو ذر الغفاري الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب ابن جنادة بن السكن ، وكان من السابقين إلى الإسلام ، توفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها . الإصابة (٤ / ٦٣ ـ ٦٥) ت رقم ٣٨٤

خسمًا لم يؤتهن نبي قبلي ، نصرت بالرعب فيرعب مني العدو عن مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي ، وبعثت إلى الأحمر والأسود »[١] .

٥ ـ وعن أبى هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « والذى نفسى بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار »[٢] .

وذكر اليهود والنصارى تنبيهًا على من سواهما ، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب ، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى[٣] .

٦ ـ وعن أبى موسى الأشعري رضي اللّٰه عنه عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال : « من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بي دخل النار »[٤].

ب ـ السنة العملية :

إن المتأمل في سيرته ودعوته ﷺ يعلم حرصه ﷺ على نشر الرسالة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ١٤٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (رجاله رجال الصحيح) (٨ / ٢٥٩) وأخرجه أيضا من طرق أخر عن ابن عباس (١ / ٢٥٠) وأبى أمامة (٥ / ٢٤٨) .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٥٩) (رجال أحمد ـ أي في هذا الحديث ـ ثقات) وجد عمرو بن شعيب (٢ / ٢٢٢) .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٧) (رجاله ثقات) وقال أحمد شاكر (إسناده صحيح) (١٣ / ١٦) ـ المسند بتحقيقه .

(٢) تقدم تخريجه . انظر (ص ٧١) .

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ١٨٨) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٩٦ ـ ٣٩٨) .

وإبلاغها لجميع المكلفين ، فقد دعا ﷺ الإنس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ، سواء كانوا أهل كتاب أم ليسوا بأهل كتاب ، كما دعا الجن كذلك فآمن له من آمن منهم وبايعوه على الإسلام .

ولقد صدع النبي ﷺ بعالمية الرسالة وعمومها فى أوائل دعوته عندما انتقل من المرحلة السرية فى الدعوة إلى المرحلة الجهرية حيث قال ﷺ بعد أن حمد الله :

« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها للجنة أبدًا أو النار أبدًا »[١] .

وإن المتأمل للآيات القرآنية التي نصت على عموم رسالته وعالميتها يجد أن جلها كان مكي النزول ، وهذا يؤكد أن عالمية الرسالة مقررة منذ بداية الوحى .

ومن المعلوم أن طريقة الدعوة كانت تتبع أسلوب التدرج فى التبليغ وهذا التدرج لم يكن ينافي شمول الدعوة لكل المكلفين ، لأن المرحلية كانت ضرورية لدعوته ﷺ ، ولقد دلت السيرة النبوية أن النبي ﷺ اتبع أسلوب التدرج فى إبلاغ الرسالة ، فأول ما بدأ به هو الدعوة السرية لهذا الدين فآمن له من آمن .

ثم انتقلَ إلى الدعوة الجهرية ونهج فيها كذلك أسلوب التدرج فبدأ بأهل مكة عندما نزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٢] فدعاهم ﷺ إلى الإسلام .

ثم بعد ذلك أخذ رسول الله ﷺ يدعو الناس فى مجامعهم وأسواقهم ويبلغهم دعوة الله .

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٢ / ٦١) .

(٢) الآية (٢١٤) من سورة الشعراء .

ثم ذهب إلى الطائف ودعا أهلها إلى الإسلام ولكنهم لم يجيبوه لذلك ، ثم عاد الى مكة وأخذ يعرض دعوته على القبائل فى الموسم إلى أن التقى بالخزرج وهم من أهل المدينة وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وأسلم النجاشي من قبلهم وكان على النصرانية .

ومن هنا كانت بداية المرحلة الجديدة فى الدعوة فبعد تمكن الإسلام بالمدينة ، هاجر النبي ﷺ إليها فاتسع بذلك نطاق الدعوة حتى شمل أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بالمدينة حواليها حينئذ ، كما تنوعت كذلك أساليب الدعوة إلى هذا الدين فشرع الجهاد فى سبيل اللّٰه واتسعت رقعة الدعوة فشملت قبائل العرب ومن كان فى جزيرة العرب من أهل الكتاب كيهود المدينة وخيبر ونصارى نجران واليمن وغيرهم ، واستمر التدرج إلى أن كان عام الحديبية ومهادنة قريش فأرسل النبي ﷺ فى ذلك الوقت إلى جميع الطوائف يدعوهم إلى الإسلام .

فعن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى اللّٰه تعالى[١] .

ثم جاءت بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى حيث بدأ النبي ﷺ بغزو النصارى فأرسل جيشًا بقيادة زيد بن حارثة فقاتلوا النصارى بمؤتة من أرض الكرك[٢] ثم غزاهم بنفسه وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه ولم يأذن بالتخلف لأحد ، وغزا فى عشرة آلاف فى غزوة تبوك وأقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى اللّٰه عز وجل (٥ / ١٦٦) .

(٢) تقع حاليا في الأردن .

عربهم وعجمهم ، وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله ولم يقدموا عليه .

ثم بعد ذلك جهز جيشا بقيادة أسامة بن زيد[1] ولكنه ﷺ لحق بالرفيق الأعلى قبل أن يخرج الجيش ، فأوصى وهو فى سكرات الموت بإرسال هذا الجيش فقال : « أنفذوا بعث أسامة » .

ولقد سار أصحابه رضوان اللّٰه عليهم من بعده على نهجه واستنوا بسنته حتى فتح اللّٰه عليهم بلاد فارس والروم وغيرها فانتشر الإسلام ودخل الناس فى دين اللّٰه أفواجًا .

والشاهد من هذا كله أن سيرته ﷺ هى مثال تطبيقي عملي على شمول دعوته وعالمية رسالته التي من أجلها كرس النبي ﷺ حياته لكى ينشرها ويبلغها للناس كافة ، لتقوم بذلك الحجة على الناس أجمعين .

وما ذكرته ههنا ليس إلا إشارات سريعة فمن أراد الاستزادة فعليه بكتب الحديث والسيرة ففيها الغنية بإذن اللّٰه .

○○○○

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة ، الحب بن الحب ، ولد فى الإسلام ، صحابي جليل ، توفي سنة أربع وخمسين هجرية . الإصابة (١ / ٤٦) .

المطلب الثالث

دليل الاجماع على عموم رسالته

إن الإجماع منعقد من أئمة المسلمين وعامتهم على أن محمدًا ﷺ أرسل إلى جميع الأمم ـ أهل الكتاب وغير أهل الكتاب[١] ـ فإن الذي يدين به المسلمون هو أن محمدًا ﷺ بعث رسولًا إلى الثقلين الإنس والجن ، أهل الكتاب وغيرهم ، وأن من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب اللّٰه ، مستحق للجهاد ، وهو مما أجمع أهل الإيمان باللّٰه ورسوله عليه ، لأن الرسول ﷺ هو الذى جاء بذلك وذكره اللّٰه فى كتابه ، وبينه النبي أيضا فى سنته .

وهذا الإجماع تواترت فى نقله كتب أهل العلم وهو منقول عندهم نقلًا متواترًا يعلمونه بالضرورة . وكتب التوحيد والسنة مليئة بهذا .

وبما تقدم إيراده من الأدلة والنصوص يعلم ثبوت عموم رسالته وشمولها كما يعلم كذلك انتفاء كل دعوى تخالف هذا الأمر أو تطعن فيه كدعوى أنه رسول للعرب خاصة ، أو دعوى أن رسالته ليست ناسخة لما قبلها من الرسالات وأنه يسع الناس التدين بما جاء قبله من الرسالات .

فنصوص القرآن والسنة والاجماع ترد هذه الدعاوى وتفندها وتبطلها .

وبالنسبة إلى ما تعلق به أصحاب هذه الأقوال من شبه ظنوها أدلة لهم ، فإنما مردها إلى سوء فهمهم وجهلهم بمعانى النصوص التي أوردوها وكما قيل :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم[٢]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١٢٤) .

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي (ص ٢٣٢) .

ولا يتسع المجال هنا لأيراد تلك الشبه وتفنيدها[١] كما أن معرفة الحق تغنى وكما قيل : بضدها تتميز الأشياء .

وإن الواجب على كل مسلم اعتقاد عموم رسالته وشموليتها وعالميتها لجميع المكلفين وإنه لا يسع أحدًا الخروج عنها أو أن يدين للّه بغيرها .

كما أنه لا يسع المسلم أن يجهل مثل هذا الأمر لأنه من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، ومن الواجب عليه كذلك أن يرد على كل من يطعن فى هذا الأمر أو يشكك فيه سواء ممن ينتسبون إلى الإسلام أو من غيرهم . وبالخصوص أننا أصبحنا فى زمان ظهرت فيه الدعوة إلى وحدة الأديان وتقاربها بدعوى أنها جميعا تدعو إلى عبادة إله واحد وأن مصدرها واحد إلى غير ذلك من الأمور التي يروج لها أصحاب هذه الدعوة والتي لا تنطلى إلا على ساذج لا يعي الأمور الضرورية من دينه .

○○○○

(١) لمزيد من التفصيل فى هذا الموضوع : انظر كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ١٢٨) وما بعدها .

المبحث الرابع

وجوب الإيمان بانه ﷺ خاتم النبيين

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : معنى ختم النبوة .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ معنى الختم فى اللغة .

ب ـ معنى ختم النبوة .

المطلب الثانى : الأدلة من القرآن على ختم النبوة .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ آية ختم النبوة .

ب ـ الآيات الدالة ضمنًا على ختم النبوة .

المطلب الثالث : الأدلة من السنة على ختم النبوة .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ الأحاديث التي ورد فيها التصريح بأنه ﷺ خاتم النبيين .

ب ـ الأحاديث التي ورد فيها ضربه ﷺ الأمثال لختم النبوة .

ج ـ الأحاديث التي ورد فيها تصريحه ﷺ بانقطاع النبوة وأنه لا نبي بعده .

د ـ الأحاديث التي ورد فيها تحذيره ﷺ من المتنبئين بعده .

هـ ـ الحديث الذى ورد فيه التصريح بأنه آخر الأنبياء وأن مسجده آخر المساجد وأن أمته آخر الأمم .

و ـ دلالة بعض أسمائه ﷺ على كونه خاتم الأنبياء .

المطلب الرابع : ما ورد عن الصحابة رضوان اللّٰه عليهم فى تأكيد ختم النبوة . ويشتمل على النقاط التالية :

أ - روايتهم للأحاديث الواردة فى هذا الشأن .

ب - إجماع الصحابة على قتال المتنبئين .

ج - ما ورد من الأقوال المأثورة عنهم والتي تضمنت التأكيد على ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد وفاة الرسول ﷺ .

المطلب الخامس : إجماع الأمة .

○○○○

تمهيد

من الخصائص التي خص الله بها رسوله ﷺ ورسالته جعله خاتم النبيين وجعل رسالته خاتمة الرسالات ، فانفرد ﷺ بهذا الأمر وبغيره عن إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فأصبح ختم النبوة من خصائصه ﷺ .

ولذا فان من حقه ﷺ على كل من يؤمن به ، أن يعتقد بهذا الأمر ويؤمن به لثبوته بنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة ، بل هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر المسلم بجهلها ولمزيد من البيان لهذه الخاصية والحق الواجب له ﷺ ، سوف أتحدث فى هذا المبحث عن الجوانب التالية :

• • • •

المطلب الأول

معنى ختم النبوة

أ ـ معنى الختم في اللغة :

الختم في اللغة ورد لعدة معان هي :

١ ـ الطبع :

قال صاحب المحكم : « ختمه ، يختمه ، ختمًا : طبعه »[١]

وقد ذكر هذا صاحب اللسان[٢] والقاموس المحيط[٣] .

وفي تاج العروس : « معنى ختم وطبع واحد في اللغة »[٤] .

٢ ـ تغطية الشيء والاستيثاق منه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء:

قال صاحب المحكم : « والختم على القلب ألا يفهم شيئًا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع . ومعنى ختم وطبع في اللغة واحد ، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء كما قال عز وجل : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٥] »[٦].

وذكر هذا صاحب اللسان[٧] وصاحب تاج العروس[٨] .

---

(١) المحكم لابن سيده (٥ / ٢٦) بتحقيق إبراهيم الأبياري .

(٢) لسان العرب (١٢ / ١٦٣) .

(٣) القاموس المحيط (٢ / ١٥) بترتيب الزاوي .

(٤) تاريخ العروس للزبيدى (٨ / ٢٦٦) .

(٥) الآية (٢٤) من سورة محمد .

(٦) المحكم (٥ / ٢٦) .

(٧) لسان العرب (١٢ / ١٦٣) .

(٨) تاج العروس (٨ / ٢٦٦) .

٣ ـ آخر الشيء ونهايته :

قال صاحب المحكم : « وختم الشيء يختمه ختمًا بلغ آخره ، وخاتم كل شيء : عاقبته وآخرته ، وختام كل مشروب آخره ، وفى التنزيل ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾[(١)] أي آخرَه ، وختام القوم وخاتمهم آخرهم ... وفى التنزيل ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾[(٢)] أي آخرهم »[(٣)].

وقال صاحب المفردات فى معرض كلامه عن الصور التي يرد بها لفظ الختم : « وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل : ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره ... إلى أن قال : « وخاتم النبيين لأنه ختم النبوة ، أى تممها بمجيئه ﷺ »[(٤)].

وقال صاحب القاموس : « والخاتم من كل شيء : عاقبته وآخرته ، وآخر القوم كالخاتم »[(٥)].

« هذه هي المعاني اللغوية لفعل « الختم » واسم فاعله « خاتم » كما أوردها أعلام اللغة فى مصنفاتهم عن العرب ، وهي مع تعددها وتعدد ألفاظها المعبرة عنها والتي هي : الطبع على الشيء وإنهاؤه وتغطيته وآخر القوم وعاقبة الأمر ، هي مع ذلك كله تتمشى مع دلالة قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ على أن النبوة قد طبع عليها فلا تفتح ، وأنها قد انتهت وسدت بمحمد ﷺ ، وأنه آخر الأنبياء وشرعه آخر

(١) الآية (٢٦) من سورة المطففين .

(٢) الآية (٤٠) من سورة الأحزاب .

(٣) المحكم (٥ / ٢٦) .

(٤) المفردات (ص ١٤٢ ـ ١٤٣) .

(٥) القاموس (٢ / ١٥) بترتيب الزاوى .

الشرائع وعاقبتها »[١] .

ب ـ معنى ختم النبوة :

تقدم معرفة معنى الختم في اللغة ، وتقدم أيضا معرفة معنى النبوة في المبحث الثاني من هذا الفصل .

« فإذا ما ركبا في جملة واحدة هي « ختم النبوة » فإنه يكون معناها « انتهاء إنباء الله للناس وانقطاع وحي السماء »[٢] .

o o o o

(١) كتاب عقيدة ختم النبوة للدكتور أحمد بن سعد الغامدي (ص ١٣)

(٢) المصدر السابق (ص ١٦) .

المطلب الثاني

الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة

أ ـ آية الختم :

قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ .

والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد ﷺ وكونه خاتم الأنبياء وآخرهم مبعثا فلا نبى بعده ولا رسول .

وقد سبق الربط بين دلالة الآية والمعنى اللغوي لكلمة ختم .

وتتميمًا للفائدة سأعرض بعض ما ذكره علماء التفسير عند تفسير هذه الآية .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : « يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة[1] ولا أبا أحد من رجالكم ، الذين لم يلده محمد ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذى ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد من بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء »[2].

وقال ابن كثير رحمه الله : « فهذه الآية نص فى أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فكل رسول نبي ولا ينعكس ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة

---

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبى ، تبناه النبي ﷺ وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت الآية (ادعوهم لآبائهم) شهد بدرًا وما بعدها واستشهد فى غزوة مؤتة.الإصابة (١ / ٥٤٥ ـ ٥٤٦) .

(٢) تفسير الطبري (٢٢ / ١٦) .

عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ... إلى أن قال : فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد ﷺ ، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له .

وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله ﷺ فى السنة المتواترة عنه أنه لا نبى بعده ، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل »(١) .

وأقوال المفسرين عموما متفقة على أن المراد من الآية هو ختم النبوة وأن رسول الله ﷺ هو آخر الأنبياء مبعثًا ، ولم ينقل عن أحد من أهل التفسير خلاف ذلك .

وقد تعرض أهل التفسير للقراءات الواردة فى قوله « خاتم » من هذه الآية فذكروا أن فيها قرائتين .

الأولى : قراءة الكسر « خاتِم » .

وهى الأشهر عند أهل اللغة والتفسير الذين أجمعوا أن قراءة الكسر هى قراءة الجمهور وعامة قراء الأمصار(٢) وعلى هذه القراءة « وخاتِم النبيين » يكون المعنى أنه : « ختم النبيين » لأنه ختم به النبيون فهو خاتمهم .

الثانية : قراءة الفتح « خاتَم »

وهى الأقل استعمالا بين القراء ولهذا فان المفسرين لا يعزونها إلا إلى أفراد القراء كعاصم(١) وابن عامر(٢) وغيرهما .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٩٤) .

(٢) تفسير الطبري (٢٢ / ١٦) وتفسير البغوي (٦ / ٥٦٥) وتفسير القرطبي (١٤ / ١٩٦) .

فعلى هذه القراءة « وخاتَم النبيين » يكون المعنى أى آخر النبيين مبعثا فبه انتهت النبوة .

وبالرغم من ورود القرائتين فى الآية إلا أن المفسرين لا يرون أن فى ذلك تأثيرًا على المعنى وهو انقطاع النبوة بعد نبينا محمد ﷺ .

ب ـ الآيات الدالة ضمنًا على ختم النبوة :

فى القرآن الكريم آيات كثيرة دلت ضمنا على ختم النبوة والرسالة بنبينا محمد ﷺ .

ومن هذه الآيات آيات عموم الرسالة وعالميتها والتي تقدم ذكرها فى المبحث الثالث ، حيث إن عموم الرسالة من الناحيتين الزمانية والمكانية يدل على كونها خاتمة الرسالات ، لأن البشرية على هذا الحال لا تحتاج إلى دين جديد مادام هذا الدين قد خاطبهم جميعا على اختلاف أجناسهم وأماكنهم وأزمانهم .

ومن الأدلة كذلك الإخبار بإكمال هذا الدين وإتمامه :

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[٣] .

فالآية تؤكد أن الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها ، لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله ﷺ ، ثم رضيه له

(١) عاصم بن أبي النجود الضرير الكوفي ، أحد القراء السبعة ، توفي سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب (٥ / ٣٨ ـ ٤٠) .

(٢) عبد الله بن عامر اليحصبي ، أحد القراء السبعة ، كان قاضي دمشق في أيام الوليد بن عبد الملك وإمام مسجد دمشق وتوفي بها سنة ثماني عشرة ومائة . تهذيب التهذيب (٥ / ٢٧٤ ، ٢٧٥) .

(٣) الآية (٣) من سورة المائدة .

ربها ، لأن اللّٰه سبحانه وتعالى قد أكمله على يد رسوله ﷺ ، ثم رضيه له ولأمته دينًا يعبدون اللّٰه به إلى يوم القيامة[١] .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : « هذه أكبر نعم اللّٰه تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، ولهذا جعله اللّٰه تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن ... »[٢]

o o o o

---

(١) كتاب عقيدة ختم النبوة (ص ٢٧ - ٢٨) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ١٢) .

المطلب الثالث

الأدلة من السنة على ختم النبوة

إلى جانب ما ورد في القرآن من أدلة على كون النبي ﷺ خاتم النبيين ورسالته هى خاتمة الرسالات ، فقد ورد فى السنة كذلك أحاديث كثيرة أكدت هذا الأمر وبينته ونبهت عليه .

وقد وردت هذه الأحاديث بعبارات متعددة متنوعة لكنها جميعا أكدت على مدلول واحد ، هو انقطاع الوحي بعد النبي ﷺ وختم النبوة به . وقد بلغ بعض هذه الأحاديث حد التواتر ، كما أنها فى جملتها متواترة تواترا قطعيا .

ونظرا لتنوع ألفاظ تلك الاحاديث واختلاف صورها فى الدلالة على هذا المعنى وتأكيده ، فإن من المناسب أن أعرضها لك على النحو التالى :

أ ـ الأحاديث التي ورد فيها التصريح بأنه ﷺ خاتم النبيين ، ومنها :

١ ـ عن أبى هريرة رضي اللّٰه عنه قال : « أُتي رسول اللّٰه ﷺ بلحم ، فرفع إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس[١]منها نهسة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مما ذلك ؟ » ثم ذكر ﷺ يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه ﷺ ، فذكر ﷺ أنهم يقولون : « أنت رسول اللّٰه ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر اللّٰه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، تشفع لنا إلى ربك ... » الحديث[٢] .

(١) النهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان ، والنهش الأخذ بجميعها . النهاية (٥ / ١٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب التفسير ، باب (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا) . انظر فتح الباري (٨ / ٣٩٥ ، ٣٩٦) ح ٤٧١٢ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى الجنة منزلة فيها (١ / ١٢٧) .

٢ ـ عن ثوبان(١) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوِي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض(٢) وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة ، ولا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم(٣) وإن ربي قال لي يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، ولا أهلكهم بسنة بعامة ، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها ، أو قال بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضًا ، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف فى أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون فى أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق » .

قال ابن عيسى : « ظاهرين » ثم اتفقا » لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »(٤) .

---

(١) ثوبان مولى رسول الله صحابي مشهور اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ فخدمه إلى أن مات . ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ، ومات بها سنة ٥٤ هـ . الإصابة (١ / ٢٠٥) ت رقم ٩٦٧

(٢) أي الذهب والفضة . النهاية (١ / ٤٣٨) .

(٣) أى مجتمعهم ، وموضع سلطانهم ، ومستقر دعوتهم . النهاية (١ / ١٧٢) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في السنن ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤ / ٤٥٠ ، ٤٥٢) ح ٤٢٥٢ وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٢٧٨) وابن ماجة في السنن ، كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن (٢ / ١٣٠٤) . وأخرجه مختصرا مسلم في صحيحه إلى قوله « يسبي بعضهم بعضا » كتاب الفتن ، باب هلاك هذه الأمة (٨ / ١٧١) . =

والشاهد من هذا الحديث هو قوله : « وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » فهذا نص فى كونه ﷺ هو خاتم الأنبياء .

٣ ـ وعن جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه أن النبي ﷺ قال : « أنا قائد المرسلين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر »[1] .

ب ـ الأحاديث التي ورد فيها ضربه ﷺ الأمثال لختم النبوة ومنها :

١ ـ عن جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه قال : قال النبي ﷺ مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها ، إلّا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : لولا موضع اللبنة » متفق عليه[2] وعند مسلم بزيادة لفظ : « فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء » .

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟

= وكذلك أخرج مسلم آخره من قول « لا تزال طائفة من أمتي .... » كتاب الإمارة باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ... الخ » (٦ / ٥٢) ، وأخرج الترمذي في السنن بعضه من قوله « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى » إلى قوله « لا نبي بعدي » كتاب الفتن ، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤ / ٤٩٨ ، ٤٩٩) ح ٢٢١٨ ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

(١) أخرجه الدارمى في السنن (١ / ٢٧) وقد اعتبره صاحب المشكاة من قسم الحسان وارتضاه الألباني المحقق (٣ / ١٢٨) .

(٢) البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب باب خاتم النبيين ﷺ . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٥٨) ح ٣٥٣٤ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل : باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٧ / ٦٥)

قال : « فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[١] .

ج - الأحاديث التي ورد فيها تصريحه ﷺ بانقطاع النبوة وأنه لا نبي بعده : ومنها

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون ... » الحديث[٢] .

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كشف رسول الله ﷺ الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له »[٣] .

٣ - وعن سعد بن أبي وقاص[٤] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا[٥] فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ﷺ واللفظ له . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٥٨) ح ٣٥٣٥ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٧ / ٦٤) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٦٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٢ / ٤٨) .

(٤) سعد بن أبي وقاص واسم أبيه مالك بن أهيب وكان سابع من أسلم ، وقد شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ، وأحد العشرة ، وكان مجاب الدعوة وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله توفي سنة ٥٤ هـ . الإصابة (٢ / ٣٠ - ٣٢) ت رقم ٣١٩٤

(٥) علي بن أبي طالب ولد قبل البعثة بعشر سنين تربى في حجر النبي ﷺ وشهد معه المشاهد كلها ماعدا غزوة تبوك ، حيث استخلفه النبي على المدينة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين ومناقبه كثيرة ، قتل على يد عبد الرحمن بن ملجم عام ٤٠ هـ .
الإصابة (٢ / ٥٠١ - ٥٠٣) ت رقم ٥٦٩٠

قال : « ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبى بعدى »[١] .

د ـ الأحاديث التي ورد فيها تحذيره ﷺ من المتنبئين بعده ومنها :

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ... »[٢] .

٢ ـ عن جابر بن سمرة[٣] رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم »[٤]

هـ ـ الحديث الذى ورد فيه التصريح بأنه آخر الأنبياء وأن مسجده آخر المساجد وأن أمته آخر الأمم .

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « صلاة فى مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ، فإن

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ، انظر فتح الباري (٨ / ١١٢) ح ٤٤١٦ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبى طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، واللفظ له .انظر : فتح الباري (١٣ / ٨١ ، ٨٢) ح ٧١٢١ ، وأخرجه مختصرا مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٨ / ١٧٠)

(٣) جابر بن سمرة بن جنادة العامري له ولأبيه صحبة ، وهو ابن أخت سعد بن أبى وقاص ، توفي سنة ٧٤ هـ . الإصابة (١ / ٢١٣) ت رقم ١٠١٨

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الناس تبعا لقريش (٦ / ٤) .

رسول الله ﷺ آخر الأنبياء وان مسجده آخر المساجد ... »

قال عبد الله بن إبراهيم قارظ[١] أشهد أني سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد »[٢].

و ـ دلالة بعض أسمائه ﷺ على كونه خاتم الأنبياء :

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذى يمحى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي[٣] »

والأحاديث فى مسألة ختم النبوة كثيرة لا يتسع المقام هنا لإيرادها جميعها ، وقد جمع هذه الأحاديث صاحب كتاب « عقيدة ختم النبوة » فمن أراد الزيادة فليرجع إليه[٤].

○○○○

---

(١) ويقال إبراهيم بن عبد الله بن قارظ الكناني وهما واحد ، روى عن جابر بن عبد الله وأبي هريرة وغيرهم ، ذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب (١ / ١٣٤) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (٤ / ١٢٤ ، ١٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٥٤) ح ٣٥٣٢ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ ، واللفظ له (٧ / ٨٩) .

(٤) وهي رسالة ماجستير مطبوعة .

المطلب الرابع

ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم فى تاكيد عقيدة ختم النبوة

لقد كان موقف الصحابة رضوان الله عليهم تجاه هذا الأمر متمثلا فى الأمور التالية

أ ـ روايتهم للأحاديث الواردة عن النبي ﷺ فى هذا الشأن والتي بلغت حد التواتر على تنوع عبارات تلك الأحاديث واختلاف المناسبات التي قيلت فيها ، وهذا مما يدل على اعتقادهم لهذا الأمر وحرصهم على إبلاغة لهذه الأمة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنه خالف هذا الأمر ، ولو كانت هناك أدنى شبهة عن أحد منهم لنقلت لنا « وقد بلغ عدد الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الختم سبعة وثلاثين صحابيًا »[١]

ب ـ إجماع الصحابة على قتال المتنبئين بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فلقد سير أبو بكر رضي الله عنه الجيوش ـ والتي كان معظم جندها من الصحابة رضوان الله عليهم ـ وذلك لقتال مسيلمة الكذاب[٢] وطليحة الأسدى[٣] اللذين ادعيا النبوة .

---

(١) عقيدة ختم النبوة (ص ٥٥) .

(٢) هو : مسيلمة بن ثمامة بن كبير الكذاب ، ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ ، وذلك في أواخر سنة عشر وتوفي النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته ، فلما انتظم الأمر لأبي بكر رضي الله عنه ، انتدب له خالد بن الوليد على رأس جيش قوي فقتل مسيلمة الكذاب . البداية (٥ / ٤٩ ـ ٥٢ ، ٦ / ٣٢٣ ـ ٣٢٧) والأعلام (٧ / ٢٢٦)

(٣) طليحة بن خويلد الأسدي ، قدم على النبي ﷺ في وفد من بنى أسد سنة ٩ هـ ، وأسلموا ، ولما رجعوا ارتد طليحة ، وادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ . سير إليه أبو بكر خالد بن الوليد ، فانهزم طليحة وفر إلى الشام ثم أسلم وحسن بلاؤه في الفتوح ، واستشهد في نهاوند سنة ٢١ هـ . الإصابة (٢ / ٢٢٦) ت رقم ٤٢٩٠ ، والأعلام (٣ / ٢٣٠) .

ج - ما ورد من الأقوال المأثورة عنهم والتي تضمنت التأكيد على ختم النبوة وانقطاع الوحي بعد وفاة الرسول ﷺ ، ومن تلك الأقوال : ما رُوي عن عمر ابن الخطاب رضي اللَّه عنه أنه قال : « إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي فى عهد رسول اللَّه ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ... »[١] .

وما روي عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ .

قال فى تفسيرها : « إن اللَّه تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يعطه ولدًا ذكرًا يصير رجلًا ... »[٢] .

وعن ابن أبي أوفى[٣] رضي اللَّه عنه لما سئل عن إبراهيم ولد النبي ﷺ قال : « مات صغيرا ، ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه ولكن لا نبي بعده »[٤] .

وعن أنس رضي اللَّه عنه قال : « كان إبراهيم - يعنى ابن النبى ﷺ - قد ملأ الأرض ، ولو بقي لكان نبيا ولكن لم يبق إلا نبيكم آخر الأنبياء »[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب الشهداء العدول .
انظر : فتح الباري (٥ / ٢٥١) ح ٢٦٤١
(٢) معالم التنزيل للبغوي (٦ / ٥٦٥) .
(٣) هو : عبد اللَّه بن أبي أوفى واسمه علقمة بن خالد الأسلمي ﷺ له ولأبيه صحبة ، شهد الحديبية ، وروى أحاديث شهيرة نزل الكوفة ، ومات بها سنة ثمانين . الإصابة (٢ / ٢٧١) ت رقم ٤٥٥٥
(٤) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من سمى بأسماء الأنبياء .
انظر : فتح الباري (١٠ / ٥٧٧) .
(٥) أخرجه أحمد فى المسند (٣ / ١٣٣) .

المطلب الخامس

إجماع الأمة

تلقت الأمة النصوص الواردة فى الكتاب والسنة بشأن ختم النبوة بالقبول التام فحصل بهذا إجماعها على كون النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي ولا رسول بعده ، ورسالته هى خاتمة الرسالات وآخرها .

وقد نقل هذا الاجماع غير واحد من العلماء ، اذكر على سبيل المثال قول بعض منهم :

قال ابن عطية[١] فى معرض كلامه على آية الختم : « وهذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاةعلى العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده ﷺ »[٢] .

وقال القاضي عياض[٣] : « أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده ، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين ، وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره ، وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص »[٤] .

---

(١) واسمه عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي مفسر فقيه ، عارف بالأحكام والحديث ، توفي سنة ٥٤١ هـ .
طبقات المفسرين للداودي (١ / ٢٦٥) والأعلام (٣ / ٢٨٢) .

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ١٩٦) .

(٣) عياض بن موسى بن عياض البستي ، أبو الفضل : عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته ، توفي عام ٥٤٤ هـ . الأعلام (٤ / ٩٩) .

(٤) الشفا (٢ / ١٠٧١) .

قال الألوسى[١]: « وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ، وصدعت به السنة ، وأجمعت عليه الأمة ، فيكفر مدعي خلافه ويقتل إن أصر[٢] » .

ولقد تكلم علماء الأمة على تقرير هذه المسألة وأقوالهم محفوظة فى ذلك ، فإن شئت فارجع إلى كتب التفسير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾

وارجع كذلك إلى كتب العقيدة فقل أن يخلو كتاب من الحديث فى هذا الأمر وتقريره بما ورد في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ومن بعدهم من علماء الأمة .

وبما تقدم من أدلة على تقرير ختم النبوة فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله أن يؤمن بهذا الأمر ويعتقده .

○○○○

---

(١) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، مفسر محدث ، أديب وهو صاحب كتاب روح المعاني ، توفي سنة ١٢٧٠ هـ الأعلام (٧ / ١٧٦) .

(٢) روح المعاني (٢٢ / ٣٢ ، ٣٩) .

المبحث الخامس

وجوب الإيمان بأن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها

من تمام نعمة اللّٰه سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن أكمل لهم دينهم فلا ينقصه أبدًا ، ولا يحتاج إلى زيادة أبدًا ، واقترن هذا الإكمال برضاه سبحانه بأن يكون هذا الدين الكامل دينا نتعبده به ، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

وهذه الآية دليل على كمال الدين وحيًا من اللّٰه ، وتبليغًا من رسوله ﷺ ، ولقد نزلت هذه الآية الكريمة والنبى ﷺ واقف بعرفات فى حجة الوداع ، وعاش النبي ﷺ بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة .

وهى شهادة من اللّٰه تعالى لنبيه ﷺ على تبليغه لما أرسله به أتم تبليغ وأكمله وبذلك جعله اللّٰه خاتم النبيين ، لأن الخلق بعد هذا لن يحتاجوا إلى نبي غير نبيهم ﷺ ليكمل لهم دينهم ، كما أنهم لا يحتاجون إلى دين آخر وذلك لكمال دينهم .

ووجه الدلالة من الآية على ذلك « أن اللّٰه أخبر فى هذه الآية بأنه قد أكمل الدين ، وإنما كمل بما بلغه ، إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه ، فعلم من ذلك أنه ﷺ قد بلغ جميع الدين الذى شرعه اللّٰه لعباده »[1] .

وما كان من النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة إلا أن استشهد الناس على ذلك فى نفس المناسبة التي نزلت فيها الآية .

فعن جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « تركت

---

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ١٥٥ ، ١٥٦) بتصرف .

فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » .

قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس « اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ... » الحديث[1] .

فشهد له خير قرون هذه الأمة وهم صحابته رضوان الله عليهم وكانوا فى ذلك الموقف نحوًا من أربعين ألفا[2] .

ولقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ فى مواطن متعددة من كتابه العزيز بأن يبلغ أمور هذا الدين البلاغ المبين الواضح فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ﴾[6] .

وهذا الأمر والحث من الله لرسوله ﷺ على البلاغ لشرع الله والدين الذى أوحاه إليه نابع من كون الرسول ﷺ هو الطريق الوحيد الذي يعرف بواسطته ما شرعه من دين يدين العباد له به ، فليس ثمت طريق آخر إلى معرفة شرع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ (٤ / ٤١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٧٧) .

(٣) الآية (٦٧) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٨٢) من سورة النحل .

(٥) الآية (٥٤) من سورة النور . و الآية (١٨) من سورة العنكبوت .

(٦) الآية (٤٨) من سورة الشورى .

الله وأوامره ونواهيه إلا طريقه ﷺ فهو المبلغ عن الله تعالى ، وهذه هي سنة الله في خلقه حيث جعل طريق معرفته وعبادته عن طريق من أرسله من الرسل « فلا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل ، كما أنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث والحلال من الحرام إلا من جهتهم ، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال ، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأي ضرورة وحاجة فرضت ، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير »[1]وبهذا وبغيره نلمس عظم الحاجة إلى تبليغ الرسل .

ومما لا شك فيه أن الرسول ﷺ أعظم الأنبياء بلاغًا فقد كان ﷺ حريصا على هداية أمته ، وقد قال تعالى في حقه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] وسيرته ﷺ كلها دليل على مدى حرصه على إبلاغ رسالة ربه والتفاني في إبلاغها دون أن تأخذه في الله لومة لائم . وهو ﷺ أحق الناس بالوصف الوارد في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[3] « فقد امتدح الله تبارك وتعالى في هذه الآية الذين يبلغون رسالته إلى خلقه ويؤدونها بأماناتها ولا يخافون أحدًا سواه ، فلا تمنعهم سطوة أحد

---

(١) زاد المعاد ، لابن القيم (١ / ٦٩) .

(٢) الآية (١٢٨) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٣٩) من سورة الأحزاب .

إبلاغ رسالات اللّٰه ، وسيد الناس فى هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول اللّٰه ﷺ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب وإلى جميع أنواع بنى آدم ، وأظهر اللّٰه كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع »[١].

ولقد أيد اللّٰه تبارك وتعالى رسوله محمدًا ﷺ بكل ما يلزم لتبليغ وحي اللّٰه وشرعه ، فأعطاه العصمة فى التبليغ فقال تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٢] فهذه الآية دليل واضح على عصمته ﷺ فى كل أمر بلغه عن ربه تبارك وتعالى ، كما أنها شهادة وتزكية من اللّٰه تبارك وتعالى لنبيه ﷺ على سلامة شرعه الذي أوحاه إليه من كل ما ينقص منه .

وقال ﷺ : « إذا حدثتكم عن اللّٰه شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على اللّٰه »[٣].

وبالإضافة إلى عصمته فى أمر التبليغ فقد عصمه اللّٰه كذلك من الناس حتى يتم له أمر إبلاغ هذا الدين وإكماله قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فاقترن تعهد اللّٰه بعصمة رسوله من قتل الناس وإيذائهم له مع الأمر للنبي ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه ، وفى هذا الاقتران دليل جلي على أن عصمة اللّٰه تعالى وحفظه ونصره وتأييده على أعدائه قد صاحبت النبي ﷺ حتى تم له إبلاغ هذا الدين ونشره بين الناس .

ومع عصمة اللّٰه لنبيه فى التبليغ ، وعصمته من الناس ، فكذلك عصم اللّٰه كتابه الذي أنزله إليه ليكون محفوظا من كل تحريف أو تغيير قال تعالى : ﴿ إِنَّا

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٩٢) بتصرف .

(٢) الآيتان (٣ ، ٤) من سورة النجم .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا (٧ / ٩٥) .

نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١) .

كما تعهد كذلك بحفظ هذا الدين وإبقاء طائفة في كل زمان من الأزمنة تنصر هذا الدين وتحفظه وتبلغه ، كما جاء عن النبي ﷺ ، وفي الحديث « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله »(٢).

وفي هذه الأمور ضمان لاستمرار هذا الدين وإبلاغه لكل أهل زمان ، لأنه شامل لكل الناس في كل وقت إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

وقد أخبر ﷺ في مواطن متعددة بأنه قد أبلغ أمور الرسالة وأوضحها لأمته ، وهو ﷺ الصادق المصدوق ومن ذلك قوله ﷺ : « قد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك »(٣)وهذا هو الحق فقد بلغ وحي ربه وصدع بأمره ، ونهض بأعباء الرسالة كما أراد الله منه ، فأدى الأمانة ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده ، وما ترك لأمته من شيء يقربهم إلى الجنة إلا وقد دلهم عليه ورغبهم فيه ، ولا من شيء يبعدهم عن النار إلا وقد حذرهم به وحذرهم منه ، وبين لهم كل ما فيه صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم فهذه هي مهمته ورسالته ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ وقد أتم عليه الصلاة والسلام ما أوكل إليه على أتم وجه وأكمله فأبان الطريق ودل على

---

(١) الآية (٩) من سورة الحجر .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ... » (٦ / ٥٢ ، ٥٣) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ١٢٦) واللفظ له ، وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٢٧) ح ٤٩ . وابن ماجة في السنن ، المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١ / ١٦) ح ٤٣ ، والحاكم في المستدرك (١ / ٩٦) وقال الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (١ / ٢٧٠) . « حديث صحيح »

صراط الله المستقيم وترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

ولقد شهد الصحابة رضوان الله عليهم بهذا.فهم الذين كان النبي ﷺ بين ظهرانيهم ، وكانوا ملازمين له فى كل أحواله وحركاته فهم أعلم بما كان . وسأورد بعض ما ورد عنهم فى هذا الشأن .

فقد سئل سلمان الفارسي[١]رضي الله عنه ، فقيل له أقد أعلمكم نبيكم ﷺ كل شئ حتى الخراءة ؟

فقال : « أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجى برجيع[٢]أو بعظم »[٣].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : « لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا أذكرنا منه علمًا »[٤] .

وعن عائشة[٥]رضي الله عنها قالت : « من حدثك أن محمدًا كتم شيئًا مما

---

(١) سلمان أبو عبد الله الفارسي أصله من رام هرمز وقيل من أصبهان سمع بالنبي ﷺ قبل مبعثه فتغرب بحثًا عنه وتسبب ذلك إلى وقوعه في الرق ومنَّ الله عليه بالإسلام . أول مشاهده الخندق ، وكان رضي الله عنه خيرًا فاضلًا حبرًا عالمًا زاهدًا ، توفي عام ٣٥ هـ .
الإصابة (٢ / ٦٠ ، ٦١) ت رقم ٣٣٥٧

(٢) الرجيع : القذرة والروث ، سمي رجيعًا لأنه رجع عن حالته الأولى بعد أن كان طعامًا أو علفًا . النهاية (٢ / ٢٠٣) .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب الاستطابة (١ / ١٥٤) .

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده (٥ / ١٥٣) .

(٥) هى الصديقة أم المؤمنين واسمها عائشة بنت أبى بكر الصديق ولدت بعد البعثة بأربع سنوات أو خمس وتزوجها النبي ﷺ وهى بنت تسع وكانت رضي الله عنها من أعلم الصحابة وأفقههم ، وكانت أحب نساء النبي ﷺ ، توفيت عام ٥٨ هـ . الإصابة (٤ / ٣٤٨ ـ ٣٥٠) ت رقم ٧٠٤ .

أنزل الله عليه فقد كذب ، والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[(1)].

وفى رواية « من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تصدقه ، إن الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[(2)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « لو كتم رسول الله ﷺ شيئا مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾[(3)] [(4)].

فمن حقه ﷺ على أمته أن يقروا له بفضله وصدقه وأمانته فى تبليغ رسالة ربه التي إئتمنه عليها ، وكلفه أن يقوم بها . فلا يكون إيمان للمرء إذا لم يقر للرسول ﷺ بأنه قد بلغ الرسالة أعظم ما يكلون التبليغ ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام واحتمل فى سبيلها أشق ما يحتمله البشر . ومن أنكر شيئا من ذلك أو شك فى صدقه فهو كافر مارق عن الإسلام مكذب لله ولرسوله .

○○○○

---

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب التفسير ، باب تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ﴾ ، انظر : فتح الباري (٨ / ٢٧٥) ح ٤٦١٢

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ انظر : فتح الباري (١٣ / ٥٠٣) ح ٧٥٣١

(٣) الآية (٣٧) من سورة الأحزاب .

(٤) أخرجه الطبري فى تفسيره (٢٢ / ١٣) .

المبحث السادس

وجوب الإيمان بعصمته ﷺ

● ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف العصمة .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ المعنى اللغوي .

ب ـ المعنى الشرعي .

المطلب الثاني : الجوانب التي عصم فيها النبي ﷺ .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ العصمة في التبليغ ودعوى الرسالة .

ب ـ العصمة من الكفر والشرك .

ج ـ العصمة من الكذب في غير الوحي والتبليغ .

د ـ العصمة من الكبائر التي دون الشرك .

المطلب الثالث : مسألة وقوع الخطأ منه ﷺ .

○ ○ ○ ○

تمهيد

تقدم فى المبحث السابق الحديث عن وجوب الإيمان بأن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها ، وأشرت إلى أن هذا البلاغ قد اقترن بعصمة اللّٰه لنبيه ﷺ فى كل ما يبلغه عن ربه عز وجل .

ولقد رأيت أن أفرد هذا المبحث فى الحديث عن عصمته ﷺ فى هذا الجانب وفى الجوانب الأخرى التي عصم فيها باعتبار أن أمر الإيمان بعصمته من الأمور الداخلة فى الحقوق الواجبة له والتي يجب على الأمة الإيمان له بها .

وقد ضمنت هذا المبحث ثلاثة مطالب :

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

تعريف العصمة

أ ـ المعنى اللغوي :

العصمة وردت فى اللغة لعدة معان منها :

١ ـ المنع :

قال صاحب اللسان : « العصمة فى كلام العرب : المنع ، وعصمة اللّه عبده : أن يعصمه مما يوبقه . عَصَمه ، يَعْصِمه ، عَصْمًا : منعه ووقاه »[(١)].

٢ ـ الحفظ :

قال صاحب اللسان : « والعصمة الحفظ ، يقال : عصمته فانعصم ، واعتصمت باللّه إذا امتنعت بلطفه من المعصية »[(٢)]

٣ ـ القلادة :

قال صاحب اللسان : « العصمة القلادة »[(٣)] .

وكذا فى القاموس المحيط[(٤)] .

٤ ـ الحبل :

قال الزجّاج[(٥)] : « أصل العصمة : الحبل وكل ما أمسك شيئًا فقد

(١) لسان العرب (١٢ / ٤٠٣) مادة عصم .

(٢) لسان العرب (١٢ / ٤٠٤) .

(٣) المصدر السابق (١٢ / ٤٠٥) .

(٤) (٤ / ١٥٢ ، ١٥٣) .

(٥) الزجّاج ـ بفتح الزاي والجيم المشددة ـ أبو اسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي =

عصمه »[١] .

٥ ـ السبب :

قال الطبرى : « وللسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته : عاصم ومنه قول الشاعر :

إلى المرء قيس أطيل السرى وآخذ من كل حي عصم[٢]

يعنى بالعصم : الأسباب ، أسباب الذمة والأمان »[٣] .

قلت : إذا أمعنت النظر فى هذه المعاني وجدتها جميعًا ترجع إلى المعنى الأول الذي هو (المنع) فالحفظ منع للشيء من الوقوع في المكروه أو المحظور ، والقلادة تمنع سقوط الخرز منها . والحبل يمنع من السقوط والتردي ، والسبب يمنع صاحبه عما يكره .

المعنى الشرعي :

أما عصمة النبي ﷺ فقد عرفت بعدة تعريفات ولعل من أحسنها وأسلمها ما ذكره صاحب كتاب نسيم الرياض بأنها « لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء »[٤] .

٥٥٥٥

= كان عالما أديبًا دينًا صنف كتابًا في معاني القرآن ، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما ، توفي في بغداد سنة ٣١١ هـ . وفيات الأعيان (١ / ٣٢) .

(١) لسان العرب (١٢ / ٤٠٥) .

(٢) ديوان الأعشى (ص ٣٧) بشرح الدكتور محمد حسين .

(٣) تفسير الطبري (٤ / ٢٦) .

(٤) نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض (٤ / ٣٩) .

المطلب الثاني

الجوانب التي عصم فيها النبي ﷺ

أ ـ العصمة فى التبليغ ودعوى الرسالة :

وهذه العصمة هي التي عليها المناط ؛ فبها يحصل المقصود من البعثة فتبليغ شرع اللّٰه إلى الخلق هي مهمة الرسل من أولهم إلى آخرهم فهم الواسطة بين اللّٰه وبين خلقه الذين أرسلوا إليهم ، فبطريقهم يهتدي البشر ويرشدون إلى دين اللّٰه إذ هم المبلغون عن اللّٰه أمره ونهيه وشرعه .

ولذلك فقد أوجب اللّٰه العصمة لأنبيائه ورسله في هذا الجانب حتى تصل الرسالة إلى العباد كاملة تامة غير منقوصة ولا محرفة ، وبذلك تقوم الحجة على العباد .

ولقد دلت نصوص القرآن والسنة على عصمة نبينا محمد ﷺ فى هذا الجانب ، وانعقد إجماع الأمة على ذلك .

فمن القرآن

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾

فالآية نص فى عصمة لسانه ﷺ من كل هوى وغرض فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ولا يقول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملًا موفورًا من غير زيادة ولا نقصان .

وهذه الآية شهادة وتزكية من اللّٰه لنبيه ورسوله محمد ﷺ فى كل ما بلغه للناس من شرع اللّٰه .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ

لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾(١) .

فالآيات نصت على أن الله سبحانه وتعالى لا يؤيد من يكذب عليه بل لابد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه .

ولو كان محمد ﷺ من هذا الجنس كما يزعم الكافرون فيما حكاه الله عنهم ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾(٢) ـ وحاشاه ﷺ من ذلك ـ لأنزل الله به من العقوبة ما ذكره في هذه الآيات ، وحيث إن الرسول ﷺ لم يقع له شيء من ذلك فلم يهلكه الله ولم يعذبه ، فهو على هذا لم يتقول على الله ما لم يقله ولم يفتر شيئا من عند نفسه ، وبهذا تثبت عصمته في كل ما بلغه عن ربه عز وجل .

قال ابن كثير بعد أن فسر هذه الآيات : « والمعنى في هذا بل هو صادق راشد لأن الله عز وجل مقر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات »(٣) .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾(٤) .

وهذه الآيات دالة على عصمة الله وتثبيته لنبيه ﷺ في تبليغ ما أوحى إليه ، ومعناها مقارب لمعنى الآيات التي ذكرناها قبلها « فقد أخبر تعالى عن تأييده

---

(١) الآيات (٤٤ إلى ٤٧) من سورة الحاقة .

(٢) الآية (٢٤) من سورة الشورى .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٤١٧) .

(٤) الآيات (٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥) من سورة الاسراء .

لرسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره ، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها »[١] .

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها :

١ ـ حديث طلحة بن عبيد الله[٢] وجاء فيه قوله ﷺ :

« ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به ، فإني لن أكذب على الله »[٣] والحديث نص على عصمته ﷺ من الكذب فيما يخبر به عن الله .

٢ ـ حديث عبد الله بن عمرو[٤] رضي الله عنهما قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق »[٥] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٣) .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي أبو محمد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين للإسلام ، توفي سنة ست وثلاثين من الهجرة . الإصابة (٢ / ٢٢٠ ، ٢٢٢) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٢٢) .

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه وكان رضي الله عنه فاضلا ، حافظًا عالمًا ، توفي بالشام سنة ٦٥ هـ وقيل غير ذلك . الإصابة (٢ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ١٦٢ ، ١٩٢) ، وأبو داود في سننه ، كتاب العلم ، باب في كتاب العلم (٤ / ٦٠) ح ٣٦٤٦ ، والحاكم في المستدرك (١ / ١٠٤ ، ١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي .

٣ ـ حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال : « إني لا أقول إلا حقًّا » قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا يارسول اللّٰه . قال : « إني لا أقول إلا حقا »[1] .

دليل الإجماع :

نقل غير واحد من العلماء إجماع الأمة واتفاقها على عصمته ﷺ فى تبليغ ما أوحى إليه من ربه عز وجل .

قال القاضي عياض : « وأجمعت الأ[illegible]ن طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به ، لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن الأنبياء صلوات اللّٰه عليهم معصومون فيما يخبرون به عن اللّٰه سبحانه ، وفى تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه » ... « والعصمة فيما يبلغونه عن اللّٰه ثابتة فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين »[3] .

ب العصمة من الكفر والشرك :

الحديث عن عصمته ﷺ فى هذا الجانب ذو شقين هما :

الأول : عصمته قبل مبعثه ﷺ .

الثاني : عصمته بعد مبعثه ﷺ .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٣٤٠ ، ٣٦٠) . والترمذي في سننه ، كتاب البر والصلاة ، باب ما جاء في المزاح ٤ / ٣٥٧ ح ١٩٩٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح

(٢) الشفا (٢ / ٧٤٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٨٩ ، ٢٩٠) .

أما الشق الأول : وهو عصمته من الشرك والكفر قبل بعثته ونزول الوحي إليه ﷺ فقد دلت النصوص الثابتة على أن النبي ﷺ معصوم منذ نشأته من الكفر والشرك فلم يعهد عنه ﷺ أنه سجد لصنم أو استلمه أو إلى غير ذلك من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه . فقد فطره اللَّه على معرفته والاتجاه إليه وحده وهذا هو المعلوم من سيرته . فمن النصوص التي يستدل بها على هذا الأمر ما يلى :

* حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ، ثم أعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره[1] - فقالوا : إن محمدًا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره »[2].

فالحديث نص على إخراج جبريل لحظ الشيطان منه ﷺ وتطهيره لقلبه فلا يقدر الشيطان على إغوائه إذ لا سبيل له عليه . وهذا دليل على تنزيهه من الشرك منذ صغره ﷺ .

* وعن زيد بن حارثة رضي اللَّه عنه قال : كان صنم من نحاس يقال له اساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسول اللَّه ﷺ فطفت معه ، فلما مررت مسحت به ، فقال رسول اللَّه ﷺ لا تمسه . فقال زيد : فطفت فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يكون فمسحته ،

(١) أي مرضعته .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول اللَّه ﷺ (١ / ١٠١ ، ١٠٢) .

فقال رسول الله ﷺ : ألم تنه ؟

قال زيد : فوالذى هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنمًا حتى أكرمه الله بالذى أكرمه وأنزل عليه »[١] .

وهذا الحديث نص فى بعده ﷺ عن عبادة الأوثان التي كان عليها أهل مكة فنهيه لزيد ، الذى كان ابنه بالتبني فى ذلك الحين ـ يؤكد نفرته ﷺ من تلك الأوثان التي كان يعكف عليها أهل مكة .

ولقد كان النبي ﷺ لا يحضر مع أهل مكة ما يقيمونه من أعياد لأصنامهم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثتني أم أيمن[٢] قالت : كان بيوانة صنم يحضره قريش يومًا فى السنة ، وكان أبو طالب[٣] يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن : إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وجعلن يقلن يا محمد : ما تريد أن تحضر لقومك عيدًا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوبًا فزعًا فقلن عماته : ما دهاك ؟ قال :

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣ / ٢١٦ ـ ٢١٧) وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ١٤٥) . وأخرجه البيهقي فى دلائل النبوة (٢ / ٣٤) بتحقيق عبد المعطي قلعجي . وأورده ابن كثير فى البداية والنهاية (٢ / ٢٨٨) . وأورده السيوطي فى الخصائص الكبرى (١ / ١٥١ ، ١٥٢) .

(٢) أم أيمن مولاة النبي ﷺ وحاضنته واسمها بركة بنت ثعلبة ، وهى أم أسامة بن زيد بن حارثة . الإصابة (٤ / ٤١٥ ، ٤١٦) .

(٣) أبو طالب بن عبد المطلب عم النبي ﷺ شقيق أبيه كفل النبي ﷺ وذب عنه ونصره بعد بعثته ولم يمت على الإسلام . الإصابة (٤ / ١١٥ ، ١١٨) .

« إني أخشى أن يكون بي لمم » فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت ؟ قال : « إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه » فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبئ[١] .

كما عصم ﷺ من الحلف بأسماء تلك الأصنام التي كان يعبدها قومه ويحلفون بها تعظيمًا لها فقد جاء في قصة بحير الراهب[٢] أنه استحلف النبي ﷺ باللات والعزى حينما لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي لما رأى فيه علامات النبوة فقال بحيرا للنبي ﷺ : يا غلام أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه .

فقال له النبي ﷺ : « لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت بغضهما شيئًا قط »[٣] .

والنصوص في مثل هذا كثيرة وقد عني بجمعها من ألف في دلائل النبوة مثل الحافظ أبي نعيم الأصبهاني[٤] فقد عقد فصلا في كتابه دلائل النبوة بعنوان

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٤) . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٥١) وعزاه إلى ابن سعد وأبي نعيم وابن عساكر .

(٢) راهب من رهبان النصارى يقال إنه كان من عبد القيس وكان اسمه : جرجيس . البداية (٢ / ٢٨٦) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٢٥ - ١٢٨) ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٢٦ ، ٢٧) بتحقيق عبد المعطي قلعجي . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٤٢ ، ١٤٤) وعزاه للبيهقي .

(٤) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني وأبو نعيم . حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية ، ولد ومات بأصبهان عام ٤٣٠ هـ من مؤلفاته : حلية الأولياء ودلائل النبوة ، والأعلام (١ / ١٥٧) .

« ذكر ما خصه الله عز وجل به من العصمة وحماه من التدين بدين الجاهلية ... » وقد أورد تحت هذا العنوان العديد من الأحاديث والشواهد فى هذا الشأن(١) .

وكذلك فعل البيهقي(٢) فى دلائل النبوة أيضا فعقد عنوانا لهذا الموضوع فقال : « باب ما جاء فى حفظ الله تعالى رسوله ﷺ فى شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها ، لما يريده به من كرامته برسالته حتى يبعث رسولًا »(٣) .

ومثلهما السيوطي فى الخصائص الكبرى(٤) حيث قال : « باب اختصاصه ﷺ بحفظ الله إياه فى شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية »(٥) .

الإجماع :

نقل الجرجاني(٦) إجماع الأمة على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعد حيث قال : « وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها ولا خلاف لأحد منهم فى ذلك »(٧) .

---

(١) انظر (ص ١٤٣ - ١٤٧) .

(٢) أحمد بن الحسين البيهقي ، صاحب التصانيف المشهورة ومنها : السنن الكبرى ، وشعب الإيمان ، ودلائل النبوة ، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفى سنة ٤٥٨ هـ .
تذكرة الحفاظ (٣ / ١١٣٢) والأعلام (١ / ١١٦) .

(٣) انظر (٢ / ٣٠ ، ٤٢) .

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي حافظ مؤرخ أديب له نحو (٦٠٠ مصنف) ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ . الأعلام (٣ / ٣٠١ - ٣٠٢) .

(٥) انظر : (١ / ١٤٨ ، ١٥٢) .

(٦) هو : علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفي سنة ٨١٦ هـ له كتاب التعريفات ، وشرح المواقف وغيرهما . الأعلام (٥ / ٧) .

(٧) شرح المواقف (ص ١٣٤) .

وهذا هو الحق فالله سبحانه وتعالى قد نزه نبيه ﷺ عن الكفر والشرك وعصمه من الوقوع فيهما وذلك داخل فى باب إعداده لتحمل الرسالة ، ومثل ذلك صيانة الله لنسبه الذى تناسل منه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لم يلتق أبواي على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبًا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما »[١] .

وكل ذلك حتى لا يبقى لمنتقص حجة يتعلق بها لتنفير الناس من رسول الله ﷺ فمن المعلوم أن كفار قريش كانوا حريصين أشد الحرص على تجريح النبي ﷺ ووصفه بما ينقص من قدره ويحط من شأنه لتنفير الناس منه وصدهم عن دعوته فلقد رموه واتهموه بالسحر والجنون وغير ذلك من النقائص ولكن لم يكن الشرك والكفر من ضمن ما رموه به فسكوتهم عن ذلك دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل ، وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة كما حكى الله ذلك عنهم فى قوله تعالى : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾[٢] .

وبهذا يتبين أن النبي ﷺ لم يكن على دين قومه من عبادة الأصنام وتعظيمها ، فقد عصمه الله من ذلك فلم يجعل لكفار قريش طريقًا عليه فلذلك لجؤوا إلى تلفيق التهم الباطلة المتناقضة كاتهامه بالسحر تارة وبالجنون تارة وبالكهانة تارة أخرى .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (ص ٢٤) من عدة طرق والحديث له شواهد متعددة أوردها السيوطي فى الخصائص الكبرى (١ / ٦٣ ، ٦٦) .

(٢) الآية (١٤٢) من سورة البقرة .

وإذا كان اللّٰه قد عصم نبيه ﷺ فيما هو دون الشرك من الأمور المنكرة التي كان عليها أهل الجاهلية ففي ذلك دليل على أن عصمته من أمور الشرك من باب أولى .

فعن جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه : أن رسول اللّٰه ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباس عمه : يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة ، قال فحله فجعله على منكبه فسقط مغشيا عليه فما رؤي بعد ذلك عريانًا ﷺ[١] .

إزالة ما يوهم عدم إيمان نبينا وضلاله قبل بعثته :

وردت بعض النصوص التي قد يتوهم منها البعض أن رسول اللّٰه ﷺ كان على كفر وضلال قبل بعثته ، وسوف أعرض لهذه النصوص وأبين التوجيه الصحيح لها بما يبين الحق ويصحح الفهم ويزيل ما يقع من الوهم إن شاء اللّٰه .

أ ـ فمن تلك النصوص قول اللّٰه تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ ﴾[٢] .

فقد يتوهم البعض أن هذه الآية تعنى انتفاء معرفة النبي للإيمان بالكلية قبل بعثته بمعنى أنه لم يكن مؤمنا .

والجواب على ذلك أن هذا الفهم خاطئ لأن الإيمان فى قوله (ولا الإيمان) مصدر بمعنى المفعول فيكون المعنى المراد : أى ما يجب الإيمان به من الفرائض

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها . انظر فتح الباري (١ / ٤٧٤) ح ٣٦٤ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة (١ / ١٨٤) .

(٢) الآية (٥٢) من سورة الشورى .

والأحكام الشرعية التي كلف بها علمًا وعملًا ، فالمنفي هو الإيمان التفصيلي لا الإجمالي .

فقد كان النبي ﷺ قبل نزول الوحي إليه مبغضًا للشرك وعبادة الأصنام ومتجها إلى الله وحده كما سبق الإستدلال على ذلك ، فلما نزلت عليه الفرائض والأحكام الشرعية التي لم يكن يدري بها قبل الوحي آمن بها وطبقها .

فهذا هو المعنى الصحيح للآية ، كما ذكر ذلك علماء التفسير عند تفسيرها قال ابن كثير : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » على التفصيل الذي شرع لك في القرآن »[1] .

وقال الشوكاني[2] ومعنى (ولا الإيمان) أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها وخص الإيمان لأنه رأسها وأساسها[3] .

ب ـ ومن النصوص كذلك قول الله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾[4] فقد يتوهم البعض أن الآية تعني أن نبينا كان على ضلال قبل مبعثه وهذا فهم خاطئ وباطل ترده النصوص التي سبق إيرادها والتي نصت على أن النبي ﷺ كان من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصومًا من عبادة الأوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان .

وقد أشار إلى بطلان هذا الفهم القرطبي عند تفسيره لهذه الآية حيث قال :

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٢٢) .

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فقيه مجتهد ، من كبار علماء اليمن له (١١٤ مؤلفا) ولد سنة ١١٧٣ هـ وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ . الأعلام : (٦ / ٢٩٨) .

(٣) فتح القدير (٤ / ٥٣٠) .

(٤) الآية (٧) من سورة الضحى .

« فأما الشرك فلا يظن به »[١] .

وأما المعنى الصحيح لهذه الآية فقد أشار العلماء إلى عدة معان صحيحة لهذه الآية تشترك جميعها فى تنزيه النبي ﷺ عن أن ينسب إليه شيء من الشرك أو الكفر قبل بعثته ، ومن تلك المعاني ما يلي :

١- أن يفسر الضلال هنا بمعنى الغفلة كما فى قوله تعالى : ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[٢]، وكما فى قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ ﴾[٣] والمعنى أنه وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة[٤] .

٢- وقال بعضهم معنى (ضالا) لم تكن تدرى ما القرآن والشرائع فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام ، وهو بمعنى قوله تعالى (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) وعلى هذا التفسير يكون المعنى : أي وجدك ضالًا عن شريعتك التي أوحاها إليك لا تعرفها قبل الوحي إليك ، فهداك إليها[٥] .

٣- وقال بعضهم معنى الآية أى وجدك فى قوم ضلال فهداهم الله بك[٦].

٤- وقال بعضهم الضلال بمعنى الطلب أي وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها[٧] كما فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[٨] .

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٩) .

(٢) الآية (٥٢) من سورة طه .

(٣) الآية (٣) من سورة يوسف .

(٤) تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٦) وفتح القدير (٥ / ٤٥٨) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٥ / ٥٢٣) وتفسير القرطبي (٢٠ / ٩٦ ، ٩٧) وفتح القدير (٥ / ٤٥٨).

(٦ ، ٧) انظر : تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٧) وفتح القدير (٥ / ٤٥٨) .

(٨) الآية (١٤٤) من سورة البقرة .

ولقد أورد العلماء عددًا من المعاني لهذه الآية منها ما هو معنوي ومنها ما هو حسي وهى معان كلها حسان[١] .

ج ـ ومن النصوص كذلك قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ ﴾[٢] .

فليس المقصود بالغفلة هنا الشرك والغواية إنما المقصود منها الغفلة عن قصة يوسف مع أبيه وإخوته كما يوضح ذلك سياق الآية . فهذه القصة وأمثالها لا تعلم إلا من الوحي فلهذا لا يلحقه نقص بسببها .

وهذا هو ما ذكره علماء التفسير عند هذه الآية .

قال القرطبي : أى من الغافلين عما عرفناكه[٣] . وقال الشوكاني : والمعنى أنك من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عن هذه القصة[٤] .

د ـ ومن تلك النصوص ما رواه عثمان بن أبي شيبة(٥) بسنده عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنه « أن النبي ﷺ قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم ، فسمع ملكين من خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلفه ، فقال الآخر : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام ، فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم »[٥] .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي (٢٠ / ٩٧) بتصرف .

(٢) الآية (٣) من سورة يوسف .

(٣) تفسير القرطبي (٩ / ١٢٠) .

(٤) فتح القدير (٣ / ٤) .

(٥) هو : عثمان بن محمد بن أبى شيبة الكوفي العبسي ، من حفاظ الحديث ، وله من المصنفات : المسند ، والتفسير ، ولد سنة ١٥٦ هـ وتوفي سنة ٢٣٩ هـ . تاريخ بغداد (١١ / ٣٨٢) .

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤ / ١٤٤٧) والخطيب في تاريخ بغداد (١١ / ٢٨٦) =

والمنكر من هذا الحديث قوله عن الملك (عهده باستلام الأصنام) والجواب عن هذا الحديث ذو شقين هما :

أولا : الكلام على سند الحديث :

تكلم العلماء على سند الحديث وأوردوا عللًا منها :

١ـ أن عثمان بن أبى شيبة لم يتابع عليه[١] .

ولكن الذهبى[٢]أجاب عن هذا بقوله (عثمان لا يحتاج إلى متابع ولا ينكر له أن ينفرد بأحاديث لسعة ما روى ، وقد يغلط ، وقد اعتمده الشيخان فى صحيحيهما ... »[٣] .

٢ـ قال الدارقطنى[٤]: يقال إن عثمان بن أبى شيبة وهم فى إسناده ، وغيره يرويه عن جرير[٥]عن سفيان بن عبد اللّٰه[٦] بن محمد بن زياد بن جدير مرسلًا

= وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، والعقيلي في الضعفاء ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١ / ١٦٦) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٣٥) . وأورده الذهبي في الميزان (٣ / ٣٥) وأورده ابن حجر في لسان الميزان (٣ / ٥٣) وأورده ابن كثير في التاريخ (٢ / ٢٨٨) وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٥٢) .

(١) العلل المتناهية لابن الجوزي (١ / ١٦٧) .

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، حافظ ، مؤرخ ، علامة محقق له تصانيف كثيرة كبيرة تقارب المئة ، منها : سير أعلام النبلاء ، وتذكرة الحفاظ وغيرها ، ولد سنة ٦٧٣ هـ ، وتوفي سنة ٧٤٨ هـ . الأعلام (٥ / ٣٢٦) .

(٣) ميزان الاعتدال (٣ / ٣٥) .

(٤) علي بن عمر الدارقطني الشافعي إمام عصره في الحديث ، لد سنة ٣٠٦هـ وتوفي سنة ٣٨٥ هـ وله كتاب « السنن » و « العلل » . الأعلام (٤ / ٣١٤) .

(٥) جرير بن عبد الحميد الظبي نزيل الري وقاضيها ثقة صحيح الكتاب مات سنة ثمان وثمانين ومائة . تهذيب التهذيب (٢ / ٧٥) .

(٦) سفيان بن عبد اللّٰه بن زياد بن جدير « مجهول » . لسان الميزان (٣ / ٥٣) .

وهو الصواب[1] .

ومن كلام الدارقطني يتبين لنا علتان :

أ ـ أن الحديث مرسل وليس متصلًا .

ب ـ جعله لسفيان الثوري[2] مكان سفيان بن عبد اللّٰه وهذا وهم في السند فسفيان بن عبد اللّٰه مجهول ، وأما الثوري فهو ثقة[3] .

٣ـ أن في سند حديث عثمان بن أبي شيبة ، عبد اللّٰه بن محمد بن عقيل[4] وهو ضعيف عند القوم[5] .

وبهذا يتبين ضعف إسناد الحديث .

ثانيا : الكلام على متن الحديث :

بالإضافة إلى ضعف هذا الحديث الذي لا تقوم به حجة . فإن ظاهر اللفظ وهو قوله « إنما عهده باستلام الأصنام » يخالف ما عرف عن النبي ﷺ من أنه لم يكن على شيء مما كان عليه أهل مكة من الشرك ، وذلك منذ ولادته إلى أن بعثه اللّٰه رسولًا نبيًا إليهم ليدعوهم إلى عبادة اللّٰه وحده ، لا شريك له ، وترك ما يعبد من دونه .

ولقد سبق إيراد الأدلة على ذلك فليرجع إليها .

---

(١) العلل المتناهية (١ / ١٦٧) .

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ثقة حافظ ، فقيه ، عابد ، إمام ، حجة ، مات سنة إحدى وستين ومائة . تهذيب التهذيب (٤ / ١١١) .

(٣) لسان الميزان (٣ / ٥٣) بتصرف .

(٤) عبد اللّٰه محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي ، كان فاضلًا خيرًا موصوفًا بالعبادة ، ولكن لم يكن متقنا في الحديث فضعفوه . تهذيب التهذيب (٦ / ١٣ ـ ١٦) .

(٥) العلل المتناهية (١ / ١٦٧) .

وقد ذكر بعض العلماء : أن ظاهر الحديث ليس مرادًا ، فليس المقصود أنه باشر الاستلام ، وإنما المقصود أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم[١].

الشق الثاني : عصمته ﷺ من الكفر والشرك بعد النبوة :

بعث اللّٰه تعالى نبيه محمدًا ﷺ ليدعو الناس إلى عبادة اللّٰه وحده وترك ما هم فيه من الكفر والشرك .

ولقد كان ﷺ فى تطبيق ما أمر به هو المثل الأعلى الذى يحتذى به . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢] .

فهو منزه عن كل ضلال وغواية كما أخبر اللّٰه بذلك فى كتابه العزيز ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[٣] فهذه شهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ولا غاو ، بل هو صلوات اللّٰه وسلامه عليه فى غاية من الاستقامة والاعتدال والسداد والهداية .

وإجماع الأمة منعقد على ذلك قال الرازي[٤] : « واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة »[٥] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ففى الجملة كل ما يقدح فى نبوتهم

---

(١) ميزان الاعتدال (٣ / ٣٥) وتاريخ بغداد (١١ / ٢٨٦) .

(٢) الآيتان (١٦٢ ، ١٦٣) من سورة الأنعام .

(٣) الآية (٢) من سورة النجم .

(٤) هو محمد بن عمر الرازي الملقب بالفخر الرازي ، ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ . الأعلام (٤ / ٣١٣) .

(٥) عصمة الأنبياء (ص ١٨) .

وتبليغهم عن اللّه تعالى فهم متفقون على تنزيههم عنه »[١].

وقال الآمدي[٢]: « فما كان منها كفرًا فلا نعرف خلافًا بين أهل الشرائع فى عصمتهم عنه »[٣].

ولم يخالف هذا الإجماع إلا من لا يعتد بخلافهم[٤].

والمعلوم من خلال سيرته ﷺ أنه كان حربا على الكفر والشرك على

---

(١) منهاج السنة النبوية (١ / ١٣٠).

(٢) على بن محمد بن سالم التغلبى أبو الحسن سيف الدين الآمدي أصولي باحث، ولد سنة ٥٥١ هـ وتوفي سنة ٦٣١ هـ، من أشهر مؤلفاته : الإحكام في أصول الأحكام . الأعلام (٤ / ٣٣٢).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام (١ / ١٢٨).

(٤) الذين خالفوا في هذه المسألة هم :

أ ـ الأزارقة : وهم فرقة من فرق الخوارج وقد نقل عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم اللّه أنه يكفر بعد نبوته . انظر الإحكام في أصول الأحكام (١ / ١٢٨) والمواقف للإيجي (٣٥٨ ، ٣٥٩)

ب ـ والفضيلية : وهم من فرق الخوارج ويقولون بجواز الكفر على الأنبياء من جهة كونهم يعتقدون جواز صدور الذنوب عن الأنبياء وكل ذنب هو كفر ـ على حسب اعتقادهم ـ فمن هذا الباب جوزوا صدور الكفر عنهم .

انظر : عصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨) والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١ / ١٢٨).

ج ـ الرافضة : فقد جوزوا على الأنبياء إظهار الكفر على سبيل التقية عند خوف الهلاك ، بل نقل عنهم أنهم أوجبوه .

ويعللون ذلك بقولهم : إن إظهار الإسلام إن كان مفضيا إلى القتل كان إلقاء للنفس في التهلكة ، وإلقاء النفس في التهلكة حرام لقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ الآية ١٩٥ من سورة البقرة ، وإذا كان إظهار الإسلام حرامًا كان إظهار الكفر واجبًا .

انظر : عصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨).

د ـ ذكر ابن حزم في كتابه الفصل (٤ / ٢) « أنه رأى في كتاب أبى جعفر السمناني قاضي الموصل صاحب الباقلاني أنه كان يقول : كل ذنب دق أو جل فإنه جائز على الرسل حاشا الكذب في التبليغ فقط ، قال : وجائز عليهم أن يكفروا ».

اختلاف صوره وألوانه ، فلم يدع طريقا أو سبيلا لهدم الشرك والكفر إلا وقد سلكه مستخدمًا فى ذلك لسانه وسنانه ، وهذا كله يؤكد عصمته ﷺ من الكفر والشرك وهذا أمر مشتهر وأعظم من أن يحتاج إلى دليل يؤكده .

ج ـ عصمته ﷺ من الكذب فى غير الوحي والتبليغ .

من المعروف عن سيرته ﷺ قبل البعثة وبعدها أنه متصف بكل خلق فاضل من صدق وأمانة وبر وصلة رحم وإحسان وجود إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته ، وحري به ﷺ أن يكون كذلك فقد اختاره الله لحمل الأمانة العظمى التي هى أداء الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة ، فكان لابد من إعداده لهذه المهمة ، ولذا فقد فطره الله على كل خلق فاضل كريم وقد جمع الله له خصال الخير كلها ، فلم يكن يدعى إلا بالأمين ، ومن الأدلة التي يستدل بها على اتصافه بالصدق قبل بعثته ما يلى :

١ ـ قول خديجة بنت خويلد[١] رضي الله عنها حينما أتاها النبي ﷺ خائفا بعد أن لقيه جبريل فى غار حراء وقال لها : « إني قد خشيت على نفسي » فقالت له : « كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، فوالله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق »[٢] .

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي ﷺ وأول من صدقت ببعثته مطلقًا ، توفيت بعد خروج بني هاشم من الشعب .

الإصابة (٤ / ٢٧٣ ـ ٢٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب التفسير .

انظر : فتح الباري (٨ / ٧١٥) ح ٤٩٥٣

٢ـ إجماع قريش على الإقرار بصدقه حينما جمعها ليصدع بالدعوة جهرًا فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر يا بني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب[2] وقريش ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي .

قالوا : ما جربنا عليك إلا صدقا .

قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ... » الحديث[3]

فالشاهد من الحديث قولهم « ما جربنا عليك إلا صدقا » فالنبى ﷺ انتزع منهم هذه الشهادة الجماعية بصدقه وانتفاء الكذب عنه ، لعلمه بما قد سيقع من تكذيبهم له عند إخبارهم بأمر الرسالة .

٣ ـ على تكذيب قريش للنبي ﷺ فى دعوة النبوة إلا أن أحدًا منهم لم يجرؤ على وصفه بالكذب فى سواها فقد قال أبو جهل[4] للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب الذى جئت به[5] فأنزل الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا

---

(١) الآية (٢١٤) من سورة الشعراء .

(٢) إسمه عبدالعزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتبة وهو أحد أعمام الرسول ﷺ ، كان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له ولدينه . تفسير ابن كثير (٤ / ٥٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير ، باب ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ انظر : فتح الباري (١٨ / ٥٠١) ح ٤٧٧٠ ، واللفظ له .

(٤) اسمه عمرو بن هشام ، وكان من أشد الناس عداوة للنبى ﷺ قتل يوم بدر . ابن الأثير (١ / ٢٣ ـ ٤٧) .

(٥) انظر : تفسير الطبري (٧ / ١٨٢) .

يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[١] .

وكذلك عندما سأل الأخنس بن شريق[٢] أبا جهل بعد ما خلا به يوم بدر فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا ، فقال أبو جهل : ويحك ، والله إن محمدًا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش[٣] ؟ .

٤ ـ ومما يستدل به كذلك جواب أبى سفيان[٤] لهرقل[٥] عندما سأله عن النبي ﷺ ، عندما أرسل إليه فى ركب من قريش وكانوا تجارًا بالشام فى المدة التي كان رسول الله ﷺ هادن فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فكان مما سأله عنه : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

فقال أبو سفيان : لا

فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله[٦] .

---

(١) الآية (٣٣) من سورة الأنعام .

(٢) الأخنس بن شريق الثقفي ، كان من المؤلفة ، وشهد حنينا ، ومات في أول خلافة عمر .
الإصابة (١ / ٣٩ ـ ٤٠) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٧ / ١٨٢) . وأورده ابن كثير في تفسيره (٢ / ١٣٠) .

(٤) اسمه صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان القرشي الأموي ، مشهور باسمه وكنيته ، أسلم عام الفتح وشهد حنيْنًا والطائف وكان من المؤلفة ، توفي في آخر خلافة عثمان .
الإصابة (٢ / ١٧٢ ، ١٧٣) .

(٥) هرقل هو ملك الروم ، وهرقل اسمه ـ وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ، ولقبه قيصر ، كما يلقب ملك الفرس كسرى ونحوه . فتح الباري (١ / ٣٣) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي .
انظر : فتح الباري (١ / ٣١) ح ٧ .

وبعد فهذه نماذج على صدقه ﷺ وعصمته من الكذب قبل بعثته .

وكذا الحال بعد بعثته ﷺ فهذه أخبار نبينا محمد ﷺ وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستوفاة تفاصيلها لم يرد فى شيء منها تداركه ﷺ لخبر صدر منه رجوعًا عن كذبة كذبها ، أو اعترافا بخلف فى خبر أخبر به ولو وقع شيء من ذلك لنقل إلينا .

ومن المعلوم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق النبي ﷺ فى جميع أقواله ، والثقة بجميع إخباره فى أي باب كانت وعن أي شيء وقعت ، دون توقف أو تردد فى شيء منها أو استثبات عن حاله تلك هل وقع فيها سهوا أم لا »[1] .

وهذا كله يؤكد عصمته ﷺ من الكذب بأي حال من الأحوال .

قال القاضي عياض : « وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أوفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو ، أو صحة أو مرض ، أو رضا أو غضب وأنه معصوم منه ﷺ .

هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب ، فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه فى الأمور الدنيوية لاسيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره .

وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته ، وتأكيدا فى تحببهم ومسرة نفوسهم ، كقوله : « إنى حاملك على

---

(١) الشفا (٢ / ٧٦٨ - ٧٦٩) .

ولد الناقة »[١] وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها : « أهو الذي بعينه بياض »[٢] وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة ، وكل إنسان بعينه بياض ، وقد قال ﷺ : « إني أمزح ولا أقول إلا حقًّا »[٣]، [٤] .

د ـ عصمته ﷺ من الكبائر التي دون الشرك :

جَبَلَ اللّٰه نبيّه محمدًا ﷺ على كل خلق فاضل كريم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٥] فخلقه بأكرم السجايا ، وجميل الأخلاق ، وحسن الطوية وصفات الخير جميعها ، كما نزهه عن كل ما يحط من قدره وينقص من منزلته ، قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ فهو ﷺ منزه من كل ضلال وغواية ، وقد كان من صيانة اللّٰه وحفظه له أن حماه من أقذار الجاهلية قبل مبعثه ونزول الوحي إليه ، فهو معصوم عن كل ما يحط من قدره ويطعن في شخصه ومما ورد في هذا الشأن من الأحاديث ما يلي :

* حديث جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ كان ينقل

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في المزاح (٥ / ٢٧٠ ـ ٢٧١) ح ٤٩٩٨ ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح (٤ / ٣٥٧) ح ١٩٨٩ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٢) عزاه السيوطي الى ابن أبي الدنيا . انظر : مناهل الصفا (ص ٢٣٣) ح رقم ١٢٧٠

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٤٠) ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح (٤ / ٣٥٧) وقال : حديث حسن صحيح . وأخرجه الطبراني في الصغير والأوسط والكبير عن ابن عمر كما في المجمع (٨ / ٨٩) وقال الهيثمي وفيه من لم أعرفه والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما في المجمع (٩ / ١٧) وقال الهيثمي : إسناده حسن .

(٤) الشفا (٢ / ٨٧٧ ، ٨٧٨) .

(٥) الآية (٤) من سورة القلم .

معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمه[1] يا ابن أخي لو حللت إزارك ، فجعلته على منكبك دون الحجارة قال فحله على منكبه فسقط مغشيا عليه فما رؤي بعد ذلك عريانًا ﷺ[2] .

* وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله منهما ، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان فقال : بلى ، فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير قلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله أذنى فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلت شيئا ، ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له : ليلة أخرى أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة ، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ قلت : لاشيء ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته »[3] .

(١) العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي عم الرسول ﷺ ، ولد قبل الرسول ﷺ بسنتين يقال إنه أسلم وكتم إسلامه ، هاجر إلى المدينة قبل الفتح بقليل ، وشهد الفتح وثبت يوم حنين ، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين . الإصابة (٢ / ٢٦٣) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٣٩) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ١٤٣) . والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٣٣ ، ٣٤) . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ١٤٩ ، ١٥٠) ، وعزاه لابن راهويه في مسنده =

وعن علي رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : هل عبدت وثنًا قط ؟

قال : « لا » .

قالوا : فهل شربت خمرًا قط ؟

قال : « لا ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان »[١] .

فهذا عن عصمته قبل مبعثه فما بالك بعد مبعثه والأمر لا يتعلق بنفسه فقط بل يتعداه لغيره بكونه هو القدوة ومعلم الناس وهاديهم ومرشدهم بل إن كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله يعد تشريعا تأخذ به أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأمر عصمته ﷺ من الكبائر أمر دلت عليه النصوص من القرآن والسنة ويكفى المسلم أن يقرأ فى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ فهذه تزكية من الله لرسوله ﷺ توجب سلامته من كل ما يحط من منزلته ويقدح فى نبوته بما في ذلك الكبائر .

وكذلك قوله ﷺ : « أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له » الحديث[٢] ومما يندرج تحت هذه الخشية والتقوى،بُعده عن كل ما يسخط الرب عز وجل ومن ضمن ما يسخطه ارتكاب الكبائر ، فهو ﷺ أبعد الناس عنها لكمال

= وابن اسحاق والبزار والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر وقال : قال ابن حجر : إسناده حسن متصل ورجاله ثقات . وأورده ابن كثير فى البداية (٢ / ٢٨٧) .

(١) أورده السيوطي فى الخصائص الكبرى (١ / ١٥٠) وعزاه لأبى نعيم وابن عساكر .

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح .

انظر : فتح الباري (٩ / ١٠٤) ح ٥٠٦٣ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه . (٤ / ١٢٨) .

خشيته وتقواه لربه عز وجل ، فلقد زكاه الله وطهر نفسه ولم يجعل للشيطان عليه من سبيل ، وقد تقدم إيراد الحديث الذي جاء فيه أن جبريل شق قلب النبي ﷺ وهو صغير فاستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك[١].

○ ○ ○ ○

---

(١) انظر تخريجه (ص ١٥١) .

المطلب الثالث

مسالة وقوع الخطا منه

تقدم ذكر الأمور التي عصم فيها ﷺ ، وبقي أن نعلم هل يقع الخطأ منه في غير ما تقدم ؟ والجواب على هذا : أن القول الذى عليه أكثر علماء الإسلام[١] والذي دلت عليه نصوص القرآن والسنة أن الخطأ يقع منه ﷺ في غير ما تقدم ذكره ولكنهم يعتقدون الأمور التالية :

١ ـ أن اللّه لا يقره على هذا الخطأ الذي وقع منه بل يوجهه اللّه للحق وقد يحصل له العتاب على ذلك .

٢ ـ أن الخطأ يقع منه ﷺ على سبيل الاجتهاد من غير أن يتعمده ولذلك لا تسمى « معصية » فهذه العبارة تعد إساءة أدب معه ﷺ ولا يصح إطلاقها في حقه ﷺ .

٣ ـ أن ما يقع منه من هذا القبيل ليس مما يقدح فى حقه أو ينقص من منزلته وقدره ، ولقد سبق بيان الأمور التي عصم فيها ﷺ وتلك الأمور هي التي في حالة وقوعها تقدح في حقه ومنزلته ، وقد عصم فيها .

٤ ـ أن التوبة حاصلة منه عن هذا الخطأ ، وهذا مما يرفع من قدره ويعلي منزلته[٢] كما أن اللّه قد وعده بالمغفرة بقوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٣١٩) .

(٢) المرجع السابق (١٠ / ٢٩٣) .

(٣) الآية (٢) من سورة الفتح .

وأما النصوص التي يستدل بها على هذا القول فمنها :

قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾[١] .

فهذه الآيات نزلت عتابًا من الله تعالى لنبيه ﷺ[٢] فقد ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع فى إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم[٣] وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله ﷺ من شيء ويلح عليه وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة فى هدايته ، وعبس فى وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾[٤] .

وكذلك قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾[٦] .

---

(١) الآيات (١ ، ٢ ، ٣) من سورة عبس .

(٢) تفسير القرطبي (١٩ / ٢١٢) .

(٣) ابن أم مكتوم اختلف فى اسمه فقيل : عمرو وقيل : عبد الله ، وعمرو أكثر وهو ابن قيس بن زائدة القرشي ، أسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الأولين ، قيل : استشهد بالقادسية وقيل مات بالمدينة . الإصابة (٢ / ٥١٦ ـ ٥١٧) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٧٠) .

(٥) الآيتان (٦٧ ، ٦٨) من سورة الأنفال .

(٦) الآية (٤٣) من سورة التوبة .

قال قتادة : « ثنتان فعلهما النبي ﷺ ولم يؤمر بهما ، إذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه ولم يكن له أن يمضي شيئا إلا بوحي ، وأخذه من الأسارى الفدية ، فعاتبه اللَّه كما تسمعون »[١] .

وأما ما يقع من الخطأ منه في جانب الأمور الدنيوية فمن الأدلة على ذلك حديث رافع بن خديج[٢] رضي اللَّه عنه قال : قدم نبي اللَّه ﷺ المدينة وهم يؤبرون النخل يقولون يلقحون النخل ، فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : كنا نصنعه .

قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا . فتركوه ، فنقصت قال : فذكروا ذلك له ، فقال : « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر »[٣] .

وفي رواية أنس : « أنتم أعلم بأمر دنياكم »[٤]. وفي رواية طلحة : « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن اللَّه شيئا فخذوا به فإني لا أكذب على اللَّه عز وجل »[٥]

وكما حكى ابن اسحاق[٦] أنه ﷺ لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن

---

(١) تفسير القرطبي (٨ / ١٥٤ ، ١٥٥) .

(٢) رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي ، عرض على النبي ﷺ يوم بدر فاستصغره وأجازه يوم أحد فخرج بها وشهد ما بعدها ، مات في زمن معاوية . الإصابة (١ / ٤٨٣ ، ٤٨٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي (٧ / ٩٥) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٧ / ٩٥) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٧ / ٩٥) .

(٦) محمد بن اسحاق بن يسار المدني المطلبي ، مولاهم ، نزيل العراق ، إمام المغازي ، مات سنة ١٥٠ هـ . تهذيب التهذيب (٩ / ٣٨) .

المنذر[١] : أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : « لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة » .

قال : فإنه ليس بمنزل ، انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، فنشرب ولا يشربون .

فقال : أشرت بالرأي وفعل ما قاله[٢] .

قال القاضي عياض : « فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها بعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها ، يجوز عليه فيه ما ذكرنا[٣] إذ ليس فى هذا كله نقيصة ولا محطة ، وإنما هى أمور اعتيادية يعرفها من جربها ، وجعلها همه وشغل نفسه بها ، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة ، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ، ولكن هذا[٤] إنما يكون فى بعض الأمور ، ويجوز فى النادر فيما سبيله التدقيق فى حراسة الدنيا واستثمارها ، لا فى الكثير المؤذن بالبله والغفلة »[٥] .

وكذلك الأمر بالنسبة لأحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ، ومعرفة المحق من المبطل ، وعلم المصلح من المفسد ، فهذه أمور اجتهادية يجتهد فيها برأيه فقد قال ﷺ : « إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي ، شهد بدرًا مات في خلافة عمر . الإصابة (١ / ٣٠٢) .

(٢) الشفا للقاضي عياض (٢ / ٨٧١ ، ٨٧٢) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣ / ٣١ - ٣٥) وعزاه السيوطي في مناهل الصفا (ص ٨٠) لابن اسحاق والبيهقي عن عروة والزهري وجماعة .

(٣) أى من وقوع الخطأ .

(٤) أي الخطأ .

(٥) الشفا (٢ / ٨٧٢ ، ٨٧٣) .

بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار »[١] .

قال القاضي عياض : « وتجرى أحكامه ﷺ على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ، ويمين الحالف ، ومراعاة الأشبه ، ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله فى ذلك »[٢] .

فاقتضت حكمته تعالى أن لا يكون معصومًا فى هذا الجانب وذلك حتى تقتدي به الأمة من بعده فى النظر فى القضايا والأحكام على ما كان يقضي به بين الناس ، لأنه قد استوى فى ذلك هو وغيره من الناس .

وكذا الأمور بالنسبة لما يقع عليه من الأسقام والأمراض فهو ﷺ بشر من البشر يقع عليه مثل ما يقع على غيره من البشر .

وهذا هو الحق الذي دلت وأرشدت عليه النصوص الثابتة فى القرآن والسنة .

وهذا هو القول الوسط بين أهل الإفراط وأهل التفريط فى هذه المسألة .

فمن قال بالعصمة المطلقة وهم الرافضة[٣] وبعض المعتزلة[٤] وبعض

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات ، باب من أقام البينة مع اليمين .
انظر : فتح الباري (٥ / ٢٨٨) ح ٢٦٨٠ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ، واللفظ له (٥ / ١٢٨ ، ١٢٩) .

(٢) الشفا (٢ / ٨٧٥) .

(٣) الرافضة : عبارة تطلق على الشيعة الغلاة وهم عدة فرق من أشهرها الإمامية الإثنا عشرية ، ولهم مخالفات كثيرة في الاعتقاد من أشهرها : مسائل الإمامة ، والصحابة ، والغلو في آل البيت وأصل تسميتهم بالرافضة مأخوذ من قول زيد بن علي بن الحسين عندما سُئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما ، فرفضه جماعة من أتباعه فقال : رفضتموني فسموا رافضة .
مقالات الإسلاميين (١ / ٨٨ ، ٨٩ ، ١٤٤) والملل والنحل (١ / ١٧٣ - ١٧٤) .

(٤) أتباع واصل بن العطاء الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى ولهم مخالفات كثيرة في =

المتأخرين[١] فهؤلاء قد خالفوا نصوص القرآن والسنة وتعسفوا فى دفعها وتأويلها بتأويلات هي من جنس تأويلات الجهمية[٢] والباطنية[٣] ومن تدبر تلك التأويلات تبين له فسادها وعرف أنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه[٤].

وأما من نفى عنه العصمة من الذنوب وأجاز عليه الإقدام على الكبائر والصغائر وهم الكرامية[٥] والأزارقة[٦] والفضيلية[٧] وغيرهم[٨] فهؤلاء قوم فرطوا فى حق النبي ﷺ ، فذكروا عنه ما دل القرآن والسنة على براءته منه ، وأضافوا إليه ذنوبا نزهه الله منها فقولهم هذا مخالف للقرآن والسنة وواضح البطلان .

= مسائل الاعتقاد ، منها أنهم يقولون بنفي الصفات ، والمنزلة بين المنزلتين . ميزان الاعتدال (٣ / ٢٧٤) والفرق بين الفرق (٢٠ ، ٢١) ، والملل والنحل (١ / ٤٩) .

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٢٠) .

(٢) الجهمية فرقة من الفرق التي ظهرت في بداية القرن الثاني وانتحلت مذهب الجهم بن صفوان في مسائله المدونه في كتب المقالات ومن أشهرها نفي الأسماء والصفات والقول بالجبر ، وفناء الجنة والنار . الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص ٦٥) . تاريخ الجهمية والمعتزلة (ص ٥٩ ، ٦٠) .

(٣) عبارة تطلق على عدة فرق من أشهرها الإسماعيلية ، القرامطة ، والنصيرية ، وهم الذين يجعلون لكل ظاهر من الكتاب باطنا ولكل تنزيل تأويلا . الملل والنحل (١ / ٤٢٦ ـ ٤٤٧) والفرق بين الفرق (ص ١٦٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣١١ ـ ٣١٤) بتصرف .

(٥) أتباع محمد بن كرام السجستاني المتوفي سنة ٢٥٥هـ لهم عدد من المخالفات في مسائل العقيدة ، منها : التشبيه في الصفات ، والإرجاء في الإيمان . الملل والنحل (١ / ١٨٠ ، ١٩٣) ، والفرق بين الفرق (٣٠ ، ١٣٧) .

(٦) إحدى فرق الخوارج ، وهم أتباع نافع بن الأزرق ، كانت أكثر فرق الخوارج عددًا وأشدهم شوكة الفرق بين الفرق (ص ٨٣) .

(٧) من الخوارج ؛ ذكرهم الأشعري في المقالات (ص ١١٨) .

(٨) الفصل (٤ / ٢) ، وعصمة الأنبياء للرازي (ص ١٨) ، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١ / ١٢٨) .

الفصل الثاني

وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها

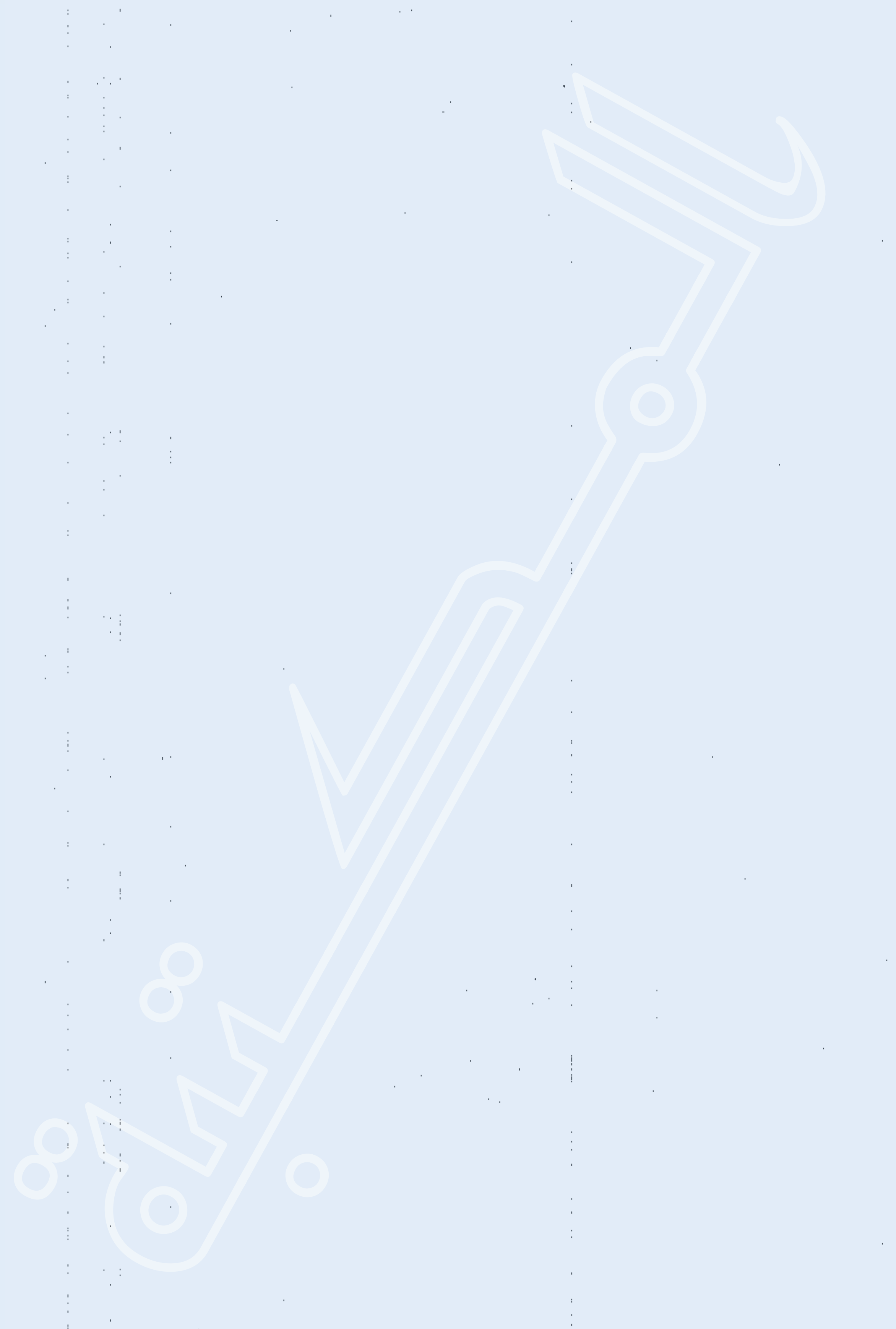
● وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأدلة على وجوب طاعته ﷺ .

المبحث الثاني : منهج السلف في اتباعه وطاعته ﷺ .

المبحث الثالث : التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه .

○ ○ ○ ○



تمهيد

« فرض الله على جميع الخلق الإيمان بنبيه ﷺ وطاعته واتباعه وإيجاب ما أوجبه وتحريم ما حرمه وشرع ما شرعه . وبه فرق الله بين الهدى ، والضلال ، والرشاد ، والغي ، والحق ، والباطل ، والمعروف ، والمنكر . وهو الذي شهد الله له بأنه يدعو إليه باذنه ، ويهدي إلى صراط مستقيم وأنه على صراط مستقيم .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣]

وهو الذي جعل الرب طاعته طاعة له فى مثل قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥] .

وهو الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته ، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به واتباعه وطاعته ، وبه يمتحنون فى القبور ، قال تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٦] .

---

(١) الآيتان (٤٥ ، ٤٦) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٥٢) من سورة الشورى .

(٣) الآية (٤٣) من سورة الزخرف .

(٤) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٥) الآية (٦٤) من سورة النساء .

(٦) الآية (٦) من سورة الاعراف .

وهو الذي أخذ اللّٰه له الميثاق على النبيين وأمرهم أن يأخذوا على أممهم الميثاق أنه إذا جاءهم أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه .

وهو الذي فرق اللّٰه به بين أهل الجنة وأهل النار ، فمن آمن به وأطاعه كان من أهل الجنة ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1] .

والوعد بسعادة الدنيا والآخرة والوعيد بشقاء الدنيا والآخرة معلق بطاعته .

فطاعته هي الصراط المستقيم وهي حبل اللّٰه المتين ، وهي العروة الوثقى وأصحابها هم أولياء اللّٰه المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون .

والمخالفون له هم أعداء اللّٰه حزب إبليس اللعين .

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

(١) الآيتان (١٣ ، ١٤) من سورة النساء .

(٢) الآيات (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) من سورة الفرقان .

(٣) الآيات (٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨) من سورة الاحزاب .

ٱلْكَافِرِينَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ ﴾(٤) .

وجميع الرسل أخبروا أن اللّٰه أمر بطاعتهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(٥) .

فهم يأمرون بعبادة اللّٰه وحده وخشيته وحده وتقواه وحده ، ويأمرون بطاعتهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾(٦) .

وقال نوح عليه السلام : ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾(٧) .

وقال فى سورة الشعراء : ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٨) .

---

(١) الآية (٣٢) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٣) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٤) الآية (٦٩) من سورة النساء .

(٥) الآية (٦٤) من سورة النساء .

(٦) الآية (٥٢) من سورة النور .

(٧) الآية (٣) من سورة نوح .

(٨) الآية (١٠٨) من سورة الشعراء .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب ولوط[١].

والناس محتاجون إلى الإيمان بالرسول وطاعته في كل مكان ، وزمان ، ليلًا ونهارًا ، سفرًا وحضرًا ، سرًا وعلانية ، جماعة وفرادى ، وهم أحوج إلى ذلك من الطعام والشراب بل من النفس ، فإنهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٢]أي كذَّب به وتولى عن طاعته كما قال في موضع آخر : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾[٤]. وقال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[٥]. وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾[٦] .

والله تعالى قد سماه سراجًا منيرًا ، وسمى الشمس سراجًا وهاجًا والناس إلى هذا السراج المنير أحوج منهم إلى السراج الوهاج ، فإنهم محتاجون إليه سرًا وعلانية ، ليلًا ونهارًا ، بخلاف الوهاج ، وهو أنفع لهم فإنه منير ليس فيه أذى بخلاف الوهاج فإنه ينفع تارة ويضر أخرى »[٧] .

---

(١) انظر الآيات (١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٧٩) من سورة الشعراء .

(٢) الآية (١٤ ، ١٥ ، ١٦) من سورة الليل .

(٣) الآية (٣١ ، ٣٢) من سورة القيامة .

(٤) الآية (١٥ ، ١٦) من سورة المزمل .

(٥) الآية (٤١) من سورة النساء .

(٦) الآية (٤٢) من سورة النساء .

(٧) الرد على الأخنائي (ص ١٨٠ - ١٨٣) .

ولما كانت حاجة الناس إلى الرسول بهذه الدرجة فقد أوجب الله سبحانه وتعالى على العباد طاعة الرسل واتباعهم فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1] فهذا الإلزام ناشيء من ضرورة العباد وحاجتهم للرسالة إذ لابد لهم منها ، بل إن حاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء .

« فالرسالة ضرورية فى إصلاح العباد فى معاشهم ومعادهم ، فكما أنه لا صلاح لهم فى أخرتهم إلا باتباع الرسالة ، فكذلك لاصلاح لهم فى معاشهم ودنياهم إلا باتباع الرسالة .

والإنسان مضطر إلى الشرع لأنه بين حركتين : حركة يجلب بها ما ينفعه . وحركة يدفع بها ما يضره .

والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره ، والشرع نور الله فى أرضه ، وعدله بين عباده ، وحصنه الذي من دخله كان آمنا .

وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس ، فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم ، فإن الحمار والجمل يميز بين الشعير والتراب . وإنما المراد بالشرع التمييز بين الأفعال التي تنفع فاعلها والأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده ، كنفع الإيمان والتوحيد والعدل والبر والتصدق والإحسان ، والأمانة والعفة ، والشجاعة والحلم والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والإحسان إلى المماليك والجار ، وأداء الحقوق وإخلاص العمل لله والتوكل عليه ، والاستعانة به والرضا بمواقع القدر به ، والتسليم لحكمه والانقياد لأمره ، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه ، وخشيته فى

---

(١) الآية (٦٤) من سورة النساء .

الغيب والشهادة ، والتقوى إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه ، واحتساب الثواب عنده ، وتصديقه وتصديق رسله فى كل ما أخبروا به وطاعتهم فى كل ما أمروا به ، مما هو نفع وصلاح للعبد فى دنياه وآخرته وفى ضد ذلك شقاوته ومضرته فى دنياه وآخرته .

فلولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار فى المعاش والمعاد فمن أعظم نعم اللّٰه على عباده وأشرف منة عليهم أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبين لهم الصراط المستقيم ، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة البهائم بل أشر حالا منها .

فمن قَبِلَ رسالة اللّٰه واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية ، وأَسْوَءُ حالًا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم »[١].

والرسل هم وسائط بين اللّٰه وبين خلقه فى أمره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده ، يبلغونهم شرع ربهم ويرشدونهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم ، وقد جعلهم اللّٰه ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٢] .

وقد بعث الرسل جميعا بأصول ثلاثة هي :

١ ـ الدعوة الى اللّٰه .

٢ ـ إرشاد العباد وتعريفهم بالطريق الموصل إلى اللّٰه .

٣ ـ بيان حال العباد فى معادهم .

فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر ، وذكر أيام اللّٰه فى

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٩٩ ، ١٠٠) بتصرف .

(٢) الآية (١٦٥) من سورة النساء .

أوليائه وأعدائه وهى القصص التي قصها الله على عباده والأمثال التي ضربها لهم .

والأصل الثاني : يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة ، وبيان ما يحبه الله ويكرهه .

والأصل الثالث : يتضمن الإيمان باليوم الآخر ، والجنة والنار والثواب والعقاب .

فعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر بل السعادة والفلاح موقوفة عليها ، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل ، فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها ، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة[١].

ومن أجل ذلك فان الله خص بالفلاح من اتبع رسوله ونصره فقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] أي لا مفلح إلا هم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣] فخص هؤلاء بالفلاح كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم ويؤمنون بما أنزل إلى رسوله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة بالهدى والفلاح قال تعالى : ﴿ الم ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٤] فعلم بذلك أن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٩٦) بتصرف .

(٢) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٣) الآية (١٠٤) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (١ إلى ٥) من سورة البقرة .

الهدى والفلاح دائر على الرسالة وجودًا وعدمًا .

كما جعل اللَّه سعادة العباد ونجاتهم في يوم المعاد متعلقة بطاعته وطاعة رسوله وجعل شقاءهم وهلاكهم متعلقًا بمعصيته ومعصية رسوله قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[١] .

وخاتم المرسلين وسيدهم وأكرمهم على ربه ـ نبينا محمد ﷺ الذي جعله اللَّه رحمة للعالمين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٢] وأرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا ، فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة ، وفتح برسالته أعينا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد شتاتها ، فأقام بها الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء ، فبين عن طريقه ﷺ الكفر من الإيمان ، والربح من الخسران ، والهدى من الضلال ، وأهل الجنة من أهل النار ، والمتقين من الفجار ، فهو المبعوث رحمة للعالمين ، ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين .

وقد أوجب اللَّه وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بحقوقه وأوصاه باتباع شرعه ونهجه والسير على هداه وجعل طريقه هي الطريق الوحيد ، الموصلة إليه وسد باقي الطرق فلم يفتح لأحد طريقًا غير طريقه ، وسمى تلك الطرق سبلًا تضل عن سبيله فقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا

(١) الآية (١٣ ، ١٤) من سورة النساء .

(٢) الآية (١٠٧) من سورة الانبياء .

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١) .

ولذلك فإن الخير كل الخير فى اتباعه والإقتداء به ، والشر كل الشر في مخالفته والبعد عن شرعه وما جاء به .

والأدلة على وجوب طاعته ﷺ ولزوم سنته واتباع شريعته كثيرة وهذا ما سأتطرق إليه فى هذا الفصل باذن الله تعالى والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

○○○○

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

المبحث الأول

الأدلة على وجوب طاعته ﷺ

● وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على وجوب طاعته ﷺ .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ - الآيات التي جاء فيها الأمر بطاعته ﷺ .

ب - الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه .

ج - الآيات التي جاء فيها وجوب التسليم لحكمه والانقياد له .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على وجوب طاعته ﷺ .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ - كون طاعته واتباعه سببًا لدخول الجنة ، ومخالفته ومعصيته سببا لدخول النار .

ب - ضربه ﷺ الأمثال في الحث على طاعته .

ج - حثه ﷺ لأمته على التمسك بسنته وتحذيره من مخالفتها .

د - بيانه لمواقف الناس من الأخذ بدعوته واتباع سنته .

المطلب الثالث : دليل الإجماع على وجوب طاعته ﷺ .

* ويشتمل على النقاط التالية :

أ - من أقوال الصحابة .

ب - من أقوال التابعين ومن بعدهم .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

الأدلة من القرآن على وجوب طاعته ﷺ

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : « نظرت فى المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ فى ثلاثة وثلاثين موضعًا »[١] .

وقال الآجري[٢] : « فُرض على الخلق طاعته ﷺ فى نيف وثلاثين موضعا من كتابه عز وجل »[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ فى أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن ، وقرن طاعته بطاعته ، وقرن بين مخالفته ومخالفته ، كما قرن بين اسمه واسمه ، فلا يذكر الله إلا ذكر معه »[٤] .

قلت : إن الآيات الواردة فى الأمر بطاعة النبي ﷺ واتباعه والاقتداء به جاءت فى مواطن متعددة من القرآن الكريم.واتصفت تلك الآيات بتنوع أساليبها وتعدد صيغها مع اتحادها جميعها فى الأمر بالاقتداء بالنبي ﷺ وطاعته فى جميع ما جاء به من شرائع وأحكام من عند الله عز وجل ، وسوف أعرض لهذه الآيات بعد تقسيمها على حسب ما اتحدت به فى السياق على النحو التالي :

أ ـ الآيات التي جاء فيها الأمر بطاعته ﷺ ومن تلك الآيات قوله تعالى :

---

(١) الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٦) .

(٢) محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري ، فقيه شافعي ، محدث ، توفي سنة ٣٦٠ هـ بمكة وله مصنفات كثيرة منها : كتاب الشريعة . الأعلام (٦ / ٩٧) .

(٣) الشريعة (ص ٤٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٩ / ١٠٣) .

﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[١] .

وهذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعة اللَّه تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ ، فقد جعل اللَّه طاعته وطاعة رسوله شيئًا واحدًا ، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجًا فى الأمر بطاعته سبحانه ، وفى ذلك بيان للعباد بأن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول ﷺ .

ومن تلك الآيات الواردة بهذه الصيغة :

١ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ ﴾[٢] .

٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣] .

٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٤] .

٤ - وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[٥] .

٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾[٦] .

---

(١) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٢) الآية (٣٢) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (١٣٢) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (١٣) من سورة النساء .

(٥) الآية (٢٠) من سورة الأنفال .

(٦) الآية (٥٢) من سورة النور .

٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[١] .

٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٢] .

وفي آيات أخر يأمر اللَّه سبحانه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ مع إعادة الفعل ، وفي ذلك إشارة إلى أن ما يأمر به رسول اللَّه ﷺ تجب طاعته فيه وإن لم يكن مأمورًا به بعينه في كلام اللَّه الذي هو القرآن ، فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونة بأمره سبحانه ، ومن هذه الآيات :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٣] .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[٤] .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٥] .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ

---

(١) الآية (٧١) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (١٧) من سورة الفتح .

(٣) الآية (٩٢) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٣٣) من سورة محمد .

(٥) الآية (٥٤) من سورة النور .

(٦) الآية (١٢) من سورة التغابن .

مِنكُمْ ﴾[١] .

ويقول ابن القيم[٢] عند هذه الآية : « أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه أوتى الكتاب ومثله معه[٣]. ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالًا بل حذف الفعل وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول ، إيذانًا بأنهم إنما يطاعون تبعًا لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة ، كما صح عنه ﷺ أنه قال : « لا طاعة فى معصية اللّٰه إنما الطاعة فى المعروف »[٤] وقال : « إنما الطاعة فى المعروف »[٥] وقال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[٦] .

---

(١) الآية (٥٩) من سورة النساء .

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي المشهور بابن القيم ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة ، تفنن في علوم الاسلام ، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية وله مؤلفات كثيرة في الدفاع عن العقيدة والسنة . توفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة . طبقات المفسرين للداودي (٢ / ٩٣ ، ٩٧) .

(٣) كما جاء في قوله ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ... » الحديث . أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٥ / ١٠) ح ٤٦٠٤

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٦ / ١٥)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أخبار الآحاد ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٣٣) ح ٧٢٥٧ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية . انظر (٦ / ١٥) .

(٦) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير =

وقد أخبر ﷺ عن الذين أرادوا دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها « إنهم لو دخلوها لما خرجوا منها » مع أنهم إنما كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم ، وظنًا أن ذلك واجب عليهم ، ولكن لما قصروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر بالطاعة بما لم يرده الامر ﷺ وما قد علم من دينه إرادة خلافه ، فقصروا في الاجتهاد وأقدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها من غير تثبيت وتبين هل ذلك طاعة لله ورسوله أم لا ؟ فما الظن بمن أطاع غيره فى صريح مخالفة ما بعث الله به رسوله »[1] .

وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2] فقد أخبر تعالى فى هذه الآية أن الهداية فى طاعة الرسول لا فى غيرها ، فإنه معلق بالشرط فينتفى بانتفائه ، وليس هذا من باب دلالة المفهوم ، كما يغلط فيه كثير من الناس ويظن أنه محتاج فى تقرير الدلالة منه لا تقرير كون المفهوم حجة .

بل هذا من الأحكام التي ترتبت على شروط وعلقت فلا وجود لها بدون شروطها ، إذ ما علق على الشرط فهو عدم عند عدمه ، وإلا لم يكن شرطًا له وإذا ثبت هذا : فالآية نص فى انتفاء الهداية عند عدم طاعته . وقوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾ الفعل للمخاطبين وأصله فإن تتولوا ، فحذفت

= معصية وتحريمها في المعصية (٦ / ١٢) . وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية . فتح الباري (١٣ / ١٢١ ، ١٢٢) ح ٧١٤٤

(١) إعلام الموقعين (١ / ٤٨ ، ٤٩) .

(٢) الآية (٥٤) من سورة النور .

إحدى التائين تخفيفا ، والمعنى : أنه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها ، وحملتم طاعته والانقياد له والتسليم .

روي عن الزهري[١] أنه قال : « من الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم » .

فإن تركتم أنتم ما حملتم من الإيمان والطاعة فعليكم لا عليه . فإنه لم يحمل إيمانكم وإنما حمل تبليغكم ، وإنما حمل أداء الرسالة إليكم .

(وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) ليس عليه هداهم وتوفيقهم »[٢] .

ب ـ الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه .

جاء الأمر من الله تبارك وتعالى باتباع رسوله ﷺ والتأسي به في مواطن متعددة من كتابه العزيز .

١ ـ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٣] .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٤] .

٣ ـ وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[٥] .

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري . الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه ، مات سنة ١٢٥ هـ وقيل قبل ذلك . تذكرة الحفاظ (١ / ١٠٢) .

(٢) الرسالة التبوكية (ص ٣٧ ، ٣٨) .

(٣) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف .

(٥) الآية (٧) من سورة الحشر .

٤ ـ وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١) .

وهذه الآيات تضمنت توجيهات عظيمة يجب على المسلم تدبرها ففي الآية الأولى جعل الله الاتباع سبيلًا إلى نيل ، حبه ووسيلة إلى تحقيق رضاه وحصول غفرانه ، إذ باتباع الرسول ﷺ يحصل حب الله تعالى ورضاه ومثوبته ، فالخير كل الخير فى اتباعه والشر كل الشر فى مخالفته والابتعاد عن سنته .

فالاتباع هو دليل المحبة وبرهانها ، وبتحققه تكون المحبة التي هى إحدى ثمراته كما قال تعالى : ﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ كما أن من ثمراته غفران الذنوب كما جاء فى هذه الآية نفسها : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

وهذه المنزلة والمكانة لاتباع الرسول ﷺ نابعة من كون هذا الاتباع إنما هو فى الحقيقة اتباع لله ، إذ الرسول إنما جاء بهذا الدين من عند الله عز وجل فهو شرع الله ودينه الذي أوحاه لرسوله ﷺ ليبلغه للعباد ، فالرسول إنما هو مبلغ عن الله ولم يأت بشيء من عند نفسه قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ الآية(٢) . وقال تعالى : ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ الآية(٣) .

وفى الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ جاء الأمر بالاتباع عقب الأمر بالإيمان تأكيدًا على وجوب اتباع النبي ﷺ وإلا فإن الاتباع داخل فى الإيمان

(١) الآية (٢١) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (١١٠) من سورة الكهف ، و الآية (٦) من سورة فصلت .

(٣) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

ولكن أفرد بالذكر هنا تنبيهًا على أهميته وعظيم منزلته .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ .

فهذه الآية أوجبت الاتباع المطلق للنبي ﷺ ، فما أمر به من شيء فإن علينا فعله وما نهى عن شيء فإن علينا تركه واجتنابه ، فهو لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر .

وفي هذا الاتباع والانقياد حياتنا وفلاحنا كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1] .

فهنا أمر من اللّٰه تعالى للمؤمنين جميعا بأن يستجيبوا للرسول ﷺ فيما أمرهم به ونهاهم عنه ، ففي ذلك الحياة النافعة الطيبة وهذه الحياة إنما تحصل بالإستجابة لما جاء به الرسول أمرًا ونهيًا وأما من لم تحصل منه الاستجابة فلا حياة له ، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات ، « إذ الحياة الحقيقية الطيبة هى حياة من استجاب للّٰه ولرسوله ظاهرًا وباطنًا ، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا ، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان ، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة ، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة ، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول »[2] .

ولقد أعقب هذا الأمر بالاستجابة تحذير من ترك الاستجابة له أو تثاقل وتباطء عنها فقال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ والمعنى

---

(١) الآية (٢٤) من سورة الأنفال .

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٨٨) بتصرف .

: « أنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن اللّٰه يحول بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم بعد وضوح الحق واستبانته »[١] .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ فقد جعل اللّٰه تبارك وتعالى من رسوله الأسوة والقدوة ليحتذي به الخلق فى أقواله وأفعاله وجميع ما جاء به ﷺ .

قال ابن كثير : « هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسي برسول اللّٰه ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله ... »[٢]

ج ـ الآيات التي جاء فيها وجوب التسليم لحكمه والانقياد له :

قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٣] .

وفي هذه الآية أقسم سبحانه بأجل مقسم به ـ وهو نفسه عز وجل ـ على أنه لا يثبت لهم إيمان ولا يكونون من أهله ، حتى يحكموا رسول اللّٰه ﷺ في جميع موارد النزاع وفي جميع أبواب الدين فإن لفظة « ما » من صيغ العموم .

ولم يقتصر الأمر على مجرد التحاكم بل ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجا ـ وهو الضيق والحصر ـ من حكمه ، بل يقبلوا حكمه بالانشراح ، ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض ، ويشربونه على قذى ، فإن هذا مناف للإيمان ، بل لابد أن يكون أخذه بقبول

---

(١) المصدر السابق (ص ٩٠) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٧٤) .

(٣) الآية (٦٥) من سورة النساء .

ورضا وانشراح صدر .

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى : ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ فذكر الفعل مؤكدًا بمصدره القائم ذكره مرتين . وهو التسليم والخضوع له والإنقياد لما حكم به طوعًا ورضًا ، وتسليمًا لا قهرًا ومصابرة كما يسلم المقهور لمن قهره كرهًا ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه ، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه ويعلم بأنه أولى به من نفسه ، وأبر به منها وأقدر على تخليصها ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[1] .

فمتى علم العبد هذا من الرسول ﷺ واستسلم له ، وسلم إليه انقادت له كل علة فى قلبه ورأى أن لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد .

وتأمل تأكيده سبحانه لهذا المعنى المذكور فى الآية بوجوه عديدة من التأكيد :

أولها : تصديرها بتضمن المقسم عليه للنفي وهو قوله ﴿ لا يؤمنون ﴾ وهذا منهج معروف فى كلام العرب ، إذا أقسموا على شيء منفي صدروا جملة القسم بأداة نفي مثل هذه الآية .

وثانيها : تأكيده بنفس المقسم .

وثالثها : تأكيده بالمُقْسَم به وهو إقسامه بنفسه لا بشيء من مخلوقاته ، وهو سبحانه يقسم بنفسه تارة وبمخلوقاته تارة .

ورابعها : تأكيده بانتفاء الحرج وهو وجود التسليم .

وخامسها : تأكيد الفعل بالمصدر ، وما هذا التأكيد إلا لشدة الحاجة إلى هذا

---

(١) الآية (٦) من سورة الاحزاب .

الأمر العظيم ، وإنه مما يعتنى به ويقرر فى نفوس العباد بما هو من أبلغ أنواع التقرير[١] .

وقال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ فى جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ولهذا قال : ﴿ ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ أي إذا حكموك يطيعونك فى بواطنهم فلا يجدون فى أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له فى الظاهر والباطن فيسلمون لك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة .. »[٢].

وهذه الآية ينبغي لكل مسلم أن يعرض نفسه عليها .

وفى هذا يقول ابن القيم : « ومتى أراد العبد أن يعلم هذا[٣]فلينظر فى حاله ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[٤] .

فسبحان الله كم من حزازة فى نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص بودهم أن لو لم ترد ؟ وكم من حرارة فى أكبادهم منها ؟ وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها ؟ ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزي يوم تبلى السرائر »[٥]

---

(١) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٢٥ ، ٢٦) .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٥٢٠) .

(٣) أى قبوله لحكم الرسول والتسليم له .

(٤) الآية (١٤ ، ١٥) من سورة القيامة .

(٥)الرسالة التبوكية (ص ٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[٢] .

وكلا الآيتين توجبان التسليم الكامل والانقياد التام من أهل الإيمان لما حكم به اللَّه تعالى وحكم به رسوله ﷺ ، فليس فى ذلك اختيار ، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم بما جاء عن اللَّه ورسوله .

ومن الملاحظ فى كلا الآيتين أن الخطاب فيهما لأهل الإيمان ففى الآية الأولى ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ .

وفي الثانية ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ وهذا التخصيص للمؤمنين فيه من الدلالة ما فيه فاسم الإيمان يشعر بأن هذا المطلوب منهم من موجبات الاسم الذي نسبوا إليه ولذلك فإنه يجب على كل من يؤمن باللَّه ورسوله ﷺ أن يضع هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات الموجبة للأمتثال لأمر اللَّه ورسوله ﷺ نصب عينيه فيسمع ويطيع ، ويؤمن بأنه لا اختيار له فى ذلك ولا رأي ، بل التسليم المطلق الذي لا يصاحبه شك ولا ارتياب .

فهذه حقيقة الإيمان ومعنى شهادة أن محمدًا رسول اللَّه التي تعني طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد اللَّه إلا بما شرع .

ومثل هذه الآيات هي الفاصل بين دعوى الإيمان الحقيقية التي هي للمؤمنين

---

(١) الآية (٥١) من سورة النور .

(٢) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

الصادقين ، وبين دعوى الإيمان الزائفة الباطلة التي هي سمة المنافقين الكاذبين المظهرين خلاف ما يبطنون .

○ ○ ○ ○

المطلب الثاني

الأدلة من السنة على وجوب طاعته ﷺ

حث النبي ﷺ أمته على طاعته وامتثال أمره واتباع ما جاء به والسير على سنتة والاقتداء به في كل ما جاء به عن ربه عز وجل .

وأحاديثه ﷺ في هذا المجال أعطت للأمه توجيهات عظيمة متى ما ساروا عليها وامتثلوا ما فيها واستناروا بها فقد تحققت لهم سعادة الدارين وفازوا وأفلحوا بإذن اللّٰه تعالى .

وقد امتازت الأحاديث في هذا الشأن بكثرتها وتنوع عبارتها وتعدد أساليبها واشتمال بعضها على الأمثلة التي ضربها رسول اللّٰه ﷺ لأمته في هذا الشأن ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيدا وتوضيحًا وبيانًا ، بحيث إنها لم تدع مجالا لمتأول يأولها أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد ، وهذه الأحاديث على تنوع عبارتها وتعدد أساليبها اتحدت جميعها في مضمون واحد هو التأكيد على وجوب طاعته ﷺ واتباع ما جاء به والترغيب في ذلك إضافة إلى التحذير من مخالفته ، وتحريم معصيته وبيان الوعيد الشديد في ذلك .

والخطاب فى تلك الأحاديث شامل لكل من كان فى عصره ﷺ ومن سيأتي بعده إلى يوم القيامة .

وسأشير ههنا إلى طرف من تلك الأحاديث مع بيان ما فيها من توجيهات وإرشادات تنير الطريق للسالكين الراغبين بالفوز برضى اللّٰه وجنات النعيم .

أ ـ كون طاعته واتباعه ﷺ سببا لدخول الجنة ، ومخالفته ومعصيته سببًا

لدخول النار .

أولا : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ . قالوا : يارسول الله ومن يأبى ؟

قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى »[1] .

ثانيا : وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ... » الحديث[2] .

ثالثا : وعن أبى سعيد الخدري(٣) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد[4] البعير . قال : يارسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى »[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٤٩) ح ٧٢٨٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ انظر : فتح الباري (١٣ / ١١١) ح ٧١٣٧ .وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٦ / ١٣) .

(٣) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري أبو سعيد الخدري ، شهد الغزوات بعد أحد وكان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثا كثيرا توفي سنة ٧٤ هـ وقيل غير ذلك . الإصابة (٢ / ٣٢ ، ٣٣) .

(٤) يقال : شرد البعير ، يشرد ، شُرودا ، وشِرادا : إذا نفر وذهب في الأرض . النهاية (٢ / ٤٥٧) .

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١ / ١٥٣) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٨٠) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وله شاهد من طريق أبي هريرة بنحوه أخرجه الحاكم في مستدركه (٤ / ٢٤٧) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي . وله شاهد آخر من طريق أبي أمامة بنحوه . أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٢٤٧) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي .

قال ابن حبان[1]: طاعة الرسول هي الانقياد لسنته ، مع رفض قول كل من قال شيئا فى دين الله عز وجل بخلاف سنته ، دون الاحتيال فى دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة ...»[2]

وهذه الأحاديث الثلاثة تؤكدوجوب طاعة الرسول ﷺ وامتثال ما جاء به وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه .

وتؤكد كذلك على أن هذه الطاعة هي مفتاح الجنة وسبيل النجاة الوحيد التي متى ما سلكها الانسان فاز برضى الله وجنته ونجّى من سخطه وعذابه .

فعلى المسلم أن يسلك هذه الطريق ـ أي طاعة النبي ﷺ ـ وألا يحيد عنها يمينًا أو شمالًا فهذه الطاعة هي صراط الله المستقيم الذى أمر الله باتباعه لقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي بعثه الله فى أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[4].

---

(١) محمد بن حبان بن أحمد التميمي ، أبو حاتم البستي ، الإمام الحافظ الثبت الحجة ، كان من أوعية العلم ، ولد سنة ٢٧٠ هـ وتوفي سنة ٣٥٤ هـ . ميزان الاعتدال (٣ / ٥٠٦) .

(٢) صحيح ابن حبان (١ / ١٥٣) .

(٣) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١ / ٥٠ ، ٥١) .

وهذه الأحاديث تبين صفة أتباع الأنبياء فهم يطيعون أنبيائهم ويأخذون بسنتهم ويأتمرون بأمرهم ولا يحيدون عن ذلك ولا يخالفونه إلى ما سواه .

وأما المخالفون لهم فمنهم الذين ابتدعوا أمورا فى الدين لم تشرع لهم وأخذوا يتعبدون اللّه بها وهم المشار إليهم بقوله : ﴿ويفعلون مالا يؤمرون﴾ وأمثال هؤلاء يتحدثون عن الطاعة والاتباع ولكن بالقول دون العمل ، فهم يقولون مالا يفعلون وهذا الوصف ينطبق تماما على أهل البدع المخالفين لشرع نبي هذه الأمة .

فإن الناظر فى أحوال هؤلاء يجدهم متمسكين أشد التمسك بأمور ليست من سنة المصطفى ولا من هديه إذ ليس لهم عليها دليل من الكتاب أو السنة ، بينما تجدهم أكثر الناس بعدا عن هدى المصطفى وما جاء به عن ربه ، ومع ذلك كله فهم كثيرا ما يتحدثون عن اتباع الرسول والاقتداء به .

ولكن هذا الحديث عن السنة والاتباع لا يتجاوز ألسنتهم ، فهم أبعد الناس عن ذلك فصدق على هؤلاء قوله ﷺ : « يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون » .

فانظر أخي المسلم فى أحوال الصوفية وعباد القبور والأضرحة وغيرهم من أهل البدع فهل تجد أبلغ من وصفهم بقول النبي ﷺ هذا « يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون » .

فالحذر كل الحذر من سبل أهل البدع والأهواء وكن على بصيرة من أمر دينك ولا تغرنك مظاهرهم وطراوة ألسنتهم فكم من إنسان خدعوه بذلك فروجوا عليه بدعتهم ، ولكن أمرهم لا يروج إلا على خفافيش الأبصار وكل جاهل بسنة نبيه ، من لا يفرق بين ما هو من الدين وما ليس من الدين .

وأما العالم بدينه وسنة نبيه ﷺ المتمسك بها فهو على دراية ويقين بحال هؤلاء فلا تنطلي عليه أباطيلهم وأكاذيبهم وما يستندون إليه من المنامات التي جعلوها مصدرًا للتشريع والابتداع في دين الإسلام .

وصاحب السنة يعلم كذلك عاقبة بدعهم فيطبق عليهم بذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[١] .

وقوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[٢] .

فتلك هي النتيجة الحتمية لكل بدعة ، فالله تعالى قد جعل للعمل المقبول شرطين أحدهما : الإخلاص وثانيهما : الاتباع قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٣] .

فقوله ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ أي ما كان موافقا لشرع الله ، ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبل فلابد أن يكون خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ »[٤] .

ب ـ ضربه ﷺ الأمثال في الحث على طاعته

أولا : عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنما مثلي ومثل ما

---

(١) الآيتان (١٠٣ ، ١٠٤) من سورة الكهف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على جور . فتح الباري (٥ / ٣٠١) ح ٢٦٩٧، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة (٥ / ١٣٢) .

(٣) الآية (١١٠) من سورة الكهف .

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ١٠٨) .

بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال : ياقوم إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء . فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا[١] فانطلقوا على مهلهم فنجوا . وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم . فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به . ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق »[٢] .

ثانيا : وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلًا . قال : فاضربوا له مثلًا . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : مثله كمثل رجل بنىٰ دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أولوها له يفقهها . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ ، فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس »[٣] .

ثالثا : وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثلي

---

(١) أى ساروا بالليل . النهاية (٢ / ١٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ، انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٥٠) ح ٧٢٨٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب شفقته ﷺ على أمته . انظر : (٧ / ٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٤٩) ح ٧٢٨١

ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزعهن[١] ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها »[٢] .

فهذه ثلاثة أحاديث اشتمل كل حديث منها على مثل معين ، والأمثال كما هو معلوم توضع لتقريب المعنى وتوضيحه في ذهن السامع ليكون أسهل في فهم المعنى وأبلغ في ترسخه في ذهنه .

ففي المثل الذي جاء في الحديث الأول ضرب النبي ﷺ لنفسه مثلا بالنذير الذي جاء لقومه يحذرهم من أن أعداءهم في طريقهم إليهم بعد أن رأى جيشهم على مقربة منهم وطلب منهم أن ينجوا بأنفسهم قبل أن يهلكهم عدوهم ويفنيهم .

وضرب لأمته مثلا بقوم ذلك الرجل الذين انقسموا إلى قسمين فكان منهم من صدقه وأطاعه فساروا من الليل فنجوا بأنفسهم من فتك عدوهم وكان منهم من لم يصدقه فبقوا في منازلهم فصبحهم عدوهم فقضى عليهم .

فالنبي ﷺ هو النذير لهذه الأمة كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٣] ، فقد أرسله الله تعالى ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٤]

---

(١) بفتح التحتانية والزاي وضم العين المهملة : أي يدفعهن . فتح الباري (١٣ / ٣١٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الإنتهاء عن المعاصي . انظر فتح الباري (١١ / ٣١٦) ح ٦٤٨٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب « شفقته ﷺ على أمته ... » (٧ / ٦٤) .

(٣) الآية (٤٩) من سورة الحج .

(٤) الآية (١) من سورة الفرقان .

لينذرهم عذاب ربهم الذي توعد به المخالفين منهم ، ويبين لهم شرع ربهم وما أمرهم به من قواعد وأحكام .

فمن أطاعه واتبع النور الذي جاء به والتزم شريعته فقد نجا من عذاب اللّه .

ومن عصاه وخالفه ولم يتبع ما جاء به فقد استحق بذلك عذاب اللّه فله جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا .

وهذا المثل يمثل جانب الإنذار والوعيد وهو جانب من جوانب الرسالة وأما الجانب الثانى وهو جانب البشارة ـ إذ أن الرسول كما أخبر اللّه عنه بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] .

وأما جانب البشارة فهذا ما تحدث عنه الحديث الثاني وهو حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه فالمثل يتحدث عن ثلاثة أمور دار ومأدبة وداعي وقد جاء تأويل هذا المثل فى الحديث نفسه فالداعي هو النبي ﷺ والدار هي الجنة فمن أطاعه ﷺ واتبع ما جاء به فقد أجاب الدعوة واستحق دخول الجنة والتمتع فى نعيمها . وأما من عصى النبي ﷺ وخالفه ولم يستجب لما جاء به فذلك الذي لم يستجب لدعوته فحرم من الدخول في الدار التي هي الجنة وحرم من الأكل من المأدبة التي هي النعيم الدائم في الجنة .

وأما الحديث الثالث : فالمثل المضروب فيه يصور مدى حرصه ﷺ على حماية الأمة من الوقوع فيما يسخط الرب تبارك وتعالى ويوجب عقابه وأليم عذابه ، فهو ﷺ الموصوف بقوله تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

---

(١) الآية (٢٨) من سورة سبأ .

(٢) الآية (١٢٨) من سورة التوبة .

والشاهد من الحديث قوله « أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها » ومما لا شك فيه أن اقتحام الناس للنار ناتج عن مخالفتهم لأوامر النبي ﷺ ووقوعهم فيما نهى وحذر منه فبهذا يكون هلاكهم وعذابهم .

والمتأمل لهذه الأحاديث الثلاثة وما ضرب فيها من أمثال يدرك ـ إن كان له قلب وسمع سليمان ـ ما في هذه الأحاديث من الحث على طاعة النبي ﷺ واتباعه والأجر العظيم المترتب على ذلك ،كما يدرك عظم العقوبة والخسارة المترتبة على عصيانه ومخالفته وعدم الانقياد له .

والسؤال الذي يفرض نفسه ههنا هو التالي :

هل أنت ممن أطاع البشير النذير ﷺ ؟

وهل أنت ممن أجاب الداعي ﷺ ؟

وهل أنت ممن استجاب لتحذيره ﷺ فحمى نفسه من نار جهنم .

وقبل أن تعجل بالإجابة انظر إلى أعمالك وأقوالك هل هي وفق شريعته وما جاء به ﷺ أم لا ؟ فههنا يكمن الجواب .

فيا سعادة من أطاعه واتبعه .

ويا خزي وندامة من خالفه وعصى أمره ، والله تعالى يقول : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[١] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾[٢]

ج ـ حثه ﷺ لأمته على التمسك بسنته وتحذيره من مخالفتها .

---

(١) الآية (٢٧) من سورة الفرقان .

(٢) الآية (٦٦) من سورة الأحزاب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني »(١) .

وحديث أنس هذا يعد قاعدة جليلة من قواعد التأسي والاتباع وذلك لما حواه من توجيهات هامة جدًا فى هذا الشأن منها :

١ ـ أن الابتداع فى الدين أمر مردود وغير مقبول بل يعد من الرغبة عن سنة المصطفى ﷺ والخروج عن شريعته ، ومن أجل ذلك فليس لأحد كائنًا من كان سوى النبي ﷺ ـ حتى وإن كان من أصحابه ـ أن يشرع فى هذا الدين أو يدخل فيه أمرًا حتى وإن كان ذلك بدافع التقرب إلى الله . فأولئك النفر من الصحابة رضوان الله عليهم دفعهم حب التقرب إلى الله إلى أن قالوا ما قالوه من الأمور التي تعد من الرهبانية ، ولما كان قولهم ذلك يعد مخالفة لما كان عليه النبي ﷺ من الحنيفية السمحة وجههم النبي ﷺ إلى الصواب وحذرهم من أن يحيدوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح . انظر : فتح الباري (٩ / ١٠٤) ح ٥٠٦٣ واللفظ له . ومسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب « استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ... » انظر : (٤ / ١٢٨) .

عن سنته ويرغبوا عنها بقوله « فمن رغب عن سنتي فليس مني » والمراد أن من ترك طريقتي وأخذ طريقة غيري فليس مني .

ومن هذا الحديث يعلم أن كل أمر ليس من سنته ﷺ والشرع الذي جاء به فهو أمر مبتدع مردود على صاحبه إضافة إلى اعتبار فاعله راغبا عن سنة المصطفى ﷺ .

٢ ـ حثه ﷺ على التمسك بما هو عليه وهى الحنيفية السمحة فهذا ما دل عليه قوله « لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء » .

فالإسلام دين الفطرة ونبينا ﷺ حرص بقوله هذا على سد باب التشديد المتمثل فى الرهبانية فلا رهبانية فى الإسلام ، وفى هذا يقول ﷺ : « ان الرهبانية لم تكتب علينا »[1]فعلى هذا فهي أمر مخالف لسنته وهديه ﷺ .

وعن العرباض بن سارية[2] رضي الله عنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون . فقلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة »[3] .

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٦ / ٢٢٦) .

(٢) العرباض بن سارية السلمي أبو نجيح ، صحابي مشهور من أهل الصفة ، مات سنة خمس وسبعين للهجرة وقيل قبل ذلك . الإصابة (٢ / ٤٦٦) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) . وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة باب في لزوم السنة (٥ / ١٣ ، ١٥) ح ٤٦٠٧ وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم ، باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٥ / ٤٤) ح ٢٦٧٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح =

فوصية النبي ﷺ لأصحابه ولأمته من بعدهم هي أن يتمسكوا بما سنه من أحكام وتشريعات أشد التمسك وأن يحذروا الابتداع في الدين وحكم على تلك المحدثات بالضلال والانحراف عن الطريق الذي رسمه .

وقد رسم النبي ﷺ في هذا الحديث ركيزتين أساسيتين في هذا الدين هما :

١ ـ الاتباع . ٢ ـ ترك الابتداع .

ولقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هذه الوصية النبوية وعملوا بها ، فلم يحيدوا عن سنته ﷺ ، بل عملوا بها ونقلوها للأمة المحمدية من بعدهم كما سمعوها منه ﷺ وكذلك فقد كانوا أشد الناس تمسكا بسنته ، وأشدهم محاربة للإبتداع ، فى الدين ، وقد كان فى هذا صلاحهم وفلاحهم ونجاتهم ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها .

ومن المؤسف أن كثيرًا من المسلمين فى وقتنا الحاضر قد اختلت عندهم كلا الركيزتين فتركوا الاتباع والاقتداء بسنة النبي ﷺ حتى أصبحت السنة عندهم أمرًا مستغربًا مستنكرًا لجهلهم بها وبعدهم عنها واستبدلوا بذلك البدع التي لا أصل لها ولا دليل عليها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فاتخذوها دينًا يدينون به فانعكست بذلك الموازين لديهم فأصبحوا يرون الحق باطلا والباطل حقا ، والمعروف منكرا والمنكر معروفا ، وما ذلك إلا لكونهم لم يعرفوا من الإسلام

= وابن ماجة في سننه ، في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١ / ١٦) . وابن حبان في صحيحه (١ / ١٣٩) والحاكم في المستدرك (١ / ٩٦) وصححه ووافقه الذهبي ، والآجري في الشريعة (٤٦ ، ٤٧) والدارمي في سننه ، باب اتباع السنة (١ / ٤٤ ، ٤٥) وقال الألباني : سنده صحيح ، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع ، انظر : مشكاة المصابيح (١ / ٥٨) ح ١٦٥ .

إلا اسمه ولا من الدين إلا رسمه بسبب ما هم عليه من قلة العلم وعدم معرفتهم بالسنة .

فأين هؤلاء من وصية المصطفى ﷺ لهم بأن يتبعوا ولا يبتدعوا .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ذروني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم »[١] .

والشاهد من الحديث قوله ﷺ « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » .

وهذا التوجيه النبوي الكريم مماثل لما سبق فى الأحاديث السابقة من الحث على لزوم السنة والتأكيد على اتباعها والأخذ بها إلا أنه يضيف أمرًا هامًا وهو أن الطاعة فى جانب المأمورات تجب فى حدود الإستطاعة والطاقة ، وهذا من اليسر الذي امتازت به الرسالة المحمدية قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٢] .

ففي جانب الأوامر علينا السمع والطاعة فى حدود ما نطيق ونستطيع أما في جانب النواهي فيجب التسليم المطلق دون قيد أو شرط .

فبهذه الإضافة يتحدد معلم من معالم الطاعة يجب على المسلم أن يدركه ويعي مضمونه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٥١) ح ٧٢٨٨ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر (٤ / ١٠٢) .

(٢) الآية (٢٨٦) من سورة البقرة .

د ـ بيانه لمواقف الناس من الأخذ بدعوته واتباع سنته ﷺ .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله منها الناس، فشربوا منها ، وسقوا ، وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه الله به فعَلِمَ وَعلَّمَ ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »[1] .

وفى هذا الحديث قَسَّم النبي ﷺ الناس ـ فيما يتصل بدعوته ـ إلى ثلاثة أقسام . وشبه ﷺ العلم الذي جاء به بالغيث لأن كلًا منهما سبب الحياة ، فالغيث سبب حياة الأبدان ، والعلم سبب حياة القلوب .

وشبه القلوب بالأودية كما فى قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾[2] .

وكما أن الأراضين ثلاثة بالنسبة إلى قبول الغيث :

إحداها : أرض زكية قابلة للشراب والنبات ، فإذا أصابها الغيث ارتوت ، ومنه يثمر النبت من كل زوج بهيج .

فذلك مثل القلب الزكي الذكي ، فهو يقبل العلم بذكائه ، فيثمر فيه وجوه الحكم ودين الحق بزكائه ، فهو قابل للعلم ، مثمر لموجبه وفقهه وأسرار معادنه .

والثانية : أرض صلبة قابلة لثبوت ما فيها وحفظه ، فهذه تنفع الناس لورودها

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٥

(٢) الآية (١٧) من سورة الرعد .

والسقي منها والازدراع .

وهو مثل القلب الحافظ للعلم الذي يحفظه كما سمعه ، فلا تصرف فيه ، ولا استنبط ، بل للحفظ المجرد فهو يؤدي كما سمع ، وهو من القسم الذى قال فيه النبي ﷺ : « فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه غير فقيه »(١) .

فالأول : كمثل الغني التاجر الخبير بوجوه المكاسب والتجارات فهو يكسب بماله ما شاء .

والثاني : مثل الغني الذي لا خبرة له بوجوه الربح والمكسب ، ولكنه حافظ لما لا يحسن التصرف والتقلب فيه .

والأرض الثالثة : أرض قاع ، وهو المستوي الذى لا يقبل النبات ، ولا يمسك ماءً ، فلو أصابها من المطر ما أصابها لم تنتفع منه بشيء .

فهذا مثل القلب الذي لا يقبل العلم والفقه والدراية ، وإنما هو بمنزلة الأرض البور التي لا تنبت ولا تحفظ ، وهو مثل الفقيرالذي لا مال له ولا يحسن يمسك مالا .

فالأول : عالم معلم ، وداع إلى الله على بصيرة ، فهذا من ورثة الرسل .

والثاني : حافظ مؤد لما سمعه ، فهذا يحمل لغيره ما يتجر به المحمول إليه ويستثمر .

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن (٢ / ١٨٨) كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٨٧) وقال : « وفي الباب عن جماعة من الصحابة » وقد جمع طرق هذا الحديث الشيخ عبد المحسن العباد في كتاب سماه « دراسة حديث « نضر الله امرءا سمع مقالتي ... » رواية ودراية » . وذكر أن الحديث صحيح وبلغ حد التواتر .

والثالث : لا هذا ولا هذا ، فهو الذي لم يقبل هدى اللّٰه ولم يرفع به رأسا فاستوعب هذا الحديث أقسام الخلق فى الدعوة النبوية ومنازلهم .

منها قسمان : قسم سعيد ، وقسم شقي »[1]

○○○○

(١) الرسالة التبوكية (ص ٥٥ ، ٥٦) .

المطلب الثالث

دليل الإجماع على وجوب طاعته

الإجماع من الأمة منعقد على وجوب طاعة الرسول ﷺ واتباعه في جميع ما جاء به من ربه عز وجل ، وذلك لثبوت الأمر بهذا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . بل إن الأمر بوجوب طاعته ﷺ يعد من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر إنسان بجهلها .

وقد حكى الشافعي رحمه الله تعالى اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، على أن من استبانت له سنة رسوله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

ولم يسترب أحد من أئمة الإسلام في صحة ما قاله الشافعي فإن الحجة الواجب اتباعها على الخلق كافة إنما هو قول المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى [1].

وقد تمثل إجماع الأمة على وجوب طاعة الرسول ﷺ واتباعه فى اعتبار السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وذلك بعد المصدر الأول الذي هو القرآن الكريم[2] .

والمقصود بالسنة هنا ما صح عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته .

فالصحابة والتابعون وتابعوهم ومن سار على نهجهم يؤمنون بهذا الأصل الذى هو سنة المصطفى ﷺ ، ويوجبون العمل والاحتجاج بها ، ويعتبرونها مصدرًا مستقلا فى التشريع ، فلا يجب عرض ما جاء عنه ﷺ على القرآن ، بل يجب اتباعه وطاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن .

---

(١) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص ٣٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٣٣٩) .

ولقد كان من مظاهر ذلك الإجماع الاعتناء بسنته وحفظها ونقلها ، وتعليمها فى كل عصر من العصور .

فلقد اعْتُني بالسنة فنقلها الخلف عن السلف ، وحافظوا عليها ، ووضعوا لها القواعد التي اعتنت بسلامتها سندًا ومتنًا .

والنقول عن السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم في وجوب طاعته ﷺ واتباع ما جاء به وتعظيمهم لسنته والعمل بها كثيرة جدًا . ومن تلك النقول ما يلي :

أ ـ الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين .

* أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه :

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : لما توفي رسول اللّه ﷺ وارتد من ارتد من العرب ، قال أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه واللّه لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . فقال له عمر رضي اللّه عنه : كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها » . فقال أبو بكر الصديق : أليست الزكاة من حقها ؟ واللّه لو منعوني عناقًا[1] كانوا يؤدونها إلى رسول اللّه ﷺ لقاتلتهم على منعها . فقال عمر رضي اللّه عنه : فما هو إلا أن عرفت أن اللّه قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق »[2] .

---

(١) العناق هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة . النهاية (٣ / ٣١١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، انظر : فتح الباري (٣ / ٢٦٢) ح ١٣٩٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه (١ / ٢٨) .

فهذه الحادثة تمثل مدى تمسك خليفة رسول الله ﷺ بما كان عليه الرسول ﷺ وحرصه على تطبيق شرعه فى وقت ارتد فيه أكثر العرب فى جزيرة العرب ، ولم يبق على الإسلام سوى أهل المدينة ومكة والطائف ، ولقد تابع الصحابة أبا بكر فى موقفه ذلك فقاتلوا أهل الردة بما فيهم مانعي الزكاة فكان موقفهم ذلك أوضح دليل على تعظيم السنة ووجوب العمل بها .

وقد جاءت الجدة إلى الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها فقال لها : ليس لك فى كتاب الله شيء ، ولا أعلم أن رسول الله ﷺ قضى لك بشيء وسأسأل الناس . ثم سأل رضي الله عنه الصحابة فشهد عنده بعضهم بأن النبي ﷺ أعطى الجدة السدس فقضى لها بذلك[(١)] .

وفي هذا دليل على : تمسك الصديق بسنة المصطفى والعمل بها ، وقال رضي الله عنه : « لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إنى أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ »[(٢)] .

وعن ابن سيرين[(٣)] قال : لم يكن أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الفرائض ، باب ميراث الجدة (ص ٣٤٦) رقم ١٠٨٧ وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الجدة (٣ / ٣١٦ ، ٣١٧) ح ٢٨٩٤ ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الفرائض ، باب ما جاء في ميراث الجدة (٤ / ٤١٩ ، ٤٢٠) ح ٢١٠٠ ، ٢١٠١ ، وأخرجه ابن ماجه في السنن ، أبواب الفرائض ، باب ميراث الجدة (٢ / ١٢٠) ح ٢٧٥٦

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فرض الخمس ، باب فرض الخمس فتح الباري (٦ / ١٩٧) ح ٣٠٩٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ « لا نورث وما تركنا صدقة » (٥ / ١٥٥)

(٣) محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم ، مولى أنس بن مالك ، تابعي جليل كان إمام وقته ، مات سنة ١١٠ هـ . تهذيب التهذيب (٩ / ٢١٤ ، ٢١٧) .

رضي الله عنه ، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر رضي الله عنه وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها أصلا ، ولا في السنة أثرا فاجتهد برأيه ، ثم قال هذا رأيي فإن كان صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني واستغفر الله »[١] .

* عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ورد عنه أنه كان يقول : « إن أصدق القيل قيل الله ، ألا وإن أحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة ضلالة .... »[٢]

وكان عمر رضي الله عنه يوصي عماله أن يقضوا بين الناس بكتاب الله فإن لم يجدوا القضية في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ فعن الشعبي[٣] عن شريح[٤] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إليه إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه الرجال ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ فاقض بها ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد من قبلك فاختر أي الأمرين شئت إن شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وإن

(١) إعلام الموقعين (١ / ٥٤) .

(٢) السنة للالكائي (١ / ٨٤) ح ١٠٠ ، والبدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٢٤) .

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي : أصله من حمير اليمن ، قال فيه مكحول « ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية من الشعبي وقد تولى القضاء في عهد عمر بن عبد العزيز على الكوفة ، توفي سنة ١٠٥ هـ وقيل قبل ذلك . تهذيب التهذيب (٥ / ٦٥ - ٦٩) .

(٤) شريح بن الحارث بن قيس الكندي ، القاضي ، مخضرم ، ثقة ، استقضاه عمر . مات قبل الثمانين أوبعدها . تهذيب التهذيب (٤ / ٣٢٦ ، ٣٢٨) .

شئت أن تتأخر فتأخر ولا أرى التأخر إلا خيرًا لك »[١].

وروى البخاري بسنده عن أبي وائل[٢] قال : جلست إلى شيبة في هذا المسجد ، قال : جلس إلي عمر في مجلسك هذا فقال : هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين . قلت : ما أنت بفاعل . قال : لم ؟ قلت : لم يفعله صاحباك . قال : هما المرءان يقتدى بهما »[٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قيل لعمر ألا تستخلف ؟ قال إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ . فأثنوا عليه ، فقال : راغب وراهب[٤]وددت أني نجوت منها كفافًا لا لي ولا علي لا أتحملها حيًا وميتًا »[٥].

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن (١ / ٦٠) ، وأورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٤٦) وعزاه للبيهقي والدارمي .

(٢) شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي ، أدرك النبي ﷺ ولم يره . قال ابن معين : « ثقة لا يسأل عن مثله » مات سنة ٨٢ هـ . تهذيب التهذيب (٤ / ٣٦١ ، ٣٦٣) .

(٣) أخرجه في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٤٩) ح ١٢٧٥

(٤) قال ابن حجر : « قال ابن بطال : يحتمل أمرين : أحدهما : أن الذين أثنوا عليه إما راغب في حسن رأيي فيه وتقربي له ، وإما راهب من إظهار ما يضمره من كراهته . أو المعنى راغب فيما عندي وراهب مني . أو المراد الناس راغب في الخلافة وراهب منها ، فإن وليت الراغب فيها خشيت أن لا يعان عليها ، وإن وليت الراهب منها خشيت أن لا يقوم بها .
وذكر القاضي عياض توجيها آخر : أنهما وصفان لعمر أي راغب فيما عند الله ، وراهب من عقابه فلا أعول على ثنائكم وذلك يشغلني عن العناية بالاستخلاف عليكم فتح الباري (١٣ / ٢٠٧) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف واللفظ له . انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٠٥ ، ٢٠٦) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الاستخلاف وتركه (٦ / ٤ ، ٥) .

وجاء في رواية لمسلم قال عبد الله : فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحدًا وأنه غير مستخلف »[١].

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه تمسك بسنة رسول الله ﷺ وقدمها على سنة أبي بكر مع أن العمل بها جائز عنده .

ولما قَبَّلَ رضي الله عنه الحجر الأسود قال : « أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك »[٢].

* عثمان بن عفان[٣] رضي الله عنه :

عن زينب بنت كعب بن عجرة[٤] أن الفريعة بنت مالك بن سنان[٥] وهي أخت أبي سعيد الخدري ، أخبرتها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلي أهلها في بني خدرة ، وأن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه . قالت : فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يترك لي مسكنًا يملكه ولا نفقة . قالت : فقال

---

(١) أخرجه في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الاستخلاف وتركه (٦ / ٥)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب الرمل في الحج والعمرة ، واللفظ له . انظر : فتح الباري (٣ / ٤٧١) ح ١٦٠٥ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (٤ / ٦٧) .

(٣) عثمان بن عفان ، ولد بعد الفيل بست سنين ، أسلم على يد الصديق ، وقد تزوج بنتي رسول الله ﷺ : رقية وأم كلثوم ولذلك سمي ذا النورين ، وقد ولي الخلافة سنة ٢٤ هـ وقعت في عهده الفتنة فقتل رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ . تهذيب التهذيب (٧ / ١٣٩ ، ١٤٢) .

(٤) زينب بنت كعب بن عجرة صحابية تزوجها أبو سعيد الخدري . الإصابة (٤ / ٣١٢) .

(٥) الفريعة بنت مالك بن سنان الخدرية ، صحابية جليلة وقصتها مذكورة في الحديث الذي معنا . الإصابة (٤ / ٣٧٥) .

رسول الله ﷺ : « نعم » . قالت : فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة (أو في المسجد) ناداني رسول الله ﷺ « أو أمر بي فنوديت له » ، فقال : « كيف قلت ؟ » قالت : فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي .

قال : « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » . قالت : فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا . قالت : فلما كان عثمان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته وقضى به[1] .

والشاهد من هذا الحديث أن عثمان لما أشكل عليه حكم اعتداد المرأة في بيتها بعد وفاة زوجها ، أرسل إلى الفريعة بنت مالك يسألها فأخبرته أن النبي ﷺ أمرها بعد وفاة زوجها أن تمكث في بيته حتى يبلغ الكتاب أجله .

فقضى عثمان رضي الله عنه بسنة المصطفي ﷺ .

* علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لما بلغه أن عثمان رضي الله عنه ينهي عن متعة الحج ، أهل علي رضي الله عنه بالعمرة والحج جميعا وقال : « ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد »[2] .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : « ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢ / ٥٩١) في الطلاق ، باب مقام المتوفي عنها زوجها في بيتها وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الطلاق ، باب في المتوفى عنها تنتقل (٢ / ٧٢٣ ، ٧٢٤) ح ٢٣٠٠ وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الطلاق ، باب ما جاء أين تعتد المتوفي عنها زوجها واللفظ له ، وقال : هذا حديث حسن صحيح (٣ / ٥٠٨) ح ١٢٠٤ وأخرجه النسائي ، في السنن الصغرى ، كتاب الطلاق باب مقام المتوفي عنها زوجها في بيتها حتى تحل (٦ / ١٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب التمتع والقران والإفراد بالحج ... انظر فتح الباري (٣ / ٤٢١) وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج ، باب جواز التمتع (٤ / ٤٦) .

أعمل بكتاب الله وسنة محمد ﷺ ما استطعت »[١] .

* أبي بن كعب رضي الله عنه[٢] :

روي عنه أنه قال : « عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدًا ، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة ، فتحات عنها ورقها ، إلا حط الله خطاياه كما تحات من الشجرة ورقها ، فإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وموافقة بدعة ، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون على منهج الأنبياء وسنتهم »[٣] .

* عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

روي عنه أنه قال : « من أحدث رأيًا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ لم يدر ما هو عليه إذا لقي الله عز وجل »[٤] .

وعنه رضي الله عنه قال : « عليك بتقوى الله والاستقامة واتبع ولا تبتدع »[٥]

---

(١) أورده القاضي عياض في الشفا (٢ / ٥٥٦) .

(٢) أبي بن كعب الأنصاري ، كان من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرا فما بعدها سيد القراء وهو أول من كتب للنبي ﷺ توفي سنة ٢٢ هـ . الإصابة (١ / ٣١ - ٣٢) .

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢ / ٢١ ، ٢٢) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١ / ٥٤) وأبو نعيم في الحلية (١ / ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ، باب الفتيا وما فيه من الشدة (١ / ٥٧) وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ، باب تغيير البدع (ص ٣٨) . وأورده الشاطبي في الاعتصام (١ / ٨١) .

(٥) أخرجه الدارمي في سننه ، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١ / ٥٣) .

* عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

روي عنه رضي الله عنه أنه قال : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[١] وعنه أنه قال : « إنا نقتدي ولا نبتدئ ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر »[٢].

وعنه رضي الله عنه أنه قال : « الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة »[٣] .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

فعن سالم بن عبد الله[٤] أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها » .

فقال بلال بن عبد الله[٥] والله لنمنعهن . قال : فأقبل عليه عبد الله فسبه سبًا سيئًا ما سمعته سبه مثله قط . وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لنمنعهن[٦] .

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ، باب في كراهة أخذ الرأي (١ / ٦٩) وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ، باب ما يكون من بدعة (ص ١٠) وأخرجه اللالكائي في السنة (١ / ٨٦) ح ١٠٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٨١) رجاله رجال الصحيح

(٢) أخرجه اللالكائي في السنة (١ / ٨٦) ح ١٠٦

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ١٠٣) وقال على شرطهما وأقره الذهبي ، واللالكائي في السنة (١ / ٥٥) ح ١٤ ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ١١) وابن عبد البر في جامعه (٢ / ٢٣٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٨٨) رجاله ثقات .

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أحد فقهاء المدينة السبعة ومن أفاضل التابعين ، مات سنة ١٠٦ هـ . تهذيب التهذيب (٣ / ٤٣٧ ، ٤٣٨) .

(٥) بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين وعده يحيى القطان في فقهاء أهل المدينة . تهذيب التهذيب (١ / ٥٠٤) .

(٦) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد (٢ / ٣٢) .

* حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

قال رضي الله عنه : « يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا ، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا »[١] .

قال ابن حجر : « فقوله : « يا معشر القراء » المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العباد . وقوله : « استقيموا » أي اسلكوا طريق الاستقامة وهي كناية عن التمسك بأمر الله فعلا وتركا . وقوله « سبقتم » بفتح أوله كما جزم به ابن التين وحكى غيره ضمه والأول المعتمد ، والمراد أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام فإذا تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير لأن من جاء بعده أن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام ، وإلا فهو أبعد منه حسًا وحكمًا . وقوله « فإن أخذتم يمينًا وشمالًا « أي خالفتم الأمر المذكور . وكلام حذيفة منتزع من قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[٢] .[٣]

ب ـ من أقوال التابعين ومن بعدهم :

عمر بن عبد العزيز[٤] رحمه الله تعالى :

فمما نقل عنه أنه كتب عامل له يسأله عن الأهواء ؟

فكتب إليه « أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنته

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب الاقتداء انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٥٠) .

(٢) الآية (١٥٣) من سورة الانعام .

(٣) فتح الباري (١٣ / ٢٥٧) باختصار يسير .

(٤) عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الأموي الصالح عده بعضهم خامس الخلفاء ، ولي الخلافة عام ٩٩ هـ وتوفي عام ١٠١ هـ وله أخبار في العدل والزهد كثيرة . تذكرة الحفاظ (١ / ١١٨) .

وسنة رسوله ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ... »[١]

وروي عنه أنه قال : « سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا ، الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، من عمل بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا »[٢] .

محمد بن مسلم الزهري[٣] :

روي عنه أنه قال : كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة ، والعلم يقبض قبضًا سريعًا ، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا ، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله[٤] .

مجاهد بن جبر[٥] :

روي عنه أنه قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية .

---

(١) الشريعة للآجري (ص ٤٨) وكتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٣٠) وكتاب الإعتصام للشاطبي (١ / ٥٠) وجامع بيان العلم وفضله (ص ٢١) .

(٢) الشريعة للآجري (ص ٤٨) وجامع بيان العلم وفضله (٢ / ٣٢) والإعتصام للشاطبي (١ / ٨٧) .

(٣) تابعي من أهل المدينة ، أول من دون الحديث وهو من كبار الحفاظ الفقهاء ، لقي بعض الصحابة قال مالك : « بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير » توفي عام ١٢٤ هـ .
التذكرة (١٠٨) والبداية (٩ / ٣٤٠) .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (١ / ٤٥) باب اتباع السنة .

(٥) هو مجاهد بن جبر المكي تابعي إمام في التفسير ، مات في السجود عام ١٠٤ هـ وقيل ١٠٣ هـ .
التذكرة (٩٢) ، والتهذيب (١٠ / ٤٢) .

قال الرد إلى الله : الرد إلى كتابه . والرد إلى الرسول ، الرد إلى السنة »[١].

أبو العالية[٢] :

روي عنه أنه قال : « تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا الصراط يمينًا أو شمالًا ، وعليكم بسنة نبيكم ، وما كان عليه أصحابه »[٣] .

أيوب السختياني[٤] :

روي عنه أنه قال : « إذا حدثت الرجل بسنة فقال : دعنا من هذا وأنبئنا عن القرآن ، فاعلم أنه ضال »[٥] .

ج ـ الأئمة الأربعة :

١ـ أبو حنيفة النعمان[١] :

روي عنه قوله رحمه الله : « إذا جاء عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين ،

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨ / ٥٠٥) .

(٢) أبو العالية رُفيع ـ بضم الراء مصغرا ـ بن مهران الرياحي ـ مولى امرأة من بني رياح ، قال أبو بكر ابن أبي داود : « ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية ، توفي عام ٩٣ هـ التذكرة (٦١) والطبقات (٧ / ١١٢) واللباب (٢ / ٤٦) .

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٣٢) وأورده الشاطبي في الإعتصام (١ / ٨٥)

(٤) هو : أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني ـ بفتح السين ـ نسبة إلى عمل السختيان وبيعه ـ وهي الجلود الضأنية ـ قال ابن سعد « كان أيوب ثقة ثبتًا في الحديث جامعًا عدلًا ورعًا كثير العلم حجة » توفي سنة ١٣١ هـ . انظر : الطبقات (٧ / ٢٤٦) واللباب (٢ / ١٠٨)

(٥) أورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص ٣٥) وعزاه للبيهقي .

(١) أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي ، أحد الأئمة الأربعة وإليه ينتسب الأحناف ولد سنة ٨٠ هـ ، وتوفي سنة ١٥٠ هـ . البداية (١٠ / ١٠٧) .

وإذا جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ نختار من قولهم ، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم[١] »

وروي عنه قوله : « آخذ بكتاب الله ، فما لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم أجد في كتاب الله ، ولا سنة أخذت بقول أصحابه ، آخذ بقول من شئت منهم ، وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم ... »[٢].

٢ـ مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) :

قال رحمه الله تعالى : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ، لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا »[٣]. وكان رحمه الله كثيرًا ما يقول :

وخير أمور الدين ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائع[٤]

ومن قوله كذلك : « قبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل ، فإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله ﷺ ولا نتبع الرأي »[٥].

وجاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة فقال له : قال رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فقال الرجل : أرأيت ، فقال مالك : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٦] [٧]

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ١١١) بتحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي .
(٢) المدخل إلى السنن (ص ٢٠٤) .
(٣) الإعتصام للشاطبي (١ / ٤٩) .
(٤) الاعتصام للشاطبي (١ / ٨٥) .
(٥) المصدر السابق (١ / ١٠٥) .
(٦) الآية (٦٣) من سورة النور .
(٧) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٢٠١) .

٣ ـ محمد بن إدريس الشافعي :

ورد عنه أنه قال : « الحجة في كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ واتفاق الأئمة »[١].

وقال : « ليس في سنة رسول اللَّه ﷺ إلا اتباعها »[٢]

وروى رحمه اللَّه يوما حديثًا فقال له رجل : أتأخذ بهذا يا أبا عبد اللَّه ؟ فقال : متى ما رويت عن رسول اللَّه حديثًا صحيحًا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب »[٣].

وروي عنه أنه قال : « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول اللَّه ﷺ فقولوا بسنة رسول اللَّه ﷺ ودعوا ما قلت »[٤].

وروي عنه أنه قال : « آمنت بما جاء عن اللَّه ، وبما جاء عن رسول اللَّه ﷺ على مراد رسول اللَّه »[٥].

٤ ـ أحمد بن حنبل (إمام أهل السنة) :

ورد عنه قوله : « أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين .

---

(١) رسالة التقليد لابن القيم (ص ٨٣) .

(٢) الشفا (٢ / ٥٥٨) .

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٢٠٥) رقم ٢٥٠ وأخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (ص ٦٧) وأبو نعيم في الحلية (٩ / ١٠٦) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١ / ١٥٠) وأورده السيوطي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص ٤٩ ، ٥٠)

(٤) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١ / ١٥٠) والمدخل إلى السنن (ص ٢٠٥) والحلية (٩ / ١٠٧) .

(٥) مجموع الفتاوى (٤ / ٢) .

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ ، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن ، وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هي الاتباع وترك الهوى »[1] .

وقال ايضا : « الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه ثم هو بعد مع التابعين مخير »[2] .

وما أوردته من آثار وأقوال عن السلف ههنا إنما هو عبارة عن نماذج لما ورد عنهم في هذا الشأن[3] .

ويتضح من خلال تلك النصوص إجماع سلف الأمة وأئمتها على وجوب الأخذ بسنة المصطفي ﷺ والتمسك بها في كل الجوانب واتباع ما جاء به ﷺ اعتقادا وقولا وعملا . والتحذير من مخالفة السنة والابتداع فيها وتقديم الهوى والرأى عليها .

○○○○

---

(١) السنة للالكائي (١ / ١٥٦)

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار (ص ١١٣) .

(٣) من أراد الاستزادة من أقوال السلف في هذا الشأن فعليه بالكتب التالية :

أ ـ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ اللالكائي .

ب ـ المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي .

ج ـ الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي

د ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي .

المبحث الثاني

منهج السلف في اتباعه وطاعته ﷺ

● وفيه مطلبان :

المطلب الأول : منهجهم في الاتباع .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ اتباع القرآن الكريم .

ب ـ اتباع سنته ﷺ والعمل بها .

ج ـ أخذهم بدليل الإجماع وأقوال الصحابة والقياس الذي لا يصادم النص الشرعي .

المطلب الثاني : محاربة السلف لما يناقض الاتباع .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ محاربتهم للبدعة .

ب ـ محاربتهم للتقليد .

ج ـ محاربتهم للرأي الباطل .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

منهجهم في الاتباع

بعث اللّه تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالرسالة الجامعة الخاتمة ألا وهي رسالة الإسلام التي ارتضاها عز وجل لتكون دينا ومنهاجا ، يسير عليه الجن والإنس في حياتهم الدنيا حتى يتم لهم صلاح معاشهم الذي هم فيه ، ومعادهم الذي سيصيرون إليه .

ولقد شاء تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الرسالة مصدرين للتلقي هما :

١ ـ القرآن الكريم . ٢ ـ السنة النبوية .

فالقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام وهو كلام اللّه المنزل على رسوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام .

والسنة هي المصدر الثاني لأنها مبينة لأحكامه موضحة لإبهامه ومخصصة لعمومه ومقيدة لإطلاقه وشارحة لأحكامه وأهدافه .

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

فالرسول ﷺ كما خص بالوحي المتلو وهو القرآن الكريم كذلك خص بالوحي غير المتلو وهو السنة التي لا مندوحة عن اتباعها .

---

(١) الآية (٤٤) من سورة النحل .

(٢) الآية (٦٤) من سورة النحل .

قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ . وقال ﷺ : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه »[١]. وبناء على ذلك فإن القرآن والسنة هما المنهلان العظيمان اللذان تستقي منهما الأمة المسلمة عقيدتها وشريعتها وكل ما فيه صلاح شؤونها في دنياها وآخرتها وهما المنهاج والنبراس الذي سار عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ، في طاعتهم واتباعهم للنبي ﷺ ، وذلك لاعتقادهم أن النبي ﷺ قد جاء بهذين الأصلين وحيا من عند اللّٰه عز وجل ، كما أنه أمر باتباعهما والأخذ بما فيهما اعتقادا وقولا وعملا .

قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[٢]

فهم من هذا المنطلق التزموا وتمسكوا بالقرآن والسنة وتلقوهما بالقبول والتسليم والإيمان والتعظيم فأحلوا حلالهما وحرموا حرامهما واتخذوا منهما منهجا لجميع شؤونهم وأحوالهم يرجعون إليه امتثالا لنداء اللّٰه حيث قال : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٣] .

قال ابن القيم : « إن الناس أجمعوا أن الرد إلى اللّٰه سبحانه هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته »[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (٥ / ١٠) ح ٤٦٠٤ وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٢٤٣) .

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٣) الآية (٥٩) من سورة النساء .

(٤) اعلام الموقعين (١ / ٤٩ ، ٥٠) .

ومن هذين الأصلين ـ الكتاب والسنة ـ استقى السلف المسلك القويم والمنهج السليم الذي ساروا عليه في طاعتهم واتباعهم لرسولهم ونبيهم محمد ﷺ وهذا المنهج يمكن تلخيصه في النقاط الرئيسية التالية :

أولا : اتباع القرآن الكريم :

فالقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وحيًا بواسطة جبريل عليه السلام ، والذي تولىٰ الله سبحانه وتعالى حفظه بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١) .

كما جعله نظامًا ومنهجًا يهتدي به عباده المؤمنون كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) .

ولقد اعتنى السلف بكتاب الله عز وجل فحفظوه في صدورهم ومصاحفهم وصاروا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، وينفذون أحكامه وشرائعه جيلا بعد جيل في جميع جوانب حياتهم الفردية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغيرها من الأمور الدنيوية والأخروية .

كما تفرغ عبر القرون ثلة من خيارهم لدراسته وتفسيره واستنباط أحكامه ومعرفة ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، والاعتبار بدعوته وقصصه ، ووعظه وإرشاداته وأمثاله .

وهذا الموقف من السلف الصالح يمثل مظهرا من مظاهر التأسي والاقتداء بما كان عليه النبي ﷺ ، كما يعد تطبيقا عمليا لما أوصى به عليه الصلاة والسلام أمته

---

(١) الآية (٩) من سورة الحجر .

(٢) الآية (٢) من سورة البقرة .

حيث قال : « تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب اللّه ... »[١]

ثانيا : اتباع سنته ﷺ والعمل بها :

فلقد أوجب اللّٰه على العباد طاعة رسوله ﷺ واتباعه وقد تقدم إيراد الأدلة على ذلك[٢] .

ولقد عمل السلف بما أوجبه اللّٰه تعالى فأخذوا بسنة نبيهم ﷺ وعملوا بها أمرًا ونهيًا وخبرًا ، فكانت أقواله وأفعاله وتقريراته هي المصدر الثاني بعد كتاب اللّٰه عز وجل الذي تستقي منه الأمة أحكامها وتشريعاتها في شتى شؤون حياتها .

ويعتقد السلف أن للسنة استقلاليتها في تشريع الأحكام وهي كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام ، فالأحكام التي سكت القرآن عن بيان حكمها وورد في السنة بيانها ، فإن السلف يعملون بهذه الأحكام ويأخذون بها ، ولا يرون أن هناك تعارضا البتة بين الأصلين .

كما يعتقد السلف أن علاقة السنة بالمصدر الأول الذي هو القرآن تسير وفق الأوجه الثلاثة التالية :

١ـ أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه ، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها وذلك مثل الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم من غير تعرض لشرائطها وأركانها .

٢ ـ أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرًا له ، وذلك مثل الأحاديث التي فصلت أحكام وهيئات الصلاة والصيام والحج والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن ، وهذا القسم هو أغلب ما في السنة وأكثرها ورودًا .

(١) تقدم تخريجه ص ١٢٠

(٢) انظر : المبحث الأول من هذا الفصل .

٣ ـ أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن على إيجابه ، أو محرمة لما سكت عن تحريمه ، كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وأحكام الشفعة وغير ذلك .

فالسنة الصحيحة لا تخرج عن هذه الضوابط ، كما أنها لا تعارض القرآن بوجه ما ، فما كان منها زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه ولا تحل معصيته ، وليس هذا تقديما لها على كتاب اللَّه ، بل امتثال لما أمر اللَّه به من طاعة رسوله التي أمر اللَّه بها على جهة الاستقلال فقال تعالى : ﴿ وأطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول ﴾ وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع اللَّه ﴾ فهذه الطاعة المأمورون بها هي طاعة مختصة به ﷺ[1] .

ويجب علينا العمل بها .

فالسلف يؤمنون « بأن اللَّه سبحانه نصّب رسول اللَّه ﷺ منصب المبلغ المبين عنه ، فكل ما شرعه للأمة فهو بيان منه عن اللَّه أن هذا شرعه ودينه ، ولا فرق بين ما يبلغه عنه من كلامه المتلو ومن وحيه الذي هو نظير كلامه في وجوب الاتباع ، ومخالفة هذا كمخالفة هذا .

فعلى سبيل المثال فإن اللَّه أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ، ثم جاء البيان عن رسوله ﷺ بمقادير ذلك وصفاته وشروطه ، فوجب على الأمة قبوله ، إذ هو تفصيل لما أمر اللَّه به ، كما يجب علينا قبول الأصل المفصل ، وهكذا أمر اللَّه سبحانه بطاعته وطاعة رسوله ، فإذا أمر الرسول بأمر ، كان تفصيلًا وبيانًا للطاعة المأمور بها ، وكان فرض قبوله

---

(١) إعلام الموقعين (٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨) .

كفرض قبول الأصل المفصل ، ولا فرق بينهما ، والبيان من النبي ﷺ على أقسام :

أحدها : بيان نفس الوحي بظهوره على لسانه بعد أن كان خفيا .

الثاني : بيان معناه وتفسيره لمن احتاج إلى ذلك كما بين أن الظلم المذكور في قوله ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾[1] هو الشرك وأن الحساب اليسير هو العرض وأن الخيط الأبيض والأسود هما بياض الليل وسواد النهار .

الثالث : بيانه بالفعل كما بين أوقات الصلاة للسائل بفعله .

الرابع : بيان ما سئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن فنزل القرآن ببيانها ، كما سئل عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره .

الخامس : بيان ما سئل عنه بالوحي وإن لم يكن قرآنا ، كما سئل عن رجل أحرم في جبة بعدما تضمخ بالخلوق فجاء الوحي بأن ينزع عنه الجبة ويغسل أثر الخلوق .

السادس : بيانه للأحكام بالسنة ابتداءً من غير سؤال ، كما حرم عليهم لحوم الحمر ، والمتعة ، وصيد المدينة ، ونكاح المرأة على عمتها وخالتها،وأمثال ذلك .

السابع : بيانه للأمة جواز الشيء بفعله هوله ، وعدم نهيهم عن التأسي به .

الثامن : بيان جواز الشيء بإقراره لهم على فعله وهو يشاهده ، أو يعلمهم يفعلونه .

التاسع : بيانه إباحة الشيء عفوا بالسكوت عن تحريمه وإن لم يأذن فيه نطقًا .

العاشر : أن يحكم القرآن بإيجاب شيء أو تحريمه أو إباحته ويكون لذلك الحكم شروط وموانع وقيود وأوقات مخصوصة وأحوال وأوصاف ، فيحيل الرب سبحانه وتعالى على رسوله في بيانها كقوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا

(١) الآية (٨٢) من سورة الأنعام .

وَرَاءَ ذَلِكُمْ ﴾[1] فالحل موقوف على شروط النكاح وانتفاء موانعه وحضور وقته وأهلية المحل »[2] .

ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية السنة ومكانتها ودورها في التشريع انطلقت أفعال السلف مترجمة لهذا التصور فكان من تلك الأفعال أن اعتنى السلف بالسنة فتظافرت جهود العلماء من لدن الصحابة والتابعين على حفظ السنة والعناية بها وصيانتها فحظيت منذ ذلك الحين بسياج من الحماية منقطع النظير ، وقد اتبع الصحابة في ذلك كل سبيل يحفظ للسنة نورها وصفاءها ، وكان من ذلك التحري والتثبت في روايتها خشية الوقوع في الخطأ وخوفًا من أن يتسرب إليها التصحيف والتحريف ، بل إن بعضهم فضل الإقلال من الرواية .

قال ابن قتيبة[3] « كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية أو أتى بخبر الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا من الرواية يريد بذلك أن لا يتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي .

وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكر والزبير[4] وأبي عبيدة[5] والعباس بن عبد المطلب . يقلون الرواية عنه بل كان

---

(١) الآية (٢٤) من سورة النساء .

(٢) أعلام الموقعين (٢ / ٣١٤ ، ٣١٥) .

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، صاحب التصانيف ، صدوق قليل الرواية ، توفي سنة ٢٧٦ هـ . لسان الميزان (٣ / ٣٥٧ - ٣٥٩) .

(٤) الزبير بن العوام : من أول من أسلم بمكة ، كان يسميه رسول الله ﷺ « حواريه » لمحبته له ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، قتل سنة ٣٦ هـ . الإصابة (١ / ٥٢٦ - ٥٢٨) .

(٥) أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح ، أمين هذه الأمة ، وأحد العشرة السابقين إلى الإسلام ، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها ، توفي سنة ١٨ هـ . الإصابة (٢ / ٢٤٣ - ٢٤٥) .

بعضهم لا يكاد يروى شيئا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[١] وهو أحد العشر المشهود لهم بالجنة »[٢] .

ولقد تبعهم من بعدهم من التابعين ومن بعدهم على ذلك .

وكما احتاط السلف في التحديث احتاطوا وتثبتوا كذلك في قبول الأخبار عن رسول الله ﷺ ، قال الذهبي : « كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب[٣] عن قبيصة بن ذؤيب[٤] أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال : لا أجد لك في كتاب الله شيئًا وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس فقام المغيرة وقال سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس . فقال : هل معك غيرك فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه »[٥] .

واستشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في إملاص المرأة[٦] . فقال المغيرة بن شعبة[٧] : شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمة .

---

(١) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، شهد أحدًا والمشاهد بعدها وكان من فضلاء الصحابة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة توفي بالمدينة سنة خمسين وقيل بعد ذلك . الإصابة (٢ / ٤٤) .

(٢) كتاب تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة الدينوري (ص ٣٠) .

(٣) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، تقدمت ترجمته (ص ١٧٨) .

(٤) قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي ، تابعي ثقة ، ولد عام الفتح ، وكان من فقهاء أهل المدينة وصالحيهم ، مات سنة ٨٦ هـ وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب (٨ / ٣٤٦ ، ٣٤٧) .

(٥) تقدم تخريجه ص ٢٠٤

(٦) هو أن تزلق الجنين قبل وقت الولادة . النهاية (٤ / ٣٥٦) .

(٧) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ، صحابي جليل ، أسلم قبل عمرة الحديبية ، وشهدها وبيعة الرضوان ، وكان من دهاة العرب . مات سنة خمسين عند الأكثر . الإصابة (٣ / ٤٣٣ ، ٤٣٤) .

فقال عمر : ائتني بمن يشهد معك . قال فشهد له محمد بن مسلمة[١][٢].

وحدث لعمر مثل هذه الحادثة مع كثير من الصحابة منهم أبي بن كعب وأبو موسى وفي رواية قال عمر لأبي موسى : « أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ »[٣].

وعن علي رضي الله عنه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه غيري استحلفته فإذا حلف لي صدقته .. »[٤]

وهذا التثبت من الصحابة رضوان الله عليهم كان الحامل لهم عليه هو ألا يسترسل الناس في رواية الحديث ويتساهلوا فيه من غير تحر وتثبت كاف فيقعوا في الكذب على رسول الله ﷺ من حيث شعروا أو لم يشعروا ، ويدلك على ذلك قول عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعرى « أما إني لم اتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ » .

وهذه الشواهد عن ثلاثة من الخلفاء الراشدين تترجم حرصهم وجهودهم في المحافظة على السنة بأن لا يشوبها ما ليس منها .

وقد تتابعت الجهود من الصحابة ومن جاء بعدهم على حفظ السنة وحمايتها إلى أن قعدت القواعد ووضعت الضوابط التي يعرف بها قوة الحديث أو وهنه وكان من تلك الضوابط علم إسناد الحديث فقد اعتني بهذا الجانب منذ وقت

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٣

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب القسامة ، باب دية الجنين (٥ / ١١١ ، ١١٢) .

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢ / ٩٦٤) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٢) ، وأخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب أقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة (١ / ٤٤٦) ح ١٣٩٥

مبكر ، واهتم به العلماء حتى جعلوه من الدين قال عبد اللّٰه بن المبارك »[١] « الإسناد من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء « وقال : « بيننا وبين القوم قوائم » يعنى الإسناد[٢] .

ولقد اشتغل علماء الحديث بنقد الرواة وبيان حالهم ومن تقبل روايته ومن لا تقبل من خلال دراسة الراوي سيرة وتاريخًا ومعتقدًا وسلوكًا ، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم ، وقد قيل ليحي بن سعيد القطان[٣]« أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند اللّٰه يوم القيامة ؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصمي أحب الى من أن يكون خصمي رسول اللّٰه ﷺ يقول : لِمَ لَمْ تَذبَّ الكَذِبَ عَنْ حَدِيثي[٤] » .

وهذه لمحة واشارة لما بذله السلف من جهود في حفظ السنة والذب عنها لتبقى منهلا صافيا تستقي منه الأمة أمور دينها ودنياها وآخرتها حتى يتحقق لها اتباع رسولها محمد ﷺ الذي أمر اللّٰه بالاقتداء به والسير على نهجه والطاعة له في كل ما جاء به ﷺ .

ثالثا : ثم يلي الكتاب والسنة : فيما يجب التسليم له من أصول ما كان في معناهما بدليل جامع والمراد بذلك الإجماع والقياس الجلي الذي لا يصادم النص الشرعي .

---

(١) عبد اللّٰه بن المبارك المروزي ، الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، كان ثقة ، مأمونًا ، حجة ، كثير الحديث ، مات سنة ١٨١ هـ . تهذيب التهذيب (٥ / ٣٨٢ - ٣٨٩) .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى للدكتور مصطفي السباعي (ص ٩٢) .

(٣) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان ، من حفاظ الحديث ، ثقة حجة من أقران مالك وشعبة ، مات سنة ١٩٨ هـ . تهذيب التهذيب (١١ / ٢١٦ - ٢٢٠) .

(٤) السنة ومكانتها (ص ٩٣) .

قال الشافعي : « الحجة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واتفاق الأئمة »[١].

وقال أيضًا : « والعلم طبقات ، الأولى : الكتاب والسنة الثابتة ثم الإجماع فيما ليس في كتاب ولا سنة .

الثالثة : أن يقول الصحابي فلا يعلم له مخالف من الصحابة .

الرابعة : اختلاف الصحابة .

الخامسة : القياس[٢] .

○ ○ ○ ○

(١) (٢) اعلام الموقعين (٢ / ٢٤٨) .

المطلب الثاني

محاربة السلف لما يناقض الاتباع

من الأمور التي سار عليها السلف في طاعتهم واتباعهم للنبي ﷺ ، وجعلوها منهجا لهم في الاتباع محاربتهم لذلك الثالوث الخطير المتمثل في البدعة التقليد ، الرأي .

فالسلف يعدون ذلك الثالوث مرضًا خطيرًا متى استشرى وانتشر في الأمة فإنه يفتك بعقيدتها وما هي عليه من الاتباع والسنة .

قال ابن عباس رضي اللّٰه عنهما : « ما من عام إلا والناس يحيون فيه بدعة ويميتون فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن »[١] .

وعن جابر بن زيد[٢] أن ابن عمر لقيه في الطواف فقال : يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة فلا تفت إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت »[٣] .

وعن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه قال : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا إن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر »[٤] .

وهذه النصوص الثلاثة المنقولة عن ثلاثة من أصحاب رسول اللّٰه ﷺ تصور عظم خطر تلك الأمور على الأمة كما تصور حرصهم على تحذير الأمة من

---

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٣٩) .

(٢) جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء البصري ، تابعي ، ثقة ، كان من أعلم الناس بكتاب اللّٰه ، مات سنة ٩٣ هـ وقيل بعدها . تهذيب التهذيب (٢ / ٣٨) .

(٣) أخرجه الدارمي في السنن (١ / ٥٩) .

(٤) إعلام الموقعين (٢ / ١٩٥) .

خطرها وشرها الذي يهدد عقيدتهم وماهم عليه من الاتباع والسنة .

أ- محاربتهم للبدعة :

فأول تلك الأمور وأشدها خطرا على الأمة « البدعة » فالابتداع في الدين قد حذر منه النبي ﷺ بقوله : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[١]

وقال : « فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »[٢] .

كما بين حكم البدعة بقوله : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »[٣]

ومع وقفة تأمل لما ورد في هذه الأحاديث نلمس الأمور التالية :

ففي الحديث الأول والثاني وصف ﷺ البدعة بكونها ضلالةً وانحرافًا عن الطريق والصراط المستقيم الذي رسمه ﷺ لهذه الأمة والذي أوجب الله علينا اتباعه فيه .

فالبدعة في الدين طريق غواية وضلال يجب الحذر منه والبعد عنه وهي إضافة إلى ذلك فإنها مخالفة لسنة المصطفي ﷺ ومحاربة لما جاء به من الهدى والنور إذ الوقوع في هذا المزلق الخطير الذي هو « البدعة » يترتب عليه

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٩٦) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣ / ١١) .
وأخرجه البخاري موقوفًا ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .
انظر : فتح الباري (١٣ / ٢٤٩) ح ٧٢٧٧

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٥ / ١٣٢) وفي رواية « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وهذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود . فتح الباري (٥ / ٣٠١) ح ٢٦٩٧

أمور خطيرة منها الطعن في الدين لأن لسان حال المبتدع يقول إن الشريعة لم تتم وإنه بقي منها أشياء يجب استدراكها ، لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولم يستدرك عليها .

وإضافة إلى ذلك فإن المبتدع معاند للشرع ومشاق له لأن الشارع قد عين لمطالب العبد طرقًا خاصة على وجوه خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد ، وأخبر أن الخير فيها وأن الشر في تعديها إلى غير ذلك .

فالمبتدع بحاله تلك يزعم أن ثم طرقا أخر وليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ما عينه بمتعين ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لا يعلم الشارع وأحاط بما لم يحط به وهذا هو بعينه الضلال المبين الذي وصف النبي ﷺ البدعة به حيث قال : « وكل بدعة ضلالة »[١] .

ومع هذا وذاك فقد تجعل البدعة مع مرور الزمن ونتيجة لانتشارها بين الناس من الدين ، فتصبح سنة يستنون بها وبخاصة العوام منهم الذين اعتادوا على التقليد والأخذ بكل ما هو منتشر بين الناس . بينما في الوقت نفسه تصبح السنن لغرابتها والجهل بها بدعًا وهذا هو الحال في كل زمان ومكان انتشرت وعمت فيه البدع وقل فيه العلماء بأمور السنة .

وأما الحديث الثالث وهو قوله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » فهو حكم صريح على كل أمر محدث مبتدع في الدين وليس له أصل في الشرع بالرد وعدم القبول ولاشك أن هذا الحكم بتر لكل ما هو مبتدع في دين الله وشرعه ، وإسقاط له . إضافة إلى كونه حماية لشرع الله

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (ص ٩٩) بتصرف .

من كل ما يخل به .

ولقد اتخذ السلف من أحاديث النبي ﷺ في هذا الشأن قواعد ساروا عليها في سبيل محافظتهم على السنة وصيانتها من شوائب البدع وشرورها .

وإن المتأمل للنصوص الورادة عنهم في هذا الخصوص يلمس مدى حرصهم وتطبيقهم للتوجيهات النبوية التي تلقوها عن رسول الهدى ﷺ .

فعن عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه قال : « اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[١] .

وعنه أنه رأى أناسًا يسبحون بالحصا فقال : « على اللّٰه تحصون لقد سبقتم أصحاب محمد علما أو لقد أحدثتم بدعة ظلما »[٢] .

وعنه أنه قال : « الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة »[٣] .

وعن حذيفة رضي اللّٰه عنه أنه قال : أخوف ما أخاف على الناس اثنتان أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون ، وأن يضلوا وهم لا يشعرون .

قال سفيان : هو صاحب البدعة[٤] .

وكان حذيفة رضي اللّٰه عنه يدخل المسجد فيقف على الحَلق فيقول : يا معشر القراء اسلكوا الطريق فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقا بعيدًا ، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا »[٥] .

---

(١) أخرجه محمد بن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ١٠) .

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ١١) .

(٣) تقدم تخريجه ص ٢١٠

(٤) الابداع في مضار الابتداع (ص ٩٦) .

(٥) تقدم تخريجه (ص ٢١١) وأخرجه كذلك ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ١٠) واللفظ له .

وعن عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهما أنه قال : « واللّٰه ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحب إلى الشيطان هلاكًا مني . فقيل : كيف ؟ فقال : واللّٰه إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنة فترد عليه »[١] .

وعنه رضي اللّٰه عنه أنه قال : « عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع »[٢].

وعن معاذ بن جبل رضي اللّٰه عنه قال : « أوشك قائل من الناس يقول : قد قرأت القرآن ولا أرى الناس يتبعوني ، ما هم متبعي حتى ابتدع لهم غيره ، فإياكم وما ابتدع فان كل ما ابتدع ضلالة »[٣] .

وعنه أنه قال : « أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع ألا وإن رفعه ذهاب أهله ، وإياكم والبدع والتبدع والتنطع وعليكم بأمركم العتيق »[٤] .

وعن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال : « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة »[٥] .

وعن الحسن البصري[٦] قال : « صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا صيامًا وصلاة إلا ازداد من اللّٰه بعدًا »[٧] .

---

(١) أخرجه اللالكائي في السنة (١ / ٥٥) ح ١٢

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٢٥) .

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٢٥) .

(٤) المصدر السابق (ص ٢٥) .

(٥) أخرجه اللالكائي في السنة (١ / ٩٢) ح ٢٢٦

(٦) الحسن بن يسار البصري ، ولد في عهد عمر ، كان جامعا ، عالما ، رفيعا ، ثقة ، مأمونًا ، عابدًا ، ناسكًا كبير العلم فصيحًا توفي سنة ١١٠ هـ . الطبقات لابن سعد (٧ / ١٥٦) .

(٧) البدع والنهي عنها لابن وضّاح (ص ٢٧) .

وعنه قال : « لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك »[(١)] .

وعن أيوب السختياني أنه كان يقول : « ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من اللَّه بعدا »[(٢)] .

وعن سفيان الثوري قال : « من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره . وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله اللَّه في النار . وإما أن يقول واللَّه ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي فمن أمن اللَّه على دينه طرفة عين سلبه إياه »[(٣)] .

وقال : « البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها »[(٤)] .

وعن أبي قلابة[(٥)] أنه قال : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون »[(٦)] .

وبعد فما نقلته ههنا يعد جزءًا يسيرًا جدًّا مما ورد عن السلف من نصوص في الحث على ترك الابتداع في الدين والتحذير من مخاطره ومغبة الإقدام عليه وموقفهم من أهله ، فلقد اشتد نكير السلف على البدعة وأصحابها والمجال هنا لا يتسع للاستفاضة في هذا الموضوع ، وبما ذكر يحصل المقصود .

(١) المصدر السابق (ص ٤٧) .

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٢٧) .

(٣) المصدر السابق (ص ٤٧) .

(٤) مجموع الفتاوى (١١ / ٤٧٢) .

(٥) أبو قلابة : عبد اللَّه بن زيد الجرمي أحد الأعلام قال أيوب السختياني (كان واللَّه من الفقهاء ذوي الألباب) توفي سنة ١٠٤ هـ وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب (٥ / ٢٢٤ ، ٢٢٦) .

(٦) البدع والنهي عنها (ص ٤٨) .

ب ـ محاربتهم للتقليد :

وأما الأمر الثاني من الأمور التي تشكل خطورة على الاتباع والسنة في رأي السلف فهو « التقليد » والفرق بينه وبين الاتباع أن التقليد : هو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه .

وأما الاتباع : فهو ما ثبت عليه الحجة .

فكل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده . وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه .

والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع[1] .

والتقليد الممنوع على ثلاثة أشكال :

أحدها : الإعراض عما أنزل اللّٰه وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء أو المشايخ

الثاني : تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله .

الثالث : التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد .

ولقد حارب السلف هذا النوع من التقليد وذموه واعتبروه مزلقا خطيرا يحرف المسلم وينحيه عن المنبع الذي يستمد منه دينه ، ويجعله عرضة لكل بدعة ، ومنقادا لكل شبهة ، وتبعًا لكل ناعق وإضافة إلى ذلك فإن التقليد له صلة وثيقة بالبدعة فالبدعة تؤخذ في غالب الأمر تقليدا لشيخ يعظم أو والد يحترم أو مجتمع تقدس فيه عاداته ، ولذلك كان التقليد والابتداع سببين رئيسيين في ضلال الأمم وانحرافها عن منهج أنبيائهم .

وقد حكى اللّٰه في كتابه العزيز عن بني إسرائيل أنهم سألوا موسى عليه

---

(١) إعلام الموقعين (٢ / ١٩٧) .

السلام أن يجعل لهم إلهًا من الأصنام مقلدين في ذلك من مرّوا عليهم من عباد الأصنام قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

كما ذكر سبحانه أن ما وقع فيه اليهود والنصارى من الكفر بقول اليهود عزير ابن اللّه وقول النصارى المسيح ابن اللّه إنما هو نتيجة التقليد لمن قبلهم من الوثنيين قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٢) .

كما ذم سبحانه صنيع اليهود والنصارى مع علمائهم حيث قلدوهم في جميع ما يقولون ، فأحلوا لهم ما حرم اللّه ، وحرموا عليهم ما أحل اللّه قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(٣) .

كما ذم سبحانه وتعالى من امتنع عن قبول الحق تقليدًا للآباء فقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾(٤) .

قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى : « وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال

---

(١) الآيتان (١٣٨ ، ١٣٩) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٣٠) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٤) الآيتان (٢٣ ، ٢٤) من سورة الزخرف .

التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها ، لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر ، وإنما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة للمقلد ، كما لو قلد رجلا فكفر ، وقلد آخر فأذنب ، وقلد آخر في مسألة فأخطأ وجهها ، كان كل واحد ملومًا على التقليد بغير حجة ، لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضًا وإن اختلفت الآثام فيه »(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « إني لا أخاف على أمتي من بعدي إلا من أعمال ثلاثة » قالوا : وما هي يارسول الله ؟ قال : « أخاف عليهم زلة العالم ، ومن حكم جائر ، ومن هوى متبع »(٢) ومن المعلوم أن المخوف من زلة العالم تقليده فيها ، إذ لولا التقليد لما يخف من زلة العالم على غيره .

قال ابن القيم : « والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وبيان زلة العالم ليبينوا بذلك فساد التقليد ، وأن العالم قد يزل ولابد إذ ليس بمعصوم ، فلا يجوز قبول كل ما يقوله وينزل قوله منزلة قول المعصوم ، فهذا الذي ذمه كل عالم على وجه الأرض ، وحرموه ، وذموا أهله ، وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم ، فإنهم يقلدون العالم فيما زل فيه وفيما لم يزل فيه ، وليس لهم تمييز بين ذلك ، فيأخذون الدين بالخطأ ولابد فيحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، ويشرعون ما لم يشرع ، ولابد ، لهم من ذلك إذ كانت العصمة منتفية عمن قلدوه ، فالخطأ واقع منه ولابد »(٣) .

قال الشعبي : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « يفسد الزمان ثلاثة :

---

(١) إعلام الموقعين (٢ / ١٩١) .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ، المقدمة باب ٢٣

(٣) إعلام الموقعين (٢ / ١٩٢) .

أئمة مضلون ، وجدال منافق بالقرآن ، والقرآن حق ، وزلة عالم[١]» وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ويل للأتباع من عثرات العالم » . قيل : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : « يقول العالم من قبل رأيه ، ثم يسمع الحديث عن النبي ﷺ فيدع ما كان عليه وفي لفظ « فيلقى من هو أعلم برسول الله ﷺ منه فيخبره فيرجع ويقضي الأتباع بما حكم »[٢] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا إن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر »[٣] .

قال ابن القيم : « والفرق بين تجريد متابعة المعصوم ﷺ وإهدار أقوال العلماء وإلغائها : أن تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنا من كان . بل تنظر في صحة الحديث أولًا . فإذا صح لك نظرت في معناه ثانيا ، فإذا تبين لك لم تعدل عنه ولو خالفك من بين المشرق والمغرب ، ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مخالفة ما جاء به نبيها بل لابد أن يكون في الأمة من قال به ولو لم تعلمه فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله بل اذهب إلى النص ولا تضعف واعلم أنه قد قال به قائل قطعا ولكن لم يصل إليك . هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه فهم دائرون بين الأجر والأجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها بشبهة أنه أعلم بها منك ، فإن كان كذلك فمن ذهب إلى النص أعلم به منك أيضا فهلا وافقته إن كنت صادقا ؟ .

(١،٢) المصدر السابق (٢ / ١٩٣) .

(٣) إعلام الموقعين (٢ / ١٩٥) .

فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها ، وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فإنهم كلهم أمروا بذلك فمتبعهم حقًّا من امتثل ما أوصوا به لا من خالفهم ، فخلافهم في القول الذي جاء النص بخلافه أسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي أمروا بها ودعوا إليها من تقديم النص على أقوالهم .

ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في كل ما قال وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه .

فالأول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة بل يجعل ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يقلد به ولذلك سمى تقليدا .

بخلاف من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول إلى سُنَّة الرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، فانه يجعلهم بمنزلة الدليل إلى الدليل الأول فإذا وصل استغنى بدلالته على الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم على القبلة فإنه إذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى .

قال الشافعي : « أجمع الناس على أن من استبانت له سنة الرسول ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد »[١] .

ج ـ محاربتهم للرأي الباطل :

وأما الأمر الثالث من الأمور التي يرى السلف أنها تناقض الاتباع وتضاده فهو « الرأي » .

فعن عبد اللّٰه بن عمر بن العاص قال : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « ان اللّٰه لا

---

(١) الروح لابن القيم (٢ / ٧٦٨ ، ٧٦٩) .

ينزع العلم بعد إذ أعطاكموه انتزاعا ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون »[١] والمقصود به هو الرأي الباطل الذي ليس من الدين ، لأن الرأي ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ رأي باطل بلا ريب .

٢ ـ رأي صحيح .

٣ ـ رأي هو موضع الاشتباه .

والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف ، فاستعملوا الرأي الصحيح وعملوا به وأفتوا به ، وسوغوا القول به . وذمُّوا الباطل ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله .

والقسم الثالث : سوغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بد ، ولم يلزموا أحدا العمل به ، ولم يحرموا مخالفته ولا جعلوا مخالفه مخالفًا للدين ، بل غايته أنهم خيروا بين قبوله ورده ، فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه[٢] .

والحديث ههنا يتناول الرأي الباطل فقط وهو على أنواع :

أحدها : الرأي المخالف للنص ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه ، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء ، وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد .

الثاني : هو الكلام في الدين بالخرص والظن ، مع التفريط والتقصير في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام ، باب ما يذكر من ذم الرأي .
فتح الباري (١٣ / ٢٨٢) ح ٧٣٠٧ .

(٢) إعلام الموقعين (١ / ٦٧) . وقد تناول ابن القيم في هذا الكتاب القول بالتفصيل عن أنواع الرأي فمن أراد التوسع والاستفادة فليرجع إليه .

معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها ، فان من جهلها وقاس برأيه فيما سئل عنه بغير علم ، بل لمجرد قدر جامع بين الشيئين ألحق أحدهما بالآخر أو لمجرد قدر فارق يراه بينهما يفرق بينهما في الحكم ، من غير نظر إلى النصوص والآثار ، فقد وقع في الرأي المذموم الباطل .

النوع الثالث : الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية[١] والمعتزلة[٢] والقدرية[٣] ومن ضاهاهم ، حيث استعمل أهله قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة الصريحة ، فردوا لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم ، ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلًا ، فقابلوا النوع الأول بالتكذيب ، والنوع الثاني بالتحريف والتأويل ، فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده ، وأنكروا مباينته للعالم ، واستواءه على عرشه وعلوه على المخلوقات ، وعموم قدرته على كل شيء ، بل أخرجوا أفعال عباده من الملائكة والأنبياء والجن والإنس عن تعلق قدرته ومشيئته وتكوينه لها ، ونفوا لأجلها حقائق ما أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله ، وحرفوا لأجلها النصوص عن مواضعها وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرد الذي حقيقته أنه زبالة الأذهان ونخالة الأفكار وعفارة[٤] الآراء ووساوس الصدور فملؤا به الأوراق سوادًا والقلوب شكوكًا ، والعالم فسادًا .

---

(١) تقدم تعريفهم ص ١٦٠

(٢) تقدم تعريفهم ص ١٥٩

(٣) سموا بذلك لقولهم في القدر وهم يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله استقلالا ، فأثبتوا خالقًا مع الله . الملل والنحل (١ / ٥٤) ومجموع الفتاوى (٨ / ٢٥٦)

(٤) العفارة : الخبث والشيطنة . النهاية (٣ / ٢٦٢) .

وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي ، والهوى ، على العقل ، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه ، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد ، فلا إله إلا اللّٰه كم نفي بهذه الآراء من حق ، وأثبت بها من باطل ، وأميت بها من هدى وأحيي بها من ضلالة ؟ وكم هدم بها من معقل للإيمان ، وعمر بها من دين الشيطان ؟ وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل بل هم شر من الحمر ، وهم الذين يقولون يوم القيامة ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[1] .

النوع الرابع : الرأي الذي أحدثت به البدع ، وغيرت به السنن وعم به البلاء ، وتربى عليه الصغير وهرم فيه الكبير .

فهذه الأنواع الأربعة من الرأي الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه وإخراجه من الدين[2] .

ومما ورد عن السلف في ذم الرأي الذي من هذا القبيل ما يلي :

عن أبي بكر الصديق رضي اللّٰه عنه أنه قال : « أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب اللّٰه برأيي ، أو بما لا أعلم »[3] .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه أنه قال : « اتقوا الرأي في دينكم »[4] .

وروي عنه كذلك قوله : « أصحاب الرأي أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث

---

(١) الآية (١٠) من سورة الملك .

(٢) إعلام الموقعين (١ / ٦٧ - ٦٩) .

(٣) المصدر السابق (١ / ٥٤) .

(٤) إعلام الموقعين (١ / ٥٥) .

أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها ، واستحيوا حين سُئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم ، فإياكم وإياهم »[1] .

وعن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه أنه قال : « لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه »[2] .

وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : « إنما هو كتاب اللّه وسنة رسول اللّه ﷺ فمن قال بعد ذلك برأيه فلا أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته »[3].

وعن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه أنه قال : « لا يأتي عليكم عام إلا هو شر من الذي قبله ، أما إني لا أقول أمير خير من أمير ، ولا عام أخصب من عام ، ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفا ، ويجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم »[4] .

ومما ورد كذلك من الآثار عن التابعين ما يلى :

قول الشعبي : « ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول اللّه ﷺ فخذوه ، وما كان رأيهم فاطرحوه في الحش »[5] .

وعن ابن شهاب الزهري قال : « دعوا السنة تمضي ، لا تعرضوا لها بالرأي »[6].

---

(١) المصدر السابق (١ / ٥٥) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الطهارة ، باب كيف المسح (١ / ١١٤ ، ١١٥) ح ١٦٢ وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين (١ / ٥٨) .

(٣) إعلام الموقعين (١ / ٥٨ ، ٥٩) .

(٤) أخرجه الدارمي في السنن ، المقدمة ، باب تغير الزمان وما يحدث فيه (١ / ٦٥) وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين (١ / ٥٧) .

(٥) إعلام الموقعين (١ / ٧٣) .

(٦) المصدر السابق (١ / ٧٤) .

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس « أنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ[(١)] .

فهذه الأقوال عن أولئك الأئمة من الصحابة والتابعين أجمعت على إخراج الرأي عن العلم وذمه والتحذير منه والنهي عن الفتيا به ، فرضي الله عن أئمة الإسلام وجزاهم عن نصيحتهم خيرا ، ولقد سلك سبيلهم أهل العلم والدين من أتباعهم .

○ ○ ○ ○

---

(١) المصدر السابق (١ / ٧٤) .

المبحث الثالث

التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه

● وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه .

● ● ● ●

تمهيد

« من المعلوم لكل من عنده مسكة من عقل أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا كما قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[١] وكما قال : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[٢] أي مهملا هملا لا يؤمر ولا ينهي ولا يثاب ولا يعاقب .

والغاية التي خلق من أجلها الجن والإنس هي التي أخبر الحق تبارك وتعالى عنها بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهي في الدنيا والثواب أو العقاب في الآخرة .

وإذا تمهد هذا فلنه يعلم مدى حاجتهم وضرورتهم إلى الشريعة وأحكامها ، إذ بواسطتها يتعرف على مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية .

والناس أحوج ما يكونون إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه ، إذ ليس للعالم صلاح بدون ذلك البته »[٣] ولذلك فرض الله على الإنس والجن ، طاعة من أرسل من الرسل وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[٤] فالطاعة بذلك متحتمة على من شملتهم دعوة الرسل .

---

(١) الآية (١١٥) من سورة المؤمنون .

(٢) الآية (٣٦) من سورة القيامة .

(٣) كتاب تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن ، تأليف الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني الأسعردي مطبوع ضمن الرسائل المنبرية (١ / ١٤٠ ، ١٤١) بتصرف .

(٤) الآية (٦٤) من سورة النساء .

وقد بعث الله نبيه ورسوله محمدًا ﷺ إلى الناس كافة قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] وبذلك عمت دعوته كل الأمم سواء كانوا في زمانه أو في الأزمان التالية من بعده وذلك على اختلاف تلك الأمم في ألوانها وأجناسها ولغاتها وشرائعها بما فيهم أهل الكتاب - اليهود والنصارى -

● فترتب على عموم الرسالة أن نسخت الشرائع السابقة لشريعته ﷺ فلم يبق من طريق يوصل إلى عبادة الله ورضوانه سوى طريق خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم فلا حجة لأحد دون حجته ولا يستقيم لعاقل سبيل سوى واضح محجته .

وقد جمعت سنته ﷺ تحت حكمتها كل معنى حكيم فلا يسمع بعد بيانها خلاف مخالف ولا قول مختلق ، ومن تبع سنته فهو على نور من ربه ، وبصيرة من أمره ، والمائل عن شرعه ، واقع في ظلمته مرتبك في حيرته ومرتكس في ضلاله وشقاوته .

ولذلك كان لزامًا على الجن والإنس أن يستجيبوا له ﷺ ويتبعوا شريعته ظاهرًا وباطنًا .

وقد وعد الله المستجيب منهم أن يدخله جنته ويسبغ عليه رضاه ومحبته .

وتوعد المخالف منهم بأن يذيقه أليم عقابه ويلقيه في جهنم ليعلم بذلك كيف يكون مصيره وعاقبته .

وإن آيات القرآن ونصوص السنة في هذا الشأن كثيرة جدًّا ، وقد تقدم إيراد الأدلة الواردة في وجوب طاعته واتباعه .

---

(١) الآية (٢٨) من سورة سبأ .

وفي هذا المبحث سأتناول بإذن اللّٰه الأدلة الواردة في حكم مخالفته ﷺ والبعد عن سنته والعقوبات الدنيوية والأخروية المترتبة على تلك المخالفات على تنوع صورها وأشكالها سواء كانت إعراضًا وكفرًا ، أو بدعة ، أو معصية ، أو غير ذلك .

وعسىٰ أن يكون فيما سيعرض من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تذكرة وعظة ، وخاصة أننا نعيش في زمان نحتاج فيه إلى التمعن في هذه النصوص وتدبرها لكثرة ما يقع من الإعراض والمخالفة لشرع النبي ﷺ ونهجه عند كثير من الناس .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

الأدلة من القرآن الكريم على التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه

ورد التحذير من معصية الرسول ﷺ في مواطن عدة من القرآن الكريم ، وقد جاء التحذير مصحوبا بالوعيد الشديد لذلك المخالف العاصي ومن تلك المواطن :

قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[6] .

---

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٢) الآية (١٤) من سورة النساء .

(٣) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

(٤) الآية (٢٣) من سورة الجن .

(٥) الآية (١١٥) من سورة النساء .

(٦) الآية (١٣) من سورة الأنفال .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[٣] .

وإن المتأمل في هذه الآيات يرى ما تضمنته من الوعيد الشديد والعقاب الأليم لمن خالف منهج الرسول وطريقته وشرعه وحاد عما جاء به فقوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ تحمل هذه الآية الوعيد الشديد لمن خالف أمر رسول الله ﷺ وشريعته ، ومعناها : « أى فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا » ﴿ أن تصيبهم فتنة ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك[٤]» .

هذا من جهة العقوبة الدنيوية كما فسر ابن كثير الآية بذلك .

أما على صعيد العقوبة الأخروية فاقرأ الآية الأخرى وهي قوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ وعلى هذا فإن المخالف العاصي متوعد بالعقوبتين الدنيوية والأخروية ، إضافة إلى وصفه بالضلال البين الواضح بقوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد

(١) الآية (٦٣) من سورة التوبة .

(٢) الآية (٥) من سورة المجادلة .

(٣) الآية (٢٠) من سورة المجادلة .

(٤) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٠٧) .

ضل ضلالا مبينا ﴾ وفي هذا الوصف والجزاء للمخالف حكم بخروجه عن دائرة الإيمان .

كما أن كل من أعرض عن حكم الرسول ولم ينقد له ولم يرض به إلا إذا كان موافقًا لهواه فهو محكوم عليه بالنفاق بنص القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

وهذه الآيات بينت موقف كلا الطرفين ـ الطرف الأول أهل الإيمان الحقيقي والطرف الثانى أهل النفاق المظهرون للإسلام المخفون للكفر ـ من التحاكم لما جاء به الرسول ﷺ ، فمن سمة المنافقين أنهم لا يتحاكمون لشرع اللّٰه إلا إذا كان الحق في صفهم وحكم الشرع لصالحهم ، أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فلا ترى منهم سوى الإعراض عن شرع اللّٰه المتمثل في كتاب اللّٰه وسنة نبيه ﷺ .

---

(١) الآيتان (٦٠ ، ٦١) من سورة النساء .

(٢) الآيات (٤٨ ـ ٥١) من سورة النور .

أما أهل الإيمان الذين ترسخ في قلوبهم الإيمان بشرع الله اعتقادا بالقلب وقولًا باللسان وعملًا بالجوارح فإن من صفاتهم وعلاماتهم تحاكمهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في جميع أحوالهم وشؤونهم مع الرضى والتسليم لذلك الحكم سواء كان لهم أم عليهم .

ولذلك فقد جاء وصف أهل الإيمان بالفلاح فقال تعالى : ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ بينما وصف أهل النفاق بالظلم حيث قال تعالى : ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ .

فيجب على المسلم أن يحذر من الوقوع في هذا العمل الخطير الذي من شأنه أن يوقع صاحبه في مثل هذه الصفات ، ويعرضه لتلك العقوبات التي تحدثت بها آيات القرآن الواردة في هذا الشأن .

وقال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[1] .

قوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق والشرع في شق ، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح ، وقوله ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظيمًا

---

(١) الآية (١١٥) من سورة النساء .

لنبيهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك ...

ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله : ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ أى إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجًا له كما قال تعالى ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[2] وقوله : ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[3] .

وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة »[4] .

ولقد ذكر اللّٰه تبارك وتعالى في كتابه العزيز عددًا من قضايا المخالفة وعلى رأسها التحاكم إلى غير ما أنزل اللّٰه ، فهذا الداء من أعظم المخاطر وبخاصة في زماننا هذا الذى طرح فيه كثير ممن ينتمون إلى الإسلام كتاب اللّٰه و سنة نبيه ﷺ وراء ظهورهم ، واعتاضوا عنهما بقوانين الكفار وآراء ابتدعوها تقولًا على الشريعة حتى جعلوا لتلك القوانين محاكم تحمى بقوة السلطان وأجبروا الناس على التحاكم إليها . والحكم بغير ما أنزل اللّٰه هو من أعظم أسباب المقت والحرمان وأكبر موجبات العقوبة والخذلان ، كيف لا وهو شرع دين لم يأذن به اللّٰه واتباع لغير سبيل المؤمنين ومشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة للّٰه ولرسوله ﷺ واتخاذ لدين اللّٰه هزوًا ولهوًا ولعبًا وتبديلًا لنعمة اللّٰه إلى غير ذلك من

(١) الآية (٤٤) من سورة القلم .

(٢) الآية (٥) من سورة الصف .

(٣) الآية (١١٠) من سورة الأنعام .

(٤) تفسير ابن كثير (١ / ٥٥٤ ، ٥٥٥) .

المفاسد والمحاذير التي لا تدخل تحت حساب .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّم يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾[5] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ ٱللَّهُ ﴾[6].

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[7] .

قال ابن القيم : « قال أهل التحقيق من أهل التفسير الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله .

---

(١) الآية (٤٤) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٤٥) من سورة المائدة .

(٣) الآية (٤٧) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٧٠) من سورة الأنعام .

(٥) الآية (٢٨ ، ٢٩) من سورة إبراهيم .

(٦) الآية (٢١) من سورة الشورى .

(٧) الآية (٦٠) من سورة النساء .

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم انحرف عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معًا . ولو لم يكن في القرآن المجيد من الزجر عن اتباع القوانين البشرية غير هذه الآية الكريمة لكفت العاقل اللبيب ، فكيف والقرآن الكريم كله يدعو إلى تحكيم ما أنزل الله ، وعدم تحكيم ما عداه[1] .

وبما تقدم من آيات يعلم المسلم خطورة مخالفة الرسول ﷺ والإعراض عن سنته ومنهجه والشرع الذي جاء به من عند ربه .

فالآيات السابقة وما كان على منوالها فيها خطاب لكل معرض عن سنة النبي ﷺ ومنهجه وشرعه الذي جاء به ، وهي بما تضمنته من الوعيد الشديد بمثابة الإنذار لكل من كان على هذه الحال لكي يكون على بينة من أمره فيعلم على أي ذنب قد أقدم ولأي جرم قد ارتكب ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ﴾[2] وذلك قبل أن يكون من أولئك الذين يتحسرون ويعضون أيديهم ندمًا في يوم القيامة ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾[3]. ومعلوم أن كل من ترك ما جاء به الرسول ﷺ فإنه قائل لهذه المقالة لا محالة . فنعوذ بالله ممن هذه حاله ويوم القيامة تكون نار جهنم مآله وقراره .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٤٩٣) .

(٢) الآية (٤٢) من سورة الأنفال .

(٣) الآيات (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) من سورة الفرقان .

المطلب الثاني

الأدلة من السنة على التحذير من معصية الرسول ﷺ وحكم من خالفه

جاءت السنة بمثل ما جاء به القرآن الكريم ، فالأحاديث متوافرة ، ومتعددة في هذا الشأن ، فقد حذر النبي ﷺ من الإعراض عن سنته والبعد عنها أو الانتقاص من قدرها ومكانتها أو مخالفتها .

وهذا التحذير منه ﷺ والوارد في عبارات متنوعة وأساليب متعددة ـ كما سيمر عليك ـ يصور مدى حرصه ﷺ على حماية أمته وصيانتهم من الوقوع في هذا المزلق الخطير ، ولا غرابة في ذلك فهو الموصوف بقوله تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ومما ورد في تصوير مدى حرصه ﷺ على أمته وتحذيره لهم من الوقوع في مخالفته قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه أبو هريرة رضي اللّٰه عنه « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها ـ قال ـ فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها »[1] .

وهذا الحديث إضافة إلى كونه يصور مدى حرصه ﷺ على أمته فهو يبين كذلك أن سبيل النجاة والفلاح إنما هو باتباع سنة النبي ﷺ والأخذ بها ، وأن كل مخالف ومجانب لهذه السنة فهو يلقي بنفسه إلى التهلكة وذلك بسبب

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٩٢

بعده ومخالفته لشرع المصطفي ونهجه الذي جاء به .

ومن المعلوم أن النبي ﷺ قد بين لأمته سبيل النجاة والفلاح وحثهم على سلوكه والسير عليه ، كما حذرهم من سبل الهلاك والضلال وبين لهم ما فيها من الخسران والتعاسة الدنيوية والأخروية قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١] وهذه الوصية عامة لكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد ختم الله الآية بقوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

والتقوى حقيقتها (العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا ، أمرا ونهيا فالمتقى يفعل ما أمره الله به إيمانا بالأمر وتصديقا بوعده ، ويترك ما نهي الله عنه إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده .

وقال طلق بن حبيب[٢] : « التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله ، تخاف عقاب الله[٣] » .

وطاعة الله تتحقق بطاعة رسوله والسير على نهجه وسلوك سبيله قال تعالى ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ .

وفي الحديث « فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله »[٤] .

---

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

(٢) طلق بن حبيب العنزي البصري ، تابعي ثقة كان أعبد أهل زمانه قتله الحجاج مع سعيد بن جبير . تهذيب التهذيب (٥ / ٣١ - ٣٢) .

(٣) الرسالة التبوكية (ص ١٠) بتصرف بسيط .

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٩١) .

ولذلك فإنه لم يبق للإنسان إلا أن يختار أي الطريقين يسلك قال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[(١)] وليتحمل بعد ذلك مسؤولية ما قدم من عمل كما قال تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾[(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾[(٣)]

وإن المسلم الواعي العارف لأمور دينه يعلم أن الخير كل الخير في اتباع النبي ﷺ والتمسك بسنته والسير على هديه ، وأن الشر كل الشر في البعد عن سنته ومخالفته . ولذا تراه حريصًا على سنة المصطفى متمسكًا بها في كل أحواله وفي الوقت نفسه يحذر أشد الحذر من مخالفة الرسول ﷺ والبعد عن سبيله ومنهجه . ومثل هذا الاعتقاد يجب على كل مسلم أن يعتقده ويطبقه في أقواله وأعماله ليسعد وينجو في دنياه وآخرته .

ومما يؤسف له أن كثيرًا من المسلمين لا يولي هذا الجانب اهتمامه وعنايته بل تراه على النقيض من ذلك حتى إن بعضهم ليس له من الإسلام إلا اسمه فقط ذلك لأن أقواله وأفعاله مناقضة للشرع ولا تمت إليه بصلة ، وتراه كذلك راغبا عن سنة المصطفي متحاكمًا في أكثر شؤونه وأحواله إلى غير الكتاب والسنة . ومن كانت هذه صفاته فالإسلام منه براء وهو بريء من الإسلام فقد قال ﷺ : « من رغب عن سنتي فليس مني »[(٤)].

---

(١) الآية (٣) من سورة الإنسان .

(٢) الآيتان (١٤ ، ١٥) من سورة القيامة .

(٣) الآيات (٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) من سورة النجم .

(٤) تقدم تخريجه ص ١٩٥

ولقد ذم النبي ﷺ هذا الصنف من الناس وحذر منهم فعن حذيفة بن اليمان رضي اللّٰه عنه قال : « كان الناس يسألون رسول اللّٰه ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يارسول اللّٰه ، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا اللّٰه بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال : « نعم » . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ .

قال : « نعم وفيه دخن » . قلت : وما دخنه ؟

قال : « قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر .. » الحديث[١] .

فالشاهد من الحديث قوله ﷺ : « قوم يهدون بغير هديي » فالنبي ﷺ ذم من جعل للدين أصلا خلاف الكتاب والسنة أو جعلهما فرعا لذلك الأصل الذي ابتدعه وأمثال هؤلاء كثيرون فكم من شخص ينتمي للإسلام جعل من الفلاسفة حكما على كل شيء حتى على كتاب اللّٰه وسنة نبيه ﷺ ، وكم من شخص نبذ شرع اللّٰه وراء ظهره وتحاكم إلى القوانين الوضعية المستوردة من بلاد الكفر والإلحاد . وكم من شخص جعل الهوى وشهوات النفس دينًا يدين به فإذا جاءه أمر الشارع أخذ منه ما وافق هواه ورأيه وأعرض عما عداه .

وكم من فئة وطائفة في زماننا الحاضر ينطبق عليها قول النبي ﷺ هذا .

والذي ينبغي على كل أحد أن يعلمه هو أنه بمقدار اتباع المرء لسنة المصطفي ﷺ ، يكون فلاحه ونجاته ، فالأقوال والأعمال يتوقف قبولها أو ردها على حسب موافقتها لما جاء به النبي ﷺ ، فما وافق سنة النبي ﷺ قبل ، وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان وفي ذلك يقول ﷺ :

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٨

من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد »[١] .

وإن المعرض عن سنة المصطفي ﷺ والمخالف لها معرض للعقوبة في الدنيا والآخرة وذلك بحسب ما يقع منه من إعراض .

فعن سلمة بن الأكوع[٢] رضي الله عنه أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله . فقال : « كل بيمينك » . قال : « لا أستطيع » .

قال : « لا استطعت » ما منعه إلا الكبر ، قال فما رفعها إلى فيه »[٣] .

فهذه عقوبة دنيوية لهذا الشخص الذي عصى أمر النبي ﷺ .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قرأ النبي ﷺ (النجم) فسجد ، فما بقي أحد إلا سجد ، إلا رجل رأيته أخذ كفًا من حصى فرفعه فسجد عليه وقال : « هذا يكفيني ، فلقد رأيته بعد قتل كافرا بالله »[٤] وهذا الرجل هو أمية بن خلف[٥] وقد قتل ببدر كافرًا .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو

(١) تقدم تخريجه ص ٢٣٠

(٢) سلمة بن عمرو بن الأكوع ، صحابي جليل أول مشاهده الحديبية ، وكان من الشجعان ويسبق الفرس عدوا ، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين على الصحيح . الإصابة (٢ / ٦٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (٦ / ١٠٩) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة . انظر فتح الباري (٧ / ١٦٥) .وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب سجود التلاوة (٢ / ٨٨) .

(٥) فتح الباري (٨ / ٦١٤) .

منهم »[١] .

والشاهد من الحديث قوله ﷺ : « وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري »

وعنه رضي الله عنه قال : « أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال : « يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة في قوم قط ، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله ، الا جعل الله بأسهم بينهم »[٢] .

فهذا بعض ما ورد في السنة في العقوبات الدنيوية .

أما على صعيد العقوبات الأخروية فالأمر أشد وأعظم فالآخرة هي دار الجزاء والثواب والعقاب .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا . فقالوا : أولسنا إخوانك يارسول الله ؟

قال : بل أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم[٣] على

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٥٠ / ٩٢) وقد جود إسناده شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٩) وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠ / ٢٣) .

(٢) أخرجه ابن ماجة في السنن ، كتاب الفتن ، باب العقوبات (٢ / ١٣٣٢ ، ١٣٣٣) ح ٤٠١٩

(٣) فرطهم : أي متقدمهم إليه . يقال فرط يفرط ، فهو فارط وفرط إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ، ويهيئ لهم الدلاء والأرشية . النهاية (٣ / ٤٣٤) .

الحوض . فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله ؟
فقال : أرأيت لو أن رجلا له خيل غر[١] محجلة[٢] بين ظهري خيل دُهْم بُهْم[٣] ألا يعرف خيله ؟ . قالوا : بلى يارسول الله .
قال : فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذاذان رجال عن حوضى كما يذاذ البعير الضال أناديهم ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا » [٤] .
فتلك عقوبة من حاد عن شرع المصطفي ﷺ ومال عنه واستبدل به غيره .
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا[٥] .
قال النووي : « أى المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم »[٦] .
فالنبي ﷺ أخبر بهلاك كل من بالغ في التعمق في أمور الشرع وغلا فيها وتكلف في أمور لم ترد عن الشارع الكريم ولم تكن من مقصوده .
* وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : « لست تاركًا شيئًا كان رسول الله

(١) الغر : جمع الأغر ، من الغرة بياض الوجه ، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة . النهاية (٣ / ٣٥٤) .
(٢) المحجل في صفة الخيل هو الذى يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد ، ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين . النهاية (١ / ٣٤٦) .
(٣) دُهْمُ : أي سود . النهاية (٢ / ١٤٥ ، ١٤٦) .
بُهْمُ : جمع بهيم وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه . النهاية (١ / ١٦٧) .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (١ / ١٥٠ ، ١٥١) .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون (٨ / ٥٩) .
(٦) شرح النووي لمسلم (١٦ / ٢٢٠) .

ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ »[١].

والشواهد من القرآن والسنة وكلام السلف الصالح في هذا الشأن كثيرة ولا تكاد تحصى .

والقصد هنا بيان أن التولي عما جاء به النبي ﷺ من أمور الشرع من أكبر الذنوب ، وهو سبب لا نصباب المصائب وتتابع النوائب ، فإن الجزاء من جنس العمل ومن تولى عن حكم اللّٰه وحكم رسوله تولى اللّٰه ورسوله عنه،ومن تولى اللّٰه ورسوله عنه فهيهات أن يفلح ويعز بل يتركه اللّٰه أذل وأحقر ما يكون قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[٢] .

وليحذر المسلم من مخالفة الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ من عند ربه عز وجل ، فإن في المخالفة عين الهلاك والخسران كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[٣] .

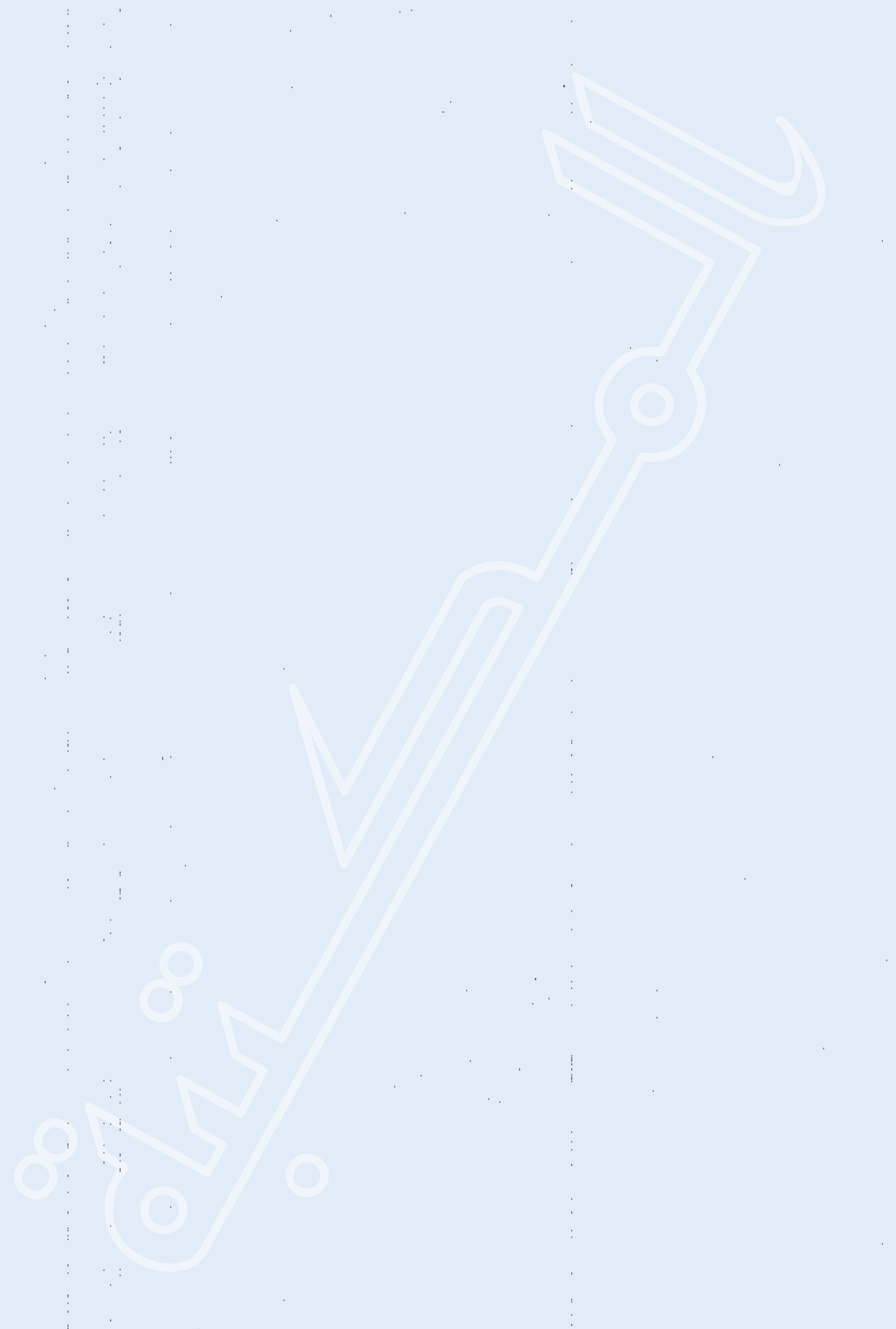
○○○○

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٠٤

(٢) الآية (٢٠) من سورة المجادلة .

(٣) الآية (١٢٤) من سورة طه .



الباب الثاني

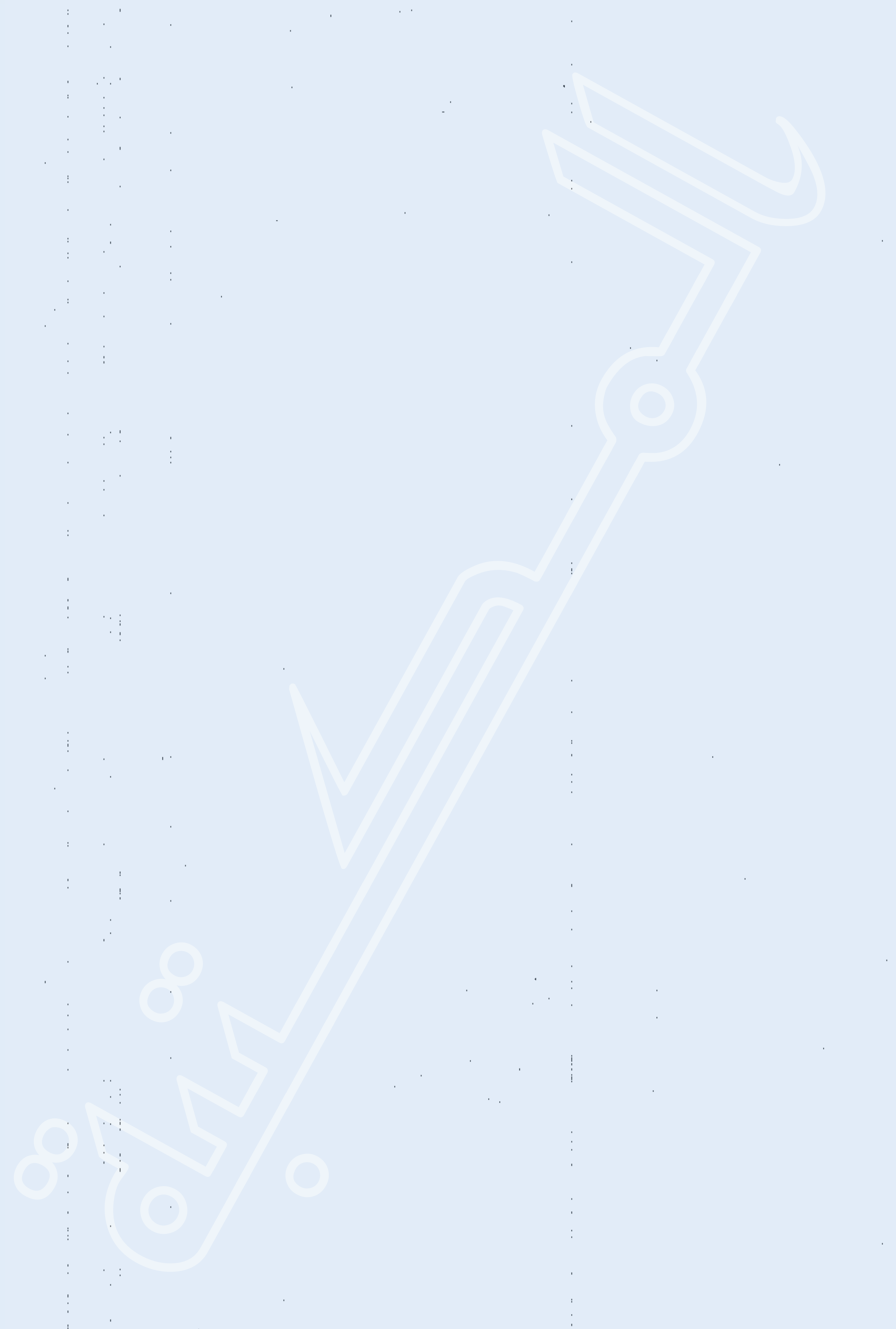
وجوب محبته ﷺ

● وفيه فصلان :

الفصل الأول : المعنى الصحيح لحبه ﷺ والأدلة على وجوبها .

الفصل الثاني : علامات محبته ﷺ والثواب المترتب عليها .

● ● ●



الفصل الأول

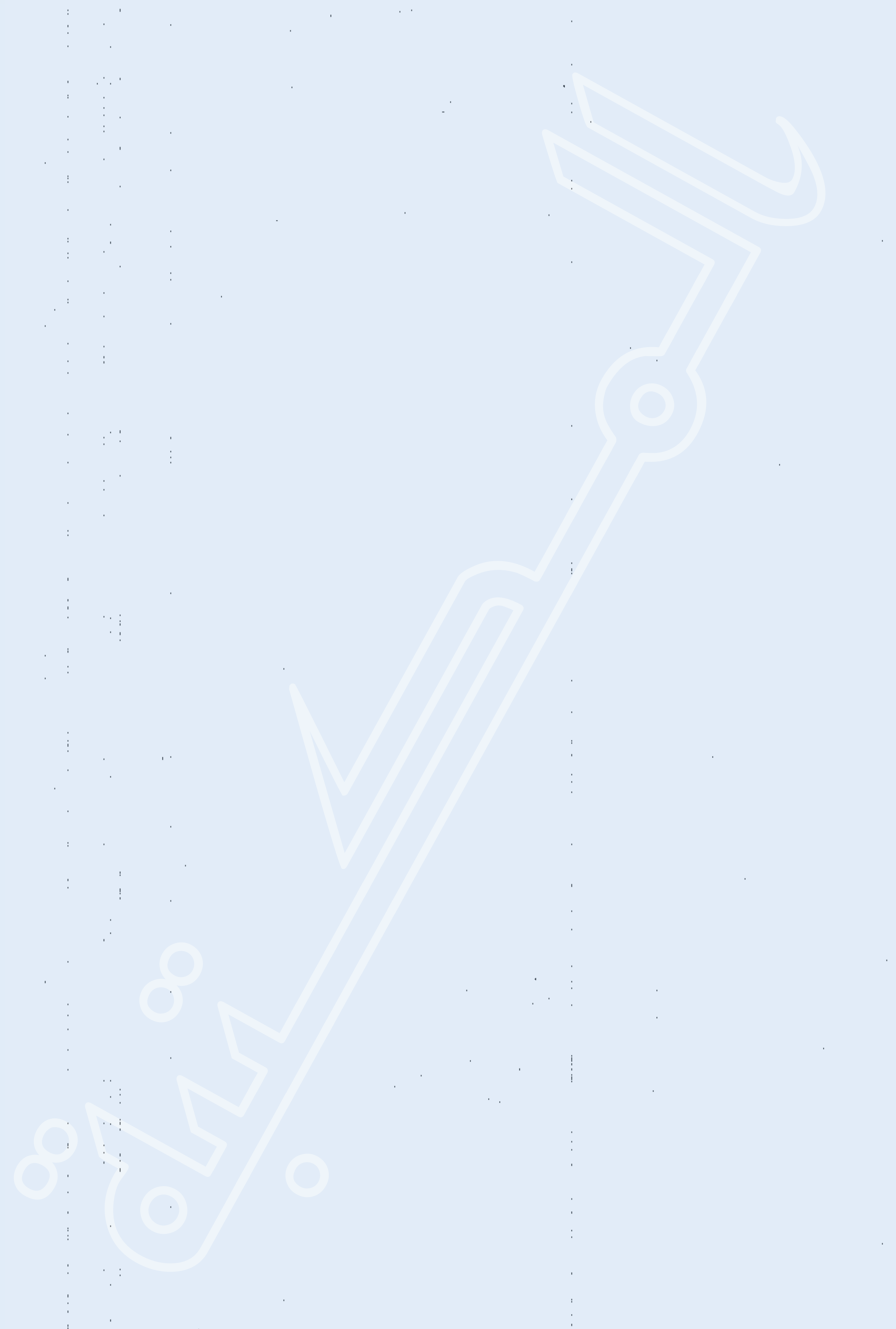
بيان المعنى الصحيح لمحبته ﷺ والأدلة على وجوبها

● وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المعنى الصحيح لمحبته ﷺ .

المبحث الثاني : الأدلة على وجوب محبته ﷺ .

● ● ● ●



المبحث الأول

المعنى الصحيح لمحبته ﷺ

• ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف المحبة .

• ويشتمل على النقاط التالية .

أ ـ أصل اشتقاق المحبة .

ب ـ الحد الاصطلاحي للمحبة .

المطلب الثاني : أقسام المحبة .

• ويشتمل على النقاط التالية :

أ ـ أقسام المحبة من حيث العموم .

ب ـ أقسام المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها .

المطلب الثالث : حقيقة المحبة الشرعية .

المطلب الرابع : المعنى الصحيح لمحبة النبي ﷺ وانقسام الناس فيها .

• • •

المطلب الأول

تعريف المحبة

أحببت قبل الشروع في بيان المعنى الصحيح لمحبة النبي ﷺ أن أتطرق للمعنى اللغوي والإصطلاحي لكلمة المحبة ، وذلك بهدف التعريف بهذه الكلمة وبيان مدلولها :

أ ـ أصل اشتقاق المحبة :

قال صاحب لسان العرب : (المحبة : إسم للحب)[١]ويرى ابن القيم أن مادة كلمة « حب » تدور في اللغة على خمسة أشياء :

أحدها : الصفاء والبياض ، ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها « حبب الأسنان »

الثاني : العلو والظهور ، ومنه « حبب الماء وحبابه » وهو ما يعلوه عند المطر الشديد وحبب الكأس منه .

الثالث : اللزوم والثبات ، ومنه ، حب البعير وأحب ، إذا برك ولم يقم . قال الشاعر :

حلت عليه بالفلاة ضربًا ضرب بعير السوء إذ أحبّا

الرابع : اللب ، ومنه : حبه القلب ، للبه وداخله .

ومنه : الحبة لواحدة الحبوب . إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه .

الخامس : الحفظ والإمساك ، ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضا .

---

(١) (١ / ٢٩٠)

ثم قال رحمه الله : ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة :

١ ـ فإنها صفاء المودة ، وهيجان إرادات القلب للمحبوب .

٢ ـ وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد .

٣ ـ وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا تفارقه .

٤ ـ ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده ، وهو قلبه .

٥ ـ ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه .

فاجتمعت فيها المعاني الخمسة[1] .

ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة

« الحاء » التي هي من أقصى الحلق .

و « الباء » الشفوية التي هي نهايته .

فللحاء الابتداء ، وللباء الانتهاء ، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب ، فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه .

وقالوا في فعلها : حَبّهُ وأحَبّهُ .

ثم اقتصروا على اسم الفاعل من « أحب » فقالوا « مُحِبُّ » ولم يقولوا « حاب » . واقتصروا على اسم المفعول من « حب » فقالوا « محبوب » ولم يقولوا « مُحَبْ » إلا قليلا كما قال الشاعر :

---

(١) زاد ابن القيم في كتابه روضة المحبين (ص ١٧ ، ١٨) على هذه المعاني الخمسة ما يلي :
و قيل : بل هي مأخوذة من القلق والاضطراب ، ومنه سمي القرط حبا لقلقه في الأذن واضطرابه .
وقيل بل هي مأخوذة من الحب الذي هو إناء واسع فيمتلئ به بحيث لا يسع لغيره ، وكذلك قلب المحب ليس فيه سعة لغير محبوبه وقيل : مأخوذة من الحب وهو الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع من جرة أو غيرها فسمي الحب بذلك لأن المحب يتحمل لأجل محبوبه الأثقال ، كما تتحمل الخشبات ثقل ما يوضع عليها .

ولقد نزلت فلا تظني غيره   من بمنزلة المُحَبِّ المكرم[١]

وأعطوا « الحُب » حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها ، مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها .

وأعطوا « الحِب » وهو المحبوب : حركة الكسر لخفتها عن الضمة وخفة المحبوب ، وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم ...

فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة ، وأن لها شأنا ليس لسائر اللغات[٢] .

ب ـ الحد الاصطلاحي للمحبة :

قال ابن حجر[٣]« وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد ، وإنما يعرفها من قامت به وجدانا ولا يمكن التعبير عنها »[٤]

وقال ابن القيم : « لا تحد المحبة بحد أوضح منها ، فالحدود لاتزيدها إلا خفاءً وجفاء . فحدها وجودها . ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وانما يتكلم الناس في أسبابها ، وموجباتها ، وعلاماتها ، وشواهدها ، وثمراتها ، وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ، وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات ، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله وملكه للعبارة »[٥] .

---

(١) البيت لعنترة بن شداد .

(٢) مدارج السالكين (٣ / ٩ ـ ١١) .

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ صاحب كتاب فتح الباري ـ من أئمة العلم والتاريخ ، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣ هـ وتوفي بها سنة ٨٥٢ هـ ، وله مؤلفات كثيرة . الأعلام (١ / ١٧٨)

(٤) فتح الباري (١٠ / ٤٦٣) .

(٥) مدارج السالكين (٣ / ٩) .

قلت : وهذا الذي ذكره ابن القيم وابن حجر هو الذي تطمئن له النفس فالمحبة أمر شعوري وجداني يتعرف عليه بواسطة الأمور الستة التي أشار اليها ابن القيم ، وذلك لكون هذه الأمور هي العناصر التي يمكن أن يعبر عن المحبة من طريقها .

ولذلك فلا داعي لذكر تعريفات العلماء لها فحدها وجودها ، والحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاءً كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى .

○○○○

المطلب الثاني

اقسام المحبة

أ ـ أقسام المحبة من حيث العموم :

تنقسم المحبة من حيث العموم إلى قسمين :

١ ـ مشتركة . ٢ ـ خاصة .

القسم الأول : المحبة المشتركة

وهي ثلاثة أنواع :

أحدها : محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام ، والظمآن للماء ونحو ذلك ، وهذه لا تستلزم التعظيم .

الثاني : محبة رحمة وإشفاق ، كمحبة الوالد لولده الطفل ، وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم .

الثالث : محبة أنس وألف ، وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر ، لبعضهم بعضا ، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضا .

فهذه الأنواع الثلاثة ، التي تصلح للخلق ، بعضهم من بعض ، ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة اللّٰه ، ولهذا كان رسول اللّٰه ﷺ يحب الحلواء والعسل ، وكان يحب نساءه ، وعائشة أحبهن إليه ، وكان يحب أصحابه ، وأحبهم إليه الصديق رضي اللّٰه عنه .

القسم الثاني : المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا للّٰه

ومتى أحب العبد بها غيره ، كان شركًا لا يغفره اللّٰه ، وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم ، وكمال الطاعة ، وإيثاره على غيره .

فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير اللّه أصلا[(١)] بل يجب إفراد اللّه بهذه المحبة الخاصة التي هي توحيد الإلهية ، بل الخلق والأمر والثواب والعقاب ، إنما نشأ عن المحبة ولأجلها ، فهي الحق الذي خلقت به السموات والأرض ، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي وهي سر التأله ، وتوحيدها هو شهادة أن لا إله إلا اللّه ، وليس كما يزعم المنكرون ، أن الإله هو الرب الخالق ، فإن المشركين كانوا مقرين بأنه لا رب إلا اللّه ولا خالق سواه ، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلهية الذي هو حقيقة لا إله إلا اللّه ، فإن الإله الذي تألهه القلوب حبًا وذلًا وخوفًا ورجاءً وتعظيمًا وطاعةً .

وإله بمعنى مألوه ، أي : محبوب معبود ، وأصله من التأله وهو التعبد الذي هو آخر مراتب المحبة ، فالمحبة حقيقة العبودية[(٢)] وسيأتي مزيد تفصيل لهذا القسم .

ب ـ أقسام المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها :

تنقسم المحبة باعتبار متعلقها ومحبوبها إلى قسمين :

١ ـ نافعة محمودة . ٢ ـ مذمومة ضارة .

القسم الأول : المحبة النافعة

وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة وهي ثلاثة أنواع :

أ ـ محبة اللّه .

ب ـ محبة في اللّه .

ج ـ محبة ما يعين على طاعة اللّه واجتناب معصيته .

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ٤١١) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٤١٢) .

فيُحبُّ اللّٰه تعالى حبًا لا يشاركه فيه أحد ، ويكون اللّٰه عز وجل هو المحبوب المراد الذي لا يحب لذاته ولا يراد لذاته إلا هو ، وهو المحبوب الأعلى الذي لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون هو محبوبه ومراده وغاية مطلوبه . وتكون هذه المحبة مستلزمة لما يتبعها من عبادته تعالى وخضوعه له ، وتعظيمه عز وجل .

والمحبة في اللّٰه : بأن يحب المؤمنين لا يحبهم إلا للّٰه ويكون هواه تبعا لحب اللّٰه تعالى ورضاه ، فلا يحب إلا ما يحب اللّٰه تعالى .

ومحبة ما يعين على طاعة اللّٰه أنواع كثيرة تندرج فيها جميع العبادات .

القسم الثاني : المحبة الضارة

وهي المحبة المذمومة التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء . وهي ثلاثة أنواع أيضا :

١ ـ المحبة مع اللّٰه .

٢ ـ محبة ما يبغضه اللّٰه .

٣ ـ محبة ما تقطع محبته عن محبة اللّٰه تعالى أو تنقصها .

فمن النوع الأول : محبة المشركين آلهتهم كحب اللّٰه .

ومن النوع الثاني : محبة الفواحش والمنكرات التي يبغضها اللّٰه .

ومن النوع الثالث : عشق النساء الذي يزيد عن حده حتى يضيع الأوامر ويدخل في النواهي ، وفي مقدمة ذلك عشق الفاسقات والعاهرات والولدان .

فهذه ستة أنواع عليها مدار محاب الخلق .

فأصل المحاب المحمودة محبة اللّٰه تعالى بل وأصل الإيمان والتوحيد والنوعان الآخران تبع لها .

كما أن المحبة مع الله أصل الشرك والمحاب المذمومة ، والنوعان الآخران تبع لها[١] .

فأصل الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك في هذه المحبة ، فإن المشركين لم يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الرب سبحانه في خلق السموات والأرض وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله فوالوا عليها وعادوا عليها وتألهوها وقالوا : هذه آلهة صغار تقربنا إلى الإله الأعظم ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٢] .

ففرق بين محبة الله أصلا ، والمحبة له تبعا ، والمحبة معه شركا ، وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مفرق الطرق بين أهل التوحيد وأهل الشرك[٣] .

○○○○

---

(١) إغاثة اللهفان (٢ / ١٤٠ ، ١٤١) وجامع الرسائل (٢ / ٢٠٢) .

(٢) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٣) روضة المحبين (٢٩٣) .

المطلب الثالث

حقيقة المحبة الشرعية

المقصود بالمحبة الشرعية : محبة الله سبحانه وتعالى ومحبة رسوله ﷺ وكل ما يدخل في فلكها ويدور مع محورها .

فهذه المحبة من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله ، بل ومن أوجب العبادات المناطة بقلب المؤمن ، ذلك لأنه لابد في إيمان القلب من حب الله ورسوله ، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

فهي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين ، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين ، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة : إما محبة محمودة ، أو عن محبة مذمومة .

فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة ، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى ، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة لا يكون عملًا صالحًا عند الله ، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله ، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه .

كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »[1] .

فإخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل ، وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أهل الإيمان ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله (٨ / ٢٢٣) .

وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه[١].

فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذي تحبه القلوب وتخشاه ولا يكون لها إله سواه ، والإله ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام ونحو ذلك .

والله سبحانه أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته ، وعن رجاء ما سواه برجائه ، وعن سؤال ما سواه بسؤاله ، وعن العمل لما سواه بالعمل له ، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به[٢] .

فإذا كان أصل العمل الدينى هو إخلاص الدين لله ، وهو إرادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه هو المحبوب لذاته ، وهذا كمال المحبة ، ولكن أكثر ما جاء المطلوب باسم العبادة كقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣] وقوله : ﴿ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[٤]وأمثال هذا والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته ، وكمال الذل ونهايته ، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودًا ، والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودًا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٥]

فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله أندادًا ، وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله ، فالذين آمنوا أشد حبا لله منهم لله ولأوثانهم

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ٤٨ ، ٤٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

(٣) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

(٤) الآية (٢١) من سورة البقرة .

(٥) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

لأن المؤمنين أعلم بالله ، والحب يتبع العلم ، ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده ، وأولئك جعلوا بعض حبهم لغيره وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب ، ومعلوم أن ذلك أكمل قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

واسم المحبة فيه إطلاق وعموم فإن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين ، وان كان ذلك من محبة الله ، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره . ولهذا جاءت محبة الله سبحانه وتعالى مقرونة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له ، ونحو ذلك . فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى .

وكما أن محبته هي أصل الدين ، فكذلك كمال الدين يكون بكمالها ونقصه بنقصها[٢] وكمال هذه المحبة هو بالعبودية والذل والخضوع والطاعة للمحبوب سبحانه وتعالى فالحق الذى خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التي هي كمال محبته والخضوع والذل له ، ولوازم عبوديته من الأمر والنهي والثواب والعقاب ، ولأجل ذلك أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الجنة والنار[٣] .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٤]

---

(١) الآية (٢٩) من سورة الزمر .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٦ ، ٥٧) .

(٣) روضة المحبين (ص ٥٩) .

(٤) الآية (٢) من سورة الملك .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[١]؛
وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٢].

فأخبر سبحانه في هذه الآيات أن خلق العالم والموت والحياة وتزين الأرض بما عليها أنه للابتلاء والامتحان ليختبر خلقه أيهم أحسن عملا ، فيكون عمله موافقًا لمحاب الرب تعالى ، فيوافق الغاية التي خلق هو لها وخلق لأجلها العالم وهي عبوديته المتضمنة لمحبته وطاعته ، وهي العمل الأحسن وهو مواقع محبته ورضاه ، وقدر سبحانه مقادير تخالفها بحكمته في تقديرها ، وامتحن خلقه بين أمره وقدره ليبلوهم أيهم أحسن عملا .

فانقسم الخلق في هذا الابتلاء فريقين :

فريقًا داروا مع أوامره ومحابه ، ووقفوا حيث وقف بهم الأمر ، وتحركوا حيث حركهم الأمر ، واستعملوا الأمر في القدر ، وركبوا سفينة الأمر في بحر القدر ، وحكموا الأمر على القدر ، ونازعوا القدر بالقدر امتثالا لأمره واتباعا لمرضاته فهؤلاء هم الناجون .

والفريق الثاني : عارضوا بين الأمر والقدر ، وبين ما يحبه ويرضاه وبين ما قدره وقضاه ، فهؤلاء هم المفرطون[٣] .

وحقيقة المحبة : حركة نفس المحب إلى محبوبه ، فالمحبة حركة بلا سكون[٤]

---

(١) الآية (٧) من سورة الكهف .

(٢) الآية (٧) من سورة هود .

(٣) روضة المحبين (٦٠ ، ٦١) .

(٤) روضة المحبين (ص ٥٩) .

فالحب يوجب حركة النفس وشدة طلبها ، والنفس خلقت متحركة بالطبع كحركة النار ، فالحب حركتها الطبيعية ، فكل من أحب شيئًا من الأشياء وجد في حبه لذة وروحا ، فإذا خلا عن الحب مطلقا تعطلت النفس عن حركتها وثقلت وكسلت وفارقها خفة النشاط ، ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس همًا وغمًا وحزنًا ، ليس لهم فرح ولا سرور ، بخلاف أرباب النشاط والجد في العمل أى عمل كان ، فإن كان النشاط في عمل هم عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته كان التذاذهم بحبه ونشاطهم فيه أقوى .

وإنه ليس للقلب والروح ألذ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من محبة اللّه والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة العين به ، والأنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته ، وإن مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان باللّه ورسوله يخلص من الخلود في دار الآلام فكيف بالإيمان الذي يمنع من دخولها[1] .

ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها للّه تعالى وحده بحيث يحب اللّه بكل قلبه وروحه وجوارحه فليس لقلب العبد صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن تكون محبته لغير اللّه تابعة لمحبة اللّه ، فلا يحب إلا للّه .

كما في الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا للّه ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه اللّه منه كما يكره أن

---

(١) روضة المحبين (ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨) بتصرف .

يلقى في النار[١]» فأخبر أن العبد لا يجد حلاوة الإيمان إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه ، ومحبة الرسول هي من محبته ، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبة الله ، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها ، وتصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه ـ وهو الكفر ـ بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد .

ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة ، فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئًا ، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر كان الله أحب إليه من نفسه فالحديث دل على أن حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله ، وهذه الحلاوة لا تحصل إلا بثلاثة أمور :

١ ـ تكميل هذه المحبة . ٢ ـ تفريعها . ٣ ـ دفع ضدها .

١ـ « فتكميلها » : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

٢ـ و « تفريعها » : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

٣ـ و« دفع ضدها » أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار[٢] وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العشاق والمحبين من محبة محبوبهم ، بل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان فتح الباري (١ / ٦٠) ح ١٦ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١ / ٤٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٠٦) .

لا نظير لهذه المحبة كما لا مثيل لمن تعلقت به .

وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والإنقياد ظاهرًا وباطنًا وهذا لا نظير له في محبة المخلوق كائنًا من كان .

ولهذا من أشرك بين اللّه وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركًا شركًا لا يغفره اللّه كما قال اللّه تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[١] والصحيح أن معنى الآية والذين آمنوا أشد حبا للّه من أهل الأنداد لأندادهم كما تقدم بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا ، كما لا يماثل محبوبهم غيره . وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته ، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته[٢] .

وكثير من الناس يدعي محبة اللّه تعالى من غير تحقيق لموجباتها قال بعض السلف : ادعى قوم على عهد رسول اللّه ﷺ أنهم يحبون اللّه فأنزل اللّه هذه الآية[٣] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٤] وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه اللّه ، وليس شيء يحبه اللّه إلا والرسول يدعو إليه ، وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا واللّه يحبه ، فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا

---

(١) البقرة الآية (١٦٥) .

(٢) روضة المحبين (١٩٩ ، ٢٠٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٨ / ٣١٥) .

(٤) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

في ذاته ، وإن تنوعت الصفات .

فكل من أدعى أنه يحب اللّٰه ولم يتبع الرسول فقد كذب ، وليست محبته للّٰه وحده ، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك ، فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة اللّٰه ، فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول ، فلما أحبوا ما أبغض اللّٰه مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين .

وهكذا أهل البدع فمن قال إنه من المريدين للّٰه المحبين له ، وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به ، وترك ما نهى عنه ، فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدع ، فإن البدع ليست مما دعا إليه الرسول ولا يحبها اللّٰه ، فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه اللّٰه ، فأمر بكل معروف ونهي عن كل منكر[١] .

فمحبة اللّٰه ورسوله وعباده المتقين تقتضي فعل محبوباته وترك مكروهاته والناس يتفاضلون في هذا تفاضلًا عظيمًا ، فمن كان أعظم نصيبًا من ذلك كان أعظم درجة عند اللّٰه .

ومن كان أقل نصيبًا كان ذلك سببًا في نزول درجته ومنزلته ، وأما من كان غير متبع لسبيل النبي ﷺ فكيف يكون محبا للّٰه سبحانه وتعالى[٢] ؟

ومعلوم أنه لا يتم الإيمان والمحبة للّٰه إلا بتصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما أمر[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٦٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٨ / ٣١٦) .

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٦٦) .

فلابد لمحب الله من متابعة الرسول والمجاهدة في سبيل الله بل هذا لازم لكل مؤمن قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾[1] فهذا حب المؤمن لله .

وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴾[2] فأخبر أن من كانت محبوباته أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من أهل الوعيد .

وقال في الذين يحبهم ويحبونه ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[3]

فمن تمام محبة الله ورسوله بغض من حاد الله ورسوله ، والجهاد في سبيله لقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[4]

وقال تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ

---

(١) الآية (١٥) من سورة الحجرات .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٥٤) من سورة المائدة .

(٤) الآية (٢٢) من سورة المجادلة .

أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ ﴾(٢) .

فأمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله وحده(٣) .

وثبات المحبة إنما يكون بمتابعة الرسول ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه ، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها ، وبحسب نقصانه يكون نقصانها .

وهذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معًا ، ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن في أن تحب الله ، بل الشأن في أن يحبك الله ، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا ، وصدقته خبرًا ، وأطعته أمرًا ، وأجبته دعوة ، وآثرته طوعًا وفنيت عن حكم غيره بحكمه ، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته ، وعن طاعة غيره بطاعته ، وإن لم يكن ذلك فلا تتعن ، وارجع من حيث شئت فالتمس نورًا فلست على شيء(٤) .

ومحبة الله ورسوله على درجتين :

---

(١) الآية (٨٠ ، ٨١) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٤) من سورة الممتحنة .

(٣) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٦١).

(٤) مدارج السالكين (٣ / ٣٧) .

واجبة ، وهي درجة المقتصدين . ومستحبة ، وهي درجة السابقين .

فالأولى : تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، بحيث لا يحب شيئًا يبغضه ، كما قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾(١) وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى ، وبغض ما حرمه الله تعالى ، وذلك واجب ، فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه الله ، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها وذلك مستلزم لبغضها التام .

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ﴾(٤) .

وأما محبة السابقين بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة ، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه . فإذا كانت محبة الله ورسوله الواجبة تقتضى بغض ما أبغضه الله ورسوله ، كما في سائر أنواع المحبة ، فإنها توجب بغض الضد ... »(٥) .

---

(١) الآية (٢٢) من سورة المجادلة .

(٢) الآية (٢٨) من سورة محمد .

(٣) الآيتان (١٢٤ ، ١٢٥) من سورة التوبة .

(٤) الآيتان (٣٦) من سورة التوبة .

(٥) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٩١ ، ٩٢) .

المطلب الرابع

المعنى الصحيح لمحبة النبي ﷺ وانقسام الناس فيها

اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقًا زائدة على مجرد التصديق بنبوته ، كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أمورًا زائدة على مجرد التصديق به سبحانه . وحرم سبحانه لحرمة رسوله ـ مما يباح أن يفعل مع غيره ـ أمورًا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته .

فمن تلك الحقوق حقه ﷺ بأن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دلت على ذلك الأدلة من القرآن والسنة[1] والتي سيأتي ذكرها .

« فحب النبي ﷺ من أعظم واجبات الدين »[2] .

فهذه المحبة الواجبة له ﷺ هي من محبة الله ، فهي حب لله وفي الله ، ذلك لأن محبة الله توجب محبة ما يحبه الله ، والله يحب نبيه وخليله ﷺ ، فوجب بذلك محبته ﷺ ، فهي متفرعة عن محبة الله وتابعة لها واقتران ذكرها مع محبة الله في القرآن والسنة إنما هو للتنبيه على أهميتها وعظم منزلتها .

وبمقتضى هذه المحبة يجب موافقة الرسول ﷺ في حب ما يحبه وكره ما يكرهه ، أي بتحقيق المتابعة له فيحب بقلبه ما أحب الرسول ، ويكره ما كرهه الرسول ، ويرضى بما يرضى الرسول ، ويسخط ما يسخط الرسول ، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض .

---

(١) الصارم المسلول (ص ٤٢٠ ، ٤٢١) بتصرف يسير .

(٢) الرد على الاخنائي (ص ٢٣١) .

وقد انقسم الناس في فهمهم لهذه المحبة إلى ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول : أهل الإفراط .

القسم الثاني : أهل التفريط .

القسم الثالث : الذين توسطوا بين الأفراط والتفريط .

أما أصحاب القسم الأول : فهم الذين بالغوا في محبته بابتداعهم أمورًا لم يشرعها الله ورسوله ﷺ ، ظنًا منهم أن فعل هذه الأمور هو علامة المحبة وبرهانها .

ومن تلك الأمور احتفالهم بمولده ، ومبالغتهم في مدحه وإيصاله إلى أمور لا تنبغي إلا لله تعالى ومن ذلك قول قائلهم :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يازلة القدم[1]

وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فإذا كانت الدنيا والآخرة من جود الرسول ﷺ ، ومن بعض علومه علم اللوح والقلم لأن « من » للتبعيض ، فماذا للخالق جل وعلا ؟

إضافة إلى صرف بعض أنواع العبادة له كالدعاء والتوسل والاستشفاع والحلف به والطواف والتمسح بالحجرة التي فيها قبره ﷺ إلى غير ذلك من البدعيّات والشركيّات التي تفعل بدعوى المحبة للرسول ﷺ ، وهي أمور لم يشرعها الله ورسوله ﷺ ولم يفعلها الصحابة رضوان الله عليهم الذين عرفوا

---

(١) ديوان البوصيري (ص ٢٣٨) .

بإجلالهم وتقديرهم ومحبتهم لرسول الله ﷺ ، وإضافة إلى ذلك فإن ما يقوم به هؤلاء هي أمور مخالفة لما جاء به الشارع ، بل هي أمور قد حذر الشارع من فعلها ؛ ولقد صار حظ أكثر أصحاب هذا القسم منه ﷺ مدحه بالأشعار والقصائد المقترنة بالغلو والإطراء الزائد الذي حذر منه الشارع الكريم ، مع عصيانهم له في كثير من أمره ونهيه ، فتجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلوات الله عليه وسلامه[1] .

فياترى أي محبة هذه التي يخالف أصحابها شرع نبيهم ، فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله ، فكرهوا ما أحب الله ورسوله ، وأحبوا ما كرهه الله ورسوله .

فكيف تكون لهؤلاء محبة وهم قد ابتدعوا ما ابتدعوه من أمور لم تشرع في الدين ، ونعلم أن رسول الله ﷺ قد تبرأ ممن ابتدع في هذا الدين فقال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

والذي يجب على أمثال هؤلاء أن يعلموا أن محبة الرسول وتعظيمه إنما تكون بتصديقه فيما أخبر به عن الله ، وطاعته فيما أمر به ، ومتابعته ، ومحبته وموالاته ، لا بالتكذيب بما أرسل به ، والإشراك به والغلو فيه ، فهذا لا يعدو كونه كفرًا به ، وطعنًا فيما جاء به ومعاداة له[2] .

كما يجب عليهم أن يفرقوا بين الحقوق التي يختص بها الله وحده وبين الحقوق التي له ولرسله ، والحقوق التي يختص بها الرسول ، فقد ميز سبحانه بين ذلك في مثل قوله ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[3] فالتعزير والتوقير للرسول

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص ١٨٦) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٢٤ ، ٢٥) بتصرف .

(٣) الآية (٩) من سورة الفتح .

والتسبيح بكرة وأصيلا لله ، وكما قال : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ فالطاعة لله ولرسوله ، والخشية والتقوى لله وحده وكما يقول المرسلون : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[1].

فعلى هؤلاء أن يعلموا أن محبة الرسول لا تنال بدعائه والاستغاثة به ، فتلك أمور صرفها لغير الله يعد شركًا مع الله فالله وحده هو الذي يدعى ويستغاث به فهو رب العالمين ، وخالق كل شيء ، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وهو القريب الذي يجيب الداع إذا دعاه وهو سميع الدعاء سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

وسيأتي باذن الله مزيد تفصيل لما وقع فيه أصحاب هذا القسم من الغلو في حقه ، وذلك في الباب الرابع الذي عقدته للكلام عن الغلو في حقه ﷺ .

أما أصحاب القسم الثاني فهم أهل التفريط الذين قصّروا في تحقيق هذا المقام فلم يراعوا حقه ﷺ في وجوب تقديم محبته على محبة النفس والأهل والمال .

كما لم يراعوا ماله من حقوق أخرى كتعزيره وتوقيره وإجلاله وطاعته واتباع سنته والصلاة والسلام عليه إلى غير ذلك من الحقوق العظيمة الواجبة له .

والسبب في ذلك يعود الى احدى الأمور التالية أو إليها جميعا وهي :

أولًا : إعراض هؤلاء عن سنة نبيهم ﷺ وعن اتباع شرعه بسبب ما هم عليه من المعاصي ، وإسرافهم في تقديم شهوات أنفسهم وأهوائهم على ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي .

ثانيًا : اعتقاد الكثير أن مجرد التصديق يكفي في تحقيق الإيمان ، وأن هذا هو القدر الواجب عليهم ، ولذا تراهم يكتفون بالتصديق بنبوة محمد ﷺ ، دون تحقيق المتابعة له ، وهذا هو حال أهل الإرجاء الذين يؤخرون العمل عن مسمى

---

(١) الآية (٣) من سورة نوح .

الإيمان ويقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، أو تصديق القلب وإقرار اللسان وما أكثرهم في زماننا هذا .

ثالثا : جهل الكثير منهم بأمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة له ﷺ ، والتي من ضمنها محبته ﷺ فكثير من الناس - ولا حول ولا قوة إلا بالله - ليس لهم من الإسلام إلا اسمه وليس لهم من الدين إلا رسمه .

فالواجب على هؤلاء أن يعودوا إلى رشدهم وأن يقلعوا عن غيهم ، وما هم عليه من المعاصي والذنوب التي هي سبب نقصان إيمانهم وضعف محبتهم وبعدهم عما يقربهم إلى الله تعالى .

كما يجب عليهم أن يعلموا أن مجرد التصديق لا يسمى إيمانًا بل الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان ، فليس لأحد أن يخرج العمل عن مسمى الإيمان فلذلك يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله أن يطيع الله ورسوله ويتبع ما أنزل الله من الشرع على رسوله ﷺ ، فبذلك يحصل الإيمان ، فإن الاتباع هو ميزان الإيمان فبحسب اتباع المرء يكون إيمانه ، فمتى ما قوي اتباعه قوي إيمانه والعكس بالعكس .

كما يجب عليهم معرفة أمور دينهم وبخاصة الواجب منها والتي من ضمنها معرفة ما للمصطفي ﷺ من الحقوق الواجبة فلقد ذم الله تبارك وتعالى أولئك النفر الذين لم يعرفوا ما للنبي ﷺ من حق في عدم رفع الصوت عند مخاطبته أو مناداته ووصفهم الله بأنهم لا يعقلون قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1] وفي السورة نفسها أثنى على الذين

---

(١) الآية (٤) من سورة الحجرات .

عرفوا حق المصطفي ﷺ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(١)

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) . وليعلم هؤلاء أنه لا يتحقق لهم إيمان ولا محبة إلا باتباعهم للمصطفى ﷺ واقتدائهم بسنته والسير على نهجه وهداه .

أما القسم الثالث : فهم الذين توسطوا بين الطرفين السابقين أهل الإفراط وأهل التفريط .

فأصحاب هذا القسم هم السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم الذين آمنوا بوجوب هذه المحبة حكمًا وقاموا بمقتضاها اعتقادًا وقولًا وعملًا . فأحبوا النبي ﷺ فوق محبة النفس والولد والأهل وجميع الخلق امتثالًا لأمر الله وأمر رسوله ﷺ فجعلوه أولى بهم من أنفسهم تصديقا لقوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(٣) وأيقنوا بوجوب أن يوقى بالأنفس والأموال طاعة لقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾(٤) .

وقاموا بمقتضى هذه المحبة اعتقادا وقولا وعملا بحسب ما أوجب الله لنبيه ﷺ من حقوق على القلب واللسان والجوارح من غير إفراط ولا تفريط .

فآمنوا وصدقوا بنبوته ورسالته وما جاء به من ربه عز وجل . وقاموا ـ بحسب استطاعتهم ـ بما يلزم من طاعته والانقياد لأمره والتأسي بفعله والاقتداء بسنته

---

(١) الآية (٣) من سورة الحجرات .

(٢) الآية (٩) من سورة الزمر .

(٣) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

(٤) الآية (١٢٠) من سورة التوبة .

إلى غير ذلك مما يعد من لوازم الإيمان برسالته .

قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[(١)] وامتثلوا لما أمر به سبحانه وتعالى من حقوق زائدة على مجرد التصديق بنبوّته وما يدخل في لوازم رسالته .

فمن ذلك امتثالهم لأمره سبحانه بالصلاة عليه والتسليم قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[(٢)].

وما أمر به سبحانه من تعزيره وتوقيره قال تعالى : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[(٣)].

فتعزيره يكون بنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه ﷺ .

وتوقيره : يكون بإجلاله وإكرامه وأن يعامل بالتشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[(٤)].

ويدخل في ذلك مخاطبته بما يليق قال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[(٥)].

وحرمة التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن ، وحرمة رفع الصوت فوق صوته وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ

---

(١) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٣) الآية (٩) من سورة الفتح .

(٤) الصارم المسلول (ص ٤٢٢) .

(٥) الآية (٦٣) من سورة النور .

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١] .

فقاموا بهذه الأمور امتثالا وطاعة لأمر اللَّه تبارك وتعالى وأدوا ما فرض عليهم من الحقوق الأخرى التي يطول ذكرها والتي هي مذكورة في ثنايا هذا البحث .

وهم مع قيامهم بهذه الأمور لم يتجاوزوا ما أمروا به فلم يغالوا ولم يبالغوا كما فعل أهل الافراط الذين وصفوا النبي ﷺ بأمور لا تنبغي لغير اللَّه كعلم الغيب ، وصرفوا له أمورًا لا يجوز صرفها لغير اللَّه كدعائه والسجود له والاستغاثة به والطواف بقبره .

بل هم مؤمنون بأن ما أكرم اللَّه به نبيه ﷺ من النبوة والرسالة والرفعة وعظم القدر وشرف المنزلة ، كل ذلك لا يوجب خروجه عن بشريته وعبوديته للَّه قال تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٢] .

واعتقدوا أنه ليس من المحبة في شيء الغلو في حقه وقدره ووصفه بأمور قد اختص اللَّه بها وحده ، بل علموا أن في هذا مخالفة ومضادة لتلك المحبة ومناقضة لما أمر به سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يقوله لأمته ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا

(١) الآيات (١ ، ٢ ، ٣) من سورة الحجرات .
(٢) الآية (٩٣) من سورة الإسراء .
(٣) الآية (١٨٨) من سورة الأعراف .

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾(١)

فكل غلو في حقه ﷺ ليس من محبته في شيء بل يعد مخالفة لما أمر به فيجب الابتعاد عن ذلك والحذر من عقوبته قال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ كما يعد مشاقة للرسول ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(٢)

ولذا فإنه يجب الحذر من حال الغلاة الذين غلوا في حق النبي ﷺ بما ابتدعوه من الأمور التي لم يشرعها الله في كتابه أو على لسان رسوله ، بل حذر الله ورسوله منها .

وقد يظن البعض بأن السير على منهج أهل التوسط فيه انتقاص من قدر النبي ﷺ وغمط لحقه ، والأمر على عكس ما يظنون فالذي يعتقده السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين أن الحق الواجب أن يثنى على النبي ﷺ بما هو أهل له من الخصائص الثابتة له التي خصه الله بها والفضائل العظيمة التي شرفه بها والصفات الخَلقية والخُلقية التي كان عليها وذلك للتعرف وتعريف الناس بفضله ومكانته وعظيم قدره عند الله وعند خلقه حتى يُتأسى ويقتدى به في أقواله وأفعاله فهو الأسوة والقدوة عليه أفضل الصلاة والتسليم قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٣)

---

(١) الآية (٦٥) من سورة النمل .

(٢) الآية (١١٥) من سورة النساء .

(٣) الآية (٢١) من سورة الأحزاب .

فمن صميم المحبة له ﷺ الاشتغال بمعرفة سيرته بقصد التأسي والاقتداء بما كان عليه من كريم الخصال ومحاسن الأفعال والأقوال . وكذا معرفة شمائله ودلائل نبوته التي تعمق إيمان المسلم بصدق نبوته وتزيد في محبته وتعظيمه ﷺ .

ولقد اهتم السلف بهذه الجوانب وأولوها رعايتهم واهتمامهم فاعتنوا بتأليف المؤلفات التي أوضحت هذه الجوانب وأبرزتها فقد ألفت لهذا الغرض كتب الشمائل التي اعتنت بذكر صفاته وأحواله في عباداته وخلقه وهديه ومعاملاته(١).

كما ألفت كتب الدلائل التي اعتنت بدلائل وعلامات نبوته ﷺ(٢) .

هذا بالإضافة إلى ما كتب في الفضائل والخصائص التي كانت للنبي ﷺ .

كما اعتنوا بأصل هذه الجوانب جميعها ألا وهو سيرته الشريفة ﷺ فقد ألفت لهذا الغرض المؤلفات التي اعتنت بحياته منذ ولادته إلى وفاته وضمت في جوانب ذلك الحديث عن نشأته وبعثته وما حدث له من الأمور قبل الهجرة وبعدها وما كان من أمر دعوته وغزواته وسراياه وما يتعلق بهذه الجوانب وغيرها مما هو داخل في سيرته(٣). فقد دونت هذه الجوانب جميعها وخدمت بقصد أن يتأسى الناس به ﷺ وأن يتعرفوا على كمال ذاته ﷺ وما تميز به من صفات ، وتفرد به من أخلاق لتزيد تلك المعرفة من محبتهم له وتنميتها في قلوبهم ولتبعث في نفوسهم تعظيمه وإجلاله .

وبهذا يعلم أن أهل التوسط لم ينتقصوا من قدره ﷺ بل حفظوا وحافظوا على كل ما من شأنه أن يضمن استمرارية محبة الأمة وتعظيمها له .

---

(١) من تلك الكتب ، كتاب الشمائل للترمذي ، كتاب الشمائل لابن كثير .

(٢) منها كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي .

(٣) ومن أشمل الكتب التي تحدثت عن سيرته ﷺ كتاب السيرة لابن كثير .

فهذه حال أهل التوسط وهذا هو منهجهم فمن أراد أن يسير على النهج القويم ويسلك الصراط المستقم فعليه بسبيل أهل الإيمان وطريقهم ألا وهو الكتاب والسنة فذاك طريق الحق والحق أحق أن يتبع .

وهذا منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، فقد كانت محبتهم للنبي ﷺ تحكمها قواعد الكتاب والسنة ، فما أمر به الشارع ائتمروا به وما نهي عنه الشارع انتهوا عنه ، ولم يحكموا في هذه المحبة عواطفهم وأهواءهم كما فعل أهل الإفراط الذين زلت بهم أقدامهم بسبب غلوهم في حقه ذاك الغلو الذي دفعهم إليه تحكيم أهوائهم وهو غلو ما أنزل اللّٰه به من سلطان بل إن نصوص الشرع تنص على تحريمه ، وإنه ليصدق وصف أهل الإفراط بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾[1] .

فخلاصة القول في هذا الجانب أن المفهوم الصحيح لمحبته ﷺ يتمثل في ذلك المفهوم الذي كان عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم . ذلك المفهوم المستمد من آيات القرآن ونصوص السنة والذي لم يخرج عنهما قيد أنملة .

وما ذكرته ههنا عن هذا المفهوم الصحيح على سبيل الإجمال ، وتفصيل ذلك مستوفى بين دفتي هذا البحث فمنه ما سبق بيانه ومنه ما سيأتي تفصيله ونسأل اللّٰه الإعانة على ذلك .

○○○○

---

(١) الآية (٥٠) من سورة القصص .

المبحث الثاني

الأدلة على وجوب محبته ﷺ

● ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : الأدلة من القرآن على وجوب محبته ﷺ .

المطلب الثاني : الأدلة من السنة على وجوب محبته ﷺ .

المطلب الثالث : ما جاء عن الصحابة في شأن محبته ﷺ .

● ● ● ●

المطلب الأول

الأدلة من القرآن على وجوب محبته ﷺ

لما كانت محبة اللّه ورسوله من أعظم واجبات الإيمان ، وأكبر أصوله وأجل قواعده ، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان[1] .

ولما كانت هذه المحبة من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به .

ولما كانت هذه المحبة هي إحدى الحقوق الواجبة للنبي ﷺ على أمته ، فقد جعل اللّه هذه المحبة فوق محبة الإنسان لنفسه وأهله وماله والناس أجمعين .

كما نص على ذلك في كتابه اللّه العزيز . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2] .

فالآية نصت على وجوب محبة اللّه ورسوله وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب ، ولا خلاف في ذلك بين الأمة[3] .

قال القاضي عياض : « كفي بهذه الآية حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على لزوم محبته ، ووجوب فرضها ، واستحقاقه لها ﷺ إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من اللّه ورسوله ، وأوعدهم بقوله تعالى :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٨ ، ٤٩) .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٣) تفسير القرطبي (٨ / ٩٥) بتصرف .

﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله »[١] .

والمتأمل لهذه الآية يجد أن الأمر فيها لم يقتصر على وجود أصل المحبة لله ورسوله ، بل لابد مع ذلك أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وهذه المحبة لله تقتضي تحقيق العبودية له لأن العبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمره ومحبته ورضاه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب ، وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحب الخلي عن الذل والذل الخلي عن الحب لا يكون عبادة ، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله ، وهي وإن كانت منفعتها للعبد والله غني عنها فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها[٣] .

وأما محبة الرسول فتقتضي تحقيق المتابعة له ﷺ وموافقته في حب المحبوبات وبغض المكروهات . ومحبته ﷺ متفرعة عن محبة الله تعالى وتابعة لها .

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه مايحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ، ويرضي ما يرضى الله ورسوله ، ويسخط ما يسخط الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فإن عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك ، بأن ارتكب بعض ما

---

(١) الشفا (٢ / ٥٦٣) .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

(٣) التحفة العراقية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤ / ١٢ ، ١٣) مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية (بتصرف يسير) .

يكرهه اللّه ورسوله أو ترك بعض ما يحبه اللّه ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة .

فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة اللّه ورسوله ، وقد وصف اللّه المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[١]

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ، ولهذا يسمى أهلها « أهل الأهواء »[٢]

والذنوب تنقص من محبة اللّه تعالى بقدر ذلك ، ولكن لا تزيل المحبة للّه ورسوله إذا كانت ثابتة في القلب ، ولم تكن الذنوب عن نفاق كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه في حديث حمار[٣] الذي كان يشرب الخمر ، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد فلما كثر ذلك منه لعنه رجل ، فقال النبي ﷺ : « لا تلعنه فإنه يحب اللّه ورسوله »[٤] وفيه دلالة على أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه ، وإن كان مذنبًا ، إذا كان يحب اللّه ورسوله[٥].

---

(١) الآية (٥٠) من سورة القصص .

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٦٦) بتصرف يسير .

(٣) هذا لقبه واسمه النعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري ، وقيل إن القصة وقعت لابنه عبد اللّه . فتح الباري (١٢ / ٧٧) والإصابة (٣ / ٥٤٠ ، ٥٤١) .

(٤) أخرجه في كتاب الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة . انظر : فتح الباري (١٢ / ٧٥) .

(٥) كتاب قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢ ، ٧٣) بتحقيق محمد رشاد سالم .

ثانيًا : ومن الآيات التي يستدل بها على وجوب محبة النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[1] فالآية دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين ، وهذه الأولوية تتضمن أمورا منها :

أن يكون النبي أحب إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ، ونفس العبد أحب إليه من غيره ، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها ، فبذلك يحصل له اسم الإيمان .

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره ، وإيثاره على ما سواه .

ومنها : أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا ، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده ، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذى هو أولى به منها .

ومن العجب أن يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصيبه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها والغضب والمحبة لهاوالرضا بها والتحاكم إليها ، وعرض ماقاله الرسول عليها ، فإن وافقها قبله ، وإن خالفها التمس وجوه الحيل وبالغ في رده ليا وإعراضا[2]

ولذلك فإنه ينبغي على كل مسلم أن يعلم أن محبة النبي ﷺ ليست مجرد دعوى تتحقق بتلفظ اللسان فقط ـ كما يظن كثير من الناس ـ بل لابد لهذه الدعوى من البرهان الذي يثبت صدقها ، وبرهان المحبة تحقيق الأولوية في شتى

---

(١) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

(٢) الرسالة التبوكية (ص ٢٩ ، ٣٠) بتصرف يسير .

صورها وأشكالها فبحسب ذلك التحقيق تتحدد درجة المحبة وتتعين .

وليعلم أنه لا يتم للعبد مقام الإيمان حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه فضلًا عن ابنه وأبيه . فإذا كان هذا شأن محبة عبده ورسوله فكيف بمحبته سبحانه ؟

ثالثا : ومما يستدل به كذلك على وجوب محبة النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[1]. ووجه الاستدلال بهذه الآية : أن الآية قد تضمنت وجوب محبة النبي ﷺ لأنه مما يدخل في محبة اللّٰه محبة ما يحبه اللّٰه ، واللّٰه يحب نبيه وخليله ﷺ فمن أجل ذلك وجبت علينا محبته .

ومن المعلوم أن أصل حب أهل الإيمان هو حب اللّٰه ، ومن أحب اللّٰه أحب من يحبه اللّٰه ، وكل ما يحب سواه فمحبته تكون تبعا لمحبة اللّٰه ، إذ ليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا اللّٰه تعالى .

فالرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل اللّٰه ويطاع لأجل اللّٰه ويتبع لأجل اللّٰه ، وكذا الأنبياء والصالحون وسائر الأعمال الصالحة تحب جميعا لأنها مما يحب اللّٰه .

وبهذا يعلم تعين محبة النبي ﷺ ووجوبها ولزومها .

هذا وقد جاء ذكر محبة الرسول مقترنا بمحبة اللّٰه في قوله تعالى : ﴿ أحب إليكم من اللّٰه ورسوله ﴾ وكذلك في قوله ﷺ « ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما .. »[2]

وفي مواطن أخرى متعددة من السنة كما سيأتي .

---

(١) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٣

وهذا الاقتران يدلل على مدى الصلة الوثيقة بين محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، وإن كانت محبة الرسول داخلة ضمن محبة الله تعالى أصلا ، لكن إفرادها بالذكر مع أنها ضمن محبة الله فيه إشارة إلى عظم قدرها وإشعار بأهميتها ومكانتها .

رابعا : ومن الأدلة قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبي ﷺ ، لأن الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو اتباع النبي ﷺ ، وهذا الإتباع لايتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبي ﷺ ، والإيمان به لابد فيه من تحقق شروطه التي منها محبة النبي ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده »(٢) .

فمحبته ﷺ شرط في الإيمان الذي لا يتحقق الإتباع إلا بوجوده . ومن جهة أخرى فإن محبة الله مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات واتباع رسوله هو من أعظم ما أوجبه الله تعالى على عباده وأحبه . وهو سبحانه أعظم شيء بغضًا لمن لم يتبع رسوله . فمن كان صادقًا في دعوى محبة الله اتبع رسوله لا محالة ، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

فتأمل هذا التلازم بين محبة الله تعالى ومحبة نبيه ﷺ .

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان .
انظر : فتح الباري (١ / ٥٨) ح ١٤

المطلب الثاني

الأدلة من السنة على وجوب محبته ﷺ

تضافرت الأدلة من السنة على تأكيد وجوب محبة النبي ﷺ باعتبار هذه المحبة من صميم الدين فلا يتم لأحد إيمان إلا بتحقيقها . بل إنه لا يكتفي بوجود أصلها فقط ، إذ لابد مع ذلك من تقديم محبته بعد محبة الله على محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين .

ومما يدل على وجوب تقديم محبته ﷺ على محبة النفس .

أولا : ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ يارسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي .

فقال النبي ﷺ : « لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك » . فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي .

فقال النبي ﷺ : « الآن ياعمر »[١] .

فالحديث نص على وجوب تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة النفس .

وأما الدليل على وجوب تقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين .

ثانيا : فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده »[٢] .

ثالثا : وعن أنس رضي الله عنه قال : « قال النبي ﷺ « لا يؤمن أحدكم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ .
انظر : فتح الباري (١١ / ٥٢٣) ح ٦٦٣٢

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٠٦) .

حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »[١] .

« فالمراد من قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم » أي : لا يحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمته ، ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين ، بل لا يحصل له ذلك حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه أيضًا ، كما تقدم في حديث عمر رضي الله عنه .

فمن لم يكن كذلك ، فهو من أصحاب الكبائر إذا لم يكن كافرًا ، فإنه لا يعهد في لسان الشرع نفي اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته ، فأما إذا كان الفعل مستحبًا في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب ، ولو صح هذا لنفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج وحب الله ورسوله ، لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه ، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها النبي ﷺ ، بل ولا أبو بكر ولا عمر ، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه ، لجاز أن ينفي عن جمهور المسلمين من الأولين والاخرين ، وهذا لا يقوله عاقل .

وعلى هذا فمن قال : إن المنفي هو الكمال ، فإن أراد أنه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق ، وإن أراد نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ﷺ .

وأكثر الناس يدعي أن الرسول أحب إليه مما ذكر ، فلابد حينئذ من تصديق ذلك بالعمل والمتابعة له ، وإلا فالمدعي كاذب .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ، واللفظ له . انظر : فتح الباري (١ / ٥٨) ح ١٥ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان (١ / ٤٨) .

فإن القرآن بين أن المحبة التي في القلب تستلزم العمل الظاهر بحبها كما قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] إلى قوله ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] فنفي الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله سمعوا وأطاعوا .

فتبين أن هذا من لوازم الإيمان والمحبة ، ولكن كل مسلم لابد أن يكون محبًا بقدر ما معه من الإسلام ، كما أن كل مؤمن لابد أن يكون مسلمًا وكل مسلم لابد أن يكون مؤمنًا ، وإن لم يكن مؤمنًا الإيمان المطلق ، لأن ذلك لايحصل إلا لخواص المؤمنين ، فإن الاستسلام لله ومحبته لا يتوقف على هذا الإيمان الخاص .

وهذا الفرق يجده الإنسان من نفسه ويعرفه من غيره ، فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر ، أو ولدوا في الإسلام ، والتزموا شرائعه ، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله ، وهم مسلمون ومعهم مطلق الإيمان ، لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا إن أعطاهم الله ذلك ، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين ، ولا إلى الجهاد ولو شككوا لشكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا ، وليسوا كفارا ولا منافقين ، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب ، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما

---

(١) الآية (٤٧) من سورة النور .

(٢) الآية (٥١) من سورة النور .

يقدمونه على الأهل والمال .

وهؤلاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة ، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من النفاق(١) .

رابعا : وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »(٢) .

وفي هذا الحديث أخبر ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . والمتأمل في هذه الأمور الثلاثة يرى أنها تتبع كمال محبة العبد لله(٣) لأن محبة الله تكمل بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ذلك لأن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وتفريعها : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

ودفع ضدها : بأن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهة الإلقاء في النار(٤) .

والشاهد من الحديث معنا قوله « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

فمن المعلوم أن كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٤١٥ ، ٤١٧) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٣

(٣) المقصود كمال المحبة الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة وليس المراد الكمال المستحب .

(٤) مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٠٦) .

شيء من تلك المحبة ، غير أن الناس يتفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفي وهم الذين جعلوا محبة اللّٰه ورسوله مقدمة على ما سواهما .

ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات .

ومنهم من هو بين هذين الأمرين .

فالحظ الأوفي هو بتحقيق هذه المرتبة من المحبة وهي أن يكون اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما » . وذلك بأن يتوجه بكليته نحو هذه الغاية فيحب ما أحب اللّٰه ورسوله ويكره ما كره اللّٰه ورسوله ، فيمتثل للأوامر ويجتنب النواهي ولا يتلقى شيئًا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاة النبي ﷺ ، ولا يسلك إلا طريقته ، ويرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضاه ، ويتخلق بأخلاقه ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان .

وأما قوله : « وأن يحب المرء لا يحبه إلا للّٰه » ففيه دلالة واضحة على أن حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ ، فيجب على المؤمن محبة اللّٰه ومحبة من يحبه اللّٰه من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما .

وفي الحديث « من أحب للّٰه وأبغض للّٰه وأعطى للّٰه ومنع للّٰه فقد استكمل الإيمان »[١] .

ومتى كان حب المرء وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥ / ٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥ / ٢٢٩) .

ﷺ من تقديم محبة اللَّه ورسوله وما فيه رضا اللَّه ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها[١].

خامسا : عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : « جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : يارسول اللَّه متى الساعة ؟ قال : « وما أعددت للساعة ؟ » قال : حب اللَّه ورسوله . قال : « فإنك مع من أحببت » .

قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي ﷺ « فإنك مع من أحببت » . قال أنس : فأنا أحب اللَّه ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم »[٢].

سادسًا : عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « من أشد أمتي لي حبًا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله »[٣].

سابعًا : وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « أحبوا اللَّه لما يغدوكم به من نعمه ، وأحبوني بحب اللَّه وأحبوا أهل بيتي لحبي »[٤].

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٦ ، ٣٦٧) بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب المرء مع من أحب ، انظر : فتح الباري (١٠ / ٥٥٧) ح ٦١٧١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصله ، باب المرء مع من أحب (٨ / ٤٢) واللفظ له .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله . انظر : (٨ / ١٤٥) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٥ / ٦٦٤) ح ٣٧٨٩ وقال الترمذي حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣ / ١٤٩ ، ١٥٠)وصححه ، ووافقه الذهبي . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣ / ٢١١) . والخطيب في تاريخ بغداد (٤ / ١٦٠) . والطبراني في الكبير (١٠ / ٣٤١) ح ١٠٦٦٤

ثامنا : وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلًا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه » .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ . قال : فتساورت لها[١] رجاء أن أدعى لها . قال : فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها ... » الحديث[٢] .

وعن سهل بن سعد[٣] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » . قال : فبات الناس يدوكون[٤] ليلتهم : أيهم يعطاها ؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها . فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقيل : هو يارسول الله يشتكي عينيه . قال : « فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية .... » الحديث[٥] .

○○○○

(١) « تساورت لها » أي : رفعت لها شخصي . النهاية (٢ / ٤٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢١) .

(٣) سهل بن سعد الساعدي الأنصاري من مشاهير الصحابة ، مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة . وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة ، مات سنة إحدى وتسعين وقيل قبل ذلك . الإصابة (٢ / ٨٧) .

(٤) أى يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه . النهاية (٢ / ١٤٠)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر انظر : فتح الباري (٧ / ٤٧٦) ح ٤٢١٠ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢١) .

المطلب الثالث

ما جاء عن الصحابة في شان محبته ﷺ

إن مما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه ﷺ كان أتم وأوفر ، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة ، وهم بقدره ﷺ ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم فبالتالي كان حبهم له ﷺ أشد وأكبر .

وإن المتأمل لما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم من كلام في هذا الخصوص يلمس صدق تلك المحبة وعظمها في نفوسهم .

فعن عمرو بن العاص[١] رضي الله عنه قال : « وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه اجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملأ عيني منه »[٢].

وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال : كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ[٣] .

وقد سأل أبو سفيان بن حرب ـ وهو على الشرك حينذاك ـ زيد بن الدثنة[٤]

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي أسلم قبل الفتح ، أحد دهاة العرب في الإسلام ، وأحد القادة الفاتحين ، فتح مصر وكان أميرًا عليها ، توفي سنة ٤٣ هـ . الإصابة (٣ / ٢ ـ ٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجره (١ / ٧٨) .

(٣) الشفا (٢ / ٥٦٨) .

(٤) زيد بن الدثنة ـ بفتح الدال وكسر المثلثة بعدها نون ـ ابن معاوية الأنصاري البياضي ، شهد بدرًا وأُحدًا ، وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته قريش بالتنعيم . الإصابة (١ / ٥٤٨) .

رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقلتوه ـ وكان قد أسر يوم الرجيع ـ[1] أنشدك الله يازيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شركة تؤذية وإني جالس في أهلى .

فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا[2] .

وعن الشعبي قال : جاء رجل من الأنصار الى رسول الله ﷺ ، فقال : لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي ولولا أني آتيك فأراك لظننت أني سأموت وبكى الأنصاري . فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبكاك ؟ » قال : ذكرت أنك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك .

فلم يخبره النبي ﷺ بشيء فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[3] .

فقال له النبي ﷺ : « أبشر »[4] .

---

(١) الرجيع : بفتح الراء وكسر الجيم هو في الأصل اسم للروث ، وسمي بذلك لاستحالته ، والمراد هنا : اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعه بالقرب منه . فتح الباري (٧ / ٣٧٩) .

(٢) البداية لابن كثير (٤ / ٦٥) ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣ / ٣٢٦) في أمر خبيب .

(٣) الآيتان (٦٩ ، ٧٠) من سورة النساء .

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ص ١٣) بتحقيق محمد بن عبد الوهاب العقيل ، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية . وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر . انظر (٢ / ١٨٢) . والحديث له شاهد آخر من حديث عائشة مرفوعًا بنحوه ، أخرجه =

وقال سعد بن معاذ[1] رضي الله عنه للنبي ﷺ يوم بدر : يانبي الله ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له بخير[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد جاض[3] أهل المدينة جيضة وقالوا : قتل محمد ، حتى كثرت الصوارخ[4] في ناحية المدينة .

فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت[5] بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم استقبلت به أولًا فلما مرت على أحدهم قالت : من هذا ؟ قالوا : أبوك أخوك زوجك ابنك . تقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟

= الطبراني في المعجم الصغير (١ / ٢٦) . وأبو نعيم في الحلية (٨ / ١٢٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٧) : « رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة ، وله شاهد آخر من حديث ابن عباس مرفوعا بنحوه ، أخرجه الطبراني في الكبير (١٢ / ٨٦) ح رقم ١٢٥٥٩ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٧) وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط . وله شاهد من طريق آخر عن سعيد بن جبير مرسلا . أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥ / ١٦٣) . وطرق هذا الحديث يقوي بعضها بعضا . والله أعلم .

(١) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي ، سيد الأوس ، صحابي جليل ، شهد بدرًا ، ورمى بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرًا ثم مات ، وذلك سنة خمس من الهجرة . الإصابة (٢ / ٣٥) .

(٢) أورده ابن هشام في السيرة (٢ / ١٩٢) وعزاه لابن اسحاق ، وأورده ابن كثير في البداية (٣ / ٢٦٨)

(٣) يقال : جاض في القتال : إذا فر . وجاض عن الحق : عدل .

وأصل الجيض : الميل عن الشيء ، ويروى بالحاء والصاد المهملتين النهاية (١ / ٣٢٤) .

(٤) جمع صارخ : وهو المصوت يعلمه بأمر حادث يستعين به عليه أو ينعي له ميتا . النهاية (٣ / ٢١) .

(٥) أي أخبرت بمقتل أبيها ، وابنها ، وزوجها ، وأخيها .

يقولون : أمامك حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت : بأبي أنت وأمي يارسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب[١] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نُعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيه حتى أنظر اليه . قال : فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك[٢] جلل[٣] .

ولقد حكّم الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم فقالوا : هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحر لخضناه ، نقاتل بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك[٤] .

وما هذا الإيثار الذي تضمنته هذه الكلمات إلا تعبيرا عما تكنه نفوسهم من المحبة له ﷺ واسمع إلى قول قيس بن صرمة الأنصاري[٥] إذ يقول :

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

(٢) جلل : أي هينة ويسيره ، والكلمة من الأضداد تكون للحقير والعظيم النهاية (١ / ٢٨٩) .

(٣) رواه ابن هشام في السيرة (٣ / ٤٣) . وعنه أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤ / ٤٧) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣ / ٣٠٢) بنحوه .

(٤) روضة المحبين (ص ٢٧٧) .

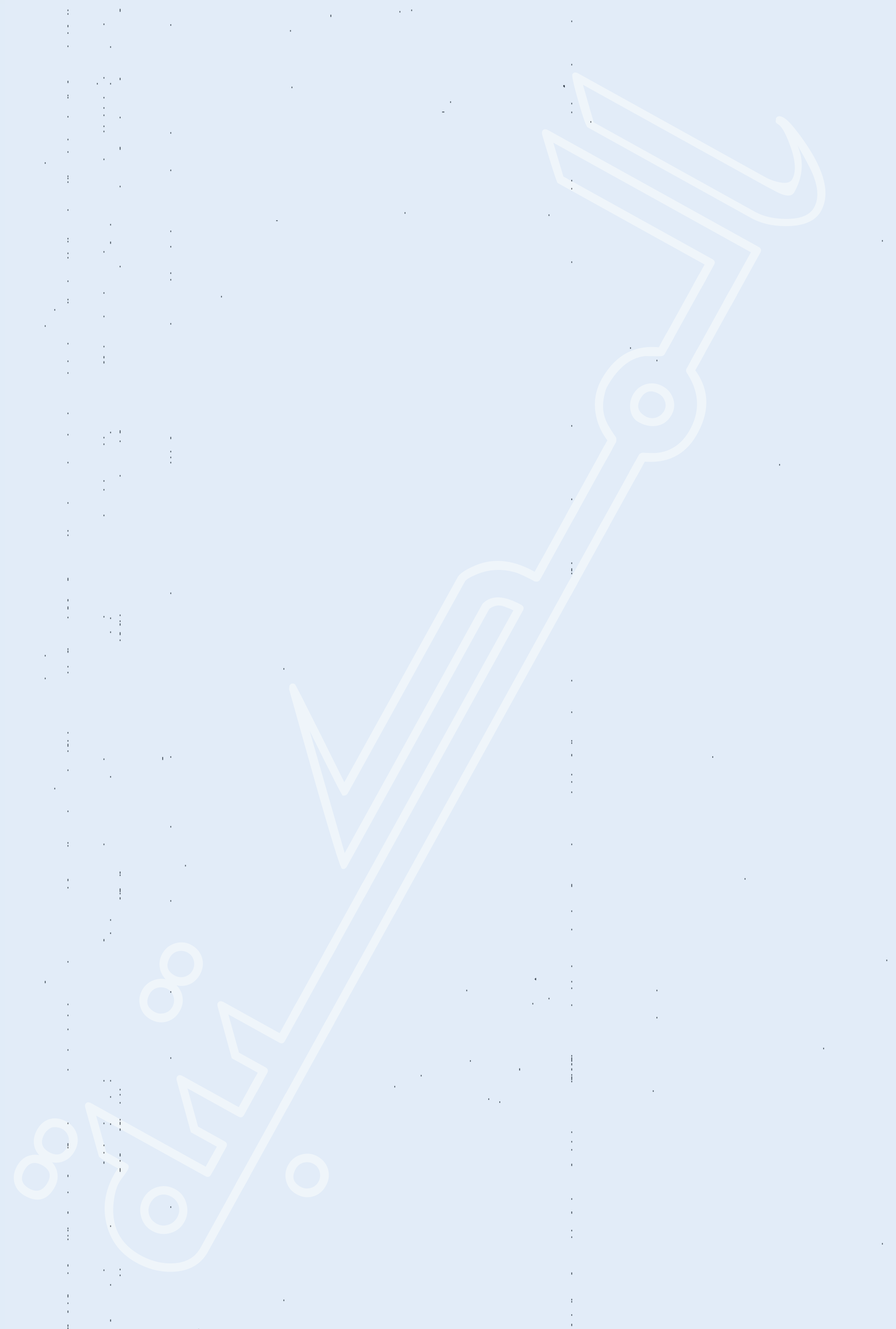
(٥) قيس بن صرمة ، وقيل صرمة بن قيس ، وقيل قيس بن مالك بن صرمة وقيل غير ذلك ، الأوسي الأنصاري ، أدرك الإسلام شيخا كبيرا فأسلم ، وقد قال هذه الأبيات حين قدم النبي ﷺ المدينة . الإصابة (٢ / ١٧٦ - ١٧٧)

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى حبيبا مؤاتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا واتقرت به النوى وأصبح مسرورًا بطيبة راضيا
بذلنا له الأموال من حل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعًا وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره وأن رسول الله أصبح هاديا[1]

○ ○ ○ ○

---

(١) روضة المحبين (ص ٢٧٧) .



الفصل الثاني

علامات محبته ﷺ والثواب المترتب عليها

● وفيه مبحثان :

المبحث الأول : علامات محبته ﷺ .

المبحث الثاني : ثواب محبته ﷺ وثمراتها .

المبحث الأول

علامات محبته ﷺ

● ويشتمل على تمهيد وتسعة مطالب :

المطلب الأول : من علامات محبته اتباعه والأخذ بسنته ﷺ .

المطلب الثاني : من علامات محبته الإكثار من ذكره ﷺ .

المطلب الثالث : من علامات محبته تمني رؤيته والشوق إلى لقائه ﷺ .

المطلب الرابع : من علامات محبته النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

المطلب الخامس : من علامات محبته تعلم القرآن الكريم وتعلم سنته ﷺ .

المطلب السادس : من علامات محبته محبة من أحبهم النبي ﷺ .

المطلب السابع : من علامات محبته بغض من أبغض الله ورسوله .

المطلب الثامن : من علامات محبته الزهد في الدنيا .

المطلب التاسع : التحذير من علامات المحبة البدعية .

● ● ● ●

تمهيد

سن الشارع الكريم علامات ودلائل لمحبة النبي ﷺ ، شرعت ليتسنى من خلالها معرفة من يصدق في دعوى محبته للمصطفي ﷺ ، فكل دعوى لابد لها من برهان ، يدل على صدقها قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

ومن أجل ذلك فإن على كل مسلم أن يكون على علم بتلك الدلائل والعلامات ، وأن يعمل بها ويحققها ، وأن لا يرغب عنها أو يستبدل بها أمورًا أخرى مبتدعة لم يرد فيها دليل من الشرع .

فبتلك العلامات والدلائل تظهر حقيقة المحبة ، فمتى ما كان التحقيق لتلك العلامات أكبر كانت درجة المحبة أرفع وأعظم والعكس بالعكس .

ولذلك تجد أن الصادق في محبته للنبي ﷺ هو الذي تظهر عليه تلك العلامات والدلائل وتراه يسعى جاهدا إلى تحقيقها حتى ينال بذلك منزلة عظيمة من منازل الإيمان .

ومن أهم تلك العلامات ما يلي :

---

(١) الآية (١١١) من سورة البقرة .

المطلب الأول

من علامات محبته اتباعه والأخذ بسنته ﷺ

فاتباع النبي ﷺ والاقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء آثاره واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في العسر واليسر والمنشط والمكره ، هو أول علامات محبته ﷺ ، فالصادق في حب النبي ﷺ هو من تظهر عليه هذه العلامة فيكون متبعا للرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا ومؤثرًا لموافقته في مراده بحيث يكون فعله وقوله تبعًا لما جاء به النبي ﷺ .

فعن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه قال : قال لي رسول اللّٰه ﷺ : « يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال لي » يابنى وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة »[1] .

فالمحب للرسول ﷺ هو من حرص على التمسك بسنته وإحيائها وذلك باستعمال السنة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي في الأقوال والأفعال ، وتقديم ذلك على هوى النفس وملذاتها كما قال تعالي : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾[2] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥ / ٤٦) ح ٢٦٧٨ وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

فإحياء السنة واتباع المصطفى دليل محبته كما هو دليل محبة الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(١) فهذه الآية نزلت عندما ادعى قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله ، فأنزل الله هذه الآية .

وعلى هذا فإن محبة الله ورسوله تقتضي فعل المحبوبات وترك المكروهات ، ولا يتصور أن يكون الشخص محبا لله ورسوله وهو معرض عن اتباع سنة المصطفى ﷺ .

ومن أجل ذلك فإن الناس يتفاضلون في درجات محبتهم تفاضلًا عظيمًا ، فمن كان منهم أعظم نصيبًا في اتباع الرسول ﷺ والاقتداء بسنته فهو أعظم درجة عند الله ، ومن نقصت درجة اتباعه فلا شك أن ذلك سيؤثر على المحبة ويضعف درجتها .

وهذا لا يعني أن المخالفة لشيء من السنة ينافي المحبة منافاة كلية ، فالمخالفة إذا لم تصل إلى درجة الكفر فهي تنقص من المحبة ولكن لا تخرج صاحبها عن دائرتها والدليل على ذلك قوله ﷺ للرجل الذي لعن شارب الخمر وقال ما أكثر ما يؤتى به ، فقال ﷺ : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله »(٢) .

فدل الحديث على أن وقوع المخالفة حتى وإن كانت كبيرة من الكبائر لا يعنى ذلك انتفاء وجود محبة الله ورسوله في ذلك الشخص المخالف .

والواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ورسوله ﷺ محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه .

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٠٣

فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلا .

والواجب عليه كذلك أن يكره ما كرهه اللّه ورسوله كراهة توجب الكف عما حرم عليه منه .

فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كره تنزيها كان ذلك فضلا(١).

« فمن أحب اللّه ورسوله محبةصادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه مايحبه اللّه ورسوله ، ويكره ما يكرهه اللّه ورسوله ويرضى ما يرضي اللّه ورسوله ، ويسخط ما يسخط اللّه ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض .

فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه اللّه ورسوله ، أو ترك بعض ما يحبه اللّه ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة »(٢) .

o o o o

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٥) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦٦) .

المطلب الثاني

من علامات محبته الإكثار من ذكره ﷺ

ومن علامات محبته ﷺ الإكثار من ذكره ﷺ ، فمن أحب شيئا أكثر من ذكره ، ودوام الذكر سبب لدوام المحبة وزيادتها ونمائها .

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله في ضمن تعداده للفوائد والثمرات الحاصلة من الصلاة على النبي ﷺ : « أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه . وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه ، فإذا قوى هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه »[(١)] .

والمقصود بالذكر هنا الذكر المشروع وعلى رأسه الصلاة والسلام عليه ﷺ امتثالا لأمر الله تعالى الوارد في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[(٢)] .

وامتثالا لقوله ﷺ : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا » الحديث[(٣)] .

---

(١) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام (ص ٢٤٨) .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، ثم =

وعن أبي بن كعب قال : قلت : يارسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : « ما شئت » . قلت : الربع ؟
قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : النصف ؟
قال : « ما شئت ،و إن زدت فهو خير » . قلت : الثلثين ؟
قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قال : أجعل لك صلاتي كلها .
قال : « إذًا تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك »(١) .

قال ابن القيم : « سئل شيخنا أبو العباس بن تيمية رضي الله عنه عن تفسير هذا الحديث فقال : كان لأبيّ بن كعب دعاء يدعو به لنفسه فسأل النبي ﷺ : « هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه فقال : إن زدت فهو خير لك ، فقال له : النصف ، فقال إن زدت فهو خير لك ، إلى أن قال : أجعل لك صلاتى كلها : أى أجعل دعائي كله صلاة عليك ، قال : إذا تكفي همك ويغفر ذنبك ، لأن من صلى على النبي ﷺ صلاة صلى الله بها عشرا ، ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفر له ذنبه هذا معنى كلامه »(٢) .

= يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة (٢ / ٤) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ١٣٦) . وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب صفة يوم القيامة ، باب ٢٣ ، (٤ / ٦٣٦ ، ٦٣٧) ح ٢٤٥٧ وقال : هذا حديث حسن صحيح . والحاكم في المستدرك (٢ / ٤٢١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٨) ح ١٤، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٥٦) . والحديث في إسناده « عبد الله بن محمد بن عقيل » قال ابن القيم : عبد الله ابن محمد بن عقيل احتج به الأئمة الكبار كالحميدي وأحمد ، وإسحاق ، وعلي بن المديني ، والترمذي وغيرهم ، والترمذي يصحح هذه الترجمة تارة ويحسنها تارة . جلاء الافهام (ص ٦٦) وقال الألباني في الصحيحه (٩٥٤) « إسناده حسن من أجل الخلاف المعروف في ابن عقيل » .

(٢) جلاء الأفهام (ص ٣٢) .

والشاهد من الحديث أن من محبته ﷺ مداومة الصلاة والسلام عليه والثناء عليه بما هو أهل له من الأوصاف والخصال الحميدة التي وصف بها ﷺ .

وفي الحديث الآخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[1] .

فذكره شُرع لإظهار محبته واحترامه وتوقيره وتعظيمه ﷺ وهذا من علامات محبته ، ولقد ورد أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا بعد وفاته ﷺ لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرّت جلودهم وبكوا ، وكذلك كان كثير من التابعين من يفعل ذلك محبة له وشوقًا إليه[2] .

ويدخل ضمن الذكر المشروع تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخلال الفاضلة ، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل ، وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه ، وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك ، ليزدادوا إيمانًا ومحبة له ﷺ ولكي يتأسوا به .

ولا محظور في التمدح بذلك نثرًا وشعرًا مادام أن ذلك في حدود المشروع الذي أمر به الشارع الكريم .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٠١) . وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ « رغم أنف رجل » وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب (٥ / ٥٥١) ح ٣٥٤٦ ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٣) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه انظر موارد الظمآن رقم (٢٣٨٨) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه الطبراني في الكبير (١ / ١٣٩ / ٢) وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣ / ١٧٧) حديث صحيح .

(٢) الشفا (٢ / ٥٧٣) .

نصوص القرآن والسنة ، كأن يتجاوز به حدود بشريته فيصرف له شيء من الأمور الخاصة بالله عز وجل كما فعل بعض الغلاة في أشعارهم ومدائحهم للنبي ﷺ .

وكذلك فإن من الأمور المنهي عنها الذكر المقترن بالغناء وأدوات اللهو والطرب والرقص ، وهذا الذكر البدعي هو الذي عليه حال أرباب الطرق والتصوف ، وقد وافقهم على ذلك كثير من عوام الناس ظنًا منهم أن فعل مثل هذه الأمور هو الطريق إلى تحقيق محبة النبي ﷺ وهو في حقيقة فعله يعد محادة لله ورسوله فقد تبرأ ﷺ ممن أحدث في الدين حيث قال : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الموضوع في الباب الرابع بإذن الله .

○ ○ ○ ○

المطلب الثالث

من علامات محبته ﷺ تمنى رؤيته والشوق إلى لقائه

ومن علامات محبته ﷺ محبة رؤيته والشوق إلى لقائه وتمني ذلك ولو كان ذلك مقابل بذل المال والأهل. وهذه العلامة نص عليها قوله ﷺ: «من أشد أمتي لي حبًا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله»[1].

فهو ﷺ وصف أهل هذه العلامة من أمته التي ستأتي من بعده بأنهم من أشد الناس محبة له ﷺ، وهذه الأمنية يقدرها حق قدرها أهل الإيمان الذين ترسخت في قلوبهم محبة النبي ﷺ حتى إنهم من شدة محبتهم له ﷺ أن جالت في خواطرهم وأحاسيسهم هذه الأمنية العظيمة حتى إن الواحد منهم لا يبالي أن يدفع ثمنا لهذه الأمنية العزيزة على نفسه ما عنده من الأهل والمال ليرى النبي ﷺ، ولسان حالهم ومقالهم يقول مع ذلك كله ما أعظم الأمنية وما أرخص الثمن.

فهذه علامة من علامات محبته يتصف بها أهل الإيمان الصادق الراسخ الذين آمنوا بوجوب تقديم محبة رسول الله ﷺ على محبة الولد والوالد والناس أجمعين بل على كل أمر من أمور الدنيا ومظاهرها فيالها من نفوس سمت وسما بها إيمانها لمثل هذا المطلب وهذه الأمنية العزيزة على قلب كل مؤمن عرف قدر النبي ﷺ وحقه وعظيم منزلته.

فجدير بهذه النفوس أن تنال شهادة النبي ﷺ لها بأنها أشد القلوب محبة له.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله (٨ / ١٤٥).

وعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « والذى نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم يوم لا يراني ، ثم لإن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله »[١] .

ولقد كانت هذه السمة وهي الشوق إلى لقاء النبي ﷺ ورؤيته موجودة في الصحابة رضوان اللّٰه عليهم ويشهد لذلك ما جاء في حديث الأشعريين أنهم عند قدومهم إلى المدينة كانوا يرتجزون فيقولون :

غدا نلقى الأحبة محمد وحزبه[٢]

وروي أن بلالا رضي اللّٰه عنه لما حضرته الوفاة ، نادت امرأته واحزناه . فقال : واطرباه ، غدا ألقى الأحبة محمد وحزبه[٣] .

وقد روي مثل ذلك عن حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي اللّٰه عنهم أجمعين[٤] .

○○○○

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب فضل النظر إلى النبي ﷺ وتمنيه (٧ / ٩٦) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ١٠٥ ، ١٥٥) والبيهقي في الدلائل (٥ / ٣٥١) .

(٣) الشفا (٢ / ٥٦٩) .

(٤) المصدر السابق (٢ / ٥٦٩ ، ٥٧٣) .

المطلب الرابع

من علامات محبته ﷺ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

فمن علامات محبته ﷺ : المناصحة لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

قال القرطبي[٢] : قوله تعالى : ﴿ إِذَا نَصَحُوا ﴾ النصح : إخلاص العمل من الغش ومنه التوبة النصوح ... ونصح الشيء : إذا خلص ونصح له القول : أي أخلصه له »[٣] .

وأصل النصح في اللغة : الخلوص ، يقال نصحت العسل : إذا خلصته من الشمع . ويقال : نصحته ، ونصحت له[٤] .

قال الخطابي : « النصاحة : إخلاص العمل . والناصح : الخالص من كل شيء ، ويقال : نصحت العسل إذا صفيتها »[٥] .

---

(١) الآية (٩١) من سورة التوبة .

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي ، من كبار المفسرين وهو صاحب التفسير المشهور الذى يعرف « تفسير القرطبي » واسمه « الجامع لأحكام القرآن » توفي رحمه الله سنة ٦٧١ هـ . طبقات المفسرين (٢ / ٦٩ - ٧٠) .

(٣) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٧) .

(٤) النهاية في غريب الحديث (٥ / ٦٣) وجامع العلوم والحكم (ص ٧٤) .

(٥) غريب الحديث للخطابي (٢ / ٢٢٨) .

وعن تميم الداري[١] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الدين النصيحة » . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[٢] .

فقوله ﷺ : « إن الدين النصيحة » يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل المشهور ، وسمى ذلك كله دينا[٣] . فالنصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا[٤] .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي[٥]: « قال بعض أهل العلم : جماع تفسير النصيحة : هو عناية القلب للمنصوح له من كان .

وهي على وجهين : أحدهما : فرض . والآخر : نافلة .

فالنصيحة المفترضة لله : هي شدة العناية من الناصح ، باتباع محبة الله في أداء ما افترض ، ومجانبة ما حرم الله .

وأما النصيحة التي هي نافلة : فهي إيثار محبته على محبة نفسه ، وذلك أن يعرض له أمران : أحدهما : لنفسه ، والآخر : لربه . فيبدأ بما كان لربه ، ويؤخر ما كان لنفسه . فهذه جملة تفسير النصيحة له الفرض منه والنافلة .

فالفرض منها : مجانبة نهيه ، وإقامة فرضه بجميع جوارحه ، ما كان مطيعًا له .

---

(١) تميم بن أوس بن حارثه الداري ، صحابي مشهور ، كان نصرانيا ثم قدم المدينة فأسلم وذلك سنة تسع من الهجرة ، غزا مع النبي ﷺ ، مات بالشام . الإصابة (١ / ١٨٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة (١ / ٥٣) .

(٣) ، (٤) جامع العلوم والحكم (ص ٧٤ - ٧٦) .

(٥) محمد بن نصر المروزي ، أبو عبد الله ، إمام في الفقه والحديث كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام ، ولد سنة ٢٠٢ هـ ، وتوفي سنة ٢٩٤ هـ . تذكرة الحفاظ (٢ / ٢٠١) وتهذيب التهذيب (٩ / ٤٨٩) .

فإن عجز عن القيام بفرضه لآفة حلت به من مرض ، أو حبس ، أو غير ذلك عزم على أداء ما افترض عليه متى زالت عنه العلة المانعة له قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[1] فسماهم محسنين بنصيحتهم لله بقلوبهم ، لما منعوا من الجهاد بأنفسهم .

وقد ترفع الأعمال كلها عن العبد في بعض الحالات ، ولا يرفع عنه النصح لله لو كان من المرض بحال لا يمكنه عمل شيء بشيء من جوارحه بلسان وغيره غير أن عقله ثابت ، لم يسقط عنه النصح لله بقلبه ، وكذلك النصح لله ولرسوله فيما أوجبه على الناس من أمر ربه .

ومن النصح الواجب لله أن لا يرضى بمعصية العاصي ، ويحب طاعة من أطاع الله ورسوله .

وأما النصيحة التي هي نافلة لا فرض : فبذل المجهود بإيثار الله على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح حتى لا يكون في الناصح فضلا عن غيره ؛ لأن الناصح إذا اجتهد لمن ينصحه لم يؤثر نفسه عليه ، وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته . فكذلك الناصح لربه . ومن تنفل لله بدون الاجتهاد فهو ناصح على قدر عمله ، غير محقق للنصح بالكمال »[2] .

قال القاضي عياض : « نصيحة الله تعالى : صحة الاعتقاد له بالوحدانية ، ووصفه بما هو أهله ، وتنزيهه عما لا يجوز عليه ، والرغبة في محابه والبعد عن

---

(١) الآية (٩١) من سورة التوبة .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩١ - ٦٩٢) .

مساخطه ، والإخلاص في عبادته[١] .

وقال الخطابي : « معنى النصيحة لله سبحانه : صحة الاعتقاد في وحدانيته ، وإخلاص النية في عبادته »[٢] .

وقال أبو عمرو بن الصلاح[٣] : « النصيحة لله تعالى : توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال ، وتنزيهه عما يضادها ويخالفها ، وتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصفه الإخلاص ، والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به تعالى وما ضاهي ذلك ، والدعاء إلى ذلك والحث عليه »[٤] .

وأما النصيحة لكتاب الله : فقال عنها محمد بن نصر المروزي : « وأما النصيحة لكتاب الله : فشدة حبه ، وتعظيم قدره - إذ هو كلام الخالق - وشدة الرغبة في فهمه ، ثم شدة العناية في تدبره ، والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه ، ويقوم له بعد ما يفهمه .

وكذلك الناصح من القلب ، يتفهم وصية من ينصحه ، وإن ورد عليه كتاب منه عني بفهمه ، ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه .

فكذلك الناصح لكتاب الله يُعنى بفهمه ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى ، ثم ينشر ما فهم في العباد ، ويديم دراسته بالمحبة له والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه »[٥] .

---

(١) الشفا (٢ / ٥٨٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٧٤) .

(٣) واسمه : عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان الكردي أبو عمرو ، أحد أئمة المسلمين علمًا ودينًا ، ولد سنة ٥٥٧ هـ وتوفي سنة ٦٤٣ هـ . الأعلام (٤ / ٢٠٧ - ٢٠٨) .

(٤) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٥) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٣) .

وقال القاضي عياض : « والنصيحة لكتابه الإيمان به ، والعمل بما فيه وتحسين تلاوته ، والتخشع عنده ، والتعظيم له ، وتفهمه ، والتفقه فيه ، والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين »[(١)] .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : « والنصيحة لكتابه : الإيمان به وتعظيمه ، وتنزيهه ، وتلاوته حق تلاوته ، والوقوف مع أوامره ونواهيه ، وتفهم علومه وأمثاله ، وتدبر آياته ، والدعاء إليه ، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه »[(٢)] .

وقال النووي[(٣)] : « وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى :

فالإيمان بأنه كلام اللّه تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه تأويل المحرفين وتعرض الطاعنين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرنا من نصيحته »[(٤)] .

وأما النصيحة لرسول اللّه ﷺ : فقال الإمام أحمد « من مفروضات القلوب النصيحة للرسول ﷺ »[(٥)] .

---

(١) الشفا (٢ / ٥٨٣) .

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٣) يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني ، النووي ، الشافعي علامة في الفقه والحديث ، وله مصنفات كثيرة ، توفي سنة ٦٧٦ هـ الأعلام (٨ / ١٤٩) .

(٤) شرح صحيح مسلم (٢ / ٣٨) .

(٥) الشفا (٢ / ٥٨٤) .

وقال محمد بن نصر المروزي : « وأما النصيحة للرسول ﷺ في حياته : فبذل المجهود في طاعته ، ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده ، والمسارعة إلى محبته . وأما بعد وفاته : فالعناية بطلب سنته ، والبحث عن أخلاقه وآدابه ، وتعظيم أمره ، ولزوم القيام به ، وشدة الغضب والإعراض عن من يدين بخلاف سنته والغضب على من ضيعها لأثرة دنيا ، وإن كان متدينا بها .

وحب من كان منه بسبيل من قرابة ، أو صهر ، أو هجرة ، أو نصرة أو صحبة ساعة من ليل أو نهار على الإسلام ، والتشبه به في زيه ولباسه »[١].

وقال القاضي عياض « قال أبو بكر الآجري وغيره : النصح له يقتضي نصحين : نصحًا في حياته ، ونصحًا بعد مماته .

ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ، معاداة من عاداه ، والسمع والطاعة له ، وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾[٣] .

وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته : فالتزام التوقير والإجلال ، وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته ، والتفقه في شريعته ، ومحبة آل بيته وأصحابه ، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها ، وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته ، والبحث عن تعريف أخلاقه وسيره وآدابه ، والصبر على ذلك[٤].

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٣) .

(٢) الآية (٢٣) من سورة الأحزاب .

(٣) الآية (٨) من سورة الحشر .

(٤) الشفا (٢ / ٥٨٤ - ٥٨٥) .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : « والنصيحة لرسوله ﷺ الإيمان به ، وبما جاء به ، وتوقيره وتبجيله ، والتمسك بطاعته وإحياء سنته واشتنشار علومه ونشرها ، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ووالاها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ومحبة آله وأصحابه ونحوذلك »[1] .

وقال النووي : « وأما النصيحة لرسول الله ﷺ : فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حيًا وميتًا ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ونفي التهمة عنها ، واستثارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قراءتها والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك »[2] .

وقال القرطبي : « والنصيحة لرسول الله ﷺ : التصديق بنبوته ، والتزام طاعته في أمره ونهيه ، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه ، وتوقيره ، ومحبته ومحبة آل بيته وتعظيمه ، وتعظيم سنته ، وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها ، والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء إليها ، والتخلق بأخلاقه الكريمة ﷺ »[3]

وأما النصح لأئمة المسلمين : فقال عنه محمد بن نصر المروزي : « فحب

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٢) شرح النووي (٢ / ٣٨) .

(٣) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٧) .

صلاحهم ورشادهم وعدلهم ، وحب اجتماع الأمة عليهم ، وكراهة افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله »[١] .

وقال القاضي عياض : « وأما النصح لأئمة المسلمين : فطاعتهم في الحق ، ومعونتهم فيه ، وأمرهم به ، وتذكيرهم إياه على أحسن وجه ، وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين ، وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم »[٢] .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : « والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه وتذكيرهم به ، وتنبيههم في رفق ولطف ، ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك »[٣] .

وقال القرطبي : « والنصح للأئمة المسلمين ترك الخروج عليهم ، وإرشادهم إلى الحق وتنبيههم فيما أغفلوا من أمور المسلمين ، ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم »[٤]

وقال النووي : « قال الخطابي : ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٣ - ٦٩٤) .

(٢) الشفا (٢ / ٥٨٥) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٤) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٧) .

من أصحاب الولايات ، وهذا هو المشهور[1] »

وأما النصيحة لعامة المسلمين : فيقول عنها محمد بن نصر المروزي : « وأما النصيحة للمسلمين : فأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ويشفق عليهم ، ويرحم صغيرهم ، ويوقر كبيرهم ، ويحزن لحزنهم ، ويفرح لفرحهم ، وإن ضره ذلك في دنياه ـ كرخص أسعارهم ـ وإن كان في ذلك ربح ما يبيع من تجارته ، وكذلك جميع ما يضرهم عامة يحب صلاحهم والفتهم ودوام النعم عليهم ، ونصرهم على عدوهم ، ودفع كل أذى ومكروه عنهم »[2] .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : « والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم ، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك »[3] .

وقال القاضي عياض : « والنصح لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم ، ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم ، وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم ، وستر عوراتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع إليهم »[4] .

وقال القرطبي : « والنصح للعامة : ترك معاداتهم ، وإرشادهم وحب

---

(١) شرح النووي (٢ / ٣٨ ـ ٣٩) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢ / ٦٩٤) .

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٧٦) .

(٤) الشفا (٢ / ٥٨٦) .

الصالحين منهم ، والدعاء لجميعهم وإرادة الخير لكافتهم . وفي الحديث الصحيح « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١] [٢] .

وعن جرير بن عبد الله[٣] قال : « بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فلقنني « فيما استطعت والنصح لكل مسلم »[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « حق المؤمن على المؤمن ست » . قيل : وما هن يارسول الله ؟

قال : « إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه »[٥] .

○○○○

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم فتح الباري (١٠ / ٤٣٨) ح ٦٠١١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم .

(٢) تفسير القرطبي (٨ / ٢٢٧) .

(٣) جرير بن عبد الله البجلي ، صحابي جليل ، اختلف في وقت إسلامه وكان له بلاء حسن في الفتوحات ، مات سنة ٥١ هـ ، وقيل ٥٤ هـ الإصابة (١ / ٢٣٣ - ٢٣٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس . فتح الباري (١٣ / ١٩٣) ح ٧٢٠٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة (١ / ٥٤)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب حق المسلم على المد لم رد السلام (٧ / ٣) .

المطلب الخامس

من علامات محبته ﷺ تعلم القرآن الكريم

من علامات محبته ﷺ تعلم القرآن الكريم الناطق بشريعته ، والمداومة على تلاوته ، وفهم معانيه ، وكذلك تعلم سنته ﷺ وتعليمها ومحبة أهلها

قال القاضي عياض : « ومنها - أي من علامات محبته - أن يحب القرآن الذي أتى به ﷺ ، وهدى به واهتدى ، وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها : « إن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن »[(١)] .

وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه »[(٢)] .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[(٣)] .

وقال ﷺ : « كتاب الله عز وجل هو حبل الله ، من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة »[(٤)] .

وقال ﷺ : « كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل »[(٥)] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل (٢ / ١٦٨ - ١٧٠) .

(٢) الشفا (٢ / ٥٧٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه . فتح الباري (٩ / ٧٤) ح ٥٠٢٧

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢٣) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله »[١] .

وقد سبق عند ذكر النصيحة « لكتاب الله » ذكر أقوال العلماء فيما يجب على المسلم تجاه كتاب الله فليرجع إليه .

ومن علامات محبته ﷺ أن يحب سنته ويقف عند حدودها[٢] وهذا ما سبق بيانه في الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الرسالة .

○○○○

(١) أخرجه البيهقي في الأدب (ص ٥٢٢) ، وعزاه السيوطي في مناهل الصفا (ص ١٨٦) للبيهقي في الآداب وابن الضريس في فضائل القرآن .

(٢) الشفا (٢ / ٥٧٦) .

المطلب السادس

من علامات محبته ﷺ محبة من احبهم النبي ﷺ

إن من علامات محبته ﷺ والتي يجب على المؤمن الأخذ بها ، محبته لمن أحب النبي ﷺ ، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين فمن أحب شيئا أحب من يحبه[(١)] .

فإن من محبة الله وطاعته : محبة رسوله وطاعته .

ومن محبة رسوله وطاعته : محبة من أحبه الرسول ، وطاعة من أمر الرسول بطاعته[(٢)] .

أ ـ قال البيهقي : « ودخل في جملة محبته ﷺ حب آله[(٣)] .

وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ[(٤)] .

فعن زيد بن أرقم[(٥)] رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى « خما » بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : « أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين :

---

(١) الشفا (٢ / ٥٧٣) .

(٢) حقوق آل البيت (ص ١٩) .

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٢٨٢) .

(٤) مجموع الفتاوى (٣ / ٤٠٧) .

(٥) زيد بن أرقم بن زيد ، صحابي جليل ، لم يشهد بدرًا ولا أحدًا لصغر سنه ، وأول مشاهده الخندق وقيل المريسيع ، مات بالكوفة سنة ست وستين ، وقيل ثمان وستين . الإصابة (١/ ٥٤٢) .

أولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه . ثم قال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » . فقيل لزيد : ومن أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قيل : ومن هم ؟ قال : آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس . قيل : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم[1].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الله لما أنزل عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[2]. سأل الصحابة النبي ﷺ كيف يصلون عليه فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[3].

فالصلاة على النبي ﷺ حق له ولآله دون سائر الأمة[4] وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « أرقبوا[5] محمدًا ﷺ في أهل بيته »[6] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل على بن أبي طالب رضي الله عنه (٧ / ١٢٢ ، ١٢٣) .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ .
فتح الباري (١١ / ١٥٢) ح ٦٣٥٧ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٢ / ١٦) .

(٤) جلاء الأفهام (ص ١٧٤) .

(٥) أرقبوا : المراقبة للشيء المحافظة عليه ، يقول : احفظوه فيهم فلا تسيئوا إليهم . فتح الباري (٧ / ٧٩) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصحابة ، باب مناقب قرابة الرسول ﷺ .
فتح الباري (٧ / ٧٨) ح ٣٧١٣ .

وعنه أيضا أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي »[١] .

« فآل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها ، فإن الله جعل لهم حقا في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ »[٢]

« فالصلاة على آله هي من تمام الصلاة عليه وتوابعها ، لأن ذلك مما تقر به عينه ، ويزيده الله به شرفًا وعلوًا ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا »[٣]

« وكذلك علينا احترامهم وإكرامهم والإحسان إليهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا .

ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعليّ وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين »[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] « وآل محمد ﷺ هم الذين حرمت عليهم الصدقة[٦] هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء » .

والأحاديث في فضائلهم ومناقبهم كثيرة جدًا ، وهي مبسوطة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها من كتب الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب قرابة الرسول ﷺ . فتح الباري (٧ / ٧٧ ، ٧٨) ح ٣٧١٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ « لا نورث وما تركناه صدقة » (٥ / ١٥٥ ، ١٥٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ٤٠٧) .

(٣) جلاء الأفهام (ص ١٧٥) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ١١٣) .

(٥) مجموع الفتاوى (٣ / ٤٠٧) .

(٦) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال : =

ب ـ وكذلك فإن من أصول أهل السنة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ . ويحفظون لهن فضلهن ، وحقوقهن . فقد أبانهن الله من نساء العالمين في الفضيلة فقال تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَاءِ ﴾(١) .

وجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾(٢) (٣) .

= القول الأول : هم الذين حرمت عليهم الصدقة . وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء :

أحدها : أنهم بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه .

والثاني : أنهم بنو هاشم خاصة وهذا مذهب أبي حنيفة ، والرواية عن أحمد ، واختيار ابن القاسم صاحب مالك

والثالث : أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى بني غالب ، ويدخل فيهم بنو المطلب ، وبنو أمية ، وبنو نوفل ومن فوقهم إلى بني غالب ، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك حكاه صاحب « الجواهر » عنه وحكاه اللخمي في « التبصرة » عن أصبغ ، ولم يحكه عن أشهب .

وهذا القول في الآل أعني ـ أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين ، وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي .

القول الثاني : أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة ، حكاه ابن عبد البر في التمهيد .

القول الثالث : أن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم ، وأقدم من روى عنه هذا القول جابر بن عبد الله ، ذكره البيهقي عنه ، ورواه عن سفيان الثوري وغيره ، واختاره بعض أصحاب الشافعي . حكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه ، ورجحه الشيخ محي الدين النووي في « شرح مسلم » واختاره الأزهري .

القول الرابع : أن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته حكاه حسين والراغب وجماعة .

ثم ذكر رحمه الله حجج هذه الأقوال وبين ما فيها من الصحيح والضعيف إلى أن قال : « والصحيح هو القول الأول ، ويليه القول الثاني . أما القول الثالث والرابع فضعيفان » .

جلاء الأفهام (ص ١٦٤ ـ ١٧٧) .

(١) الآية (٣٢) من سورة الأحزاب . (٢) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٤) وتفسير القرطبي (١٤ / ١٢٣ ، ١٧٧) .

وجعل حرمة الزوجية بعد وفاة النبي ﷺ باقية ما بقين فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾[1] فعلينا من حفظ حقوقهن بعد ذهابهن الصلاة عليهن مع الصلاة على النبي ﷺ .

فعن أبي حميد الساعدي[2] رضي الله عنه أنهم قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[3] .

فالصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن[4] .

وكذلك الاستغفار لهن ، وذكر مدائحهن وفضائلهن وحسن الثناء عليهن ، وما على الأولاد في أمهاتهم اللاتي ولدنهم وأكثر ، وذلك لمكانتهن من رسول الله ﷺ ، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء هذه الأمة[5] .

وأزواج النبي ﷺ هن من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة :

١ ـ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[6] .

---

(١) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

(٢) أبو حميد الساعدي ، اختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن بن سعد وقيل غير ذلك ، صحابي مشهور ، شهد أحدًا وما بعدها ، وتوفي في آخر خلافة معاوية أو أول خلافة يزيد . الإصابة (٤ / ٤٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ . فتح الباري (١١ / ١٦٩) ح ٦٣٦٠ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٢ / ١٧) .

(٤) جلاء الأفهام (ص ٢٠٠)

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٢٨٢ ـ ٢٨٤) .

(٦) وهي أولهن ، وقد تزوجها ﷺ بمكة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته فكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الأصح =

٢ ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها[١] .

٣ ـ سودة بنت زمعة رضي الله عنها[٢] .

٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها[٣] .

٥ ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما[٤] .

= ومن خصائها رضى الله عنها :

١ ـ أنه لم يتزوج عليها غيرها .

٢ ـ أن أولاده كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية .

٣ ـ أنها خير نساء الأمة . جلاء الأفهام (ص ١٨٠) .

(١) تزوجها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل لثلاث وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى ، وهي بنت تسع سنين ، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة .

ومن خصائصها رضي الله عنها :

١ ـ أنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه فقد سئل النبي ﷺ . أي الناس أحب اليك ؟ قال : « عائشة » قيل ومن الرجال ؟ قال : « أبوها » متفق عليه (خ / ٤٣٥٨) (م / ٢٣٨٤) .

٢ ـ أنه لم يتزوج بكرا غيرها . جلاء الأفهام (ص ١٨٢ ـ ١٨٥) .

(٢) سودة بنت زمعة بن قيس . تزوجها بعد خديجة ، وكبرت عنده وأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها فأمسكها وهذا من خواصها : أنها آثرت بيومها لعائشة تقربًا إلى النبي ﷺ وحبًا له . جلاء الأفهام (ص ١٨٢) .

(٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تزوجها النبي ﷺ بعد عائشة ، وقيل إنها ولدت قبل المبعث بخمس سنين ، وكانت قبل أن يتزوجها النبي ﷺ عند حصن بن حذافة وكان ممن شهد بدرًا ومات بالمدينة . وكانت رضي الله عنها صوامة قوامة .

الإصابة (٤ / ٣٦٤ ، ٣٦٥) وجلاء الأفهام (ص ١٨٥) .

(٤) واسمها رملة بنت صخر بن حرب ، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة ، فتنصر بالحبشة ، وأتم الله لها الإسلام ، وتزوجها رسول الله ﷺ وهي بأرض الحبشة ، وأصدقها عنه النجاشي . وهي التي أكرمت فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة ، وقالت : إنك مشرك ، ومنعته من الجلوس عليه . الإصابة (٤ / ٢٩٨ ـ ٣٠٠) .

٦ - أم سلمة رضي اللّه عنها(١).

٧ - زينب بنت جحش رضي اللّه عنها(٢).

٨ - زينب بنت خزيمة الهلالية رضي اللّه عنها(٣).

٩ - جويرية بنت الحارث رضي اللّه عنها(٤).

١٠ - صفية بنت حيي رضي اللّه عنها(٥).

---

(١) واسمها هند بنت أبي أمية ، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد اللّه بن عبد الأسد ، وتوفيت سنة اثنتين وستين ودفنت بالبقيع ، وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتا ، وقيل : بل ميمونة .
الإصابة (٤ / ٤٠٧ - ٤٠٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٥ - ١٩٧)

(٢) زينب بنت جحش : وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة ، فطلقها فزوجها اللّه إياه من فوق سبع سموات وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج رسول اللّه ﷺ . وتقول : « زوجكن أهاليكن ، وزوجني اللّه من فوق سبع سماواته » توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع . الإصابة (٤ / ٣٠٧ - ٣٠٨) .

(٣) زينب بنت خزيمة الهلالية ، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة ، وكانت قبله عند عبد اللّه بن جحش فاستشهد بأحد ، وكانت تسمى أم المساكين ، لكثرة اطعامها المساكين ، ولم تلبث عند رسول اللّه ﷺ إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة ثم توفيت رضي اللّه عنها .
الإصابة (٤ / ٣٠٩ - ٣١٠) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨) .

(٤) جويرية بنت الحارث المصطلقية ، وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها ، فقضى رسول اللّه ﷺ كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة وتوفيت سنة ست وخمسين ، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق ، وقالوا : أصهار رسول اللّه ﷺ ، وكان ذلك من بركتها على قومها .
الإصابة (٤ / ٢٥٧ - ٢٥٨) وجلاء الأفهام (ص (١٩٨) .

(٥) صفية بنت حيي من ذرية هارون بن عمران ، أخي موسى ، تزوجها النبي ﷺ ، سنة سبع ، فإنها سبيت من خيبر ، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق ، فقتله رسول اللّه ﷺ ، توفيت سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة خمسين .
من خصائصها أن الرسول ﷺ أعتقها وجعل عتقها صداقها وقال لها النبي ﷺ « إنك لابنة نبي =

١١ ـ ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي اللّه عنها[(١)] .

فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة .

ج ـ ومن محبته ﷺ محبة أصحابه رضوان اللّه عليهم أجمعين :

قال البيهقي : « ويدخل في جملة حب النبي ﷺ حب أصحابه ؛ لأن اللّه عز وجل أثنى عليهم ومدحهم فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[(٢)]

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[(٤)] .

= وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي » .

الإصابة (٤ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨) وجلاء الأفهام (ص ١٩٨ ـ ١٩٩) .

(١) ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها بسرف ، وبنى بها بسرف ، وماتت بسرف ، وهي على سبعة أميال من مكة ، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين ، وتوفيت سنة ثلاث وستين ، وهي خالة عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما ، وهي خالة خالد بن الوليد أيضا .

الإصابة (٤ / ٣٩٧ ـ ٣٩٩) وجلاء الأفهام (ص ١٩٩) .

(٢) الآية (٢٩) من سورة الفتح . (٣) الآية (١٨) من سورة الفتح .

(٤) الآية (١٠٠) من سورة التوبة .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(١)

فإذا أنزلوا هذه المنزلة استحقوا من جماعة المسلمين أن يحبوهم ويتقربوا إلى الله عز وجل بمحبتهم لأن الله تعالى إذا رضي عن أحد أحبه وواجب على العبد أن يحب من يحب مولاه(٢)

فمن واجب الأمة نحو أصحاب رسول الله ﷺ محبتهم والترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)

فهم قوم اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف و نصرته والذب عنه والجهاد معه في سبيل الله ونشر دين الإسلام .

وبعد وفاته كانوا هم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين الأمة ، فقد بلغوا عن رسول الله ﷺ ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ونشروا هذا الدين في شتى بقاع الأرض ، وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم ، وذبوا عن هذا الدين بسنانهم ولسانهم فكان لهم بذلك الأجر العظيم والمنزلة العالية عند ربهم وعند نبيهم وعند المسلمين الموحدين جميعًا .

وكيف لا يكونون كذلك وهم خير قرون هذه الأمة بشهادة النبي ﷺ .

---

(١) الآية (٧٤) من سورة الأنفال .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٢٨٧) .

(٣) الآية (١٠) من سورة الحشر .

فعن عمران بن حصين[١] رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ « خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة ... الحديث[٢] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ... » الحديث[٣]

ومما يدل على عظم فضل الصحبة وجلالة شأنها ما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[٤] فهذا الحديث يدل على أن شأن الصحبة لا يعدله شيء .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم »[٥]

---

(١) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي ، صحابي جليل ، أسلم عام خيبر وغزا عدة غزوات وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح مات سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة ثلاث وخمسين من الهجرة . الإصابة (٣ / ٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على جور إذا أشهد . فتح الباري (٥ / ٢٥٨ - ٢٥٩) ح ٢٦٥١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٣ - ١٨٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على جور إذا أشهد . فتح الباري (٥ / ٢٥٩) ح ٢٦٥٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٤ - ١٨٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذا خليلا » . فتح الباري (٧ / ٢١) ح ٣٦٧٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٧ / ١٨٨)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حب الأنصار من الإيمان . انظر : فتح الباري (٧ / ١١٣) ح ٣٧٨٤ واللفظ له . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته ... (١ / ٦٠)

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فيما يدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي ﷺ . ولقد عقد البخاري ومسلم في صحيحيهما وكذا أهل السنن وغيرهم ، كل منهم كتابا لفضائل الصحابة أوردوا فيه الكثير من الأحاديث الواردة في فضل الصحابة رضوان الله عليهم .

وعن معتقد السلف نحو أصحاب رسول الله ﷺ يقول أبو زرعة الرازي[١] : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق . وذلك أن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة . وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة »[٢]

وقال الخطيب البغدادي[٣] : « عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن ، فمن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٥] .

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي ، أبو زرعة من أئمة حفاظ الحديث ، ذكر أنه يحفظ مائة ألف حديث ، توفي سنة (٢٦٤ هـ) . تهذيب التهذيب (٧ / ٣٠ ـ ٣٤) .

(٢) الكفاية في علم الرواية (ص ٩٧) .

(٣) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين وصاحب مصنفات من أشهرها تاريخ بغداد ، توفي سنة (٤٦٣ هـ) . الأعلام (١ / ١٧٢) .

(٤) الآية (١١٠) من سورة آل عمران .

(٥) الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

وهذا اللفظ وإن كان عامًا فالمراد به الخاص وقيل : هو وارد في الصحابة دون غيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[(٢)] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[(٣)]

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٤)] .

وقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(٥)] .

في آيات يكثر إيرادها ، ويطول تعدادها .

ووصف رسول الله ﷺ الصحابة مثل ذلك ، وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم ...

---

(١) الآية (١٧) من سورة الفتح .

(٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة .

(٣) الآيات (١٠ ، ١١ ، ١٢) من سورة الواقعة .

(٤) الآية (٦٤) من سورة الأنفال .

(٥) الآيتان (٨ ، ٩) من سورة الحشر .

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم - المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له ...

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد ، والنصرة ، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين ، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين .

وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء[1]

وقال ابن حجر : « اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة »[2]

وقال صاحب العقيدة الطحاوية : « ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإحسان ، وبغضهم كفر وطغيان »[3]

وقال البيهقي : « وإذا ظهر أن حب الصحابة من الإيمان فحبهم أن يعتقد فضائلهم ويعترف لهم بها ويعرف لكل ذي حق منهم حقه ، ولكل ذي عنا في الإسلام عناه ولكل ذي منزلة عند الرسول ﷺ منزلته ، وينشر محاسنهم

---

(١) الكفاية في علم الرواية (ص ٩٣ - ٩٦) .

(٢) الإصابة (١ / ١٧) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٢٨) .

ويدعو بالخير لهم ويقتدي بما جاء في أبواب الدين عنهم ولا يتتبع زلاتهم وهفواتهم ولا يتعمد تهجين أحد منهم ببث مالا يحسن عنه ، ويسكت عما لا يقع ضرورة إلى الخوض فيه فيما كان بينهم وبالله التوفيق »[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[٢]

وطاعة النبي ﷺ في قوله : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع : من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل ، على من أنفق من بعده وقاتل ، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ـ : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[٣] وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة[٤] كما أخبر به ﷺ ، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة .

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (ص ٢٩٧) .

(٢) الآية (١٠) من سورة الحشر .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدرا . فتح الباري (٧ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥) ح ٣٩٨٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل بدر (٧ / ١٦٨ ـ ١٦٩) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان (٧ / ١٦٩) .

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة وغيرهم من الصحابة .

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويثلثون بعثمان ، ويربعون بعلي رضي الله عنهم ، كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة ... ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم »[1] .

وبعد : فهذه نماذج من أقوال السلف ومعتقدهم تجاه الصحابة رضوان الله عليهم تبين مدى اعترافهم بفضلهم ومراتبهم ومنازلهم التي وردت بها نصوص القرآن والسنة ، فهم أصحاب رسول الله ﷺ فبحبهم لرسول الله ﷺ وحب رسول الله ﷺ لهم ، نحبهم ونحفظ لهم فضلهم ونحترم لهم تلك المنزلة التي أنزلوا إياها ، ونرجو أن يحشرنا الله معهم وأن يجمعنا بهم في الجنة على سرر متقابلين .

○ ○ ○ ○

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٢ - ١٥٣) .

المطلب السابع

من علامات محبته ﷺ بغض من أبغض الله ورسوله

ومعاداة من عاداه ، ومجانبة من خالف سنته ، وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته(١)

قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « على المؤمن أن يعادي في الله ، ويوالي في الله . فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه ـ وإن ظلمه ـ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية .

قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٣)

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي ، وأمر بالإصلاح بينهم .

---

(١) الشفا (٢ / ٥٧٥) .

(٢) الآية (٢٢) من سورة المجادلة .

(٣) الآيتان (٩ ، ١٠) من سورة الحجرات .

فالمؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك .

والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك .

فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب والإكرام والثواب لأوليائه . ويكون البغض والإهانة والعقاب لأعدائه .

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة . استحق الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير . واستحق المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر . فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا : كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته . هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة[(١)] .

فالناس باعتبار الحب والبغض والولاء والبراء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : من يحب جملة :

وهو من آمن بالله ورسوله ، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علما وعملا واعتقادًا ، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله ، وانقاد لأوامره وانتهي عما نهي الله عنه ورسوله ، وأحب في الله ، ووالى في الله وأبغض في الله ، وعادى في الله وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائنًا من كان .

الصنف الثاني : من يحب من وجه ويبغض من وجه .

وهو المسلم الذي خلط عملا صالحًا وآخر سيئًا .

فيحب ويوالى على قدر ما معه من الخير ، ولا يبغض أكثر مما يصلح وإذا أردت الدليل على ذلك : فهو في قصة ذلك الرجل من الصحابة والذي كان

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨ / ٢٠٨ - ٢٠٩) .

يشرب الخمر ، فأتي به إلى رسول الله ﷺ فلعنه رجل وقال : ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله »[١] .

الصنف الثالث : من يبغض جملة .

وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره وأنه كله بقضاء الله وقدره ، وأنكر البعث بعد الموت ، أو أنكر أحد أركان الإسلام الخمسة ، أو أشرك الله في عبادته أحدًا من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وصرف لهم نوعا من أنواع العبادة : كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثه والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق .

أو ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين ، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة ، وكذلك من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو احدها »[٢] .

فعلى هذا التقسيم تتضح صورة الحب والبغض ، والولاء والبراء .

فيوالي ويحب المؤمنَ المستقيم على دينه ولاءً وحبًا كاملين .

ويتبرء ويعادي الكفرة والملحدين والمشركين والمرتدين ويعادون عداوة وبغضًا كاملين .

وأما من خلط عملًا صالحاً وآخر سيئا فيوالى بحسب ما عنده من الإيمان ، ويعادى بحسب ما هو عليه من الشر .

○○○○

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠٣

(٢) إرشاد الطالب لابن سحمان (ص ١٩) .

المطلب الثامن

من علامات محبته ﷺ الزهد في الدنيا

إن من علامات محبة النبي ﷺ الزهد في الدنيا والصبر على شدائدها ، وعدم الركون إلى زخرفها وملذاتها . وذلك اقتداءً بالنبي ﷺ واتباعا لما كان عليه . فلقد كان من صفاته ﷺ زهده في أمور الدنيا وحبه للكفاف من العيش وايثاره الآخرة على الأولى .

فهو القائل ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[1] .

وهو القائل : « مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف[2] فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها »[3] .

والزهد المقصود هنا هو الزهد الشرعي لا الزهد البدعي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الزهد : هو عما لا ينفع . إما لانتفاء نفعه . أو لكونه مرجوحا ، لأنه مفوت لما هو أنفع منه ، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه . فالزهد من باب عدم الرغبة والإرادة في المزهود فيه . فالواجبات

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » . فتح الباري (١١ / ٢٣٣) ح ٦٤١٦

(٢) يوم صائف : أي حار . القاموس (٣ / ١٧٠) .

(٣) أخرجه وكيع بن الجراح في الزهد (١ / ٢٨٦ - ٢٨٨) ح ٦٤ ، وأخرجه عنه الإمام أحمد في المسند (١ / ٤٤١) وفي الزهد (٨) والحاكم في المستدرك (٤ / ٣٠٩ - ٣١٠) وصححه ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢٦) بعد عزوه لأحمد رجاله رجال الصحيح ، غير هلال بن خباب وهو ثقة . وقال محقق كتاب الزهد لوكيع : « والحديث مع ماله من الشواهد يرتقي إلى درجة الصحة » . الزهد لوكيع (١ / ٢٨٨) .

والمستحبات لا يصلح فيها الزهد . وكذا المنافع الخالصة أو الراجحة فالزهد فيها حمق . أما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد وكذا المباحات »[١].

« والفرق بين الزهد والورع : أن الزهد : ترك مالا ينفع في الآخرة .

وأما الورع : فهو ترك ما يخشى ضرره في الآخرة »[٢]

« والقلب المعلق بالشهوات لا يصلح له زهد ولا ورع »[٣] .

والزهد أنواع :

١- زهد في الحرام وهو فرض عين .

٢- زهد في الشبهات ، وهو بحسب مراتب الشبهة .

فإن قويت التحق بالواجب .

وإن ضعفت كان مستحبا .

٣- زهد في الفضول : وهو الزهد فيما لا يغني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره .

٤- زهد في الناس أي فيما عندهم .

٥ - زهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله ، وهذا أصعب الأنواع وأشقها .

٦- زهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما شغلك عنه .

وأفضل الزهد : إخفاء الزهد ، وأصعبه الزهد في الحظوظ[٤] .

والزهد الشرعي ينقسم باعتبار حكمه إلى قسمين :

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٦١٥) بتصرف .

(٢،٣) الفوائد لابن القيم (١١٨) .

(٤) الفوائد لابن القيم (ص ١١٨) .

القسم الأول منه : ما هو فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام .

القسم الثاني منه : ما هو مستحب وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات والتفنن في الشهوات المباحة ، وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه .

مفهوم الزهد في الدنيا :

ليس المراد بالزهد في الدنيا تخليتها من اليد وإخراجها ، وقعوده صفرًا . وإنما المراد إخراجها من القلب بالكلية بحيث لا يلتفت الزاهد إليها ولا يدعها تساكن قلبه وإن كانت في يده .

فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك .

وهذا كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ، فلم يزده ذلك إلا زهدا فيها .

وكحال الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب بزهدهم المثل مع أن خزائن الأموال تحت أيديهم .

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

١ ـ أحدها : علم العبد أنها ظل زائل ، وخيال زائر ، وأنها كما قال تعالى فيها : ﴿ ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾[1] ونحوها من الآيات .

---

(١) الآية (٢٠) من سورة الحديد .

وسماها سبحانه ﴿ مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[١] ونهي عن الاغترار بها وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين بها ، وحذرنا مثل مصارعهم وذم من رضي بها واطمأن إليها .

٢ـ الثاني : علمه أن وراءها دارا أعظم منها قدرًا وأجل خطرًا ، وهي دار البقاء ، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها .

٣ـ الثالث : معرفته بأن زهده فيها لا يمنعه شيئا كتب له منها .

وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها .

فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره ، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه ، وبقي حرصه وتعبه وكده ضائعًا والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك .

فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها وتثبت قدمه في مقامه »[٢].

الزهد البدعي :

وهو الذي عليه حال كثير من المتصوفة الذين تركوا الكسب والاكتساب ولم يأخذوا بالأسباب ، وانقطعوا انقطاعا تاما عن الوسائل المشروعة لتحصيل الرزق . فأصبحوا بذلك عالة على الناس يتكففونهم ويعيشون على صدقاتهم وزكاتهم وأوقافهم ، وصاروا عضوا أشل في مجتمعاتهم ، فأوقعوا أنفسهم في محاذير كثيرة منها :

١ـ دخولهم في الرهبانية التي نهى الشارع الحكيم عنها .

٢ـ مخالفتهم لأوامر الله لعباده بالسعي في الأرض وطلب الرزق الحلال

٣ـ وقوعهم في مسألة الناس مع قدرتهم على طلب الرزق فاستحقوا بذلك الوعيد الشديد الوارد في هذا الشأن .

---

(١) الآية (١٨٥) من سورة آل عمران .

(٢) طريق الهجرتين (٤٥٣ ـ ٤٥٦) بتصرف .

فالواجب على المسلم الحذر من مشابهة هؤلاء في أحوالهم فالزهد المشروع إنما هو قلة الرغبة في الموجود لا قلة الرغبة في المفقود . وعلامة قلة الرغبة في الموجود إنفاقه في سبيل الله . فخلاصة القول : إنه من المعلوم أن كل دعوى لابد لها من دليل عليها ، ليثبت صدقها ويؤكدها ويبرهن عليها .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]

وكذا الحال في دعوى محبة الرسول ﷺ لابد لمدعي هذه المحبة من علامات وأدلة تؤكد دعواه وتبرهن صدق ما قاله . وما تقدم من علامات وأدلة تعد أبرز وأهم العلامات التي تدلل وتبرهن على صحة تلك الدعوى .

وعلى العموم فكل عمل يعمله المسلم مما حث الشارع على فعله يعد ذلك دليلا على محبة الرسول ﷺ ، شريطة تحري الإخلاص في ذلك العمل وإرادة وجه الله تعالى به .

وعلى هذا الأساس فإنه بقدر التزام المسلم بعلامات المحبة وحرصه على تطبيقها تتحدد درجة محبته للنبي ﷺ ودرجة إيمانه كذلك .

فمحبته ﷺ هي جزء من أجزاء الإيمان ، والإيمان كما هو معلوم يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي . فتزداد المحبة بمقدار الالتزام بتلك العلامات . وتنقص بمقدار البعد عنها .

○ ○ ○ ○

---

(١) الآية (١١١) من سورة البقرة .

المطلب التاسع

التحذير من علامات المحبة البدعية

يظن البعض من الناس أن له الحق في التعبير عن محبته للنبي ﷺ بما يراه ويستحسنه من الأمور ، من غير أن يراعي في ذلك قواعد الشرع وأصوله وهذا الصنف من الناس تراه منساقا مع عواطفه جاعلًا لها حق التشريع في هذا الدين . فتراه يغلو في حق النبي ﷺ حتى يصل به إلى بعض مراتب الألوهية .

وتراه يبتدع في دين اللّٰه أمورًا تصل إلى حد العظائم . وتراه يُقْدِمُ على الشركيات والكفريات . وكل ذلك بدعوى محبة النبي ﷺ .

ولقد حكم اللّٰه عز وجل بالضلال على هذا الصنف فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1] .

فالمتبعون لعواطفهم وأهوائهم المحكمون لها ، لابد وأن يكونوا نابذين لهدي اللّٰه المتمثل في الكتاب والسنة ، واللذين يشتملان على قواعد هذا الدين وأصوله والتي من ضمنها تحريم الابتداع في الدين والإحداث فيه ، وتحريم الغلو بشتى مظاهره وأشكاله ، وتحريم الشرك بمختلف صوره وألوانه .

ولذلك حكم اللّٰه بضلالهم وغوايتهم وبعدهم عن الصراط المستقيم . فحري بأمثال هؤلاء أن يقلعوا عن غيهم ، وأن يحكموا في عواطفهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

فمحبة النبي ﷺ من الدين ، وتحقيقها يكون عن طريق ما شرع في هذا الدين ، لا عن طريق البدع وما تهواه النفوس فالبدع قد حذرنا نبينا ﷺ منها

---

(١) الآية (٥٠) من سورة القصص .

بقوله : « إياكم ومحدثات الأمور » وهذا الحديث يعني في هذا المقام أن ليس لأحد الحق في التعبير عن محبة النبي ﷺ إلا بما جاء به النبي ﷺ فعلى المسلم أن يدرك هذا الأمر وليحذر من سبل أهل الضلال والانحراف .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾(١) .

وإن الناظر في أحوال أولئك المفتونين بالبدع تحت دعوى محبة النبي ﷺ يجد أنهم قد رغبوا في تلك الأمور المبتدعة لأنها أمور لا مشقة فيها على النفس فجعلوها بدلا مما يجب عليهم من الأعمال والطاعات التي تشق على نفوسهم الضعيفة المريضة ، فالمحبة عند هؤلاء تنحصر في مظاهر التعظيم اللسانى المليء بالغلو والشرك والمقترن بالاجتماع على موائد الطعام والذي لا يخلو في بعض الأحيان من المنكرات والمحرمات .

ويحق للمرء أن يتساءل أي محبة هذه التي تجيز لهؤلاء أن يبتدعوا في دين الله بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل ؟ لاشك أن فعل هذه الأمور يناقض المحبة ويضادها جملة وتفصيلا ، ولا عذر لفاعلها فيما أقدم عليه وإن كان فعل ذلك بحسن نية ، فحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين ، فلقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية ، فمازالوا على حالهم تلك حتى صارت أديانهم على غير ما جاءت به رسلهم .

ومما يؤسف له أن كثيرا من الناس يتمسك بتلك البدع تقليدا لمشائخه أو عشيرته أو أهل بلده . إلى غير ذلك من العصبيات الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي أعمت بصائر الكثير منهم وأضلتهم عن سبيل الله .

---

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

ولقد كان من الحري بهؤلاء أن يقتدوا بصحابة رسول الله ﷺ ، الذين كانوا أشد الأمة محبة للنبي ﷺ ، وأشدهم تعظيما له وكانوا أحرص الناس على الخير ممن جاء بعدهم ، والذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في هذا السبيل .

فلقد كان من سنن الصحابة رضوان الله عليهم حرصهم على اتباع النبي ﷺ لأنهم يؤمنون بأن منشأ محبته وثباتها وقوتها إنما يكون بمتابعته ﷺ في أقواله وأفعاله وسلوكه وتصرفاته .

كما أنهم يؤمنون بأن الابتداع في الدين يضاد تلك المحبة وينافيها ولذلك لم يُعهد عنهم أنهم ابتدعوا أشياء من عند أنفسهم لإظهار محبتهم للنبي ﷺ كما ابتدع المتأخرون ما ابتدعوه من البدع تحت ستار المحبة والتعظيم له ﷺ .

فإذا كان هذا هو شأن الصحابة فيما أثر عنهم من الآثار وهم المشهود لهم بأنهم أشد الأمة وأفضلها محبة وتعظيما للنبي ﷺ ، أفلا يسع من جاء بعدهم ما وسعهم ، فيتركوا تلك الأمور المبتدعة التي أحدثت من بعدهم ، والتي لم يأذن بها الله ولم تكن من هدي رسول الله ﷺ ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم ، ومن لم يتسع له ما اتسع للصحابة رضي الله عنهم ، فلا وسع الله عليه في الدنيا ولا في الآخرة .

فعن قتادة قال : قال ابن مسعود رضي الله عنه : « من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم »[1] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢ / ١١٩) .

المبحث الثاني

ثواب محبته ﷺ وثمراتها

● ويشتمل على تمهيد ومطلبين :

المطلب الأول : ثمار المحبة في الحياة الدنيا .

المطلب الثاني : ثواب المحبة في الآخرة .

● ● ● ●

تمهيد

يؤمن المسلم أنه بفعله للطاعات وسائر العبادات يفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله ورجاء ما عنده من الثواب العاجل في الدنيا والآجل في الآخرة .

ذلك لأن كل عمل صالح مشروع له ثمرة ، فالله سبحانه كريم يجود على أهل طاعته وعبادته ، ويمن عليهم بفضله فيضاعف لهم درجات أعمالهم .

قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾[3]

والمحبة من أفضل أعمال العباد وأحبها إلى الله عز وجل ، فبها يذوق العبد حلاوة الإيمان كما في الحديث « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »[4].

وبها يستكمل الإيمان كما في الحديث : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »[5] .

وهي من أفضل الإيمان كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه سئل

---

(١) الآية (٣٨) من سورة النور .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٨٤) من سورة القصص .

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٣ .

(٥) تقدم تخريجه ص ٣١١

رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان ؟

قال : « أفضل الإيمان أن تحب لله وتبغض لله في الله وتعمل لسانك في ذكر الله ... »[١] . فهذه الأحاديث تبين اكتساب المحبة لهذه الدرجة الرفيعة من الدين فمن أعظم الواجبات على المؤمن محبة الله ومحبة ما يحبه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وما يحبه من الأشخاص كالأنبياء والملائكة وصالحي بني آدم وموالاتهم ، وبغض ما يبغضه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . مع وجوب تقديم محبة الله تعالى على جميع المحاب وإيثار مرضاته على حظوظ النفس .

ولقد دلت النصوص على عظم ثواب المحبة ومدى نفع ثمرتها .

والحديث هنا عن ثمرة المحبة يتناول محبة الله ومحبة رسوله ﷺ وذلك لما بين الأمرين من التلازم .

فمحبة الله لا تتم إلا بمحبة ما يحبه الله وكراهة ما يكرهه .

ولا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا باتباع ما أمر به واجتناب ما نهي عنه ، فصار من لوازم محبته سبحانه وتعالى محبة رسوله ﷺ وتصديقه ومتابعته ؛ ولهذا قرن الله محبته ومحبة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[٢] .

وورد مثل ذلك في كلام النبي ﷺ كما في حديث : « ثلاث من كن فيه وجد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٤٧) .

(٢) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون اللّٰه ورسوله أحب إليه مما سواهما ... » الحديث .

ومما تجدر الإشارة إليه كذلك أن كلا من الحب ، والإيمان والتصديق هي حقوق مشتركة بين اللّٰه ورسوله . فاللّٰه سبحانه وتعالى كما أوجب الإيمان به على خلقه أوجب كذلك عليهم الإيمان برسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ آمنوا باللّٰه ورسوله ﴾ . وكذلك أوجب على الخلق محبته ومحبة رسوله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ .. أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

وكذا الحال بالنسبة للتصديق قال تعالى : ﴿ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[1]

وقد نظم ابن القيم رحمه اللّٰه هذا في نونيته حيث قال :

والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان[2]

وثمار محبة اللّٰه ورسوله منها ما هو دنيوي ، ومنها ما هو أخروي .

وسنعرض لكلا النوعين ليعلم المسلم عظم فضل اللّٰه على عباده المحبين له ولرسوله .

○ ○ ○ ○

---

(١) الآية (٢٢) من سورة الأحزاب .

(٢) شرح النونية لابن عيسى (٢ / ٣٤٧)

وتكميلا للفائدة : فإن الحق الذي يختص اللّٰه به على عباده دون سواه هو : عبادته بأمره لا بهوى النفس ، وذلك كالحج والصلاة والذبح والنذر واليمين والتوبة والتوكل والإنابة والرجاء ونحوها من العبادات فهي حق للّٰه لا يشاركه فيه غيره .

وأما الحق الذي يختص بالرسول ﷺ فهو التعزير والتوقير كما في قوله تعالى : ﴿ لتؤمنوا باللّٰه ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾ الآية (٩) من سورة الفتح .

انظر : شرح النونية لابن عيسى (٢ / ٣٤٨) .

المطلب الأول

ثمار المحبة في الحياة الدنيا

من أعظم ثمار المحبة في هذه الحياة الدنيا هو ما تورثه في الجوارح من فعل للطاعات والقربات مما يرضي الله عز وجل ويكسب محبته .

فمتى ما تمكنت المحبة من القلب واستغرق بها واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى رضا الرب وطاعته ، وصارت النفس مطمئنة حينئذ بإرادة مولاها عن مرادها وهواها ، فمن أحب الله لم يكن شيء عنده آثر من رضاه .

وهذا هو معنى الحديث الإلهي « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها » الحديث[١] .

فالمحبة الصادقة شجرة في القلب عروقها الذل للمحبوب ، وساقها معرفته ، وأغصانها خشيته ، وورقها الحياء منه ، وثمرتها طاعته ، ومادتها التي تسقيها ذكره[٢] .

فالمحبة تملأ القلب ذلًا لله وتكسبه معرفة وخشية وخوفًا وحياءً من الله تبارك وتعالى ، لتثمر بذلك طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وخشيته في السر والعلانية ، وثمار الطاعة لا تعد ولا تحصى وأعظمها : محبة الله للعبد وهذا أشرف مقصود وأرفع درجة وأعظم مقام يناله العبد ثوابًا وثمرة لمحبته لله عز وجل .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب التواضع .
فتح الباري (١١ / ٣٤٠ - ٣٤١) ح ٦٥٠٢

(٢) روضة المحبين (ص ٤٠٩) .

وقد يظن البعض أن الغاية هي أن تحب الله ، ولكن الأمر خلاف ذلك ، فالغاية أن يحبك الله عز وجل وليست الغاية أن تحب الله عز وجل ، فالمؤمن يسعى لهذه الغاية ويتمنى تحققها والفوز بها قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[(١)] .

فالآية هنا إشارة إلى ثمرة المحبة ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ قال ابن القيم عند هذه الآية « فجعل سبحانه متابعة رسوله سببًا لمحبتهم له ، وكون العبد محبوبًا لله أعلى من كونه محبا لله ، فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله »[(٢)] .

وقد وصف الله سبحانه نفسه في كتابه العزيز بأنه يحب عباده المؤمنين ، ويحبونه ، وأخبر أنهم أشد حبًا لله ﴿ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[(٣)] .

ووصف نفسه بأنه الودود ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾[(٤)] والودود هو الحبيب ، والود خالص الحب ، فهو يود عباده المؤمنين ويودونه[(٥)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[(٦)] قال بعض السلف في تفسيرها يحبهم ويحببهم إلى عباده[(٧)] .

فالفوز بمحبة الله فيه الخير كله فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال

---

(١) الآية (٩) من سورة آل عمران .

(٢) روضة المحبين (ص ٢٦٦) .

(٣) الآية (١٦٥) من سورة البقرة .

(٤) الآية (١٤) من سورة البروج .

(٥) روضة المحبين (٤٠٩) .

(٦) الآية (٩٦) من سورة مريم .

(٧) روضة المحبين (ص ٤١٢) .

رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه »[١] .

فتأمل كمال الموافقة في الكراهة كيف اقتضى كراهة الرب تعالى لمساءة عبده بالموت لما كره العبد مساخط ربه ، وكمال الموافقة كيف اقتضى موافقته في قضاء حوائجه وإجابة طلباته وإعاذته مما استعاذ به ، كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك[٢] .

وتأمل « الباء » في قوله « فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى » كيف تجدها مبينة لمعنى قوله « كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ... الخ » فإن سمع سمع بالله ، وإن أبصر أبصر به ، وإن بطش بطش به ، وإن مشى مشى به ، وهذا تحقيق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[٣]وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٤]وقوله تعالى:

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٧٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأحزاب باب (٧) . فتح الباري (٨ / ٥٢٤ - ٥٢٥) ح ٤٧٨٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الرضاع ، باب القسم بين الزوجات (٤ / ١٧٤) .

(٣) الآية (١٢٨) من سورة النحل .

(٤) الآية (٦٩) من سورة العنكبوت .

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)]

وتأمل كذلك كيف جعل محبته لعبده متعلقة بأداء فرائضه ، والتقرب إليه بالنوافل بعدها لا غير ، وفي هذا تعزية لمدعي محبته بدون ذلك أنه ليس من أهلها ، وإنما معه الأماني الباطلة والدعاوي الكاذبة[(٢)] .

ومما يناله العبد كذلك من محبة الله له محبة من في السماء له ووضع القبول له في أهل الأرض .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض »[(٣)] .

وفي لفظ لمسلم : « إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه » قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ... » الحديث[(٤)].

وفي لفظ آخر لمسلم عن سهيل بن أبي صالح قال : كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه .

فقلت لأبي : يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبدِ العزيز .

قال : وما ذاك ؟

---

(١) الآية (١٩) من سورة الأنفال .

(٢) روضة المحبين (ص ٤١١) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب المقة (المحبة) من الله تعالى .

انظر : فتح الباري (١٠ / ٤٦١) ح ٦٠٤٠

(٤) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده (٨ / ٤٠ ، ٤١) .

قلت : لما له من الحب في قلوب الناس .

فقال : إني سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن رسول الله ﷺ ثم ذكر الحديث[1] .

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده (٨ / ٤١) .

المطلب الثاني

ثواب المحبة في الآخرة

أما على صعيد الثواب الأخروي فمن أعظم ما ورد في ذلك تلك البشارة التي وردت على لسان النبي ﷺ والتي استبشر لها الصحابة رضوان الله عليهم ولم يفرحوا بشيء بعد الإسلام أشد من فرحهم بها .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ قال : « وما أعددت للساعة ؟ »

قال : حب الله ورسوله . قال : « فإنك مع من أحببت » .

قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي ﷺ « فإنك مع من أحببت » .

قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[1] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم ؟ قال رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب »[2] .

ولاشك أن هذه البشرى عامة للأمة جميعها بمعنى أن من تحققت فيه محبة

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣١٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب علامة الحب في الله .

انظر : فتح الباري (١٠ / ٥٥٧) ح ٦١٦٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والأدب ، باب المرء مع من أحب (٨ / ٤٣) واللفظ له .

الله ورسوله فهو مستحق لتلك البشرى ، ولكن مما يجدر التنبيه عليه ههنا مرة أخرى أنه لا يكفي مجرد دعوى محبة الله ومحبة النبي ﷺ باللسان فقط بل لابد من تحقيق المتابعة له ، وكل ما يوصل إلى تحقيق المحبة ، فمرافقة النبي ﷺ في الجنة لابد أن يصاحبها اجتهاد ممن يطلبها ، وإن كان ليس من شرط ذلك الاجتهاد في الطاعة أن يصل إلى درجة اجتهاد النبي ﷺ ومما يشهد لهذا ويؤكده ما ورد في حديث ربيعة بن كعب الأسلمي[1] أنه قال : كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : « سل » .

فقلت : يارسول الله أسألك مرافقتك في الجنة . فقال : « أوغير ذلك ؟ » .

قلت : هو ذاك . قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود »[2] .

فطلب النبي ﷺ من الصحابي الذي سأله مرافقته في الجنة أن يكثر من صلاة النافلة ، وفي هذا دليل على أن العمل مطلوب ممن أراد أن يصل إلى هذه الأمنية العظيمة وأن مجرد تمني القلب وقول اللسان لا يكفي لتحقيق ذلك .

ومما يؤكد أن نوال شرف مرافقة النبي ﷺ في الجنة متعلق باتباع شريعته وطاعته ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[3] ومن الثواب الأخروي الذي يناله المحب لله ولرسوله هو غفران الذنوب وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ

---

(١) ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي ، صحابي ، كان من أهل الصفة مات سنة ثلاث وستين من الهجرة . الإصابة (١ / ٤٩٨)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه (٢ / ٥٢) .

(٣) الآية (٦٩) من سورة النساء .

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[١] .

فأخبر سبحانه في هذه الآية عن مغفرته لذنوب الذين حققوا محبته ومحبة نبيه على الوجه المطلوب منهم ، وهذه منة امتن الله بها على أهل محبته ، إذ وعدهم إن هم اتبعوا رسوله ﷺ وأطاعوه أنه يجزيهم على فعلهم ذلك ، ويكرمهم بشرف محبته لهم ويتوج ذلك الشرف العظيم والمنزلة العالية بأن يمحو عنهم خطاياهم ويكفر عنهم سيئاتهم التي اكتسبوها .

ولاشك أن حصول هذين الأمرين أي « المحبة » و « المغفرة » هما غاية ما يتمنى المؤمن الفوز به ، فأي فوز أعظم وأكبر من الفوز برضى الله وغفرانه .

فرضي الله هو سبيل كل نعيم دائم مقيم ، وغفرانه هو الأمان من كل عذاب أليم .

ومن ثمرات محبته ﷺ ما ورد في ثواب ذكره الذي هو أحد علامات ودلائل محبته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من صلى على واحد ة صلى الله عليه عشرا »[٢] والصلاة معناها هنا الثناء ، فهي ثناء على الرسول ﷺ وإرادة من الله أن يعلي ذكره ويزيده تعظيمًا وتشريفًا والجزاء من جنس العمل ، فمن اثنى على رسول الله ﷺ جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه[٣] . فهذه ثمرة من ثمرات الذكر الذي هو علامة من علامات المحبة .

ومما ورد كذلك حديث أبي بن كعب قال : قلت : يارسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟

---

(١) الآية (٩) من سورة آل عمران .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٢ / ١٧) .

(٣) جلاء الأفهام (ص ٧٩) .

قال : « ما شئت » . قلت : الربع ؟

قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : النصف ؟

قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : الثلثين ؟

قال : « ما شئت وإن زدت فهو خير » .

قال : أجعل لك صلاتي كلها .

قال : « إذًا تكفى همك ويغفر لك ذنبك »[١] .

والعبارة الأخيرة هي موطن الشاهد ههنا ، فهذا من الثواب الحاصل من المحبة لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره ، « وكما أن الذكر من نتائج الحب ، فالحب أيضا من نتائج الذكر ، فكل منهما يثمر الآخر ، وزرع المحبة إنما يسقى بماء الذكر ، وأفضل الذكر ما صدر عن المحبة[٢] .

وقد سبق بيان معنى الحديث[٣] .

وعلى العموم فإن ثواب كل طاعة من الطاعات إنما هو في الحقيقة ثمرة للمحبة وذلك لأن المحبة أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين .

○○○○

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٢٧) .

(٢) روضة المحبين (ص ٢٦٥) .

(٣) انظر (ص ٣٢٧) .

فهرس موضوعات الجزء الأول

الموضوع | الصفحة

○ ○ ○ ○

حقوق النبي ﷺ

على أمته

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف
الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي

الجزء الثاني

أضواء السلف

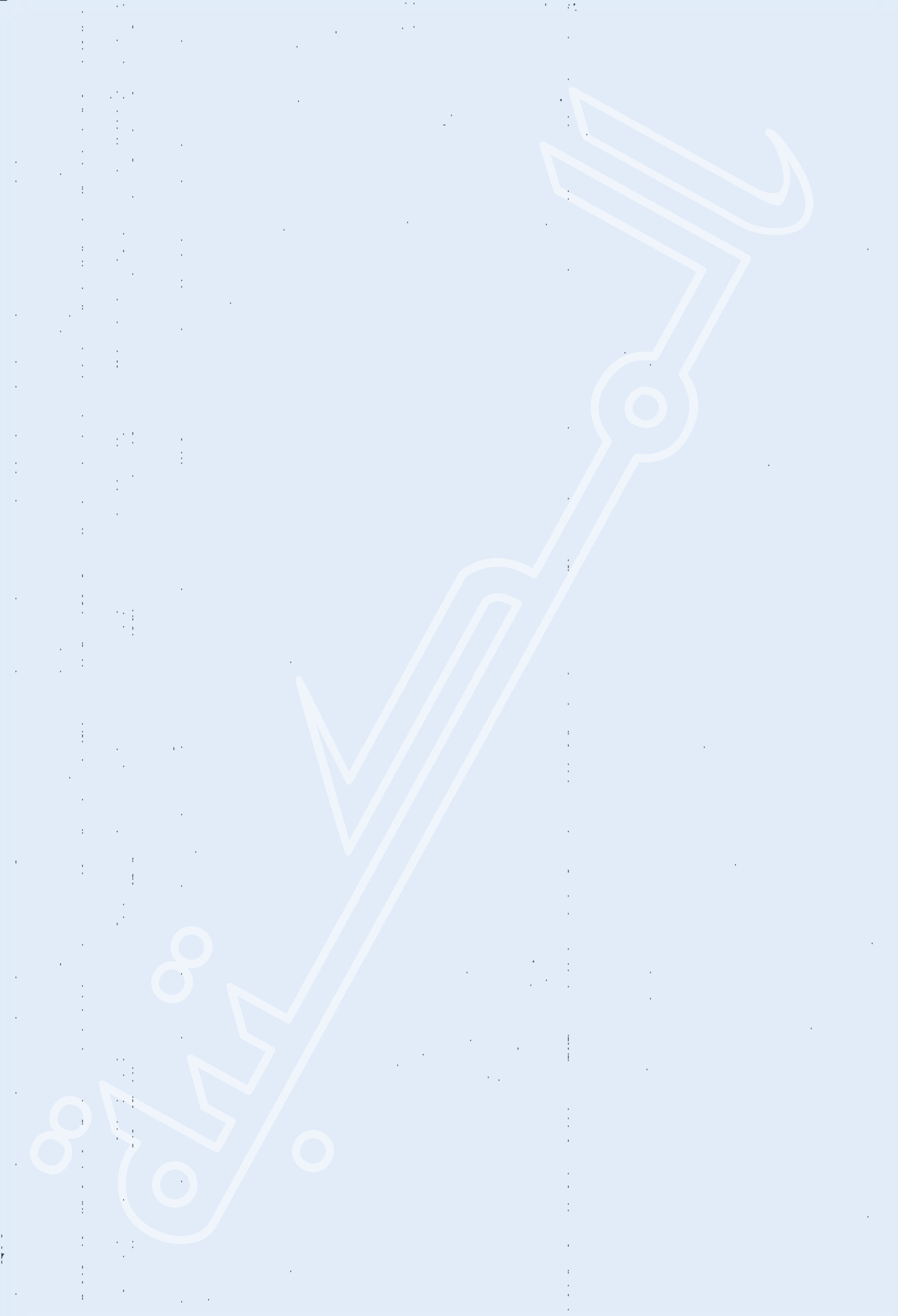
الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي المزني

الرياض - شارع سعد بن أبي وقاص - بجوار بنده - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١
ت ٢٣٢١٠٤٥ - محمول ٠٥٥٤٩٤٣٨٥.

الموزعون المعتمدون لمنشوراتنا

- المملكة العربية السعودية: مؤسسة الجريسي.
- قطر: مكتبة ابن القيم. ت ٨٦٣٥٣٣.
- باقي الدول: دار ابن حزم - بيروت - ت ٧٠١٩٧٤.



الباب الثالث

وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ

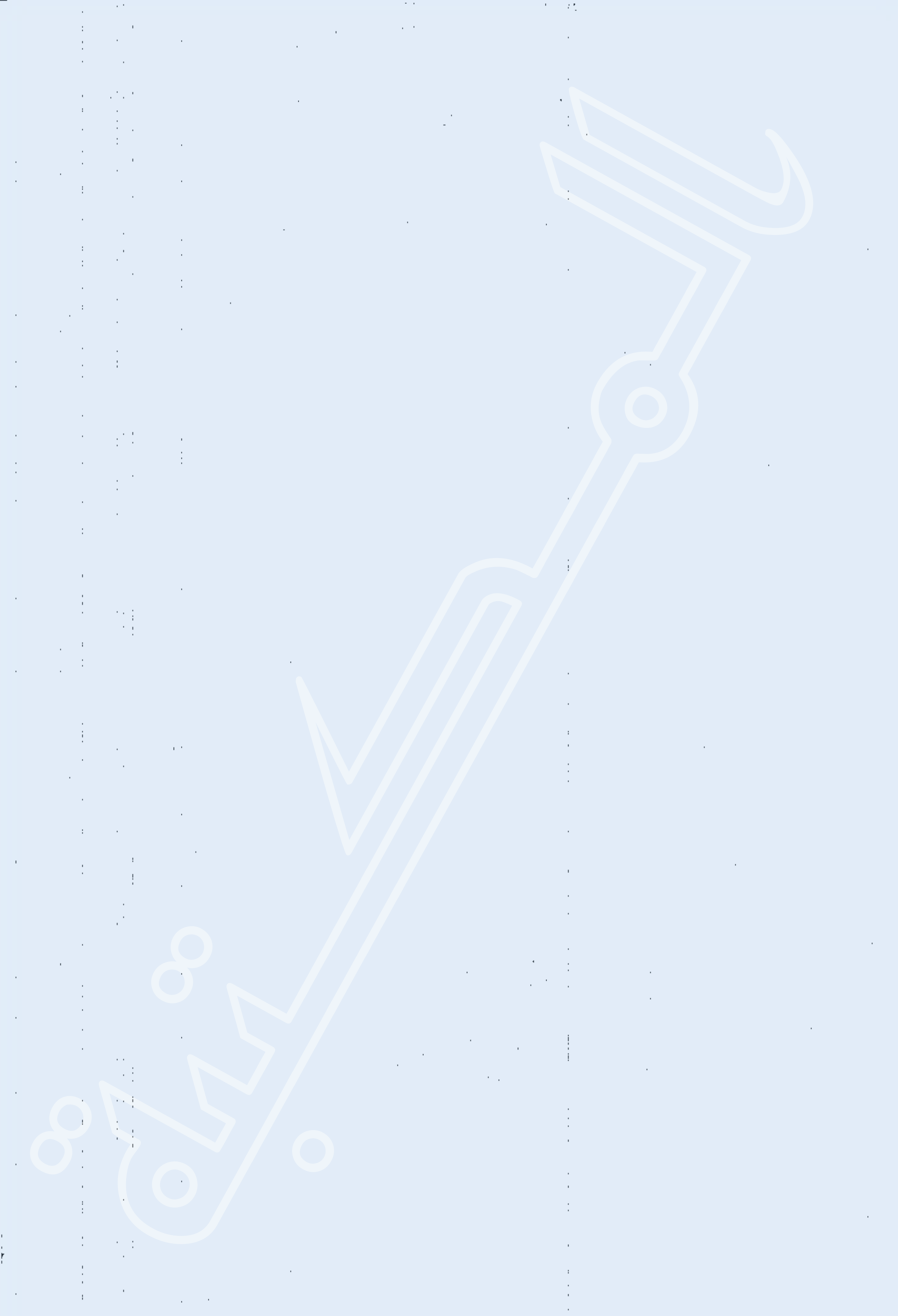
وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : بيان عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل .

الفصل الثاني : وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ على أمته في حياته وبعد مماته .

الفصل الثالث : الصلاة والسلام عليه ﷺ .

● ● ● ●



الفصل الأول

بيان عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل

□ ويشتمل على : تمهيد ، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ في الحياةالدنيا .

المبحث الثاني : بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ في الآخرة .

المبحث الثالث : بيان بعض الخصائص التي خص الله بها أمة محمد ﷺ .

• • • •

تمهيد

إن من الأهمية بمكان - قبل الشروع في توضيح الحق الواجب للنبي ﷺ في شأن تعظيمه وتوقيره - عقد هذا الفصل في بيان عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل وذلك لاستعراض جملة طيبة من المكارم والخصائص التي امتن اللّٰه بها على عبده ورسوله محمد ﷺ ، والتي تدلل على تشريف اللّٰه عز و جل وتكريمه لنبيه ﷺ ، وتظهر تفضيل اللّٰه له على العالمين من الجن والناس أجمعين ، بل والملائكة المقربين .

فلابد لكل مسلم صادق في إسلامه من أن يتعرف على تلك الخصائص والفضائل ، إذ إن هذه المعرفه تنير القلوب وتبصرها وتزيدها إيمانًا وحبًا وتعظيمًا للنبي المصطفي ﷺ .

ولهذه الزيادة - بلا شك - ثمرتها في شحذ الهمم ودفعها لاتباعه والإقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء أثره ، ولزوم هديه .

والمتأمل في آيات الكتاب العزيز ونصوص السنة النبوية الصحيحة يجد الكثير من الأدلة التي تبين مكانة النبي الكريم ﷺ وعظم قدره عند ربه عز وجل ، فقد حباه اللّٰه وامتن عليه وأكرمه بخصائص في الدنيا والآخرة دلت على علو قدره ، ورفعة مكانته ، وسمو منزلته عند الخالق تبارك وتعالى .

فقد قال تعالى في محكم التنزيل ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1] ففي هذه الآية يمتن اللّٰه على نبيه ﷺ بما أسبغ عليه من الفضائل التي هي المناقب والمراتب

---

(١) الآية (١١٣) من سورة النساء .

التي أعطاه الله إياها وميزه بها عن بقية أنبيائه ورسله وسائر خلقه .

فالله سبحانه فضل بعض الرسل على بعض فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾[١]

فكان لنبينا محمد ﷺ النصيب الأوفر من هذا الفضل فقد خصه الله وميزه بخصائص ومناقب دنيوية وأخروية فضل بها على سائر الأنبياء ومن سواهم من البشر . وسأتعرض لبعض هذه الخصائص على وجه الاختصار وذلك حتى يتبين للقارئ عظم قدره ﷺ عند ربه عز وجل .

○○○○

---

(١) الآية (٢٥٣) من سورة البقرة .

المبحث الأول

بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ في الحياة الدنيا

١ ـ أخذ العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

من الأمور التي تدل على عظيم قدره ﷺ عند ربه ما أخذه الله من العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على أنه لو بعث ﷺ وهم أحياء أو أحد منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه .

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ ﴾[1]

وقد روي عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قولهما : « ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه »[2] .

فهو ﷺ الإمام الأعظم الذي لو وجد في أى عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس[3] .

ولهذا فقد كان عند أهل الكتاب علم تام به ﷺ وبمبعثه ومكان بعثته

---

(١) الآية (٨١) من سورة آل عمران .

(٢) أخرجهما ابن جرير في تفسيره (٣ / ٣٣٢) وأوردهما ابن كثير في تفسيره (١ / ٣٧٨) .

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٣٧٨) .

ومهاجره ، كما ورد وصفه في كتبهم حتى إنهم ليعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[2]

وفي الحديث عن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما حينما سئل عن وصف النبي ﷺ قال : « أجل واللّه إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، فأنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه اللّه حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا اللّه فيفتح به أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ... »[3]

٢ ـ أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا .

فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه اللّه إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة »[4] .

---

(١) الآية (١٤٦) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأسواق . انظر : فتح الباري (٤ / ٣٤٢) ح ٢١٢٥

(٤) تقدم تخريجه ص ٧٤

وعن أنس رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة »[(١)] .

وعنه رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد »[(٢)] .

وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما عن النبي ﷺ قال : « عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم أمتي فقيل لي : هذا موسى ﷺ وقومه ، ولكن أنظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ... » الحديث[(٣)] .

وفي هذا الأمر فضل عظيم وخصيصة كبيرة لنبينا محمد ﷺ فاللّه تعالى يكتب لكل نبي من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها فقد قال ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ... » الحديث[(٤)] .

فما من معرفة ولا حالة ولا عبادة ولا مقالة ولا شيء مما يتقرب به إلى اللّه عز

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ « أنا أول الناس يشفع في الجنة » ١/ ١٣٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا (/ ١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره فتح الباري (١٠ / ١٥٥) ح ٥٧٠٥ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٣٨) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو =

وجل مما دل عليه رسول اللّه ﷺ ودعا إليه إلا وله أجر من عمل به إلى يوم القيامة ، ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة ذلك لأن النبي ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة فقد ثبت في الحديث أن أمته شطر أهل الجنة قال ﷺ : « أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قلنا : نعم . قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم . قال : والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ... » الحديث[1]

فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنة ، وغيره من الأنبياء إنما نفع جزءًا من أجزاء الشطر ، كانت منزلته في القرب على قدر منزلته في النفع ، فما من عارف من أمته إلا وله مثل أجر معرفته مضافًا إلى معارفه ﷺ ، وما من ذي حال من أمته إلا وله ﷺ مثل أجره على حاله مضمومًا إلى أحواله ﷺ ، وما من ذى مقال يتقرب به إلى اللّه عز و جل إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول مضموما إلى مقالته وتبليغ رسالته ، وما من عمل من الأعمال المقربة إلى اللّه عز وجل من صلاة وزكاة وعتق وجهاد وبر ومعروف وذكر وصبر وعفو وصفح إلا وله ﷺ مثل أجر عامله مضموما إلى أجره على أعماله ، وما من درجة علية ، ومرتبة سنية ، نالها أحد من أمته بإرشاده ودلالته إلا وله مثل أجرها مضمومًا إلى درجته ﷺ مرتبته ، ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمته إلى هدى أو سن سنة حسنة كان له أجر من عمل بذلك على عدد العاملين ، ثم يكون هذا المضاعف لنبينا ﷺ ، لأنه دل عليه ، وأرشد إليه .

= ضلالة . انظر (٨ / ٦٢) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الحشر . فتح الباري (١١ / ٣٧٨) ح ٦٥٢٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة

ولأجل هذا بكى موسى عليه السلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبي ﷺ إذ يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمة موسى عليه السلام ، ولم يبك حسدًا كما يتوهمه بعض الجهال ، وإنما بكا أسفا على ما فاته من مثل مرتبته[1].

ففي قصة المعراج من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا وفيه « ... ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ... فلما خلصت فإذا موسى ، قال : (جبريل) هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزت بكى .

قيل له : ما يبكيك ؟ قال أبكى لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ... » الحديث[1] .

٣ ـ أن قرنه ﷺ خير قرون بني آدم كما أنه خير قرون أمته والقرون التي تلي قرنه ﷺ . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه »[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ... » الحديث[3] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سأل رجل النبي ﷺ أي الناس خير قال

= (١ / ١٣٨ - ١٣٩) .

(١) بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٤٤ ، ٤٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج ، انظر : فتح الباري (٧ / ٢٠١ - ٢٠٢) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (١ / ١٠٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ . انظر : فتح الباري (٦ / ٥٦٦) ح ٣٥٥٧

: « القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث »[(١)]

والأحاديث في هذا الأمر كثيرة :

٤ ـ أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو حي صحيح يمشي على الأرض . قال الله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[(٢)]

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ الذي في الشفاعة ـ وفيه قوله ﷺ : « .. فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ... »[(٣)] .

وفي حديث أنس رضي الله عنه ـ الذي في الشفاعة أيضا ـ وفيه قوله ﷺ : « ولكن ائتوا محمدا ﷺ عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ... »[(٤)].

قال العز بن عبد السلام[(٥)]: « ولم ينقل أنه أخبر أحدا من الأنبياء بمثل ذلك

---

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد . = = انظر : فتح الباري (٦ / ٢٥٩) ح ٢٦٥٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٤) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٦) .

(٢) الآيات (١ ، ٢ ، ٣) من سورة الفتح .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب قول الله عز وجل : (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا) . انظر : فتح الباري (٨ / ٣٩٥) ح ٤٧١٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١ / ١٢٧ ، ١٢٨) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١ / ١٣٣ - ١٣٤) .

(٥) عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد =

بل الظاهر أنه لم يخبرهم ، لأن كل واحد منهم إذا طلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال : « نفسي نفسي » ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يوجل منها في ذلك المقام واذا استشفعت الخلائق بالنبي ﷺ في ذلك المقام قال : « أنا لها » [١] .

٥ ـ أن اللّٰه رفع له ذكره ، قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[٢] .

فلا يذكر اللّٰه سبحانه إلا ذكر معه ، ولا تصح للأمة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله ، وأوجب ذكره في كل خطبة ، وفي الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام وفي الصلاة التي هي عماد الدين إلى غير ذلك من المواضع .

٦ ـ أن اللّٰه أقسم بحياته ﷺ فقال تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٣] والإقسام بحياة المقسم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسم بها ، وأن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة ولم يثبت هذا لغيره ﷺ[٤] .

٧ ـ أن اللّٰه وقره في ندائه ، فناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ... ﴾[٥] و ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾[٦] وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره ، بل ثبت أن كلا منهم نودي باسمه فقال تعالى :

= وله مؤلفات جليلة توفي سنة ٦٦٠ هـ . الأعلام (٤ / ٢١) .

(١) بداية السول (ص ٣٥ - ٣٦) .

(٢) الآية (٤) من سورة الشرح .

(٣) الآية (٧٢) من سورة الحجر .

(٤) بداية السول (ص ٣٧) .

(٥) الآيات (٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠) من سورة الأنفال ومواضع أخرى .

﴿ يا آدمُ آسْكُنْ ﴾[١] ﴿ يَا عِيسَى آبْنَ مَرْيَمَ آذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾[٢] ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا آللَّهُ ﴾[٣] ﴿ يَا نُوحُ آهْبِطْ بِسَلَامٍ ﴾[٤] ﴿ يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي آلْأَرْضِ ﴾[٥] ﴿ ... يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ آلرُّؤْيَا ﴾[٦] ﴿ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾[٧] ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾[٨] ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ آلْكِتَابَ ﴾[٩] .

ولا يخفي على أحد أن السيد إذا دعي أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق ، دل ذلك على أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم . وهذا معلوم بالعرف أن من دعى بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه »[١٠] .

٨ ـ أن اللّه أمر الأمة بأن لا ينادونه باسمه بل ينادونه : يارسول اللّه يا نبي اللّه فقال اللّه تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ آلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ آللَّهُ آلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ آلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن

(٦) الآية (٤١ ، ٦٧) من سورة المائدة .

(١) الآية (٣٥) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١١٠) من سورة المائدة .

(٣) الآية (٣٠) من سورة القصص .

(٤) الآية (٤٨) من سورة هود .

(٥) الآية (٢٦) من سورة ص .

(٦) الآية (١٠٥) من سورة الصافات .

(٧) الآية (٨١) من سورة هود .

(٨) الآية (٧) من سورة مريم .

(٩) الآية (١٢) من سورة مريم .

تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير[2] عند تفسيرها ، كانوا يقولون : يا محمد ، يا أبا القاسم ، فنهاهم اللّٰه عز وجل عن ذلك إعظامًا لنبيه ﷺ ، وأمرهم أن يقولوا يانبي اللّٰه يارسول اللّٰه »[3] .

٩ـ أن اللّٰه نهي الأمة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ ولا يجهروا له بالقول ـ كما هو الحال بين الناس ـ حتى لا تحبط أعمالهم فقال اللّٰه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[4] الآيات .

فعن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس[5] فقال رجل يارسول اللّٰه أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه فقال له ما شأنك ؟ فقال : شر . كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار . فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى[6]: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : اذهب

---

(١٠) غاية السول (ص ٣٨) .

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٢) سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، تابعي ، أخذ العلم من ابن عباس وابن عمر ، ثقة ، ثبت ، فقيه ، إمام حجة ، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين . تهذيب التهذيب (٤ / ١١ – ١٤) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٠٦) .

(٤) الآية (٢) من سورة الحجرات .

(٥) هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي ، خطيب الأنصار شهد له النبي ﷺ بالجنة ، شهد أحدًا وما بعدها ، قتل يوم اليمامة . الإصابة (١ / ١٩٧) .

(٦) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري ، قاضي البصرة ، تابعي ، ثقة قليل الحديث .

إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة »[١] .

وقال ابن الزبير[٢]: ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[٣] .

١٠ ـ أن الله أمر الأمة بأنهم إذا أرادوا أن يناجوه ﷺ بأن يقدموا بين يدى نجواهم صدقة ، ثم نسخ ذلك ، وأمرهم بالطاعة فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٤] .

١١ـ ما وهبه الله له من المعجزات التي تميزت على معجزات من قبله من الأنبياء .

فمعجزة سيد الأولين والآخرين وهي القرآن العظيم الباقي إلى يوم الدين ، الذي لا تنضب معانيه ، ولا تفنى عجائبه ، ولا تنقطع فوائده ، وهو المحفوظ بحفظ الله له ـ من التغيير والتبديل والتحريف ـ فيه دواء وشفاء ، ومواعظ وأحكام ، فيه خبر من سبقنا ، وأحوال من بعدنا ، وهو حبل الله المتين ، من

تهذيب التهذيب (١٠ / ٣٣٥ - ٣٣٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » . انظر فتح الباري (٨ / ٥٩٠) ح ٤٨٤٦

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، ولد عام الهجرة ، وحنكه النبي ﷺ ودعا له ، وكان أول مولود في الإسلام بالمدينة وكان شهما فصيحا ، وقد بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية فبقى ثمان سنوات حتى قتل في أيام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين للهجرة . الإصابة (٢ / ٣٠١ - ٣٠٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » . فتح الباري (٨ / ٥٩٠) ح ٤٨٤٥

آمن به واتبعه رشد ومن تركه وضل عنه غوى وهلك ، وخاب وخسر .

فهو المعجزة الخالده الباقية ما بقى الإنسان في هذه الدنيا ، بينما تصرمت وانقرضت معجزات من قبله من الأنبياء .

فعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ « ما من نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحى اللّٰه إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »[١] .

وكذلك فقد وجد في معجزاته ما هو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره كتفجير الماء بين أصابعه[٢] فهو أبلغ في خرق العادة من تفجيره من الحجر ، لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء ، وكانت معجزته بانفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام[٣] .

وعيسى عليه السلام أبرأ الأكمه مع بقاء عينه في مقرها ورسول اللّٰه ﷺ رد العين بعد أن سالت على الخد ففيه معجزة من وجهين :

إحداهما : التئامها بعد سيلانها والأخرى : رد البصر إليها بعد فقده منها[٤].

فعن عاصم بن عمر بن قتادة[٥] عن أبيه[٦] عن جده قتادة[٧] أنه أصيبت عينه يوم

(٤) الآيتان (١٢ ، ١٣) من سورة المجادلة .

(١) تقدم تخريجه ص ٧٤

(٢) تقدم تخريجه ص ٨٠ .

(٣) بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٤١) .

(٤) المصدر السابق (ص ٤١ - ٤٢) .

(٥) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري ، تابعى ثقة ، كثير الحديث ، وكان له علم بالمغازي والسيرة ، توفي سنة عشرين ومائة تهذيب التهذيب (٥ / ٥٣ - ٥٤) .

(٦) عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري ، روى عن أبيه وله صحبة تهذيب التهذيب (٧ / ٤٨٩) .

(٧) قتادة بن النعمان بن زيد الأوسي ثم الظفري الأنصاري ، صحابي جليل شهد بدرا وما بعدها =

أحد فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها ، فسألوا النبي ﷺ فقال : لا فدعا به فغمز عينه براحته فكان لا يُدرى أي عينيه أصيبت »[١].

والأمثلة في هذاالباب كثيرة وقد تطرق إليها من كتب في الدلائل والخصائص[٢].

قال الشافعي رحمه الله تعالى : « ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدا ﷺ »[٣]

وقال السيوطي : « قال العلماء ما أوتى نبي معجزة ولا فضيلة إلا ولنبينا ﷺ نظيرها أو أعظم منها »[٤].

○ ○ ○ ○

= ومات في خلافة عمر فصلى عليه ونزل في قبره وعاش خمسا وستين سنة .
الإصابة (٣ / ٢١٧ - ٢١٨) .

(١) وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٤١٨) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة أيضا (٣ / ٢٥١ - ٢٥٢) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ٢٩٧ ، ٢٩٨) وعزاه لأبي يعلى وقال في إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف وقال الألباني في حاشية كتاب بداية السول (ص ٤٢) ولكنه عند أبي نعيم من طريقين آخرين فهو يتقوى بهما » . والحديث أورده ابن كثير في البداية (٤ / ٣٣ ، ٣٤) . والسيوطي في الخصائص الكبرى (١ / ٣٥٩) وعزاه لابن سعد والبيهقي وأبي نعيم .

(٢) انظر : دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص ٥١٢ - ٥٥٠) ودلائل النبوة للبيهقي الجزء السادس ، والخصائص الكبرى للسيوطي (٢ / ٣٠٤ - ٣١٤) .

(٣) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٨٣) .

(٤) الخصائص الكبرى (٢ / ٣٠٤) .

المبحث الثاني

بيان بعض الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ في الآخرة

١ـ أنه سيد ولد آدم يوم القيامة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع »(١) .

قال العز بن عبد السلام : « السيد من اتصف بالصفات العلية والأخلاق السنية ، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين ، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة .

وأما في الآخرة فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف ، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات ، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات .

وإنما قال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم » لتعرف أمته منزلته من ربه عز وجل »(٢).

وسيادة النبي ﷺ للناس يوم القيامه تظهر واضحة جلية بما سيناله من الشرف العظيم يوم القيامه وعلى رأس ذلك الشرف شفاعته في أهل الموقف واختصاصه بذلك من بين الأنبياء والرسل .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرفعت إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منا نهسة وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٧ / ٥٩) .

(٢) بداية السول في تفضيل الرسول (ص ٣٤) .

الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ؟

ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس : أبوكم آدم . فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك اللّٰه بيده ، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟

فيقول : ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك اللّٰه عبدًا شكورًا ، أما ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، نفسي نفسي ، ائتوا النبي ﷺ فيأتوني ، فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع ، وسل تعطه »[1] .

٢ - واشتمل الحديث كذلك على خصيصة أخرى تدل على تخصيصه وتفضيله ﷺ وهي كونه أول شافع وأول مشفع فهذا أمر خص اللّٰه تعالى به رسوله ﷺ إذ جعله الشفيع يوم المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه فيكون هو المخصوص به

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قول اللّٰه عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ انظر فتح الباري (٦ / ٣٧١) ح ٣٣٤٠ واللفظ له . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٢٧ ، ١٢٨) .

صلوات الله وسلامه عليه .

قال ابن تيمية رحمه الله : « وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهًا عند الله ، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ، ولا شفاعة أعظم من شفاعته »[1] .

كما أنه أول من يشفع في دخول الجنة فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا »[2].

٣- أن الله جعل لواء الحمد بيد النبي ﷺ يوم القيامة :

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ما من أحد إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ، وإن معي لواء الحمد ، أنا أمشي ويمشي الناس معي ، حتى آتي باب الجنة ، فأستفتح فيقال من هذا فأقول محمد ، فيقال مرحبًا بمحمد فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا أنظر إليه »[3] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر »[4] .

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا » (١ / ١٣٠) .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (١ / ٣٠) وصححه وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٢) . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب فضل النبي ﷺ (٥ / ٥٨٧) ح ٣٦١٥ وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الزهد ، باب في الشفاعة (٢ / ١٤٤٠) ح ٤٣٠٨

فهذه الخصيصة وغيرها من الخصائص تدل على علو مرتبته ﷺ وعلو منزلته إذ لا معنى للتفضيل إلا التخصيص بالمناقب والمراتب[١] .

٤ ـ أنه أول من يجيز على الصراط وأول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها . وهذه الأمور مما خص به النبي ﷺ عن باقي الأنبياء السابقين .

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل قال : « أن ناسا قالوا يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ... » الحديث .

وفيه « ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته » .. الحديث[٢] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة »[٣] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك »[٤] .

○○○○

---

(١) غاية السول (ص ٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، واللفظ له ، كتاب الآذان ، باب فضل السجود ، انظر فتح الباري (٢ / ٢٩٢ ، ٢٩٣) ح ٨٠٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١١٣) .

(٤،٣) أخرجهما مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة » (١ / ١٣٠)

المبحث الثالث

بيان بعض الخصائص التي خص الله بها أمة محمد ﷺ

اختصت هذه الأمة بخصائص وفضائل ، فلقد أكرم الله هذه الأمة بنعم جليلة ومنح عظيمة ، هي في أصلها إكرام من الله تعالى لنبيه ﷺ ، ولو لم تتبعه لما أعطيت هذه الكرامات وتلك الميزات .

فلقد جعل الله تعالى هذه الأمة خير الأمم ، واصطفاها من جميع الخلق لتكون أمة لنبيه محمد ﷺ ، واجتباها لتكون الأمة الوسط الشاهدة على جميع الأمم السابقة .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3]

وعن معاوية بن حيدة القشيرى[4] رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قال : « إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » وفي لفظ « أنتم أفخرها وأكرمها على الله

---

(١) الآية (١١٠) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٧٨) من سورة الحج .

(٤) معاوية بن حيدة بن معاوية القشيري ، له وفادة وصحبة ، وقال البخاري : سمع النبي ﷺ ، وتوفي بخرسان . الإصابة (٣ / ٤١٢) .

عز وجل »[١].

وروى الإمام أحمد نحوه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[٢].

ومن فضل الله على هذه الأمة أنهم مع كونهم أقل عملًا ممن قبلهم ، فهم أكثر أجرا كما جاء في الحديث الصحيح .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يومًا إلى الليل على أجر معلوم ، فعملوا له نصف النهار ، فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملًا ، فأبوا وتركوا ، واستأجر آخرين بعدهم فقال : « أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا ، حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه ، فقال لهم : أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير ، فأبوا ، فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم ، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور »[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨) (٥ / ٣ - ٥) والترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة آل عمران (٥ / ٢٢٦) ح ٣٠٠١ وقال : هذا حديث حسن . وأخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ . انظر (٢ / ١٤٣٣) والحاكم في المستدرك (٤ / ٨٤) وصححه ووافقه الذهبي . والدارمي في السنن (٢ / ٢٢١) ح ٢٧٦٣ ، وحسنه الألباني في المشكاة (٦٢٨٥) .

(٢) المسند (٣ / ٦١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب الإجارة من العصر إلى الليل . انظر : فتح الباري (٤ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) ح ٢٢٧١

قال ابن كثير رحمه اللّٰه تعالى : « والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم ، وأن ذلك ليس منوطًا بكثرة العمل وقلته ، بل بأمور أخر معتبرة عند اللّٰه تعالى .

وكم من عمل قليل أجدى ما لا يجديه العمل الكثير ، هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر سواها ، وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ أنفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه من تمر ، وهذا رسول اللّٰه ﷺ بعثه اللّٰه على رأس أربعين سنة من عمره وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور وقد برز في هذه المدة التي هي ثلاث وعشرون سنة في العلوم النافعة والأعمال الصالحة على سائر الأنبياء قبله حتى على نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ويعمل بطاعة اللّٰه ليلا ونهارا صباحا ومساءً صلوات اللّٰه وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين .

فهذه الأمة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] ، [2]

ومما أكرمت به هذه الأمة كذلك أنهم مع كونهم آخر الأمم زمانًا فهم الأولون يوم القيامة .

---

(١) الآيتان (٢٨ ، ٢٩) من سورة الحديد .

(٢) البداية لابن كثير (٢ / ١٤٦) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا »[١] .

فهذه الأمة هم أول من يقضى لهم يوم القيامة كما جاء في الحديث الصحيح « ... نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق »[٢] .

ومما خص الله تعالى به هذه الأمة يوم القيامة أنها تكون مع نبيها ﷺ أول من يجتاز الصراط من الأمم ، كما في الحديث الطويل عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ وفيه « ... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ... »[٣] .

وكذلك فإن هذه الأمة هم أول من يدخل الجنة من الأمم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة ... »[٤]

ومما خص الله به هذه الأمة أن جعل الزمرة الأولى منها ـ وهي التي تدخل الجنة من غير حساب ولا عذاب ـ تدخل الجنة من الباب الأيمن من أبواب الجنة .

فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ حديث الشفاعة الطويل ـ وفيه (فأقول يارب أمتي أمتي ، فيقال : يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة « واللفظ له » .
انظر : فتح الباري (٢ / ٣٥٤) ح ٨٧٦ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣ / ٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣ / ٧) .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية . انظر (١ / ١١٣) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣ / ٧) .

حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ... » الحديث[١] .

فهذه الخصائص والفضائل وغيرها كثير إنما هي شواهد وبراهين على تفضيل اللّٰه تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ، وعلى ماله من منزلة عظيمة ودرجة رفيعة عنده تبارك وتعالى .

ومن هذه الخصائص يعلم المسلم عظيم قدر نبينا ﷺ ورفعة مكانته عند اللّٰه عز وجل ، ومما لاشك فيه أن هذا العلم وهذه المعرفة ستثمر بإذن اللّٰه في القلب المؤمن باللّٰه ورسوله ، فيزداد تعظيمًا وتوقيرًا للنبي ﷺ ، وحرصا على اتباعه واقتفاء أثره والسير على سنته .

فحري بالمسلم الذي تتوق نفسه وتتطلع لأن يكون في عداد أمة المصطفي الذين يقودهم ﷺ إلى الجنة بعد أن يجتاز بهم الصراط ، أن يحقق الأمور التي يستحق بها هذا الفضل العظيم والمرتبة العالية .

فبالإيمان والاتباع والمحبة والتعظيم والبعد عما يضاد هذه الأمور يستحق الإنسان أن يكون من أمة محمد ﷺ .

أما من لم يتبع ويسلك سبيل النبي ﷺ بل غير وبدل فهو محروم من هذا الفضل وذاك الشرف الذي تحدثت عنه تلك النصوص .

فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول يارب أصحابي

---

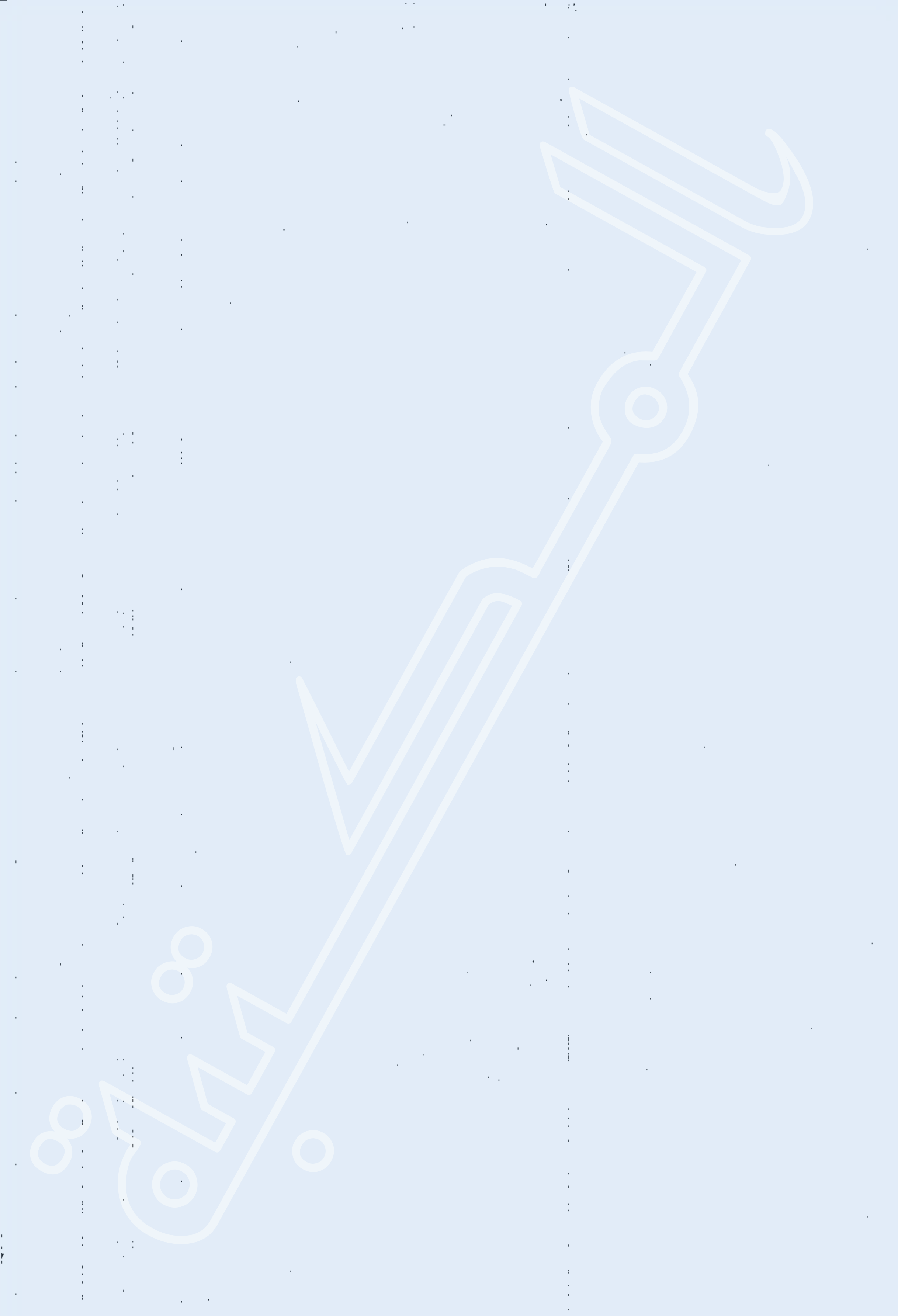
(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٢٧ - ١٢٩) .

فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم غيروا وبدلوا فيقول النبي ﷺ سحقًا سحقًا لمن غير وبدل »[1] .

○○○○

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض . فتح الباري (١١ / ٤٦٣) ح ٦٥٧٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (١ / ١٥٠ - ١٥١) .



الفصل الثاني

وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ على أمته في حياته وبعد مماته

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : معنى التعزير والتوقير والتعظيم .

المبحث الثاني : وجوب توقيره وتعظيمه ﷺ والأدلة على ذلك .

المبحث الثالث : تعظيم الصحابة للنبي ﷺ في حياته .

المبحث الرابع : تعظيم الأمة للنبي ﷺ بعد مماته .

● ● ● ●

المبحث الأول

معنى التعزير والتوقير والتعظيم

قال تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] .

أ ـ أما التعزير في اللغة :

فيقول صاحب معجم مقاييس اللغة عن أصل هذه الكلمة : « عزر » العين والزاء . والراء : كلمتان

أحدهما : التعظيم والنصر . والكلمة الأخرى : جنس من الضرب .

فالأولى : النصر والتوقير كقوله تعالى : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾

والأصل الآخر : التعزير وهو الضرب دون الحد »[٣] .

وفي النهاية في غريب الحديث « أصل التعزير : المنع والرد .

فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه .

ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد تعزير ، لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب ، يقال عزرته ، وعزّرته . فهو من الأضداد »[٤] .

وجاء في تهذيب اللغة : « عزر » قال اللّه عز وجل : ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾

---

(١) الآية (٩) من سورة الفتح .

(٢) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤ / ٣١١) .

(٤) النهاية (٣ / ٢٢٨) .

جاء في التفسير في قوله تعالى ﴿ لِتُعَزِّرُوهُ ﴾ أى لتنصروه بالسيف ﴿ وعزرتموهم ﴾ عظمتموهم . وقيل : نصرتموهم .
واللفظة تستعمل لعدة معان هي :
١ ـ التعزير : النصر باللسان والسيف .
٢ ـ التعزير : التوقير .
٣ ـ التعزير : التأديب دون الحد .
٤ ـ التعزير : التوقيف على الفرائض والأحكام »[١] .
وأما عن المعنى الشرعي المراد هنا :
فعن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ وعزروه ﴾ يقول : (حموه ووقروه ﴾[٢]
وعن مجاهد قال : « عزروه : سددوا أمره ، وأعانوا رسوله ونصروه »[٣]
وعن قتادة في قوله : ﴿ ويعزروه ﴾ قال ينصروه »[٤] .
وقال ابن جرير الطبري : ﴿ وعزروه ﴾ (وقروه وعظموه وحموه من الناس »[٥]
وقال أيضا بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة « وهذه الأقوال متقاربات المعنى ، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ومعنى التعزير في هذا الموضع : التقوية بالنصر والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال »[٦].
وقال شيخ الإسلام : « التعزير : اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه »[٧] .

---

(١) تهذيب اللغة (٢ / ١٢٩ - ١٣٠) بتصرف .
(٢،٣) تفسير الطبري (٩ / ٨٥) .
(٤) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٥) .
(٥) تفسير الطبري (٩ / ٨٥) .
(٦) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٥) . (٧) الصارم المسلول (ص ٤٢٢) .

ب ـ وأما عن التوقير في اللغة :

ففي معجم مقاييس اللغة : « وقر » الواو . والقاف . والراء : أصل يدل على ثقل في الشيء ... ومنه الوقار : الحلم والرزانه »[١]

وجاء في تهذيب اللغة « وقر الرجل من الوقار ، يقر ، فهو وقور .

ووقرت الرجل : إذا عظمته ومنه قوله عز وجل ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٢]

وفي لسان العرب : « وقر الرجل : بجله ، والتوقير : التعظيم والترزين »[٣]

وأما المعنى الشرعي المراد هنا :

فقال ابن عباس ﴿ ويوقروه ﴾ يعني التعظيم[٤] .

وقال قتادة ﴿ ويوقروه ﴾ أمر اللّه بتسويده وتفخيمه[٥] .

وقال أيضا ﴿ ويوقروه ﴾ أي ليعظموه[٦] .

وقال ابن جرير الطبري : « فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم »[٧] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « التوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار »[٨] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦ / ١٣٢) .

(٢) تهذيب اللغة (٩ / ٢٨٠) .

(٣) لسان العرب (٥ / ٢٩١) .

(٤،٥) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٤) .

(٦) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٥) .

(٧) تفسير الطبري (٢٦ / ٧٥) .

(٨) الصارم المسلول (ص ٤٢٢) .

وقال ابن كثير : « التوقير : هو الإحترام والإجلال والإعظام »[١] .

ج ـ وأما التعظيم في اللغة :

ففي لسان العرب « التعظيم : التبجيل :

يقال لفلان عظمة عند الناس : أي حرمة يعظم لها »[٢] .

ولفظ « التعظيم » لم يرد في خطاب الشارع كما ورد لفظ « التعزير و « التوقير » لكن العلماء استعملوه في كلامهم عند هذه المسأله وذلك لقربه في المعنى إلى ذهن السامع ، ولتأديته للمعنى المراد من لفظتي « التعزير » و« التوقير » .

○○○○

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٨٥) .

(٢) لسان العرب (١٢ / ٤١٠ - ٤١١) .

المبحث الثاني

وجوب توقيره وتعظيمه ﷺ والأدلة على ذلك

إن تعظيم النبي ﷺ ، وإجلاله ، وتوقيره ، شعبة عظيمة من شعب الإيمان ، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة[١] بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة .

ذلك لأنه ليس كل محب معظمًا ؛ ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه .

والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم . والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم . والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم .

فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة[٢] .

فمن حق النبي ﷺ على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل ولد لوالده ومن كل عبد لسيده ، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة[٣] وهو ما أمر اللّٰه به في كتابه العزيز قال تعالى ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ

---

(١) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢ / ١٢٤) الشعبة الخامسة عشرة .
وكذلك الجامع في شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٣٠٠) الشعبة الخامسة عشرة .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢ / ١٢٤) .

(٣) المعنى المقصود هنا : أنه يجوز أن يبعث اللّٰه رسولًا ولا يوجب له هذا الحق بخلاف الإيمان والاتباع فإنهما من لوازم الرسالة .

(٤) الآية (٩) من سورة الفتح .

أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)] .

فأبان أن حق الرسول ﷺ في أمته أن يكون معزرًا موقرًا مهيبًا .

وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف في أن التعزير هاهنا التعظيم[(٢)] .

وفي الجمع الحاصل في الآيتين بين الإيمان به وتعظيمه ، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه ﷺ يعد من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به .

قال الحليمي[(٣)] : « فمعلوم أن حقوق رسول اللّٰه ﷺ أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن اللّٰه تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة ، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة ، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا ألى جنات النعيم . فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن . ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته ، وتوعدنا على معصيته بالنار . ووعدنا باتباعه الجنة . فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة ، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة . فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده . وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر اللّٰه جل ثناؤه »[(٤)] .

---

(١) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٥) « بتصرف » .

(٣) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجانى ، فقيه شافعي ، قاضي ، كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر ، توفي في بخارى سنة ٤٠٣ هـ وله كتاب المنهاج في شعب الإيمان .
الأعلام (٢ / ٢٣٥) .

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٤ - ١٢٥) والجامع لشعب الإيمان (١ / ٣٠٢ - ٣٠٣) .

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه ﷺ وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه ومن تلك الآيات ما يلي .

١ـ قوله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[(١)]

« ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعوا رسول الله ﷺ بغلظ وجفاء ، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع »[(٢)] .

وروى الطبري بسنده عن مجاهد في تفسيرها فقال : « أمرهم أن يدعوه يارسول الله في لين وتواضع ، ولا يقولوا : يامحمد ، في تجهم[(٣)] .

وعن قتادة قال : « أمرهم أن يفخموه ويشرفوه »[(٤)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسيرها « خص الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به ، فنهي أن يقولوا : يامحمد أو يا أحمد ، أو يا أبا القاسم ، ولكن يقولوا : يارسول الله ، يانبي الله وكيف لا يخاطبونه بذلك ، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء ، فلم يدعه باسمه في القرآن قط ، بل يقول ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾[(٥)] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾[(٦)] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[(٧)] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[(٨)] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ ﴾[(٩)] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٢،٣،٤) تفسير الطبري (١٨ / ١٧٧) .

(٥) الآية (٢٨) من سورة الأحزاب .

(٦) الآية (٥٠) من سورة الأحزاب .

(٧) الآية (١) من سورة الأحزاب .

(٨) الآية (٤٥) من سورة الأحزاب . (٩) الآية (١) من سورة الطلاق .

أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾[١] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٢] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾[٣] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[٤] ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾[٥].

مع أنه سبحانه قال : ﴿ وَقُلْنَا يا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ﴾[٦] ﴿ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾[٧] ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[٨] ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾[٩] ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[١٠] ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[١١] ﴿ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾[١٢][١٣].

وقال رحمه الله : « وإذا كنا في باب العبارة عن النبي ﷺ علينا أن نفرق بين مخاطبته والإخبار عنه . فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدب بآداب الله تعالى حيث

---

(١) الآية (١) من سورة التحريم .

(٢) الآية (٦٧) من سورة المائدة .

(٣) الآيتان (١ ، ٢) من سورة المزمل .

(٤) الآيتان (١ ، ٢) من سورة المدثر .

(٥) الآية (٦٤) من سورة الأنفال .

(٦) الآية (٣٥) من سورة البقرة .

(٧) الآية (٣٣) من سورة البقرة .

(٨) الآية (٤٦) من سورة هود .

(٩) الآية (٧٦) من سورة هود .

(١٠) الآية (١٤٤) من سورة الأعراف .

(١١) الآية (٢٦) من سورة ص .

(١٢) الآية (١١٠) من سورة المائدة .

(١٣) الصارم المسلول (ص ٤٢٢ - ٤٢٣) .

حيث قال ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾(١) فلا تقول يا محمد يا أحمد ، كما يدعو بعضنا بعضا ؛ بل نقول : يارسول الله ، يانبي الله .

والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال : ﴿ يا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾(٢) ﴿ يَا نُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾(٣) ﴿ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾(٤) ﴿ يَا عِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(٥)

ولما خاطبه ﷺ قال ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾(٦) ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾(٧) ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾(٨) ﴿ يا أيها المزمل ﴾(٩) ﴿ يا أيها المدثر ﴾(١٠) فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه .

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله » وقلنا محمد رسول الله وخاتم النبيين ، فنخبر عنه باسمه كما أخبر الله سبحانه لما أخبر عنه ﷺ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

---

(١) الآية (٦٣) من سورة النور .

(٢) الآية (٣٥) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٤٨) من سورة هود .

(٤) الآيتان (١١ ، ١٢) من سورة طه .

(٥) الآية (٥٥) من سورة آل عمران .

(٦) الآية (٦٤) من سورة الأنفال .

(٧) الآية (٤١) من سورة المائدة .

(٨) الآية (٦٧) من سورة المائدة .

(٩) الآية (١) من سورة المزمل .

(١٠) الآية (١) من سورة المدثر .

وَلَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾[١] وقال ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾[٢]وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[٣] وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾[٤] .

فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل »[٥]

٢ ـ وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦] .

فهذه الآيات اشتملت على جملة من الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يجب أن يعاملوا به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام وهذه الآداب هي :

أولا : أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا

---

(١) الآية (٤٠) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٢٩) من سورة الفتح .

(٣) الآية (١٤٤) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (٢) من سورة محمد .

(٥) درء تعارض العقل والنقل (١ / ٢٩٧ ، ٢٩٨)

(٦) الآيات من (١ الى ٥) من سورة الحجرات .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

قال ابن كثير في معناها : « أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور ، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن « بم تحكم ؟ » قال : بكتاب الله تعالى . قال ﷺ » فإن لم تجد ؟ « قال بسنة رسول الله ﷺ . قال ﷺ : « فإن لم تجد ؟ » قال رضي الله عنه : أجتهد رأيي ، فضرب في صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ »[1] .

فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله »[2] .

وقال الحليمي عند تعليقه على هذه الآية : « والمعنى لا تقدموا قولًا أو فعلًا بين يدي قول رسول الله ﷺ وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر دين أو دنيا ، بل أخروا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله ﷺ في ذلك بما يراه فإنكم إذا قدمتم بين يديه كنتم مقدمين بين يدي الله عز وجل إذ كان رسوله لا يقضي إلا عنه ، ﴿ واتقوا الله ﴾ أي احذروا عقابه بتقديمكم بين يدي رسول الله ومعاملته بما يوهم الاستخفاف به ومخالفة شيء مما يأمركم به عن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢) .
وأبو داود في سننه ، كتاب الأقضية ، باب اجتهاد الرأي في القضاء (٤ / ١٨) ح ٣٥٩٢ .
والترمذي في سننه ، كتاب الأحكام ، باب القاضي كيف يقضي (٣ / ٦١٦) ح ١٣٢٧ .
وابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب اجتناب الرأي والقياس بنحوه (١ / ٢١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٥) .

الله بوحي متلو أو بوحي غير متلو ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ أي سميع لما تقدمونه بين يدي رسوله ﷺ ، أو تأتونه اقتداء به واتباعا له ، عليم بما يكون منكم من إجلاله أو خلاف ذلك فهو يجزيكم بما سمعه ويعلمه منكم »[1].

ولقد تأدب الصحابة مع ربهم ومع رسولهم ، فما عاد بعد نزول هذه الآية مقترح منهم يقترح على الله ورسوله ، وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله ﷺ أن يدلي به ، وما عاد أحد يقضي برأيه في أمر أو حكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول النبي ﷺ .

حتى كان الرسول ﷺ يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه وهم يعلمونه حق العلم ، فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم : الله ورسوله أعلم . خشية أن يكون في قولهم تقدم بين يدي الله ورسوله . ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ ـ سأل في حجة الوداع « أي شهر هذا ؟ » .. قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه ، قال : « أليس ذو الحجة ؟ » قلنا : بلى . قال : « فأي بلد هذا ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير أسمه ، قال : « أليس البلدة ؟ » قلنا بلى . قال « فأى يوم هذا ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : « أليس يوم النحر ؟ » قلنا بلى ... » الحديث[2].

فهذه صورة من الأدب ، ومن التحرج ، ومن التقوى التي انتهى إليها

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب حجة الوداع واللفظ له .
انظر فتح الباري (٨ / ١٠٨) ح ٤٤٠٦ .

الصحابة بعد سماعهم ذلك النداء ، وذلك التوجيه ، وتلك الإشارة إلى التقوى تقوى الله السميع العليم .

ثانيا : أنه حرم رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل ، وهذا من باب الأدب مع النبي ﷺ في الحديث والخطاب ومن التوقير الذي يجب له ، ذلك التوقير الذي ينعكس على نبرات أصوات الصحابة ليتميز بذلك شخص الرسول ﷺ بينهم ويميز مجلسه فيهم فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[١].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « هذا أدب ثانٍ أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

فعن ابن أبي مليكة[٢] قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس[٣] رضي الله عنه أخي بن مجاشع وأشار الآخر

---

(١) الآية (٢) من سورة الحجرات .

(٢) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي المكي ، تابعي ثقة ، كان قاضيًا لابن الزبير ومؤذنًا له . مات سنة (١٧ هـ) وقيل (١٨ هـ) .
تهذيب التهذيب (٥ / ٣٠٦ - ٣٠٧) .

(٣) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي ، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنينا والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وقد حسن إسلامه ، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام وشارك في الفتوحات ، وقيل إنه قتل في اليرموك في عشرة من بنيه .
الإصابة (١ / ٧٢ - ٧٣) .

برجل آخر ، قال نافع[(١)] لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ما أردت إلا خلافي ، قال : ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ الآية .

قال ابن الزبير[(٢)] رضي الله عنه : « فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر »[(٣)].

فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ ، وقد رُوينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال : أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا[(٤)] .

وقال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيًا وفي قبره ﷺ دائمًا .

ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة ممن عداه ، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ كما قال ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ

---

(١) نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي الحافظ المكي ، كان من أثبت الناس ، روى عن ابن أبي مليكة وغيره ، مات سنة تسع ومئتين ومائة . تهذيب التهذيب (١٠ / ٤٠٩) .

(٢) هو : عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وقد تقدم ترجمته .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الحجرات .
انظر : فتح الباري (٨ / ٥٩٠) ح ٤٨٤٥

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب رفع الصوت في المسجد .
انظر : فتح الباري (١ / ٥٦٠) ح ٤٧٠ .

بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ .

وقوله عز وجل ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب اللّٰه تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّٰه تعالى لا يلقي لها بالًا يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللّٰه تعالى لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض »(١) .

ثم ندب اللّٰه تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي أخلصها لها وجعلها أهلًا ومحلًا ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٢) .

وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات قوله : (أعاد النداء عليهم ـ أى في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد ، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل ، وتحريك هممهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول اللّٰه ﷺ من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم .

وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظامَ ما ورد به ، ومستعظم الحق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان .
فتح الباري (١١ / ٣٠٨) ح ٦٤٧٨ .

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦) .

لايدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه ، وارتداعًا بما يصده عنه ، وانتهاء إلى كل خير .

والمراد بقوله : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم ، وجهره باهرًا لجهركم ، حتى تكون ميزته عليكم لائحة ، وسابقته واضحة ، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف ، لا أن تغمروا صوته بلغطكم ، وتبهروا منطقه بصخبكم .

وبقوله ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ ﴾ أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت ، بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم ، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول البين المقرب من الهمس الذي لا يضاهي الجهر ، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم ، عاملين بقوله عز شأنه ﴿ وتعزروه وتوقروه ﴾ وليس الغرض من رفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة ، لأن ذلك كفر ، والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ، ويوقر الكبراء ، فيتكلف الغض منه ، ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير .

ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله ﷺ وهو ما كان منهم في حرب ، أو مجادلة معاند ، أو إرهاب عدو أو ما أشبهه ، فلم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه إلا بالهمس والمخافتة ، وإنما نهوا عن جهر مقيد بصفة أعلى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم ، وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة ، وجلالة مقدارها ، وانحطاط

سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها »[١]

« ومن البداهة أن هذه الآيات وأمثالها في تأديب الأمة وتعليمها إنما جاءت بأسلوبها المعجز لتفخيم شأن النبي ﷺ وإظهار رفعة قدره المنيف ، وسمو منزلته ﷺ فوق كل منزلة أحد من الخلق ، وهي مسوقة في مواضعها من القرآن الكريم لتعليم الأمة أفرادًا وجماعات الأدب الأكمل مع النبي ﷺ في كل ما يتصل بمخاطبته والتحدث إليه ، والإصغاء إلى حديثه ، ومجالسته حتى يستشعر المؤمن بقلبه وروحه وكافة إحساساته ومشاعره ما أوجبه اللّٰه تعالى من توقيره ﷺ توقيرًا يجلي رفيع قدره ، وعظيم مقامه ، ويظهر تشريف اللّٰه تعالى له بما ميزه به على سائر الخلق ، وقد اتفق أهل العلم من أئمة أعلام الأمة على أن حرمته ﷺ بعد وفاته كحرمته في حياته »[٢] .

ثالثا : أن اللّٰه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه فقال ﴿ أكثرهم لا يعقلون ﴾ ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ﴾ أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة[٣]فكره إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي ﷺ ، وبين لهم ما يجب عليهم وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم وحبب إليهم التوبة والإنابة ، ورغبهم في المغفرة والرحمة[٤] .

---

(١) الكشاف (٣ / ٥٥٤ ، ٥٥٥) .

(٢) كتاب محمد رسول اللّٰه ﷺ منهج ورسالة تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون (٤ / ٣٣٣)

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٨) .

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦ / ٣٣٤٠) بتصرف يسير .

قال الحليمي « في هذه الآية يسلى الله نبيه ﷺ بما أخبره من أن الذين يصيحون خارج منزله ولا يصبرون حتى يخرج إليهم إنما حملهم على ذلك جهلهم وقلة عقلهم وأكثرهم لا يهتدون إلى ما يلزمهم من تعظيمك في حال مخاطبتك »[1].

٣ ـ وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾[2].

قال الحليمي : « فأعلمهم أن نفس الرسول ﷺ أكرم وأشرف وأزكى وأجمل من أنفسهم ، فلا يسعهم من ذلك أن يصرفوا أنفسهم عمالا يصرف نفسه عنه فيتخلفوا عنه إذا خرج لجهاد أعداء الله معتذرين من شدة حر ، أو طول طريق ، أو عوز ماء ، أو قلة زاد ، بل يلزمهم متابعته ومشايعته على أي حال رضيها لنفسه ، وفي هذا أعظم البيان لمن عقل ، وأبين الدلالة على وجوب تعظيمه وإجلاله وتوقيره »[3].

٤ ـ وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَٱسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ... ﴾[4].

فنهاهم سبحانه وتعالى عن أن يعاملوا رسول الله ﷺ بالتوسع في الانبساط

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٨) .

(٢) الآية (١٢٠) من سورة التوبة .

(٣) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٢٦) .

(٤) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

والإسترسال كما يعامل من لا يهاب ولا يتقى ، فيدخل بيته بغير إذنه إذا دعاهم إلى طعام لم ينضج ، وأحاطوا به منتظرين إدراكه وإذا حضر الطعام ودخلوا وطعموا لزموا مجالسهم مستأنسين بالمحادثة ، وأخبرهم أن ذلك منهي عنه ، إذ كان النبي ﷺ قد تأذى منه ويستحي أن يكلمهم ، كما أدبهم فيما ينبغي عليهم تجاه معاملتهم مع أزواجه ﷺ ، وهذا كله مما يدل على ماله ﷺ من التعظيم والاحترام .

٥ ـ وقد جاء بعد هذه الآيات الأمر بالصلاة والسلام عليه ﷺ حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَآئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١]

ووجه إيصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما كان من الواجب على المكلفين تعظيم النبي ﷺ برفع الأذى عنه وإظهار شرفه وكرامته فذكر اللّه تعالى القسم الأول ـ أي رفع الأذى ـ في قوله تعالى : ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾[٢] إلى آخرها وذكر القسم الثاني ـ أي إظهار شرفه وكرامته ـ في هذه الآية الثانية ، وبدأ بالأول لأن دفع المفاسد أهم .

وأيضا لما أرشد اللّه تعالى المؤمنين إلى تعظيمه ﷺ بتعلم سلوك طريق الأدب معه في أشياء كثيرة تتعلق بحياته وموته إظهارًا لشرفه وتعظيمًا له ، عقبه بما يدل على أنه تعالى أيضا معظم لشأنه أيضا ، وكذلك ملائكته المقربون حملة العرش وحفظته الذين لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وفيه بيان لمنقبة عظيمة له ﷺ فإن الملك قد يأمر بإكرام شخص ولا يكون

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

عنده بمكان فأزيل هذا التوهم وبين أنه أكرم الخلق على ربه تعالى .

وأيضا لما أرشد الله المؤمنين إلى الحال التي يجب أن يكونوا عليها مع نبيه ﷺ من التعظيم والتوقير - ولهم معه حالتان :

١ - حالة الخلوة : والواجب هناك عدم إزعاجه - بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾[1] .

٢ - وحالة الملأ : والواجب هناك إظهار التعظيم ، بين ذلك بقوله ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2] .

وأيضًا لما أمر الله سبحانه وتعالى بالاستئذان في بيوته ، وعدم النظر إلى وجوه زوجاته ، وغير ذلك من الآداب إكرامًا وتبجيلًا ، كمل سبحانه بيان حرمته بقوله ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ .

وأيضًا لما بين الأدب معه في حال الخلوة ، وكان حاله في الملأ نوعين ، لأنه يكون أعلى وأسفل ، فبين أنه في الأعلى محترم في غاية الاحترام ، ثم بين ما يجب على الملأ الأسفل من ذلك التعظيم بقوله ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[3].

٦ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[4]

فالله تعالى من تعظيمه لنبيه ﷺ حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين

---

(١) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٣) الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر (ص ١٩ - ٢٠) .

(٤) الآيتان (٥٧ ، ٥٨) من سورة الأحزاب .

أذاه وأذى المؤمنين ، فأوجب على من آذى النبي ﷺ اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من آذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير . بينما حكم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي ﷺ وحق غيره .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من أذى النبي ﷺ « ودلالتها من وجوه :

أحدها : أنه قرن أذاه بأذاه كما قرن طاعته بطاعته ، فمن آذاه فقد آذى اللّٰه تعالى ، وقد جاء ذلك منصوصًا عنه ، ومن آذى اللّٰه فهو كافر حلال الدم .

بين ذلك أن اللّٰه تعالى جعل محبة اللّٰه ورسوله ، وإرضاء اللّٰه ورسوله وطاعة اللّٰه ورسوله شيئا واحدًا فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوها وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[1]وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[2]في مواضع متعددة ، وقال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[3]فوحد الضمير ، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء اللّٰه إرضاء للرسول وإرضاء الرسول فيه إرضاء للّٰه ، وقال أيضا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[4]وقال أيضا : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[5] .

---

(١) الآية (٢٤) من سورة التوبة .

(٢) الآية (١٣٢) من سورة آل عمران .

(٣) الآية (٦٢) من سورة التوبة .

(٤) الآية (١٠) من سورة الفتح .

(٥) الآية (١) من سورة الأنفال .

وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله وأذى الله ورسوله ومعصية الله ورسوله شيئًا واحدًا ، فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[١] وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[٣] وقال : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[٤].

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين ، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة ، فمن آذى الرسول فقد آذى الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ، ليس لأحد منهم طريق غيره ، ولا سبب سواه وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه ، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور .

وثانيها : أنه فرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات ، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين ، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد ، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل .

الثالث : أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ، واللعن : الإبعاد عن الرحمة ، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات ولايكون مباح الدم ، لأن حقن الدم رحمة عظيمة من الله ، فلا تثبت في حقه ... »[٥]

---

(١) الآية (١٣) من سورة الأنفال .

(٢) الآية (٢٠) من سورة المجادلة .

(٣) الآية (٦٣) من سورة التوبة .

(٤) الآية (١٤) من سورة النساء وآيات أخر .

(٥) الصارم المسلول (ص ٤٠ – ٤١) .

ومما يوضح ذلك أن سب النبي ﷺ قد تعلق به عدة حقوق :

أ. حق الله سبحانه من حيث كفر برسوله وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ومن حيث طعن في كتابه ودينه ، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة ، ومن حيث طعن في ألوهيته ، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسِل ، وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته .

ب ـ وتعلق به حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم ، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته ، فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم ، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين .

ج ـ وتعلق به حق رسول الله ﷺ من حيث خصوص نفسه فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله ، وأكثر مما يؤذيه الضرب ، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه ، خصوصًا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة[١] .

٧ ـ وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] .

قال بعض المفسرين : هي لغة كانت في الأنصار ، نهوا عن قولها تعظيمًا للنبي ﷺ وتبجيلًا له ، لأن معناها ارعنا نرعك ، فنهوا عن قولها ، إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم ، بل حقه أن يرعى على كل حال .

---

(١) الصارم المسلول (ص ٣٩٣ ، ٣٩٤) .

(٢) الآية (١٠٤) من سورة البقرة .

وقيل : كانت اليهود تعرض بها للنبي ﷺ بالرعونة[١] فنهي المسلمون عن قولها قطعًا للذريعة ، ومنعًا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظه وقيل غير هذا[٢].

٨ ـ وقال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[٣] .

ففي هذه الآية حرم اللّٰه على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده لأن ذلك يؤذيه وجعله عظيما عند اللّٰه تعظيمًا لحرمته ﷺ ، فحرم تعالى على الأمة ما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضا ، وذلك تمييزًا لنبيه ﷺ وتعظيما لشأنه .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت لما قال بعض الناس : لو قد توفي رسول اللّٰه ﷺ تزوجت عائشة[٤] .

ولو أن أحدا أقدم على هذا الأمر فنكح أزواجه أو سراريه لكانت عقوبته في الشرع هي القتلَ جزاءً له بما انتهك من حرمته والدليل على ذلك ما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول اللّٰه ﷺ ، فقال رسول اللّٰه ﷺ لعلي اذهب فاضرب عنقه فأتاه علي فإذا هو في ركي[٥] يتبرد فيها ، فقال له علي أخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف علي عنه ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : يارسول اللّٰه إنه لمجبوب ما له ذكر »[٦] .

---

(١) الخفة والحماقة .

(٢) الشفا (٢ / ٥٩١) .

(٣) الآية (٥٣) من سورة الأحزاب .

(٤) الصارم المسلول (ص ٥٩) .

(٥) الركي : جنس للركية ، وهي البئر ، وجمعها ركايا . النهاية (٢ / ٢٦١) .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة (٨ / ١١٩) .

قال ابن تيمية رحمه الله : « فهذا الرجل أمر النبي ﷺ بضرب عنقه لما قد استحل من حرمته ، ولم يأمر بإقامة حد الزنا ، لأن إقامة حد الزنا ليس هو ضرب الرقبة ، بل إن كان محصنًا رجم ، وإن كان غير محصن جلد ، ولا يقام عليه الحد إلا بأربعة شهداء أو بالإقرار المعتبر ، فلما أمر النبي ﷺ بضرب عنقه من غير تفصيل بين أن يكون محصنا أو غير محصن علم أن قتله لما انتهكه من حرمته ... فلما تبين أنه كان مجبوبا علم أن المفسدة مأمونة منه ... »[١]

وبالإضافة إلى ما تقدم ، فقد أوجب الله على الأمة احترام أزواج النبي ﷺ وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام[٢] .

فقال تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[٣]ففي هذه الآية رفع الله مقام أزواج النبي ﷺ وبوأهن منزلة عالية ، وهي منزلة الأمومة لجميع المؤمنين ، وفي ذلك من الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ما يوجب على كل مسلم أن يحفظ لهن هذا الحق ويؤديه على الوجه المطلوب منه شرعا .

وهذه المنزلة لأمهات المؤمنين هي من التشريف والتعظيم الذي أعطاه الله للنبي ﷺ .

٩ ـ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ

---

(١) الصارم المسلول (ص ٥٩ – ٦٠) .

(٢) المصدر السابق (ص ٤٣٣) .

(٣) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١) .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين منهج تعظيم قدر النبي ﷺ ، وبيان ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمنين في جميع أمورهم التي تربطهم به ﷺ نبيا ورسولا ، أرسله اللّٰه تعالى بالهدى ودين الحق ، وخلع عليه جلابيب حرصه عليهم ، وعزة عنتهم عليه ، وخصه باسمين من أسمائه الحسنىٰ ، فجعله رؤوفًا رحيمًا بالمؤمنين ، وهذا تعظيم لم يكن قط لغيره ﷺ لأنه تعظيم يرتبط بأصل الإيمان برسالته وهدايته .

وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات : « أراد اللّٰه عز وجل أن يريهم عظيم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول اللّٰه ﷺ بغير إذنه ، إذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان باللّٰه والإيمان برسوله مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرًا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين ، ثم عقبه بما يزيده توكيدًا وتشديدًا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(٢)وضمنه شيئًا آخر ، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصدق بصحة الإيمان وعرض بالمنافقين وتسللهم لواذا »(٢)

وبهذه النصوص يتبين للمسلم أن حقوق رسول اللّٰه ﷺ أجل وأعظم وأكرم

---

(١) الآيتان (٦٢ ، ٦٣) من سورة النور .

(٢) الآية (٦٢) من سورة النور .

(٣) الكشاف (٣ / ٧٨) بتصرف يسير .

وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن اللّٰه تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة ، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة ، فهدانا به لأمر إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم ، فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن .

ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته وتوعدنا على معصيته بالنار ، ووعدنا باتباعه الجنة فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة ، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة .

فحق علينا إذًا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه ، فبهذا نكون من المفلحين ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] فالآية بينت أن الفلاح إنما يكون لمن جمع إلى الإيمان به تعزيره ولا خلاف أن التعزير هنا التعظيم[2] فلقد سجل اللّٰه في هذه الآية الفلاح بأسلوب الحصر للذين تأدبوا بهذا الأدب القرآني الرفيع .

وكما قال تعالى في الإنافة بمقامه الأشرف ، وبيان حقه على كل مؤمن ومؤمنة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[3] .

وقد ذهب علماء السلف إلى أن الضمير في قوله جل شأنه ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ راجع إلى رسول اللّٰه ﷺ ومعناه : تعظموا رسول اللّٰه ﷺ وتفخموه في أدب المخاطبة والتحدث إليه ومجالسته .

قال ابن تيمية : « فالتسبيح للّٰه وحده ، والتعزير والتوقير للرسول ، والإيمان

---

(١) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ، شعبة التعظيم (١ / ٣٠٢ ، ٣٠٣) .

(٣) الآيتان (٨ ، ٩) من سورة الفتح .

بالله ورسوله »[١] .

فهذه الآيات وغيرها نزلت لتبين مقام شرف رسول الله ﷺ وعظيم منزلته عند ربه ، مما يوجب على المؤمنين برسالته أن يكونوا في مخاطباتهم معه على سنن الإجلال والتعظيم .

○ ○ ○ ○

---

(١) بغية المرتاد (ص ٥٠٤) .

المبحث الثالث

تعظيم الصحابة للنبي ﷺ في حياته

من المعلوم المتقرر أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أعرف الأمة بالنبي ﷺ ولذلك فقد كانوا بقدره ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم .

وبناءً على هذا العلم وهذه المعرفة ، فقد كان تعظيمهم وتوقيرهم للنبي ﷺ أشد وأكبر من غيرهم .

وقد أوردت كتب السنة والتفسير وغيرها صورًا متعددة من ذلك التعظيم والتوقير الذي كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي ﷺ .

ومن أبلغ ما قيل في وصف هذا التعظيم ما قاله عروة بن مسعود[1] حين وجهته قريش إلى رسول الله ﷺ ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، وكادوا يقتتلون عليه ، ولا يبصق بصاقا ، ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له .

فلما رجع إلى قريش قال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا ، والله إن انتخم نخامة إلا وقعت في

---

(١) عروة بن مسعود الثقفي ، كان أحد الأكابر في قومه ، وكانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبية ، اتبع أثر النبي ﷺ لما انصرف من الطائف فأسلم ، واستأذنه أن يرجع إلى قومه ، فأذن له فرجع فدعاهم ، فرماه أحدهم بسهم وهو يؤذن في السحر فقتله .الإصابة (٢ / ٤٧٠ - ٤٧١)

كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له ... »[١]

فهذه صورة لما كان عليه حال الصحابة وما كان من شأنهم في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره ومراعاة أموره والتبرك بآثاره .

ولما نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[٢] .

ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ حتى يستفهمه[٣] .

وقال البيهقي : إن هذه الآية « نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري كان إذا جالس النبي ﷺ يرفع صوته إذا تكلم ، فلما نزلت هذه الآية انطلق مهمومًا حزينًا فمكث في بيته أيامًا مخافة أن يكون قد حبط عمله .

وكان سعد بن عبادة[٤] جاره ، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فقال له النبي ﷺ « اذهب فأخبر ثابت بن قيس أنك لم تُغنَ بهذه الآية ولست من أهل النار بل أنت من أهل الجنة فاخرج إلينا فتعاهدنا « ففرح ثابت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط . انظر : فتح الباري (٥ / ٣٢٩ ، ٣٣١) .

(٢) الآية (٢) من سورة الحجرات .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤٣٢) .

(٤) سعد بن عبادة الأنصاري ، سيد الخزرج ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وكان مشهورًا بالجود وكان معه راية الأنصار ، توفي سنة خمس عشرة وقيل سنة ست عشرة من الهجرة بالشام . الإصابة (٢ / ٢٧ - ٢٨) .

بذلك ثم أتى النبي ﷺ فلما أبصره النبي ﷺ قال : « مرحبا برجل يزعم أنه من أهل النار بل غيرك من أهل النار وأنت من أهل الجنة » . فكان بعد ذلك إذا جلس إلى النبي ﷺ يخفض صوته حتى ما يكاد أن يسمع الذي يليه فنزلت : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١] فقتل يوم اليمامة »[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل »[٣] .

وعن أسامة بن شريك[٤] رضي الله عنه قال : « أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير ... » الحديث[٥] .

وعن البراء بن عازب[٦] رضي الله عنهما قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ

---

(١) الآية (٣) من سورة الحجرات .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١ / ٣١٣) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٤٦٢) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي على شرط مسلم ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، شعبة تعظيم النبي ﷺ (١ / ٣١٧) . وأخرجه كذلك في المدخل إلى السنن الكبرى ، باب توقير العالم والعلم (ص ٣٧٩) ح ٦٥٣ . وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧ / ٥٤٨) وعزاه لعبد بن حميد والحاكم والبيهقي في الشعب .

(٤) أسامة بن شريك الثعلبي من بني ثعلبة ، له صحبة ، وروى حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن خزيمة ، وابن حبان والحاكم . الإصابة (١ / ٤٦ - ٤٧) .

(٥) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه كتاب الطب ، باب في الرجل يتداوى (٤ / ١٩٢ - ١٩٣) ح ٣٨٥٥ ، وأخرجه أحمد في المسند (٤ / ٢٧٨) .

(٦) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي ، له ولأبيه صحبة استصغره النبي ﷺ يوم بدر =

وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ... » الحديث[١] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال : « انما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض » ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى بالأخرى ، فقام رجل فقال : يارسول الله أو يأتي الخير بالشر ؟ فسكت عنه النبي ﷺ ، قلنا يوحى إليه ، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير .. » الحديث[٢] .

فالشاهد من الآثار الثلاثة المتقدمة قولهم « كأن على رؤوسهم الطير » فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيرًا وإجلالًا له صلوات الله وسلامه عليه ، فلم يكن من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يعلوا أصواتهم بنقاش أو حوار بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام وعن بريدة بن الحصيب[٣] رضي الله عنه قال : « كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظامًا له »[٤] .

= وشهد أحدًا وما بعدها توفي سنة اثنتين وسبعين . الإصابة (١ / ١٤٦ - ١٤٧) .

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده (٤ / ٢٨٧) . وأخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الجلوس في المقابر (١ / ٤٩٤) ح ١٥٤٩

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب فضل النفقة في سبيل الله .
انظر فتح الباري (٦ / ٤٨ ، ٤٩) ح ٢٨٤٢

(٣) بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي ، قيل انه اسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجرًا ، وقيل : أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر ، وفي الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ، وأخباره كثيرة ومناقبه مشهورة ، مات سنة ثلاث وستين . الإصابة (١ / ١٥٠) .

(٤) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ، باب توقير العالم والعلم (ص ٣٨١) ح ٦٥٨

وعن عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنه قال : « وما كان أحد أحب إلى من رسول اللّٰه ﷺ ، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه »[١].

وعن أنس رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويبتسم إليهما »[٢].

وعن عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهما قال : قام رسول اللّٰه ﷺ يصلي من الليل ، قال : فقمت وتوضأت أصلي خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست[٣] فقمت خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست فقمت خلفه ، فانصرف رسول اللّٰه ﷺ فقال : « مالي كلما جعلتك حذائي خنست ؟ » .

قال : فقلت له : لا ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول اللّٰه .

قال : فدعا اللّٰه أن يزيدني فهمًا وعلمًا »[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١ / ٧٨) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي اللّٰه عنهما كليهما (٥ / ٦١٢) ح ٣٦٦٨ ، وقال : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية ، وقد تكلم بعضهم في الحكم بن عطية .

(٣) خنست : أي انقبضت وتأخرت . النهاية (٢ / ٨٣) .

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١ / ٣٣٠) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٥٣٤) وقال : حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، باب شعبة تعظيم النبي ﷺ (١ / ٣٢٠ ، ٣٢١) ح ١٢٩

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافير »[١]

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : « كان أصحاب رسول الله ﷺ ليقرعون بابه بالأظافير »[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يجلس معنا في المسجد يحدثنا فإذا قام ، قمنا حتى نراه ، وقد دخل بعض بيوت أزواجه ... » الحديث[٣] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « لما كان يوم بدر فذكر الحديث في الأسارى وذكر قول عمر في قتلهم فقال ابن مسعود قلت :

---

(١) رواه البزار كما في كشف الأستار (٢ / ٤٢١) . والبيهقي في شعب الإيمان ، باب شعبة تعظيم النبي ﷺ (١ / ٣٣٨) ح ١٣٤

(٢) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث النوع الخامس (ص ١٩) . وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص ٣٨١) .

وقال السخاوي في « فتح المغيث » (١ / ١١٧) الحديث أخرجه الحاكم في علومه وكذا في الأمالي كما عزاه إليهما البيهقي في المدخل حيث أخرجه عن راو .

ورواه أبو نعيم في المستخرج على علوم الحديث له (أي الحاكم) عن راو آخر كلاهما عن أحمد ابن عمرو (كذا) الزيبقي عن زكريا بن يحيى المنقري ، عن الأصمعي ، عن كيسان مولى هشام ابن حسان ، وفي رواية أبي نعيم « عن هشام بن حسان » .

وفي رواية الآخرين « عن محمد بن حسان » زاد البيهقي « وهو أخو هشام بن حسان وهو حسن الحديث » انتهى قول السخاوي .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ (٥ / ١٣٣ ، ١٣٤) ح ٤٧٧٣ ، وأخرجه النسائي في سننه ، في القسامة ، باب القود ، من الجندة (٨ / ٣٣ ، ٣٤) . وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص ٤٠١) ح ٧١٧

يارسول اللّه إلا سهل بن بيضاء[1] فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول اللّه ﷺ فما رأيتني في يوم بدر أخوف أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول اللّه ﷺ إلا سهل بن بيضاء »[2] .

وعن أبي رمثة[3] قال : قدمت المدينة ولم أكن رأيت رسول اللّه ﷺ فخرج وعليه ثوبان أخضران فقلت لابني هذا واللّه رسول اللّه ﷺ فجعل ابني يرتعد هيبة لرسول اللّه ﷺ »[4] .

---

(١) سهل بن بيضاء القرشي ، وبيضاء أمه واسمها دعد واسم أبيه وهب بن ربيعة بن هلال القرشي ، كان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ، أسلم بمكة فكتم إسلامه فأخرجته قريش إلى بدر فأسر يومئذ فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلي بمكة فأطلق ومات بالمدينة . الإصابة (٢ / ٨٤) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١ / ٣٨٣) . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنفال (٤ / ٣٣٥) ح ٥٠٨٠ وقال : حديث حسن وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه . وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠ / ١٧٧) ح ١٠٢٥٨ بنحوه . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٢١ - ٢٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٣٢٥) ح ١٣٠

(٣) أبو رمثة (بكسر أوله وسكون الميم ثم مثلثة) التيمى اختلف في اسمه فقيل : رفاعة بن يثربي ، ويقال عكسه ، ويقال عمارة بن يثربي ، وقيل غير ذلك ، له صحبة ، ومات بأفريقية . الإصابة : (٤ / ٧١) وتقريب التهذيب (٤٠٦) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨) بعدة طرق عن لقيط بن إياد عن أبي رمثة به . وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب اللباس ، باب في الخضرة (٤ / ٣٣٤) ح ٤٠٦٥ ، وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء عن الثوب الأخضر (٥ / ١١٩) ح ٢٨١٢ . وأخرجه النسائي في سننه ، كتاب الزينة ، باب لبس الخضر من الثياب (٨ / ٢٠٤) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٣٤٢) وفي دلائل النبوة (١ / ٢٣٧)

وعن أبي جري جابر بن سليم[١] قال : رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلا صدروا عنه ، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ ... » الحديث[٢] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل »[٣] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة[٤] أول من أخذ من شعره »[٥] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها فربما جاؤوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها »[٦] .

ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ ليشد في عقد صلح الحديبية

---

(١) أبو جري (بالتصغير) الهجيمي واسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر ، وقال البخاري الأول أصح ، له صحبة ، وهو من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو بن تميم . تهذيب التهذيب (١٢ / ٥٤) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار (٤ / ٣٤٤) ح ٤٠٨٤ واللفظ له . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الاستئذان ، باب كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا وقال حسن صحيح (٥ / ٧١ ، ٧٢) ح ٢٧٢١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به (٧ / ٧٩) .

(٤) اسمه زيد بن سهل وقد تقدم ترجمته .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان . انظر : فتح الباري (٣ / ٢٣٧) ح ١٧١

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٧ / ٧٩) .

ويزيد في المدة ، فلما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته ، فقال : يابنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني ؟

فقالت : هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشة ... »[١] فأكرمت فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه رجل مشرك .

ولما قدم أبو سفيان مكة بعد ذلك قالت له قريش ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله قد أبي علي وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قوما لملك عليهم أطوع منهم له ... »[٢]

ولما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول[٣] لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال رسول الله ﷺ : ادعوا لي عبد الله بن أبي[٤] فدعاه ، فقال : ألا ترى ما يقول أبوك ؟ قال : وما يقول بأبي أنت وأمي ؟

قال : يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ،

---

(١) أورده ابن كثير في البداية (٤ / ٢٨٠) من طريق ابن اسحاق ، وابن حجر في الإصابة (٤ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

(٢) البداية لابن كثير (٤ / ٢٨٢) .

(٣) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ، أبو الحباب المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه رأس المنافقين في الإسلام أظهر الإسلام بعد وقعة بدر ، تقية ، مات بالمدينة سنة تسع من الهجرة ، طبقات ابن سعد (٢ / ٣ / ٩٠) .

(٤) عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك ، وهو ابن عبد الله بن أبي رأس المنافقين الذي تقدمت ترجمته . وكان اسم عبد الله بن عبد الله « الحباب » فسماه النبي ﷺ « عبد الله » وهو صحابي جليل ، شهد بدرًا وما بعدها ، واستشهد باليمامة في قتال الردة سنة اثنتي عشرة . الإصابة (٢ / ٣٢٧ ، ٣٢٨) .

فقال : فقد صدق والله يارسول الله ، أنت والله الأعز وهو الأذل أما والله قد قدمت المدينة يارسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني ، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتينهما به .

فقال رسول الله ﷺ : « لا » . فلما قدموا المدينة ، قام عبد الله بن عبد الله ابن أُبَي على بابها بالسيف لأبيه ، ثم قال : أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله ، والله لا يأويك ظله ، ولا تأويه أبدًا إلا بإذن من الله ورسوله .

فقال : ياللخزرج ابني يمنعني بيتي ، ياللخزرج ابني يمنعني بيتى

فقال : والله لا تأويه أبدا إلا بإذن منه .

فاجتمع إليه رجال فكلموه ، فقال : والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله فأتوا النبي ﷺ فأخبروه . فقال : اذهبوا إليه ، فقولوا له خله ومسكنه ، فأتوه فقال : أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم »[١] .

وفي رواية عند الترمذي : « فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله : والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ، ففعل »[٢] .

وبعد . فهذا غيض من فيض مما ورد في تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ في حياته ، وفي الحقيقة فإن كل مواقفهم تشهد لهم بتعظيمه واحترامه وتوقيره .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨ / ١١٤ ، ١١٥) تفسير سورة المنافقون ، الآية (٨) .

(٢) سنن الترمذي (٥ / ٤١٨) ح ٣٣١٥ كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة المنافقين .
وأورده ابن كثير في تفسيره (٤ / ٣٧٢) وعزاه للحميدي في مسنده وأورده ابن حجر في فتح الباري (٨ / ٦٥٢) .

فلقد كانوا يعظمونه في ذاته فيتبركون بآثاره كفضل وضوئه ، والأخذ من شعره ، ودلك أجسامهم بنخامته ، وغير ذلك مما أقرهم النبي ﷺ[1]، وهذا خاص في حقه ﷺ .

كما كانوا يعظمونه في سلوكهم وتصرفاتهم معه ﷺ فما كانوا ينادونه إلا بـ « يا نبي اللّٰه ، يارسول اللّٰه » كما كانوا يسارعون في إجابته ويعاجلون في طاعته ، تحقيقا لقوله تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم

(١) قال الشيخ سليمان بن عبد اللّٰه بن محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّٰه تعالى في كتابه تيسير العزيز الحميد (ص ١٥٣ ، ١٥٤) : « ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم ، والتمسح بهم أو بثيابهم ، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين ، والتبرك بعرقهم ونحو ذلك ، وقد أكثر في ذلك أبو زكريا النووي في « شرح مسلم » في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئا من ذلك مع النبي ﷺ ، وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي ﷺ ، وهذا خطأ صريح لوجوه منها :

١ - عدم المقاربة فضلًا عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة .

٢ - ومنها عدم تحقق الصلاح ، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب ، وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص ، كالصحابة الذين اثنى اللّٰه عليهم ورسوله ، أو أئمة التابعين ، أو من شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك ، أما غيرهم فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم .

٣ - ومنها أنا لو ظننا صلاح شخص فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء ، والأعمال بالخواتيم ، فلا يكون أهلا للتبرك بآثاره .

٤ - ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لافي حياته ولا بعد موته ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة ، وكذلك التابعون هل فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس القرني والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم ، فدل أن ذلك مخصوص للنبي ﷺ .

٥ - ومنها أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه وتعجبه نفسه ، فيورثه العجب والكبر والرياء ، فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم » انتهي .

بَعْضًا ﴾ وكان ﷺ عندهم معززًا موقرًا مهابًا ولم يكونوا يعاملونه بالاسترسال والمباسطة كما يعامل الأكفاء بعضهم بعضًا . وكانوا يخفضون أصواتهم عنده ﷺ حتى ما يكاد أحدهم يسمع الذي يليه امتثالا لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ... ﴾ الآية .

فقد أدبهم اللَّه مع نبيهم في الحديث والخطاب حتى يميز شخص رسول اللَّه بينهم ، ويميز مجلسه فيهم .

وبذلك امتدحهم سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

كما أنهم لم يكونوا ليتقدموا بين يديه بالكلام حتى يأذن لهم وذلك طاعة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ - حتى كان النبي - ﷺ يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه ، وهم يعلمونه حق العلم ، فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم اللَّه ورسوله أعلم خشية أن يكون قولهم تقدمًا بين يدي اللَّه ورسوله .

وإذا جلسوا بين يديه ﷺ أعطوا هذا المجلس الشريف حقه من التعظيم والإجلال والتكريم حتى لكأنما على رؤسهم الطير وذلك لماهم عليه من السكينة والأدب الشرعي الذي أدبهم اللَّه به ورسوله صلوات اللَّه وسلامه عليه .

وكانوا لا يحدون إليه النظر تعظيما ومهابة له ﷺ وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره فلا يقول شيئًا إلا صدروا عنه وأطاعوه فيه وبادروا إلى امتثاله وتنفيذه والعمل به .

وكيف لا يكون الأمر كذلك فالنبي ﷺ كان كل شيء في حياتهم ، فقد

كان معلمهم ومربيهم وقائدهم وقدوتهم ، ومصلحهم في الدنيا والشهيد عليهم في الآخرة ، وكان يعنى بهم أكثر من عنايتهم بأنفسهم ، يهتم بما يصلحهم أكثر من اهتمامهم بمصالحهم ، ويرى أنه بما حمله اللّٰه من أمانة تكوينهم ورعاية شؤونهم والسهر على مصالحهم ، أولى بهم من أنفسهم ، وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله عز وجل : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية .

ولذلك فقد كان من البداهة بمكان أن يكون للنبي ﷺ هذه المنزلة في حياة الصحابة رضوان اللّٰه عليهم ، وأن يكون هو الآمر الناهي ، والسيد المطاع الذي لا يرد له أمر ولا يخالف له رأي ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ .

ولقد توالت الآيات الكريمة التي تعلم الصحابة رضوان اللّٰه عليهم آداب السلوك معه ، وتبين مكانة النبي الكريم ﷺ الذي اختاره لحمل الرسالة ، وما ينبغي أن يعطى من الإجلال والتكريم .

وكلما حدث إخلال وتقصير في جانب توقيره وتعظيمه ﷺ فإن آيات القرآن تنزل مبينة لذلك الخلل والتقصير الذي وقع ومنبهة على خطورته ومحذرة من عواقب التمادي فيه كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ... ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

وغير ذلك من الآيات التي نزلت في هذا الشأن ، وإن شئت فاقرأ أسباب نزول تلك الآيات في كتب التفسير والحديث .

ومن ثم فإن المخاطبين بهذه الآيات من الصحابة انتهوا إلى العمل بها وذلك طاعة لأمر الله وتعظيما لحق رسوله ﷺ الذي قررته تلك الآيات وأرشدت اليه .

وكما كان هذا هو الحال في جانب الطاعة ، فكذلك الحال في جانب الحذر من مخالفته ومعصيته .

فالصحابة الذين عرفوا واشتهر عنهم طاعته ﷺ هم الذين اشتهر عنهم بعدهم عن معصيته ومخالفته وذلك لعلمهم بما في ذلك من المحادة والمحاربة له ولشرعه ﷺ وما يترتب على ذلك من العقوبة الشديدة قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(٣)

ولقد كانت منزلة النبي ﷺ في قلوب أصحابه أغلى وأعز عليهم من كل شيء حتى من نفوسهم وأهليهم وما سوى ذلك ، فقد كانوا يفتدونه بأرواحهم ويبذلون في سبيل نصرته كل ما يملكون من غالي ورخيص فقد حثهم الله على ذلك بقوله ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾(٤)

كما أنهم يعادون من يحارب الله ورسوله مهما كانت صلتهم وثيقة به حتى وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم ، ومواقفهم في ذلك كثيرة ومشتهرة

---

(١) الآية (٢٠) من سورة المجادلة .

(٢) الآية (٦٣) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٥) من سورة المجادلة .

(٤) الآية (١٢٠) من سورة التوبة .

وقد تقدم ذكر موقف أم حبيبة رضي الله عنها مع أبيها أبو سفيان وموقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول مع أبيه عبد الله بن أبي .

وبالجملة فإن مجتمع الصحابة كان مجتمع الأمة المثالية التي تمثلت حقيقة واقعة في فترة من فترات التاريخ ، ولقد كان الصحابة قبل الإسلام يعيشون في مجتمع اشتهر بغلظته وقساوة طبعه وبعده عن كثير من الآداب والسلوكيات فمنّ الله عليهم بالإسلام وهداهم له ، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ ، فتوالت توجيهات القرآن الكريم والتربية النبوية الحكيمة عليهم ، فهذبت وشذبت ووجهت ودفعت حتى ظهر ذلك المجتمع الذي له أدبه مع الله وأدبه مع رسوله ﷺ ، وأدبه مع نفسه ، وأدبه مع غيره أدبه ، في هواجس ضميره ، وفي حركات جوارحه ، وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التي تكفل صيانته ، وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب ، وتنبثق منه ، وتتسق معه .

فما ظنك في مجتمع اختاره الله لصحبة نبيه وتولاه بعنايته ورعايته ، وتعاهدهم رسوله بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته حتى سما وعلا وبلغ تلك الدرجة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله ﷺ .

o o o o

المبحث الرابع

تعظيم الأمة للنبي ﷺ بعد مماته

○ ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : تعظيم النبي ﷺ محله القلب واللسان والجوارح .

المطلب الثاني : توقير النبي ﷺ في آله وأزواجه أمهات المؤمنين .

المطلب الثالث : توقيره ﷺ في أصحابه رضوان الله عليهم .

المطلب الرابع : حفظ حرمة المدينة النبوية .

○ ○ ○ ○

تمهيد

سبق وأن تقرر ـ بما تقدم من أدلة وبراهين ـ وجوب تعظيم النبي ﷺ وتعزيره وتوقيره .

وعلمنا كذلك ما كان من حال الصحابة رضوان اللّٰه عليهم تجاه هذا الواجب الذي فرضه اللّٰه على الأمة في حق نبيه ﷺ ، وما كان منهم من تعظيم للنبي ﷺ في حياته ، حينما كان بين ظهرانيهم يعايشهم ويعايشونه .

والسؤال الذي يفرض نفسه في مثل هذا المقام هو : كيف يتحقق لهذه الأمة تعظيم نبيها ﷺ بعد وفاته ، وما هي الأمور التي يشرع فعلها والقيام بها لتحقيق ما أمر اللّٰه به في هذا الجانب من جوانب الإيمان والدين ؟

وقبل أن أشرع في تفاصيل جواب هذا السؤال وإيضاح جوانبه أود أن أذكر بأن هذا التعظيم والتوقير الواجب للنبي ﷺ هو من أمور الدين المشروعة بأدلة القرآن والسنة ، وبذلك فلا يحق لكائن من كان أن يعظم النبي ﷺ بأمر من عنده لم يشرعه اللّٰه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، أو ليس له أصل فيهما .

فالقاعدة الشرعية المبنية على قول النبي ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » تقول إن أي أمر محدث في هذا الدين مما لم يشرعه النبي ﷺ هو أمر مردود على فاعله كائنًا من كان ، وهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

وهذه القاعدة الشرعية هي الميزان الذي يعرض عليه ما يقوم به الناس من أقوال وأفعال في هذا الجانب ـ أي جانب تعظيم الرسول ﷺ ـ بل وفي كل جانب من جوانب الدين .

وإذا كانت العبادة هي الاسم الجامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ، فمما لا شك فيه أن تعظيم النبي ﷺ من الأمور التي يحبها الله ، وقد ارتضاها لعباده حين أمرهم بذلك .

فإذا كان تعظيم النبي ﷺ من الأمور التعبدية التي تعبد الله بها عباده ، فالعبادات مبناها على الشرع والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، فالعبادة مبنية على أصلين هما :

الأصل الأول : إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾[1] .

الأصل الثاني : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ ، فلا نعبده بالأهواء والبدع ، قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾[2] وقال تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[3] فليس لأحد أن يعبد الله إلا بما شرعه رسوله ﷺ من واجب أو مستحب ، وليس لنا أن نعبده بالأمور المبتدعة[4] .

وهذان الأصلان هما حقيقة قولنا « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله » .

وعلى هذا فإن الرسول ﷺ هو المبلغ عن الله تعالى أمره ونهيه وتحليله ،

---

(١) الآية (٥) من سورة البينة .

(٢) الآيتان (١٨ – ١٩) من سورة الجاثية .

(٣) الآية (٢١) من سورة الشورى .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ٨٠) بتصرف .

وتحريمه ، فالحلال ما أحله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، فليس لأحد كائنا من كان أن يشرع في هذا الدين بعد رسول الله ﷺ .

وقد قدمت لكلامي بهذه العبارات نظرًا لما أحدثه الناس في هذا الجانب من بدع تحت دعوى تعظيم قدر النبي ﷺ ، مما ليس له أصل في الدين وما أنزل الله به من سلطان .

ومن العجيب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه ومتابعته ، وهذا شأن اللعين لابد وأن يمزج الحق بالباطل ليروج على أشباه الأنعام أتباع كل ناعق ، الذين لم يستضيؤوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق .

ولقد كان حرى بهؤلاء الذين ابتدعوا تلك البدع ، وكذلك الذين أخذوا بها من بعدهم ، أن يلتزموا بما ورد به أمر الشارع من أمور في جانب تعظيم قدر النبي ﷺ وتوقيره ، ففيها الغنية والنجاة ، وبالتمسك بها والسير عليها يحصل الأجر العظيم بإذن الله تعالى .

○ ○ ○ ○

المطلب الأول

تعظيم النبي ﷺ محله القلب واللسان والجوارح

لقد أرسل اللَّه سبحانه وتعالى نبيه ورسوله محمدًا ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن ، على حين فترة من الرسل ، فهدى به لأقوم طريق وأوضح سبيل ، وبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا ، فهدى به من الضلالة وبصر به من العمى وأرشد به من الغي ، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، فإن رسالته وافت أهل الأرض أحوج ما كانوا إليها ، فإنهم كانوا بين عباد أوثان ، وعباد صلبان ، وعباد نيران ، وعباد كواكب ، ومغضوب عليهم قد باؤوا بغضب من اللَّه ، وحيران لا يعرف ربًا يعبده ، ولا بماذا يعبده ، والناس يأكل بعضهم بعضا من استحسن شيئًا دعا إليه وقاتل من خالفه ، وليس في الأرض موضع قدم مشرق بنور الرسالة ، « وقد نظر اللَّه سبحانه إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا على آثار دين صحيح »[1] فأغاث اللَّه به البلاد والعباد وكشف به تلك الظلم وأحيا به الخليقة بعد الموت .

فبلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ونصح الأمة ، وجاهد في اللَّه حق جهاده ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين .

ففرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي ، وطريق أهل

---

(١) هذه العبارة جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٨ / ١٥٩) ولفظها في مسلم « وإن اللَّه نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ... » الحديث .

الجنة وطريق أهل النار ، وبين أوليائه وأعدائه ، فالحلال ما أحله اللّه ورسوله ، والحرام ما حرمه اللّه ورسوله ، والدين ما شرعه اللّه ورسوله .

فَعَرَّف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة ، وأبدأ وأعاد ، واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ، حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين ، وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره ، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله ولا إلى من بعده ، بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[١] .

وعرف الأمة الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته ، ولم يدع حسنًا إلا أمرهم به ، ولا قبيحًا إلا نهى عنه كما قال ﷺ : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم »[٢] .

وقال أبو ذر رضي اللّه عنه : « لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما »[٣] .

وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف ، فكشف الأمر وأوضحه ولم يدع بابا من العلم النافع للعباد المقرب لهم إلى ربهم إلا فتحه ولا مشكلًا

---

(١) الآية (٥١) من سورة العنكبوت .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦ / ١٨) .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٢٤ .

إلا بينه وشرحه ، حتى هدى اللَّه به القلوب من ضلالها ، وشفاها به من أسقامها ، وأغاثها به من جهلها ، فهو الرحمة المهداة للعالمين قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١) فجزاه اللَّه عن أمته أفضل الجزاء .

ولقد جبله اللَّه على مكارم الأخلاق وكرائم الشيم ، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق ، فإنه ﷺ كان أعلم الخلق ، وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالًا ، وأعظمهم عفوًا ومغفرة ، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا ، كما روى البخاري في صحيحه عن عبد اللَّه بن عمرو أنه قال في صفة رسول اللَّه ﷺ في التوراة « محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ، حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه »(٢)

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعًا لهم في دينهم ودنياهم وأفصح خلق اللَّه وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد وأصبرهم في مواطن الصبر ، وأصدقهم في مواطن اللقاء ، وأوفاهم بالعهد والذمة ، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه ، وأشدهم تواضعا ، وأعظمهم إيثارًا على نفسه ، وأشد الخلق ذبًا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعًا عنهم ، وأقوم الخلق بما يأمر به ، وأتركهم لما ينهي عنه ، وأوصل الخلق لرحمه .

وكان أجود الناس صدرًا ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم

---

(١) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٩٦ .

عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم ير قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وقد خصه اللّه بصفتين خص بهما أهل الصدق والإخلاص وهما الإجلال والمحبة ، فقد ألقى عليه هيبة منه ومحبة ، فكان كل من يراه يهابه ويجله ويملأ قلبه تعظيمًا وإجلالًا ، وإن كان عدوًا له ، فإذا خالطه وعاشره كان أحب إليه من كل مخلوق ، فهو المجل المعظم المحبوب المكرم ، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن بالتعظيم والهيبة ، فالمحبة بلا تعظيم ولا هيبة ناقصة ، والهيبة والتعظيم من غير محبة - كما يكون الظالم القادر - نقص أيضا ، والكمال أن تجتمع المحبة والود والتعظيم والإجلال ، وهذا لا يوجد إلا إذا كان في المحبوب صفات الكمال التي يستحق أن يعظم لأجلها ويحب لأجلها[١] .

ولقد جمع اللّه تعالى لنبينا ﷺ من الصفات والخصائص ما لم يجمعه لبشر وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه ، وامتثال ما قرره في مفهومه ومنطوقه ، والصلاة عليه والتسليم ونشر شريعته بالعلم والتعليم ، وجعل الطرق مسدودة عن جنته ، إلا من سلك طريقه واعترف بمحبته ، وشرح له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، فياسعد من وفق لذلك وياويح من قصر عن هذه المسالك[٢] .

وما هذه المحبة والمهابة التي جعلها اللّه لنبيه ﷺ إلا تبع لمحبته سبحانه وإجلاله .

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٨٩ ، ٩٤) بتصرف .

(٢) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي (ص ١١) بتصرف .

ذلك لأن كل محبة وتعظيم للبشر إنما هي تبع لمحبة اللّٰه وتعظيمه فمحبة الرسول وتعظيمه إنما هي من تمام محبة مرسله وتعظيمه ، فأمته يحبونه لمحبة اللّٰه له ، ويعظمونه ويجلونه لإجلال اللّٰه له فهي من موجبات محبة اللّٰه وتعظيمه ، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب ولا أجل في صدره من رسول اللّٰه ﷺ في صدر أصحابه رضي اللّٰه عنهم .

فإذا كان هذا شأن النبي ﷺ ، وهذه مكانته التي بوأه اللّٰه إياها ، فحرى بهذه الأمة أن تعرف له قدره وتعظم من شأنه وذلك بموجب ما شرعه اللّٰه وأمر به ، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به .

وهذا التعظيم والتوقير الواجب له ﷺ على كل فرد من أفراد هذه الأمة محله القلب واللسان والجوارح .

أما تعظيم القلب : فهو ما يتبع اعتقاد كونه عبدًا رسولًا ، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين ، والتي من لوازمها الإكثار من ذكره الذي هو سبب لدوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها .

وكذلك فإن من تعظيم القلب استشعاره لهيبة النبي ﷺ وجلالة قدره وعظيم شأنه ، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته ، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرًا لحقه من التوقير والتعزير ، ومعترفًا به ومذعنًا له .

فالقلب ملك الأعضاء وهي له جند وتبع ، فمتى ما كان تعظيم النبي ﷺ مستقرا في القلب مسطورا فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتما لا محالة ، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره ،

ومؤدية لما له من الحق والتكريم .

أما تعظيم اللسان : فهو الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير . ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه ﷺ ، فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يصلوا على النبي ﷺ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] وهذا من تعظيمه ﷺ وتوقيره . قال الحليمي : « معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه ، فمعنى قولنا : « اللهم صل على محمد « عظم محمدًا ، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود ، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ أدعوا ربكم بالصلاة عليه »[2] .

فالصلاة منا عليه ﷺ تتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله[3] وإرادة من الله تعالى أن يعلي ذكره ويزيده تعظيمًا وتشريفًا[4] وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الموضوع في الفصل الثالث من هذا الباب بإذن الله تعالى .

ومن تعظيم اللسان كذلك أن نتأدب عند ذكره بألسنتنا وذلك بأن نقرن ذكر اسمه بلفظ النبوة أو الرسالة مع الصلاة والسلام عليه ﷺ .

قال تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[5] فأمر

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢ / ١٣٤) بتصرف يسير .

(٣) جلاء الأفهام (ص ٧٨) .

(٤) جلاء الأفهام (ص ٧٩) .

(٥) الآية (٦٣) من سورة النور .

سبحانه أن لا يدعى رسوله بما يدعو الناس بعضهم بعضا بل يقال : يارسول الله يانبي الله ولا يقال يامحمد وقد كان الصحابة لا يخاطبونه إلا بـ « يارسول الله ، يا نبي الله » .

وإذا كان هذا في حياته فهكذا في مغيبه لا ينبغي أن يجعل ذكره من جنس ما يذكر به غيره ، بل يجب أن يقرن ذكره بالنبوة أو الرسالة وأن يدعى له بأشرف دعاء وهو الصلاة عليه ﷺ[1] . فهذا من التعظيم الواجب له ﷺ

وفي الحديث « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[2] .

وفي الحديث الآخر « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[3] .

ومن تعظيم اللسان تعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه ، وذكر صفاته وأخلاقه وخلاله ، وما كان من أمر دعوته وسيرته وغزواته والتمدح بذلك شعرًا ونثرًا ، بشرط أن يكون ذلك في حدود ما أمر به الشارع الكريم ، مع الابتعاد عن مظاهر الغلو والإطراء المحظور .

وأما تعظيم الجوارح له ﷺ : فهو العمل بشريعته ، والتأسي بسنته ، والأخذ بأوامره ظاهرًا وباطنًا ، والتمسك بها والحرص عليها ، وتحكيم ما جاء به في

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٨٠) بتصرف .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الدعوات ، باب قول رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل » (٥ / ٥٥٠) ح ٣٥٤٥ وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن (٢٣٨٧) .
وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٩) .
وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٨ - ٩ - ١٠) ح ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ ، وقال الألباني في تعليقه عليه : « حديث صحيح بشواهده » .

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٢٨

الأمور كلها ، والرضا بحكمه والتسليم له ، والسعي في إظهار دينه ، ونصر ما جاء به ، وتبليغ رسالته للناس ودعوتهم للإيمان به والذب عن سنته والدفاع عنها وتعلمها وتعليمها وخدمتها ، والموالاة والمعاداة والحب والبغض لأجله ، وجهاد من خالفه .

والاجتناب عما نهي عنه وزجر ، والبعد عن معصيته ومخالفته والحذر من ذلك ، والتوبة والاستغفار عما وقع فيه الزلل والتقصير .

فاللّه سبحانه وتعالى هو الذي جعل لنبيه ﷺ هذه المنزلة في حياة المسلمين ، فقد أوجب علينا طاعته وحرم علينا معصيته وجعله الآمر الناهي والسيد المطاع الذي لا يرد له أمر ، ولا يخالف له رأي فمن أطاعه فقد أطاع اللّه ، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ، فليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه ، وقد أقامه اللّه مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3]

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[4]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

(١) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٢) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٣) الآية (١٣٢) من سورة آل عمران .

(٤) الآية (٦٥) من سورة النساء .

بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

فهذه الآيات وغيرها تبين عظم أمر اتباع النبي ﷺ في حياة المؤمنين ، وأنه هو البرهان العملى على صدق الإيمان والمحبة والتعظيم للّه تعالى ولنبيه ﷺ .

فالطاعة والاتباع هما سمة المؤمنين الصادقين وسبيلهم الدائم ، ذلك لأن الإيمان (هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا ، والتصديق به عقدًا والإقرار به نطقًا ، والإنقياد له محبة وخضوعًا ، والعمل به ظاهرًا وباطنًا وتنفيذه والدعوة إليه حسب الإمكان .

وكماله الحب في اللّه ، والبغض في اللّه ، والعطاء للّه والمنع للّه ، وأن يكون اللّه وحده معبوده .

والطريق إليه تجريد متابعة رسول اللّه ﷺ ظاهرًا وباطنًا ، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى غير اللّه)(٢) .

وبالجملة فإن التعظيم النافع هو تصديق النبي ﷺ فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهي عنه وزجر وألا يعبد اللّه إلا بما شرع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه : « وإنما تعظيم الرسل بتصديقهم فيما أخبروا به عن اللّه وطاعتهم فيما أمروا به ومتابعتهم ومحبتهم وموالاتهم ... »(٣)

فالاتباع هو المحك الذي يميز من خلاله مدى صدق مدعي التعظيم في دعواه تلك .

إذ كيف يعقل أو يتخيل أن يدعي شخص تعظيم النبي وتوقيره وهو لا يلتزم بما جاء به من أمر أو نهي ، ولا يقيم وزنًا ولا اعتبارًا لما جاء به .

---

(١) الآية (٥١) من سورة النور .

(٢) منزلة السنة في التشريع الإسلامى (ص ٤ - ٥) وعزاه لابن القيم ولم أقف عليه في كتبه .

(٣) كتاب الرد على الأخنائي (ص ٢٤ ، ٢٥) .

ولقد جعل الله الإتباع هو برهان محبته سبحانه حيث قال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

وجعله كذلك شرطًا للإيمان الذي يعد تعظيم النبي ﷺ جزءًا منه ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2]

فالاتباع صفة من صفات أهل الإيمان كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[4] .

فهل الموقر لرسول الله ﷺ إلا من تمسك بسنته واعتصم بها وسار على نهجه واقتفى أثره .

فأتباع كل نبي ومحبوه ومعظموه هم الذين أخذوا بسنته واقتدوا بأمره كما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (٦٥) من سورة النساء .

(٣) الآية (٥١) من سورة النور .

(٤) الآية (٣٦) من سورة الأحزاب .

خردل »[١] .

فالنبي ﷺ بين لنا صفة أتباع الأنبياء بأنهم هم الذين عظموا أمرهم وأخذوا بسنتهم وعملوا بأوامرهم .

وأما من عداهم فهم ليسوا بأتباع لهم وإنما هم أناس يستحقون المجاهدة ويستفاد من قوله ﷺ « يقولون مالا يفعلون » ؛ أن مجرد الدعوى القولية المجردة عن الفعل الذي أمر به الشارع لا تغني صاحبها شيئًا .

ويستفاد من قوله « ويفعلون مالا يؤمرون » أن الأفعال المبتدعة التي لم يأمر بها الشارع هي كذلك لا تنفع صاحبها ولا تغني عنه من اللّٰه شيئًا .

وهذا الوصف ينطبق تماما على أصحاب البدع المقيمين للموالد وغيرها من البدع ، زاعمين أنهم ما فعلوا تلك الأمور إلا محبةً للرسول ﷺ وتعظيما لشأنه ، فهم فعلوا ما لم يؤمروا به ، وأفعالهم وأحوالهم لا تطابق أقوالهم ، ولو بحثنا عن وصف نصف به هؤلاء لم نجد أبلغ من هذا الوصف « يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون » .

وليتهم قاموا بما أوجب اللّٰه عليهم وشرعه لهم على لسان رسوله ﷺ لكان خيرا لهم وأجدى . ولكنهم أناس أوقعوا أنفسهم في محاذير متعددة منها :

١ ـ أنهم فعلوا ما لم يؤمروا به وهم معترفون بأن تلك الموالد والأمور التي تفعل فيها لم يشرعها اللّٰه في كتابه ولم يشرعها رسوله ﷺ ولم يفعلها أحد من أصحابه رضوان اللّٰه عليهم .

٢ ـ أنهم خالفوا أمر الرسول ﷺ حيث أمرهم بالاتباع وترك الابتداع فقد

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٨٨

قال ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[١] والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾[٢]

٣ ـ أنهم رغبوا عن سنن المصطفي ورضوا بما أملته عليهم أهواؤهم ورسول الله ﷺ يقول : « فمن رغب عن سنتى فليس مني »[٣] .

فالإحداث في شريعته ﷺ يعد رغبة عن سنته وهذا ما دلت عليه القصة الواردة في الحديث السابق .

٤ ـ أنهم بفعلهم للمولد وغيره من البدع لم يعظموا الرسول ﷺ إنما اتهموه بأنه لم يدلهم على هذا الخير الذي جاؤوا به ، وفي هذا يقول الإمام مالك : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ، لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا .

والأمر الذي ينبغي معرفته أن النصوص قد دلت على أنه بقدر ما يكون المرء متبعا لسنة المصطفى ﷺ ومتمسكا بها بقدر ما يكون معظمًا وموقرًا له والعكس بالعكس .

« هذا وإن كثيرًا من الناس يعظمون الرسول ويعتقدون أنه من أفضل الناس ، ولكن يقولون إنه لا يجب عليهم اتباعه وطاعته بل لهم طريق إلى الله تغنيهم عنه . وقد يقولون إن طريقهم أفضل من طريقه كما يعتقد كثير من اليهود والنصارى أنه كان مبعوثًا إلى الأميين لا إليهم فهم يعظمونه ظاهرًا وباطنًا لكن

---

(١) تقدم تخريجه ص ١٩٠ .

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٩٥ .

يقولون لا يجب علينا اتباعه وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين .

وكذلك كثير ممن يظهر الإسلام يثبتون نبوته على رأي الفلاسفة ، وأنه كان صاحب قوة قدسية ، وقد يفضلونه على جميع الخلق ، ومع هذا لا يقرون بما جاء به ولا يوجبون على أنفسهم اتباعه ظاهرًا وباطنًا ، ويقولون هو رسول إلى العامة أو إلى الجميع في الشرائع الظاهرة دون الحقائق الباطنة والحقائق العقلية كما يقول مثل هذا كثير ممن يظهر الإسلام »[1] .

فمثل هذا الصنف لا ينفعه هذا التعظيم لافتقاره للاتباع الذي هو لب التعظيم وجوهره .

○○○○

(١) الرد على الأخنائي (ص ٣٧) .

المطلب الثاني

توقير النبي ﷺ في آله وازواجه امهات المؤمنين

إن من توقير النبي ﷺ ورعاية جنابه وتبجيله وتعظيمه توقير آله وذريته وأزواجه ، كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضوان اللّٰه عليهم .

١ ـ فآل بيت النبي ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن اللّٰه جعل لهم حقا في الخمس والفيء قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِٱللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(١)]

وقال تعالى : ﴿ مَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[(٢)] .

وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول اللّٰه ﷺ .

ففي الحديث عن كعب بن عجرة[(٣)] رضي اللّٰه عنه قال : خرج علينا رسول اللّٰه ﷺ فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على

---

(١) الآية (٤١) من سورة الأنفال .

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٣) كعب بن عجرة بن أمية البلوي ويقال القضاعي ، حليف الأنصار ، صحابي مشهور ، مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون سنة . الإصابة (٣ / ٢٨١ ، ٢٨٢) .

آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[١] .

فالصلاة على آل محمد حق لهم عند المسلمين ، وذلك سبب لرحمة اللّٰه تعالى لهم بهذا النسب .

كما تجب محبتهم لحب رسول اللّٰه ﷺ لهم ، ولأن محبتهم من محبة رسول اللّٰه ﷺ . وأن نتولاهم ونحفظ فيهم وصية رسول اللّٰه ﷺ حيث قال في يوم غدير خم : « وأهل بيتي أذكركم اللّٰه في أهل بيتي ، أذكركم اللّٰه في أهل بيتي .. » الحديث[٢] .

قال ابن كثير رحمه اللّٰه تعالى : « ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالاحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي اللّٰه عنهم أجمعين »[٣] .

وقال ابن تيمية رحمه اللّٰه : « ولا ريب أن لآل محمد ﷺ حقا على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم ، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة مالا يستحقه سائر بطون قريش ، كما أن قريشًا يستحقون من المحبة والموالاة مالا يستحقه غير قريش من القبائل ، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة مالا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿ إن اللّٰه وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ انظر : فتح الباري (٨ / ٥٣٢) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد . انظر : (٢ / ١٦) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٤٥ .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ١١٣) .

يستحقه سائر أجناس بني آدم ، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم ، وفضل قريش على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش ، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره[1] .

---

(١) هذا من تفضيل الجملة على الجملة وهو لا يقتضي تفضيل كل فرد على كل فرد فالعرب في الأجناس ، وقريش فيها ثم هاشم في قريش ، مظنة أن يكون فيهم من الخير أعظم مما يوجد في غيرهم ، ولهذا كان في بنى هاشم النبي ﷺ الذي لا يماثله أحد في قريش فضلا عن وجوده في سائر العرب وغير العرب ، وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في العرب وغير العرب ، وكان في العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس . فلابد أن يوجد في الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله في المفضول . وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء ، والمؤمنون المتقون من غير قريش أفضل من القرشيين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى ، وكذلك المؤمنون المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوى من بني هاشم . فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقا ودون من ظن أن الله تعالى يفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله في الإيمان والتقوى ، فضلا عمن هو أعظم إيمانا وتقوى ، فكلا القولين خطأ وهما متقابلان ، بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة وفضيلة لأجل المظنة والسبب .

والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية .

فالأول : يفضل به لأنه سبب وعلامة ، ولأن الجملة أفضل من جملة تساويها في العدد .

والثاني : يفضل به لأنه الحقيقة والغاية ، ولأن كل من كان أتقى لله كان أكرم عند الله ، والثواب من الله يقع على هذا ، لأن الحقيقة قد وجدت ، فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه ، فلا يستدل بالأسباب والعلامات

فالاعتبار العام هو التقوى كما قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ الآية (١٣) من سورة الحجرات . فكل من كان أتقى كان أفضل مطلقا ، وإذا تساوى اثنان في التقوى استويا في الفضل سواء كانا أو أحدهما عربيين أو أعجميين ، أو قرشين أو هاشميين أو كان أحدهما من صنف والآخر من صنف ، وإن قدر أن أحدهما له من سبب الفضيلة ومظنتها ما ليس للآخر ، فإذا كان ذلك قد أتى بحقيقة الفضيلة كان أفضل ممن لم يأت بحقيقتها ، وإن كان أقدر على =

والنصوص دلت على هذا القول ، كقوله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم »[١] .

وكقوله في الحديث الصحيح : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا »[٢] وأمثال ذلك »[٣]

وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال : « أرقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته »[٤]

فأهل البيت يتولاهم جميع المؤمنين ويحبونهم لا كما يزعم الروافض أنهم المخصوصون بحب أهل البيت وحدهم أن غيرهم هم الذين ظلموهم ، فالحقيقة أن الروافض هم الذين ظلموا أهل البيت ظلمًا لا نظير له فهم الذين خذلوهم وغروهم ، وتسببوا في رد كثير من روايات أهل البيت بسبب ما اشتهر عن أولئك الروافض من الكذب على آل البيت .

وإضافة إلى ذلك فإن الروافض يحصرون محبتهم في نفر قليل من أهل البيت مع أن الصالحين من أهل البيت الذين تبغضهم الروافض وتذمهم أكثر عددًا من الذين يتظاهرون بحبهم .

= الإتيان بها ، فالعالم خير من الجاهل ، وإن كان الجاهل أقدر على تحصيل العلم .
انظر : منهاج السنة (٤ / ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٨) بتصرف .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ (٧ / ٥٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ فتح الباري (٦ / ٣٨٧) ح ٣٣٥٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة (٨ / ٤١ ، ٤٢) واللفظ له .

(٣) منهاج السنة النبوية (٤ / ٥٩٩) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٤٥ .

٢ ـ أما زوجات النبي ﷺ رضوان الله عليهن أجمعين فيجب علينا أن نحفظ لهن حقهن في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام ، والإعظام ، والمكانة التي جعل الله لهن . فلقد رفع الله مقامهن وبوأهن أعلى منزلة عند جميع المؤمنين وهي منزلة الأمومة ، فجعلهن أمهات في التحريم والاحترام فقد قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[١] .

قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : « شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين ، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال ، وحجبهن رضي الله تعالى عنهن ، بخلاف الأمهات »[٢] .

وكيف لا تكون لهن هذه المنزلة وتلك المكانة وهن اللآتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عندما نزلت آيتا التخيير قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣]

وبعد اختيارهن رضي الله تعالى عنهن الله ورسوله والدار الآخرة كرمهن الله تبارك وتعالى وكافأهن على اختيارهن أحسن تكريم وأعظم مكافأة . فكان لهن ما أعد الله لهن من الأجر العظيم ، ثم ميزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر ، ثم أبانهن منهن فقال : ﴿ يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَاءِ ﴾[٤]

---

(١) الآية (٦) من سورة الأحزاب .

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ١٢٣) .

(٣) الآيتان (٢٨ ، ٢٩) من سورة الأحزاب .

(٤) الآية (٣٢) من سورة الأحزاب .

يعني في الفضل والشرف ، وذلك لما منحهن الله من صحبة نبيه ﷺ وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن[١] .

ولقد تضمنت سورة الأحزاب كثيرًا من الأمور التي أكرم الله بها أزواج النبي ﷺ مجازاة لهن على حسن صنيعهن في اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة والمقام هنا لا يسمح بالتوسع في ذكر هذه الأمور ، وإنما المقصود تبيين مالهن من مكانة عند الله وعند رسوله ﷺ . فمن حقهن علينا أن نحفظ لهن هذه المكانة ، وذلك بأن نتولاهن ، وأن نثني عليهن بما ورد من فضائلهن وما كان لهن من دور في مؤازرة النبي ﷺ ونصرته ، وما كان لهن من دور بعد وفاته في حفظ مسائل الدين ونشرها بين الأمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة ، خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده ، وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان له منها المنزلة العالية . والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ، التي قال فيها النبي ﷺ : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[٢] [٣] .

فمن الواجب أن ننشر هذه الفضائل ونعلمها ، وبخاصة لنسائنا حتى يكون لهن في ذلك الأسوة والقدوة .

---

(١) تفسير القرطبي (١٤ / ١٧٧) بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضل عائشة رضي الله عنها . فتح الباري (٧ / ١٠٦) ح ٣٧٧٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها (٧ / ١٣٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٤) .

المطلب الثالث

توقيره ﷺ في اصحابه رضوان الله عليهم

ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، والإضراب عن أخبار المؤرخين ، وجهلة الرواة ، وضلال الشيعة والمبتدعين ، القادحة في أحد منهم ، وأن نلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج ، إذ هم أهل لذلك ، ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص[١]عليه أمر ، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم ، وحميد سيرتهم ، ويسكت عما وراء ذلك[٢].

فهم أناس قد اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إلى النبي ﷺ وسماع حديثه من فمه الشريف وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه وتبليغ ما بعث الله به رسوله من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها . فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام والدعوة إليه ، ولهم من الأجر مثل أجور من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا .

ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين ، القطع

---

(١) لا يغمص : لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره . النهاية (٣ / ٣٨٦) .

(٢) الشفا (٢ / ٦١١ ، ٦١٢) .

على عدالتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون بعدهم أبد الآبدين .

ولقد أثنى ربهم عليهم أحسن الثناء ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن ووعدهم المغفرة والأجر العظيم فقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١]

وأخبر في آية أخرى برضاه عنهم ، ورضاهم عنه فقال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[٢]ثم بشرهم بما أعدلهم فقال : ﴿ وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[٣]

وأمر النبي ﷺ بالعفو عنهم والاستغفار لهم فقال : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[٤]

وأمره بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم ، وتنبيها لمن بعدهم من الحكام على المشاورة في الأحكام فقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٥].

---

(١) الآية (٢٩) من سورة الفتح .

(٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة .

(٣) الآية (١٨) من سورة الفتح .

(٤) الآية (١٥٩) من سورة آل عمران .

(٥) الآية (١٥٩) من سورة آل عمران .

وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم ، وأن لا يجعلوا في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]

وأثنى رسول الله ﷺ عليهم ونهى عن النيل منهم فقد قال ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[٢].

كما شهد ﷺ بكونهم خير أمته التي هي خير الأمم فقال ﷺ : « خير الناس قرني »[٣] .

وقال ﷺ : « خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم[٤] » فهذ بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على فضل أولئك الأخيار الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وشرفهم بحمل رسالته من بعده والدعوة إلى سبيله ونصرة دينه .

فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم وثناء رسوله ﷺ .

قال النووي : « الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به »[٥] .

---

(١) الآية (١٠) من سورة الحشر .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٥٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد . انظر : فتح الباري (٥ / ٢٥٩) ح ٢٦٥٢ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم . انظر (٧ / ١٥٨) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ . انظر : فتح الباري (٧ / ٣) ح ٣٦٥٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٧ / ١٨٥) .

(٥) تدريب الراوي (٢ / ٢١٤) .

وقال ابن حجر : « اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة »[١] .

وعن أبي زرعة قال : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة »[٢] .

ومذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وسط بين الإفراط والتفريط فليسوا من المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى مالا يليق إلا بالله أو برسله . وليسوا من المفرطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم فهم وسط بين الغلاة والجفاة .

ويحبونهم جميعًا وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف فلا يرفعونهم إلى مالا يستحقون ، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم ، فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم ، وقلوبهم عامرة بحبهم ، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور ، وليسوا معصومين ، بل هم بشر يصيبون ويخطئون ، ولكن ما أكثر صوابهم بالنسبة لصواب غيرهم ، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم ولهم من الله المغفرة والرضوان .

---

(١) الإصابة (١ / ١٧) .

(٢) كتاب الكفاية (ص ٩٧) للخطيب البغدادي .

وكتب أهل السنة مليئة ببيان هذه العقيدة الصافية النقية في حق هؤلاء الصفوة المختارة من البشر لصحبة خير البشر ﷺ ورضى اللّه عنهم أجمعين[١] .

○○○○

(١) عقيدة أهل السنة والأثر في الصحابة الكرام رضي اللّه عنهم وأرضاهم (ص ٢٤ - ٢٥) تأليف الشيخ عبد المحسن العباد ، مقالة طبعت في مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الثاني ، السنة الرابعة .

المطلب الرابع

حفظ حرمة المدينة النبوية

إن من تعظيم النبي ﷺ تعظيم المدينة النبوية[1] التي هي دار المصطفى ومهاجره ، فقد اختارها الله لنبيه ﷺ قرارًا ، وجعل أهلها شيعة له وأنصارًا .

وهي التي انتشر منها دين الله وسنة رسوله ﷺ حتى وصل مشارق الأرض ومغاربها .

وهي التي ورد في فضلها وتعظيم شأنها وتحريمها وفضل بعض البقاع فيها الكثير من الأحاديث الثابتة الصحيحة والتي أُورد بعضًا منها ههنا على سبيل المثال لا الحصر .

فعن سفيان بن أبي زهير[2] رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون[3] فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وتفتح الشام ، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وتفتح العراق ، فيأتي قوم يبسون ، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة

---

(١) ذكر ذلك : البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٢ / ١٣٠) ، والقاضي عياض في الشفا (٢ / ٦١٩)

(٢) سفيان بن أبي زهير الأزدي ، من أزد شنوءة (بفتح المعجمة وبضم النون وبعد الواو همزة) من أصحاب النبي ﷺ . يعد في أهل المدينة . الإصابة (٢ / ٥٢) .

(٣) يقال بسست الناقة وأبسستها إذا سقتها وزجرتها وقلت لها بس بس بكسر الباء وفتحها . النهاية (١ / ١٢٧) .

خير لهم لو كانوا يعلمون »[١] .

وعن عبد اللّٰه بن زيد بن عاصم[٢] أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة »[٣] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها » وقال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل اللّٰه فيها من هو خير منه ، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كانت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة »[٤] .

وعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أنه قال : كان الناس اذا رأوا أول الثمر جاؤا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول اللّٰه ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللّٰهم إن إبراهيم عبدك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل المدينة ، باب من رغب عن المدينة « واللفظ له » . انظر : فتح الباري (٤ / ٩٠) ح ١٨٧٥ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار (٤ / ١٢٢) .

(٢) عبد اللّٰه بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني ، صحابي شهير اختلف في شهوده بدرًا ، وشهد أحدًا وغيرها ، وشارك مع وحشي في قتل مسيلمة ، يقال قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين . الإصابة (٢ / ٣٠٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب بركة صاع النبي ﷺ ومده . فتح الباري (٤ / ٣٤٦) ح ٢١٢٩ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة « واللفظ له » (٤ / ١١٢) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة (٤ / ١١٣) .

وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه قال ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر »(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا عن النبي ﷺ قال : « المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف »(٢).

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها »(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء »(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام »(٥).

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما بين بيتي ومنبري روضة من

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة (٤ / ١١٦ ، ١١٧) .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة (٤ / ١١٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل المدينة ، باب الإيمان يأرز إلى المدينة . انظر : فتح الباري (٤ / ٩٣) ح ١٨٧٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا (١ / ٩٠ - ٩١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل المدينة ، باب إثم من كاد أهل المدينة ، انظر : فتح الباري (٤ / ٩٤) ح ١٨٧٧ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله (٤ / ١٢٢) .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . انظر : فتح الباري (٣ / ٦٣) ح ١١٩٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة (٤ / ١٢٤) .

رياض الجنة ، ومنبري على حوضي »[1] .

والأحاديث في فضل المدينة كثيرة ومتنوعة ، ولقد أفرد البخاري في صحيحه كتابا لفضائل المدينة ، وكذا مسلم في صحيحه قد أورد في آخر كتاب الحج العديد من الأحاديث الواردة في شأن المدينة ، وكذا الحال عند أصحاب السنن والمسانيد .

والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حرمها وهذا أمر واجب في حق من سكن بها أو دخل فيها ، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله ﷺ . فإنها من المواطن التي عمرت بالوحي والتنزيل ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنن رسول الله ﷺ ما انتشر ، فهي مشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات .

فحري بمن أكرمه الله بالإقامة فيها أن يتزود فيها من الأعمال الصالحة التي تنفعه بعد الموت ، وأن يحذر من الوقوع فيها بما يسخط الله عز وجل .

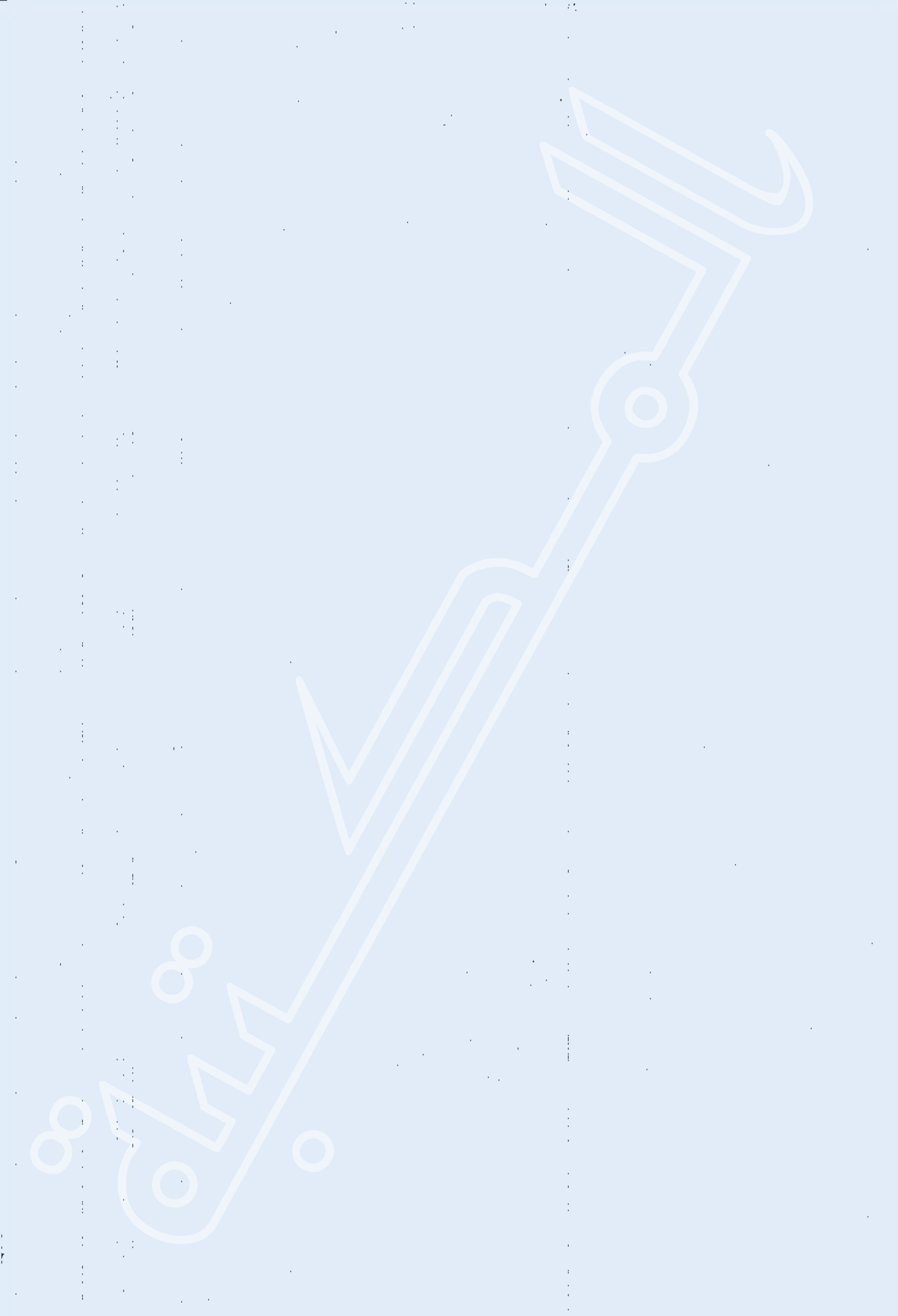
وفيما سبق ذكره من الأحاديث خير شاهد على فضل سكناها والترغيب في الإكثار من العمل الصالح فيها ، والتحذير من الإساءة والمعصية والإفساد فيها .

○ ○ ○ ○

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل المدينة ، باب ١٢

انظر : فتح الباري (٤ / ٩٩) ح ١٨٨٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (٤ / ١٢٣) .



الفصل الثالث

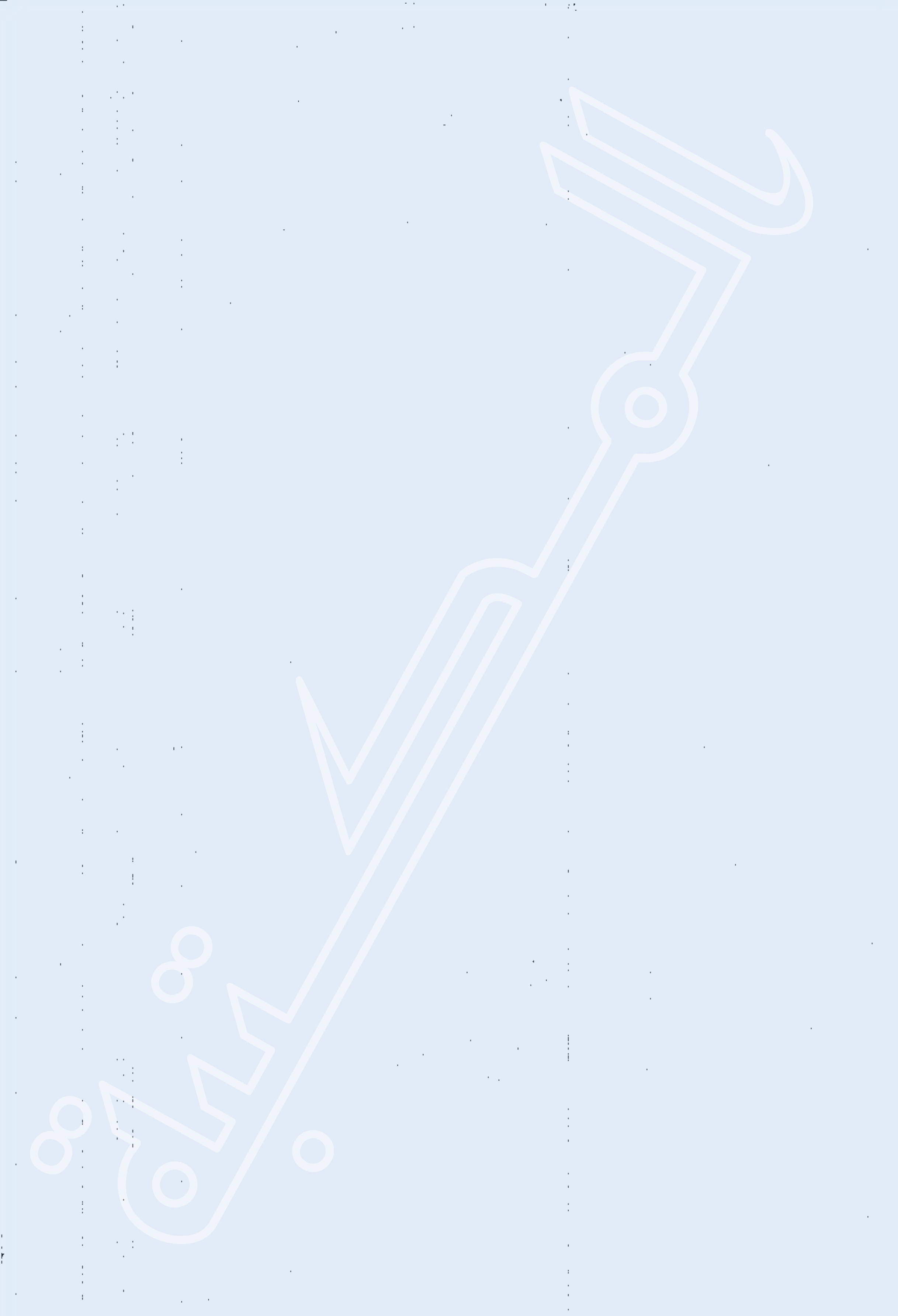
الصلاة والسلام عليه ﷺ

○ ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى الصلاة على النبي ﷺ .

المبحث الثاني : الأدلة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ وكيفيتها ومواطنها وفضلها .

المبحث الثالث : السلام عليه ﷺ .



تمهيد

سبق الحديث في الفصل الثاني ، من هذا الباب عن بعض الأمور التي يتعين على هذه الأمة أداؤها والقيام بها في باب تعظيم النبي ﷺ وتعزيره وتوقيره .

وفي هذا الفصل نتناول جانبا مهما من جوانب توقيره وتعظيمه ﷺ ، وذلك هو الصلاة والسلام عليه ﷺ

فقد أمرنا الباري تبارك وتعالى أن نصلي ونسلم على نبينا محمد ﷺ ، وذلك تشريف منه عز وجل لنبيه ورسوله ﷺ وإظهار للاحترام والتعظيم الذي شرعه في حقه فقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] فهذه الآية فيها من تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها ، وذلك بسبب ما فيها من تمييز للنبي ﷺ عند ذكره ، ولا شك أن ذلك فيه رفع لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد موته .

ولذلك فإن من أعظم شعب الإيمان الصلاة والسلام على النبي ﷺ محبة له وأداءً لحقه وتعظيمًا لقدره ، والمواظبة عليها من باب أداء شكره ﷺ ، وشكره واجب لعظمة الإنعام به ، فقد جعله اللّٰه سببا لنجاتنا من الجحيم ، ودخولنا في دار النعيم ، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب ، ونيلنا السعادة من كل الأبواب .

وليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن اللّٰه أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا ، فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا اللّٰه ـ لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا ـ إلى الصلاة عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه إلينا وإفضاله علينا إذ لا إحسان لمخلوق أفضل من إحسانه

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

ﷺ ، وكذلك فإن المقصود بصلاتنا على النبي ﷺ هو التقرب إلى الله تعالى بامتثال ما أمر به ، وقضاء لحق من حقوق المصطفى ﷺ التي أوجبها الله علينا فحق على هذه الأمة أن تعظم قدر نبيّها وذلك بأن تكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ اتباعا لأمر ربها تبارك وتعالى وقياما بما لنبيها ﷺ من الحق عليها .

وقد اعتنى العلماء بهذه الخصيصة العظيمة فأفردوها بالتأليف وتناولوا في مؤلفاتهم تلك جوانب هذا الموضوع ، ومن أشهر تلك المؤلفات وأجمعها كتاب « جلاء الأفهام » في الصلاة والسلام على خير الأنام للعلامة ابن القيم ، بل هو أشهرها وأحسنها .

ومن تلك المؤلفات كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي[1] المتوفى سنة ٩٠٢ هـ وقد ختم كتابه هذا ببيان الكتب المصنفة في الصلاة على النبي ﷺ وذكر جملة كبيرة من هذه الكتب مرتبة[2] .

ο ο ο ο

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي ، مؤرخ حجة وعالم بالحديث والتفسير والأدب ، وصنف زهاء مئتي كتاب ، توفي بالمدينة . الأعلام (٦ / ١٩٤) .

(٢) انظر : القول البديع (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) .

المبحث الأول

معنى الصلاة على النبي ﷺ

○ وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المعنى اللغوي للفظة « الصلاة » .

المطلب الثاني : المعنى الشرعي لصلاة اللّه عز وجل على نبيه ﷺ .

● ● ● ●

المطلب الأول

المعنى اللغوي للفظة « الصلاة »

قال الخليل بن أحمد[١] الصلاة : ألفها واو لأن جماعتها الصلوات ولأن التثنية صلوان »[٢] .

ومادة (ص . ل . و) وردت في اللغة لمعان منها :

١ ـ « الصلاة » :

وهو وسط الظهر لكل ذي أربع وللناس . وقيل : ما انحدر من الوركين[٣] .

قال الخليل بن أحمد : « والصلاه ، وسط الظَّهْر لكل ذي أربع وللناس وكل أنثى إذا ولدت انفرج صلاها قال :

كأن صلا جهيزة حين قامت * حباب الماء يتبع الحبابا

وإذا أتى الفرس على أثر الفرس السابق قيل : صلى ، وجاء مصليا لأن رأسه يتلو الصلا بين يديه »[٤] .

وقال الأزهري : « وقال أهل اللغة في الصلاة : إنها من الصلوين ، وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها ، وأول موصل الفخذين من الإنسان فكأنهما في الحقيقة مكتنفا العصعص ... وأما المصلى الذي يلي السابق فهو مأخوذ من

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وهو أستاذ سيبويه النحوي ، ومن أشهر كتبه كتاب العين ، توفي سنة ١٧٠ هـ بالبصرة . الأعلام (٢ / ٣١٤) .

(٢) كتاب العين (٧ / ١٥٣) .

(٣) الصلات والبشر (ص ٦) .

(٤) كتاب العين (٧ / ١٥٣) .

الصلوين لا محالة ، وهما مكتنفا ذنب الفرس ، فكأنه يأتي ورأسه في ذلك المكان »[١] . وقد قيل إن اشتقاق الصلاة الشرعية هو من هذا .

قال الحليمي : « وقيل للصلاة المعهودة صلاة لما فيها من حني الصلا وهو وسط الظهر »[٢] .

٢- « الصلىٰ » بالقصر وهي النار :

قال الخليل بن أحمد : « والصلا : النار ، وصلى الكافر نارًا فهو يصلاها أي قاسى حرها وشدتها ، وصليت اللحم صليا : شويته ، وإذا ألقيته في النار قلت : أصليته أصليه إصلاء ، وصليته ، تصلية »[٣] .

وفي معجم مقاييس اللغة : « صلى : الصاد واللام والحرف المعتل أصلان : أحدهما : النار وما أشبهها من الحمى ... فقولهم : صليت العود بالنار ، والصلى صلى النار . واصطليت بالنار . والصلاء : ما يصطلى به وما يذكى به النار ويوقد وقال :

فجعل العود واليلنجوج والرذ   صلاء لها على الكانون »[٤]

قال الفيروز أبادي[٥] « وقيل اشتقاق لفظة الصلاة من الصلى بالقصر وهي النار من صليت العصا إذا قومتها بالنار فالمصلي كأنما يسعى لتعديل باطنه

---

(١) تهذيب اللغة (١٢ / ٢٣٧) .

(٢) المنهاج (٢ / ١٣٣) .

(٣) كتاب العين (٧ / ١٥٤) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣ / ٣٠٠) .

(٥) محمد بن يعقوب بن محمد بن الفيروز أبادي ، من أئمة اللغة والأدب وكان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير ، توفي سنة ٨١٧ هـ في زبيد باليمن وأشهر مؤلفاته القاموس المحيط . الأعلام (٧ / ١٤٦ - ١٤٧) .

وظاهره كمن يحاول تقويم العود بالنار »[١] .

٣- « الصلاة » الملازمة :

قال الأزهري : قال الزجاج الأصل في الصلاة اللزوم يقال : قد صلى واصطلى : اذا لزم ، ومن هذا من يصلى في النار : أى يلزم النار فالصلاة لزوم ما فرض الله ، والصلاة من أعظم الفرض الذي أمر بلزومه »[٢] .

وقال الفيروز أبادي « وقيل الصلاة الملازمة ، ومنه قوله ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾[٣] ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[٤] ومنه سمي ثاني أفراس الحلبة مصليا »[٥] .

٤- « الصلاة » الدعاء :

جاء في معجم مقاييس اللغة « صلى : الصاد واللام والحرف المعتل أصلان : أحدهما : النار وما أشبهها من الحمى - وقد تقدم ذكره - والآخر جنس من العبادة ...

وأما الثاني : فالصلاة وهي الدعاء ، وقال رسول الله ﷺ إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطرًا فليأكل وإن كان صائمًا فليصل »[٦] أي فليدع لهم بالخير والبركة .

---

(١) الصلات والبشر (ص ٥ - ٦) .
(٢) تهذيب اللغة (١٢ / ٢٣٨) .
(٣) الآية (٤) من سورة الغاشية .
(٤) الآية (٣) من سورة المسد .
(٥) الصلاة والبشر (ص ٦) .
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (٤ / ١٥٣) .

قال الأعشى[١] :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا[٢]

وقال في صفة الخمر :

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم[٣] [٤]

« أي دعا لها ألا تحمض وتفسد »[٥] .

وأورد هذا المعنى أيضا الأزهري في تهذيب اللغة[٦] .

وقال ابن القيم « وأصل هذه اللفظة يرجع إلى معنيين : أحدهما : الدعاء والتبريك . والثاني : العبادة . فمن الأول قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[٧]. وقوله تعالى في حق المنافقين ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾[٨] وقول النبي ﷺ : « إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان

---

(١) اسمه ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات أدرك الإسلام ورحل إلى الرسول ﷺ ليؤمن به ، ولكن قريشا صرفته بمئة من الإبل . الأعلام (٧ / ٣٤١) .

(٢) ديوان الأعشى (٧٣) .

(٣) المصدر السابق (٢٩) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣ / ٣٠٠) .

(٥) تهذيب اللغة (١٢ / ٢٣٧) .

(٦) (١٢ / ١٣٦) .

(٧) الآية (١٠٣) من سورة التوبة .

(٨) الآية (٨٤) من سورة التوبة .

صائما فليصل » فسر بهما . قيل : فليدع لهم بالبركة . وقيل : يصلي عندهم بدل أكله . وقيل إن الصلاة في اللغة معناها الدعاء .

والدعاء نوعان : دعاء عبادة . ودعاء مسألة . والعابد داع كما أن السائل داع ، وبهما فسر قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[(١)] .

قيل : أطيعوني أثبكم . وقيل : سلوني أعطكم . وفسر بهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[(٢)] » .

ثم قال رحمه الله تعالى : « والصواب : أن الدعاء يعم النوعين ، وهذا لفظ متواطئ لا اشتراك فيه[(٣)] ، فمن استعماله في دعاء العبادة قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[(٤)] وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ

---

(١) الآية (٦٠) من سورة غافر .

(٢) الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

(٣) الألفاظ على أربعة أقسام :

١ - الألفاظ المترادفة : وهي ما اختلفت ألفاظها واتحدت معانيها مثل : الليث ، الأسد ، الغضنفر ألفاظ مختلفة ولكنها جميعها دلت على معنى واحد وهو الحيوان المعروف .

٢ - الألفاظ المشتركة : وهي ما اتحدت ألفاظها واختلفت معانيها مثل : العين : تطلق على العين الباصرة ، والعين الجارية ، والجاسوس .

٣ - الألفاظ المتباينة : مااختلفت ألفاظها ومعانيها .

مثل : السماء والأرض - الجدار والسقف .

٤ - الألفاظ المتواطئة : ما اتفقت ألفاظها ومعانيها .

فإذا كان المعنى متساويًا في الجميع فهو التواطؤ المطلق ومثاله : « الرجل » : لزيد وعمرو .

وإذا كان المعنى متفاضلا فهو التواطؤ المشكك ومثاله « النور » للشمس والسراج .

التحفة المهدية (١ / ٢٠٩) .

(٤) الآية (٢٢) من سورة سبأ .

شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[1] .

وقوله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾[2] والصحيح من القولين لولا أنكم تدعونه وتعبدونه أي : أي شيء يعبأه بكم لولا عبادتكم إياه فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل .وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[3]. وقال تعالى إخبارا عن أنبيائه ورسله ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾[4]

وهذه الطريقة أحسن من الطريقة الأولى ، ودعوى الخلاف في مسمى الدعاء .

وبهذا تزول الإشكالات الواردة على اسم الصلاة الشرعية ، هل هو منقول عن موضعه في اللغة فيكون حقيقة شرعية أو مجازا شرعيا .

فعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسماها في اللغة وهو الدعاء ، والدعاء ، دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ، والمصلي من حين تكبيره إلى سلامه بين دعاء العبادة ودعاء المسألة فهو في صلاة حقيقةً لا مجازًا ولا منقولة ، لكن خص اسم الصلاة بهذه العبادة المخصوصة كسائر الألفاظ التي يخصها أهل اللغة والعرف ببعض مسماها كالدابة والرأس ونحوهما ، فهذا غاية تخصيص اللفظ وقصره على بعض موضوعه ، ولهذا لا يوجب نقلا ولا خروجًا عن موضوعه الأصلي والله أعلم . انتهي[5] .

---

(١) الآية (٢٠) من سورة النحل .

(٢) الآية (٧٧) من سورة الفرقان .

(٣) الآيتان (٥٥ ، ٥٦) من سورة الأعراف .

(٤) الآية (٩٠) من سورة الأنبياء .

(٥) جلاء الأفهام (ص ٧٣ - ٧٤) .

المطلب الثاني

المعني الشرعي لصلاة الله عز وجل على نبيه ﷺ

لما كانت الصلاة التي أمرت بها هذه الأمة على النبي ﷺ تعني الطلب من الله ما أخبر به من صلاته عليه . إذ المصلي يقول : « اللهم صل على محمد ... الخ » فالأمر هنا يتطلب شرح معنى صلاة الله عز وجل على نبيه ﷺ .

قال ابن القيم : « وأما صلاة الله سبحانه فنوعان : عامة وخاصة .

فالنوع الأول : الصلاة العامة وهي صلاته على عباده المؤمنين :

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾[1]

ومنه دعاء النبي ﷺ بالصلاة على آحاد المؤمنين كقوله : « اللهم صل على آل أبي أوفى »[2] .

النوع الثاني : صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله وخصوصًا على خاتمهم وخيرهم محمد ﷺ[3] .

واختلف الناس في معنى الصلاة منه سبحانه على أقوال :

القول الأول : إنها رحمته .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى صلاة الرب الرحمة[4] وروى

---

(١) الآية (٤٣) من سورة الأحزاب .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة . فتح الباري (٣ / ٣٦١) ح ١٤٩٧، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب الدعاء لمن أتى بصدقته (٣ / ١٢١) .

(٣) جلاء الأفهام (ص ٧٤) .

(٤) فتح الباري (١١ / ١٥٦) .

إسماعيل القاضي[١] بسنده عن الضحاك[٢] قال : صلاة الله رحمته ، وصلاة الملائكة الدعاء[٣] .

وقال المبرد[٤]« أصل الصلاة الرحمة فهي من الله رحمة ، ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة »[٥] .

قال ابن القيم : « وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين »[٦] .

القول الثاني : إن صلاة الله مغفرته .

فقد روى إسماعيل القاضي بسنده عن الضحاك : « هو الذي يصلي عليكم » قال : صلاة الله مغفرته ، وصلاة الملائكة الدعاء[٧] .

وأورد ابن حجر في الفتح : عن مقاتل بن حيان[٨]قال : « صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار »[٩]

---

(١) إسماعيل بن اسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي فقيه على مذهب الإمام مالك ، جليل التصاينف ، من بيت علم وفضل توفي سنة ٢٨٢ هـ . الأعلام (١ / ٣١٠) .

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني ، مفسر ولم يثبت له سماع من أحد من الصحابة توفي سنة ١٠٥ هـ . تهذيب التهذيب (٤ / ٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٣) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤٠) .

(٤) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمانه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، توفي ببغداد سنة ٢٨٦ هـ . الأعلام (٧ / ١٤٤) .

(٥) فتح الباري (١١ / ١٥٦) وجلاء الأفهام (ص ٧٥) .

(٦) جلاء الأفهام (ص ٧٥) .

(٧) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤١) .

(٨) مقاتل بن حيان النبطي (بفتح النون والموحدة) أبو بسطام البلخي ، صدوق ، وكان ناسكًا فاضلًا خرج له الجماعة إلا البخاري ، مات بكابل قبيل الخمسين ومائة .
تهذيب التهذيب (١٠ / ٢٧٧ - ٢٧٩) .

(٩) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١١ / ١٥٥ - ١٥٦) .

قال ابن القيم : « وهذا القول هو من جنس الذي قبله »[١] .

القول الثالث : أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمته .

فإذا قلنا اللهم صل على محمد فإنما نريد اللهم عظم محمدًا في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين والشهود[٢] . قال أبو العالية[٣] : « صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة »[٤] .

وعن الربيع بن أنس[٥] قال : « صلاة الله عليه ثناؤه عند ملائكته »[٦] وقال الخليل بن أحمد : « صلوات الله على أنبيائه والصالحين من خلقه : حسن ثنائه عليهم وحسن ذكره لهم »[٧] .

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧٥) .

(٢) المنهاج (٢ / ١٣٤) .

(٣) رفيع (بالتصغير) بن مهران أبو العالية الرياحي مولاهم ، البصري أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر ، ثقة ، توفي سنة تسعين وقيل بعد ذلك .
تهذيب التهذيب (٣ / ٢٨٤ - ٢٨٦) .

(٤) ذكره تعليقًا البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب تفسير قوله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ... ﴾ الآية . انظر : فتح الباري (٨ / ٥٣٢) .

(٥) الربيع بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخرساني روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري وغيرهم ، مات في خلافة أبي جعفر المنصور .
تهذيب التهذيب (٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٦) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤٠) . القول البديع (ص ١٩) . وأورده ابن حجر في الفتح وعزاه لابن أبي حاتم . فتح الباري (٨ / ٥٣٣) .

(٧) العين (٧ / ١٥٤) .

وقال ابن القيم رحمه اللّٰه : « الصلاة المأمور بها في هذه الآية هي الطلب من اللّٰه ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته ، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه . فهي تتضمن الخبر والطلب وسمى هذا السؤال منا والدعاء صلاة عليه لوجهين :

أحدهما : أنه يتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من اللّٰه تعالى ، فقد تضمنت الخبر والطلب .

والوجه الثاني : أن ذلك سمي منا صلاة لسؤالنا من اللّٰه أن يصلي عليه . فصلاة اللّٰه عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه ، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا اللّٰه تعالى أن يفعل ذلك به »[(١)] .

وزاد الحافظ ابن حجر : أن صلاة اللّٰه على خلقه تكون خاصة وتكون عامة .

فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم .

وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء .

ونقل عياض عن بكر القشيري[(٢)] قال : « الصلاة على النبي ﷺ من اللّٰه تشريف وزيادة وتكرمة ، وعلى من دون النبي رحمة ، وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبي ﷺ وبين سائر المؤمنين حيث قال اللّٰه تعالى : ﴿ إن اللّٰه وملائكته يصلون على النبي ﴾ وقال قبل ذلك في السورة المذكورة ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي ﷺ من ذلك أرفع مما يليق بغيره ، والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧٨) .

(٢) بكر بن محمد بن العلاء القشيري ، قاض من علماء المالكية من أهل البصرة ، انتقل إلى مصر قبل سنة (٣٣٠ هـ) وتوفي بها سنة ٣٤٤ هـ . الأعلام (٢ / ٦٩) .

تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ماليس في غيرها »(١) .

وقد ضعف ابن القيم رحمه الله تفسير الصلاة بالرحمة والاستغفار وذكر في تضعيفهما عدة أوجه منها :

١ ـ أن الله سبحانه فرق بين صلاته على عباده ورحمته فقال ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾(٢) فعطف الرحمة على الصلاة فاقتضى ذلك تغايرهما ، وهذا أصل العطف ، وأما قولهم :

وألفى قولها كذبًا ومينا

فهو شاذ نادر لا يحمل عليه أفصح الكلام مع أن المين أخص من الكذب

٢ ـ أن صلاة الله سبحانه خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين ، وأما رحمته فوسعت كل شيء ، فليست الصلاة مرادفة للرحمة لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها ، فمن فسرها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمراتها ومقصودها ، وهذا كثيرًا ما يأتي في تفسير ألفاظ القرآن ، والرسول ﷺ يفسر اللفظة بلازمها وجزء معناها كتفسير الريب بالشك ، والشك جزء مسمى الريب وتفسير المغفرة بالستر ، وهو جزء مسمى المغفرة ، وتفسير الرحمة بإرادة الإحسان ، وهو لازم الرحمة ونظائر ذلك كثيرة .

٣ ـ أن هذه اللفظة لا تعرف في اللغة الأصلية بمعنى الرحمة أصلا والمعروف عند العرب من معناها إنما هو الدعاء والتبريك والثناء ، ولا تعرف العرب قط « صلى عليه » بمعنى « رحمه » فالواجب حمل اللفظ على معناه المتعارف في اللغة .

---

(١) فتح الباري (١١ / ١٥٦) .

(٢) الآيات (١٥٥ إلى ١٥٧) من سورة البقرة .

٤ ـ أنه يسوغ بل يستحب لكل أحد أن يسأل الله أن يرحمه فيقول : اللهم ارحمني كما علم النبي ﷺ الداعي أن يقول : « اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني » فلما حفظها قال أما هذا فقد ملأ يديه من الخير »[١] .

ومعلوم أنه لا يسوغ لأحد أن يقول : « اللهم صل علي » بل الداعي بهذا يكون معتديا في دعائه والله لا يحب المعتدين ، بخلاف سؤاله الرحمة فإن الله يحب أن يسأله عبده مغفرته ورحمته فعلم أنه ليس معناهما واحدا .

٥ ـ أن أكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة لا يحسن أن تقع فيها الصلاة كقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٢]وقوله : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣]وقوله ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[٤]وقوله : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥]

وقول النبي ﷺ : « الله أرحم بعباده من هذه بولدها »[٦]. وقوله : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »[٧] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ٣٥٣) .

(٢) الآية (١٥٦) من سورة الأعراف .

(٣) الآية (٥٦) من سورة الأعراف .

(٤) الآية (٤٣) من سورة الأحزاب .

(٥) الآية (١١٧) من سورة التوبة .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ، باب رحمة الولد . فتح الباري (١٠ / ٤٦٧) ح ٥٩٩٨ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٨ / ٩٧) .

(٧) أخرجه الترمذي في السنن ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٤ / ٣٢٣ – ٣٢٤) ح ١٩٢٤ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

فمواضع استعمال الرحمة في حق الله وفي حق العباد لا يحسن أن تقع الصلاة في كثير منها ، بل في أكثرها ، فلا يصح تفسير الصلاة بالرحمة والله أعلم

٦ ـ أنه لو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقامت مقامها في امتثال الأمر وأسقطت الوجوب عند من أوجبها إذا قال : « اللهم ارحم محمدا وآل محمد » وليس الأمر كذلك[1] . وزاد السخاوي :

٧ ـ أن الصحابة فهموا المغايرة بين الصلاة والرحمة ، فلذلك سألوا عن كيفية الصلاة مع ما تقدم من ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » وأقرهم النبي ﷺ فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام[2] .

وأولى الأقوال بالصواب ما تقدم عن أبي العالية « أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه » .

فهي من الله إكرام وتعظيم ومحبة وثناء لنبيه ﷺ .

فصلاتنا عليه : إنما هي ثناء عليه ﷺ وإرادة من الله أن يعلي ذكره ويزيده تعظيمًا وتشريفًا .

○ ○ ○ ○

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧٥ – ٨٢) بتصرف .

(٢) القول البديع (ص ٢٠) .

المبحث الثاني

الأدلة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ

وكيفيتها ومواطنها وفضلها

المطلب الأول : الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ .

المطلب الثاني : كيفية الصلاة على النبي ﷺ .

المطلب الثالث : مواطن الصلاة على النبي ﷺ .

المطلب الرابع : فضل الصلاة على النبي ﷺ .

● ● ● ●

المطلب الأول

الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ

أ ـ من القرآن :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[١] .

وهذه الآية هي الأصل في هذا الباب[٢] والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها[٣] .

وهي مدنية النزول وقد جاءت بعد جملة من الآيات في سورة الأحزاب ذكر الله فيها عددًا من حقوق نبيه ﷺ وما خصه به دون أمته ، من حل نكاحه لمن تهب نفسها له ، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة من بعده ، ومن سائر ما ذكر بعد ذلك من حقوقه وتعظيمه وتبجيله .

ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهن آباءهن وأبناءهن ودخولهم عليهن ، وخلوتهم بهن .

ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته ، وهو أمرهم بصلاتهم عليه وسلامهم ، مستفتحا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكته يصلون عليه[٤]

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(٢) المنهاج للحليمي (٢ / ١٤٣) .

(٣) القول البديع (ص ٢١) .

(٤) جلاء الأفهام (ص ١٧٤ – ١٧٥) .

قال ابن كثير رحمه اللّٰه تعالى : « والمقصود من هذه الآية أن اللّٰه سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا »[1] .

« فهذه الآية شرف اللّٰه بها رسوله ﷺ في حياته وبعد موته »[2] (وفيها تنبيه على كمال الرسول ﷺ ورفعة درجته وعلو منزلته عند اللّٰه وعند خلقه ورفع ذكره ، فقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ أي يثني اللّٰه عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى ، ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون .

﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾ اقتداءً باللّٰه وملائكته وجزاءً له على بعض حقوقه عليكم ، وتكميلا لإيمانكم ، وتعظيما له ﷺ ومحبة وإكراما وزيادة في حسناتكم وتكفيرا من سيئاتكم »[3] .

قال الحليمي : « وقد أمر اللّٰه تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال : ﴿ إن اللّٰه وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ فأمر اللّٰه عباده أن يصلوا عليه ويسلموا ، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه ، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٠٧) .

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ٢٣٢) بتصرف .

(٣) « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (٦ / ١٢٠ - ١٢١) .

عليه من الفضل ، إذ كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق »[١] .

ب ـ من السنة النبوية :

ورد في شأن الصلاة على النبي ﷺ كثير من الأحاديث التي وضحت وبينت ما يتعلق بشأن هذه الصلاة من جهة مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها .

وقد روى هذه الأحاديث جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عدهم ابن القيم في كتابه « جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام » فبلغوا اثنين وأربعين صحابيا .

وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث وبيَّن طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها ، وما في معلولها من العلل بيانا شافيا .

وسيأتي ذكر بعض هذه الأحاديث في مواضعها المناسبة في المطلب القادم وذلك تلافيًا للتكرار والإعادة .

○ ○ ○ ○

---

(١) المنهاج للحليمي (٢ / ١٣١) .

المطلب الثاني

كيفية الصلاة على النبي ﷺ

ورد في كيفية الصلاة على النبي ﷺ عدد من الأحاديث منها :

١ـ حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه :

فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : « إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا : يارسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟

قال : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » متفق عليه[(١)] .

والمراد بالسلام في قوله : « قد علمنا كيف نسلم عليك » السلام الذي في التشهد وهو قول « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته »[(٢)]

٢ـ حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه :

عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا : يارسول الله ، كيف نصلي عليك ؟

قال : « قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » متفق عليه[(٣)] .

٣ـ حديث أبي سعيد الخدري[(٤)] رضي الله عنه :

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٨٠) .

(٢) فتح الباري (١١ / ١٥٥) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٤٨) .

(٤) واسمه سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري ، مشهور بكنيته =

عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا يارسول اللّه ، هذا السلام عليك فكيف نصلي ؟ قال : « قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم[١] » .

٤ـ حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري[٢] رضي اللّه عنه :

عن أبي مسعود الأنصاري قال : أتانا رسول اللّه ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد[٣] أمرنا اللّه تعالى أن نصلي عليك يارسول اللّه فكيف نصلي عليك ؟

قال : فسكت رسول اللّه ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول اللّه ﷺ : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم »[٤] .

= استصغر بأحد واستشهد أبوه بها ، وشهد هو ما بعدها ، كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثا كثيرا ، مات بعد الستين من الهجرة . الإصابة (٢ / ٣٢ - ٣٣) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ .
انظر : فتح الباري (١١ / ١٥٢) ح ٦٣٥٨

(٢) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري ، مشهور بكنيته شهد العقبة ، والمشاهد كلها ، مات بعد سنة أربعين للهجرة . الإصابة (٢ / ٤٨٣ - ٤٨٤) .

(٣) بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري البدري شهد العقبة وشهد بدرا والمشاهد بعدها ، استشهد بعين التمر مع خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة .
الإصابة (١ / ١٦٢) والاستيعاب (١ / ١٥٥ - ١٥٦) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٢ / ١٧) .

٥- حديث طلحة بن عبيد الله :

عن طلحة بن عبيد الله قال : قلت يارسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : « قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد »(١) .

والملاحظ في هذه الأحاديث هو اختلاف ألفاظها ، ومن أجل ذلك فإن المرء قد يسأل بأي هذه الألفاظ يدعو ؟

قال ابن القيم : « لقد سلك بعض المتأخرين في ذلك طريقة ، وهو أن الداعي يستحب له أن يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة ، ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها ، فرأى أنه يستحب للمصلي على النبي ﷺ أن يقول « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى أزواجه وذريته ، وارحم محمدًا وآل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم « وكذلك في البركة والرحمة .

وعلل ذلك بقوله : حتى يصيب ألفاظ النبي ﷺ يقينا فيما شك فيه الراوي وليجتمع له ألفاظ الأدعية الأخر فيما اختلفت ألفاظها .

ونازعه في ذلك آخرون وقال : هذا ضعيف من وجوه :

أحدها : أن هذه الطريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين .

الثاني : أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع أنواع الاستفتاحات ، وأن يتشهد بجميع أنواع التشهدات ، وأن يقول في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٦٢) . وأخرجه النسائي في السنن ، كتاب السهو ، باب كيف الصلاة على النبي ﷺ (٣ / ٤٨) وإسناده حسن .

ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه ، وهذا باطل قطعًا فإنه خلاف عمل الناس ، ولم يستحبه أحد من أهل العلم وهو بدعة ، وإن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين .

الثالث : أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي والتالي أن يجمع بين القراءات المتنوعة في التلاوة في الصلاة وخارجها . قالوا : ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب ذلك للقارئ في الصلاة ولا خارجها إذا قرأ قراءة عبادة وتدبر ، وإنما يفعل ذلك القراء أحيانا ليمتحن بذلك حفظ القارئ لأنواع القراءات ، وإحاطته بها واستحضاره إياها ، والتمكن من استحضارها عند طلبها ، فذلك تمرين وتدريب لا تعبد مستحب لكل تال وقارئ ، ومع هذا ففي ذلك للناس كلام ليس هذا موضعه ، بل المشروع في حق التالي أن يقرأ بأي حرف شاء ، وإن شاء أن يقرأ بهذا مرة وبهذا مرة جاز ذلك .

وكذلك الداعي إذا صلى على النبي ﷺ مرة بلفظ هذا الحديث ، ومرة بلفظ الآخر ، وكذلك إذا تشهد ، فإن شاء تشهد بتشهد ابن مسعود ، وإن شاء بتشهد ابن عباس ، وإن شاء بتشهد ابن عمر ، وإن شاء بتشهد عائشة رضي الله عنهم أجمعين ولا يستحب له أحد أن يجمع بين ذلك كله .

وقد احتج غير واحد من الأئمة منهم الشافعي رحمه الله تعالى على جواز الأنواع المأثورة في التشهدات ونحوها بالحديث الذي رواه أصحاب الصحيح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف . فتح الباري (٩ / ٢٣) ح ٤٩٩٢ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٢ / ٢٠٢) .

والسنن وغيرهم عن النبي ﷺ أنه قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف »[١].
فجوز النبي ﷺ القراءة بكل حرف من تلك الأحرف ، وأخبر أنه « شافٍ كافٍ » ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ بتلك الأحرف على سبيل البدل لا على سبيل الجمع كما كان الصحابة يفعلون .

الرابع : أن النبي ﷺ لم يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة في آن واحد ، بل إما أن يكون قال هذا مرة وهذا مرة كألفاظ الاستفتاح والتشهد ، وأذكار الركوع والسجود وغيرها ، فاتباعه ﷺ يقتضي أن لا يجمع بينها ، بل يقال هذا مرة وهذا مرة .

وإما أن يكون الراوي قد شك في أي الألفاظ قال ، فإن ترجح عند الداعي بعضها صار إليه وإن لم يترجح عنده بعضها كان مخيرا بينهما ، ولم يشرع له الجمع ، فإن هذا نوع ثالث لم يرد عن النبي ﷺ فيعود الجمع بين تلك الألفاظ في آن واحد على مقصود الداعي بالإبطال لأنه قصد متابعة الرسول ﷺ ، ففعل ما لم يفعله قطعًا .

ومثال ما يترجح فيه أحد الألفاظ حديث الاستخارة فإن الراوي شك هل قال النبي ﷺ : « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال : « وعاجل أمري وآجله »[١] بدل « وعاقبة أمري » والصحيح اللفظ الأول وهو قوله « وعاقبة أمري » لأن عاجل الأمر وآجله هو مضمون قوله « ديني ومعاشي وعاقبة أمري » فيكون الجمع بين المعاش وعاجل الأمر وآجله تكرارًا ، بخلاف ذكر المعاش والعاقبة ، فإنه لا تكرار فيه ، فإن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، فتح الباري (٣ / ٤٨) ح ١١٦٢ وقد جاءت رواية البخاري على الشك الذي ذكره ابن القيم .

المعاش هو عاجل الأمر والعاقبة أجله .

ومن ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » رواه مسلم[1] .

واختلف فيه فقال بعض الرواة « من أول سورة الكهف » .

وقال بعضهم « من آخرها » وكلاهما في الصحيح لكن الترجيح لمن قال : « من أول سورة الكهف » لأن في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان[2] في قصة الدجال « فإذا رأيتموه فاقرأوا عليه فواتح سورة الكهف »[3] ولم يختلف في ذلك ، وهذا يدل على أن من روى العشر من أول السورة حفظ الحديث ، ومن روى من آخرها لم يحفظه .

الخامس : أن المقصود إنما هو المعنى والتعبير عنه بعبارة مؤدية له ، فإذا عبر عنه بإحدى العبارتين حصل المقصود ، فلا يجمع بين العبارات المتعددة .

السادس : أن أحد اللفظين بدل عن الآخر ، فلا يستحب الجمع بين البدل والمبدل معًا كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها إبدال والله أعلم[4] .

○○○○

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٢ / ١٩٩) وذكر مسلم أيضا هذا الاختلاف فقال قال شعبة من آخر الكهف ، وقال همام من أول الكهف كما قال هشام

(٢) النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو العامري الكلابي له ولأبيه صحبة وحديثه عند مسلم في صحيحه . الإصابة (٣ / ٥٤٦) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٨ / ١٩٦ - ١٩٧)

(٤) جلاء الأفهام (١٧٧ - ١٧٩) بتصرف .

المطلب الثالث

مواطن الصلاة عليه ﷺ

تتأكد الصلاة على النبي ﷺ في مواطن إما وجوبًا وإما استحبابًا مؤكدًا[١] ومن هذه المواطن ما يلي :

الموطن الأول : في الصلاة في آخر التشهد :

وهو أهمها وآكدها ، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته[٢] واختلفوا في وجوبه فيها .

فقالت طائفة : ليس بواجب فيها وهذا قول أبي حنيفة ومالك ورواية عن الإمام أحمد ، وهو قول أكثر أهل العلم[٣] .

وقالت طائفة : بوجوب ذلك وهو قول الشافعي ورواية عن الإمام أحمد والظاهر أنها آخر قوليه[٤]وهي المعتمدة في المذهب[٥]وبهذا القول قال جمع من الصحابة والتابعين وأرباب المذاهب ، وبه قال ابن مسعود ، وابن عمر ، وأبو مسعود ، والشعبي ، ومقاتل بن حيان ، وأبو جعفر محمد بن على بن الحسين[٦] واسحاق بن راهويه[٧] .

ولكل واحد من الفريقين أدلته ، وهي مبسوطة في كتب الفقه .

(١،٢) جلاء الأفهام (ص ٢٥١) .

(٣،٤) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٠٨) والمغني (١ / ٥٤٢) وجلاء الأفهام (ص ٢٥١) .

(٥) المغني (١ / ٥٤١) .

(٦) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر الباقر ، من فقهاء أهل المدينة من التابعين ، توفي سنة أربع عشرة ومائة . تهذيب التهذيب (٩ / ٣٥٠ - ٣٥٢) .

(٧) المغني (١ / ٥٤٢) جلاء الأفهام (٢٥٣ - ٢٥٥) والقول البديع (١٨٠ - ١٨٣) .

وقد جمعها ابن القيم في كتابه القيم جلاء الأفهام[١] فمن أراد الاستزادة في هذا الشأن فليرجع إليه[٢] .

وأما ما يتعلق بأدلة مشروعيتها في هذا الموطن فهي بعينها الأدلة التي تقدم ذكرها في المطلب السابق عند الحديث عن كيفية الصلاة على النبي ﷺ .

الموطن الثاني : الصلاة عليه ﷺ في التشهد الأول :

قال ابن القيم : « وهذا قد اختلف فيه

القول الأول : قال الشافعي في « الأم » : يصلي على النبي ﷺ في التشهد الأول [٣] وهذا هو المشهور من مذهبه وهو الجديد ، ولكنه يستحب وليس بواجب .

القول الثاني : قال الشافعي في القديم : « لا يزيد على التشهد » وهذه رواية المزني[٤] عنه ، وبهذا قال أحمد وأبو حنيفة ومالك وغيرهم .

واحتج لقول الشافعي بما رواه الدارقطني بسنده عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد التحيات الطيبات الزاكيات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن

---

(١) انظر جلاء الأفهام (ص ٢٥١ - ٢٧٦) .

(٢) صرفت النظر عن إيراد أدلة كل فريق نظرا :

١ - كثرة الأدلة والاعتراضات الواردة في هذه المسألة .

٢ - كون المسألة تتعلق بالنواحي الفقهية فهذا مما يتعارض مع منهجية البحث الذي يتناول النواحي العقدية .

(٣) الأم للشافعي (١ / ١١٧) .

(٤) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ، أبو إبراهيم المزني ، صاحب الإمام الشافعي ، كان زاهدا عالما مجتهدًا قوي الحجة ، توفي سنة ٢٦٤ هـ . الأعلام (١ / ٣٢٩) .

لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ثم يصلي على النبي ﷺ »[١] .

وروى الدارقطني أيضا من حديث عمرو بن شمر عن جابر عن عبد اللّٰه بن بريدة ، عن أبيه ، قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « يا بريدة إذا صليت في صلاتك فلا تتركن الصلاة علي فيها ، فإنها زكاة الصلاة »[٢] .

قالوا : وهذا يعم الجلوس الأول والآخر .

واحتج له أيضا بأن اللّٰه تعالى أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسوله ﷺ فدل على أنه حيث شرع التسليم عليه شرعت الصلاة عليه ، ولهذا سأله أصحابه عن كيفية الصلاة عليه ، وقالوا « قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ » فدل على أن الصلاة عليه مقرونة بالسلام عليه ﷺ ، ومعلوم أن المصلي يسلم على النبي ﷺ فيشرع له أن يصلي عليه .

قالوا : ولأنه مكان شرع فيه التشهد والتسليم على النبي ﷺ ، فشرع فيه الصلاة عليه كالتشهد الأخير .

قالوا : ولأن التشهد الأول محل يستحب فيه ذكر الرسول ﷺ فاستحب فيه الصلاة عليه ، لأنه أكمل في ذكره .

قالوا : ولأن في حديث محمد بن اسحاق : كيف نصلي عليك إذا نحن

---

(١) أخرجه الدار قطني في السنن ، كتاب الصلاة ، باب صفة التشهد ووجوبه واختلاف الروايات فيه (١ / ٣٥١) وإسناده ضعيف جدًا لأن فيه خارجة بن مصعب : متروك ، وموسى بن عبيدة : ضعيف .

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن ، كتاب الصلاة ، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد (١ / ٣٥٥) وإسناده ضعيف فيه عبد المهيمن بن عباس لا يحتج به .

جلسنا في صلاتنا ؟[1].

وقال الآخرون : ليس التشهد الأول بمحل لذلك ، وهو القديم من قولي الشافعي رحمه الله تعالى ، وهو الذي صححه كثير من أصحابه ، لأن التشهد الأول تخفيفه مشروع ، وكان النبي ﷺ إذا جلس فيه كأنه على الرضف[2][3]. ولم يثبت عنه أنه كان يفعل ذلك فيه ، ولا علّمه للأمة ، ولا يعرف أن أحدا من الصحابة استحبه ، ولأن مشروعية ذلك لو كانت كما ذكرتم من الأمر لكانت واجبة في المحل كما في الأخير ، لتناول الأمر لهما ، ولأنه لو كانت الصلاة مستحبة في هذا الموضع ، لاستحب فيه الصلاة على آله ﷺ ، لأن النبي ﷺ لم يفرد نفسه دون آله بالأمر بالصلاة عليه ، بل أمرهم بالصلاة عليه وعلى آله في الصلاة وغيرها .

ولأنه لو كانت الصلاة عليه في هذه المواضع مشروعة لشرع فيها ذكر إبراهيم وآل إبراهيم ، لأنها هي صفة الصلاة المأمور بها ، ولأنها لو شرعت في هذه المواضع لشرع فيها الدعاء بعدها لحديث فضالة ، ولم يكن فرق بين التشهد الأول والأخير .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ١١٩) والحاكم في المستدرك (١ / ٢٦٨) .

(٢) الرضف : الحجارة المحماة على النار ، واحدتها : رضفة . النهاية (٢ / ٢٣١)

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١ / ٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ، ٤٦٠) .

وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الصلاة ، باب تخفيف القعود (١ / ٦٠٦) .

ح ٩٩٥ وأخرجه الترمذي في السنن ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في مقدار القعود في الركعتين الأولين (٢ / ٢٠٢) ح ٣٦٦ . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه . والعمل على هذا عند أهل العلم يختارون أن لا يطيل الرجل القعود في الركعتين الأولين ولا يزيد على التشهد شيئًا » . انتهى كلامه .

قالوا : وأما ما استدللتم به من الأحاديث فمع ضعفها لا تدل ، لأن المراد بالتشهد فيها هو الأخير دون الأول بما ذكرناه من الأدلة[١] .

الموطن الثالث من مواطن الصلاة عليه ﷺ : آخر القنوت

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « استحبه الشافعي ومن وافقه واحتج لذلك بما رواه النسائي بسنده عن الحسن بن علي[٢] قال علمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات في الوتر قال : « قل اللهم اهدني فيمن هديت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وتولني فيمن توليت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت[٣] وصلى الله على النبي »[٤] .

وهذا إنما هو في قنوت الوتر ، وإنما نقل إلى قنوت الفجر قياسا كما نقل أصل هذا الدعاء إلى قنوت الفجر .

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٢٧٧ - ٢٧٩) .

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب ، سبط رسول الله ﷺ وريحانته في الدنيا ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ ، بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه ثم تنازل عنها لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين ، ومات سنة تسع وأربعين وقيل بعدها .
الإصابة (١ / ٣٢٧ - ٣٣٠) .

(٣) الحديث إلى قوله « وتعاليت » أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب القنوت في الوتر (٢ / ١٣٣ - ١٣٤) . وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء في قنوت الوتر (١ / ٣٢٨) ح ٤٦٤ . وأخرجه ابن ماجه في السنن ، أبواب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في قنوت الوتر (١ / ٢١٣) ح ١١٦٧ ، وقال الحافظ ابن حجر : الحديث حسن صحيح .
التلخيص (ص ٩٤ - ٩٥) .

(٤) أخرجه النسائي في السنن (٣ / ٢٤٨) وقد انفرد النسائي بهذه الزيادة « وصلى الله على النبي » وروايته ضعيفة ، قال الحافظ ابن حجر : هذه الزيادة في هذا السند غريبة لا تثبت وإن سنده لا يخلو إما عن راو مجهول ، أو انقطاع في السند .

وهو مستحب في قنوت رمضان فعن عروة بن الزبير[١] أن عبد الرحمن بن عبد القاري[٢] وكان في عهد عمر بن الخطاب مع عبد الله بن الأرقم[٣] على بيت المال ، قال : إن عمر خرج ليلة في رمضان ، فخرج معه عبد الرحمن بن عبد القارى فطاف في المسجد ، وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر رضي الله عنه ، والله إني لأظن لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد يكون أمثل ، ثم عزم عمر على ذلك وأمر أبي بن كعب أن يقوم بهم في رمضان ، فخرج عليهم والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله ، وقال : كانوا يلعنون الكفرة في النصف يقولون : اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ، ولا يؤمنون بوعدك ، وخالف بين كلمتهم ، وألق في قلوبهم الرعب ، وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق . ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو للمسلمين ما استطاع من خير ، ثم يستغفر للمؤمنين ، قال : فكان يقول إذا فرغ من لعنة الكفار ، وصلاته على

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدني ، تابعي ثقة فقيه مشهور ، ولد في أوائل خلافة الفاروق ، وتوفي سنة أربع وتسعين على الصحيح . تهذيب التهذيب (٧ / ١٨٠ - ١٨٥) .

(٢) عبد الرحمن بن عبد من غير إضافة القارئ بتشديد الياء من ولد القارة ابن الديش ، ذكره العجلي في ثقات التابعين واختلف قول الواقدي فيه قال تارة له صحبة ، وتارة تابعي ، مات سنة ثمان وثمانين تقريب التهذيب (٢٠٦) .

(٣) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوق بن وهب القرشي الزهري ، صحابي أسلم يوم الفتح ، وكتب للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وكان على بيت المال أيام عمر ، وتوفي في خلافة عثمان . الإصابة (٢ / ٢٦٥) .

النبي ﷺ واستغفاره للمؤمنين ، ومسألته : اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد[١] ونرجو رحمتك ، ونخاف عذابك إن عذابك الجد لمن عاديت ملحق ، ثم يكبر ويهوي ساجداً[٢] .

وروى إسماعيل بن اسحاق بسنده عن قتادة ، عن عبد الله بن الحارث[٣] أنَّ أبا حليمة - معاذا -[٤] كان يصلى على النبي ﷺ في القنوت[٥] [٦] .

الموطن الرابع من مواطن الصلاة عليه ﷺ : في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية :

لا خلاف في مشروعيتها فيها ، واختلف في توقف صحة الصلاة عليها . فقال الشافعي ، وأحمد في المشهور من مذهبهما : إنها واجبة في الصلاة ،

(١) « وإليك نسعى ونحفد » أي نسرع في العمل والخدمة . النهاية (١ / ٤٠٦) .

(٢) أخرجه الشافعي في الأم (١ / ٢٣٩ - ٢٤٠) والبيهقي في السنن (٤ / ٣٩) ورجاله كلهم ثقات .

(٣) عبد الله بن الحارث الأنصاري أبو الوليد البصري ، ثقة من رجال الشيخين .
تهذيب التهذيب (٥ / ١٨١ - ١٨٢) .

(٤) معاذ بن الحارث الأنصاري النجاري أبو حليمة ويقال أبو الحارث المدني القاري ، قال ابن عبد البر شهد الخندق ، ويقال لم يدرك من حياة رسول الله ﷺ إلا ست سنين ، وهو الذي أقامه عمر فيمن أقام في رمضان ليصلي التراويح ، يقال إنه قتل يوم الحرة .
تهذيب التهذيب (١٠ / ١٨٨ - ١٨٩) .

(٥) فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤٥) رقم ١٠٧ ، قال الألباني : « إسناده موقوف صحيح ، وأبو حليمة معاذ هو ابن الحارث الأنصاري القاري قال ابن أبي حاتم : (٤ / ١ / ٢٤٦) » وهو الذي أقامه عمر يصلي بهم في شهر رمضان صلاة التراويح » وعبد الله بن الحارث هو أبو الوليد البصري ثقة من رجال الشيخين » . ورواه ابن نصر في « قيام الليل » (ص ١٣٦) بلفظ « كان يقوم في القنوت في رمضان يدعو ويصلي على النبي ﷺ ، ويستسقي الغيث » .

(٦) جلاء الأفهام (ص ٢٧٩ - ٢٨١) .

لا تصح إلا بها ، ورواه البيهقي عن عبادة بن الصامت وغيره من الصحابة .

وقال مالك وأبو حنيفة : تستحب وليست بواجبة ، وهو وجه لأصحاب الشافعي .

والدليل على مشروعيتها في صلاة الجنازة ، ما روى الشافعي بسنده عن الزهري ، قال أخبرني أمامة بن سهل ، أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًا في نفسه ثم يصلي على النبي ﷺ ، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات لا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم سرا في نفسه[1] .

وروى إسماعيل بن اسحاق في كتاب « الصلاة على النبي ﷺ » بسنده عن الزهري قال سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف[2] يحدث سعيد بن المسيب[3] قال : إن السنة في صلاة الجنازة أن يقرأ بفاتحة الكتاب ، ويصلي على النبي ﷺ ثم يخلص الدعاء للميت حتى يفرغ ، ولا يقرأ إلا مرة واحدة ، ثم يسلم في نفسه[4] .

---

(١) الأم (١ / ٢٣٩ - ٢٤٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٤ / ٣٩) .

(٢) أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري ، ولد في حياة النبي ﷺ وسمي باسم جده لأمه أسعد بن زرارة وكني بكنيته ، وكان من أكابر الأنصار وعلمائهم ، توفي سنة مائة للهجرة .
تهذيب التهذيب (١ / ٢٦٣ - ٢٦٤) .

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي ، وسيد التابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة ، وكان زاهدًا ورعًا يعيش من كسب يده توفي سنة ٩٤ هـ . تهذيب التهذيب (٤ / ٨٤ - ٨٨) .

(٤) فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٩) رقم ٩٤ . و قال الألباني في تعليقه على هذا الكتاب : إسناده صحيح ، وأبو أمامة هذا صحابي صغير كما قال ابن القيم ، وقد رواه عن جماعة من الصحابة ، فقال يونس عن ابن شهاب ، قال أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف - وكان من كبراء الأنصار وعلمائهم ، وأبناء الذين شهدوا بدرا مع رسول الله ﷺ - أخبره رجال من أصحاب رسول الله في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يصلي على النبي ﷺ الحديث نحوه وزاد : قال الزهري : حدثنا بذلك أبو أمامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر ذلك عليه . =

وأبو أمامة هذا صحابي صغير ، وقد رواه عن صحابي آخر كما ذكره الشافعي .

وقال صاحب « المغني »[1] يروى عن ابن عباس أنه صلى على جنازة بمكة فكبر ، ثم قرأ وجهر وصلى على النبي ﷺ ، ثم دعا لصاحبه فأحسن ثم انصرف ، وقال : هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنازة .

وفي الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي[2] حدثنا مالك بن أنس عن سعيد بن أبي سعيد المقبري[3] عن أبيه[4] أنه سأل أبا هريرة كيف نصلي على الجنازة ؟ فقال أبو هريرة رضي اللّه عنه : أنا لعمر اللّه أخبرك ، أتبعها من أهلها ، فإذا وضعت كبرت وحمدت اللّه تعالى ، وصليت على النبي ﷺ ، ثم أقول :

= قال ابن شهاب : فذكرت الذي أخبرني أبو أمامة من السنة في الصلاة على الميت لمحمد بن سويد فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاها على الميت مثل الذي حدثنا أبو امامة .

أخرجه الحاكم (١ / ٣٦٠) وعنه البيهقي (٤ / ٣٩ ، ٤٠) وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، ورواه النسائي (١ / ٢٨١) من طريق الليث عن ابن شهاب به مختصرا » انتهى .

(١) (٢ / ٤٨٦) .

(٢) يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي بالولاء ، أبو محمد عالم الأندلس في عصره بربري الأصل ، سمع الموطأ من مالك قال عنه الإمام مالك هذا عاقل أهل الأندلس ، توفي بقرطبة سنة ٢٣٤ هـ . الأعلام (٨ / ١٧٦) .

(٣) سعيد بن كيسان المقبري أبو سعد المدني ، ثقة جليل تغير قبل موته بأربع سنين ، مات في حدود العشرين ومائة وقيل قبلها وقيل بعدها . تهذيب التهذيب (٤ / ٣٨ - ٤٠) .

(٤) كيسان أبو سعيد المقبري مولى أم شريك ، تابعي ثقة كثير الحديث توفي سنة مائة للهجرة . تهذيب التهذيب (٨ / ٤٥٣ - ٤٥٤) .

اللهم إنه عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ، كان يشهد أن لا إله إلا أنت ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به ، اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه ، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده »[١] .

إذا تقرر هذا فالمستحب أن يصلى عليه ﷺ في الجنازة كما يصلى عليه في التشهد ، لأن النبي ﷺ علم ذلك أصحابه لما سألوه عن كيفية الصلاة عليه .

وفي مسائل « عبد الله بن أحمد » عن أبيه قال : يصلى على النبي ﷺ ويصلى على الملائكة المقربين .

قال القاضي : يقول : اللهم صل على ملائكتك المقربين وأنبيائك والمرسلين ، وأهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين ، إنك على كل شيء قدير[٢] .

الموطن الخامس من مواطن الصلاة عليه ﷺ : في الخطب كخطبة الجمعة والعيدين ، والإستسقاء ، وغيرها :

وقد اختلف في اشتراطها لصحة الخطبة

قال الشافعي وأحمد في المشهور من مذهبهما : لا تصح الخطبة إلا بالصلاة عليه ﷺ .

وقال أبو حنيفة ومالك : تصح بدونها ، وهو وجه في مذهب أحمد واحتج لوجوبها في الخطبة بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ

---

(١) الموطأ (ص ١٥١ - ١٥٢) ح ٥٣٥، وأخرجه إسماعيل القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٩) ح ٩٣ . وقال الألباني المحقق عند تعليقه عليه : إسناده موقوف صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه البيهقي في السنن (٤ / ٤٠) .

(٢) جلاء الأفهام (ص ٢٨١ - ٢٨٤) .

وِزْرَكَ * ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[١]

قال ابن عباس رضي اللّه عنهما : رفع اللّه ذكره ، فلا يذكر إلا ذكر معه .

وفي هذا الدليل نظر ، لأن ذكره ﷺ مع ذكر ربه هو الشهادة له بالرسالة إذا شهد لمرسله بالوحدانية ، وهذا هو الواجب في الخطبة قطعا بل هو ركنها الأعظم ، وقد روى أبو داود ، وأحمد وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء[٢]واليد الجذماء : المقطوعة ، فمن أوجب الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة دون التشهد فقوله في غاية الضعف .

وقد روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن قتادة ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ رفع اللّه ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ، ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها : أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدا رسول اللّه[٣] .

وعن الضحاك ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال إذا ذكرت ذكرت معي ولا يجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك[٤]معي .

وعن مجاهد ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال : لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد

---

(١) الآيات (١ - ٤) من سورة الشرح .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢ / ٣٠٢ ، ٣٤٣) .
وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في الخطبة (٥ / ١٧٣) ح ٤٨٤١ وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح (٣ / ٤١٤) ح ١١٠٦ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٣) تفسير الطبري (٣٠ / ٢٣٥) .

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد (٦ / ٣٦٣) .

أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدا رسول اللّه[١] .

فهذا هو المراد من الآية ، وكيف لا يجب التشهد الذي هو عقد الإسلام في الخطبة ، وهو أفضل كلماتها وتجب الصلاة على النبي ﷺ فيها .

والدليل على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة ما رواه الإمام أحمد في المسند بسنده عن عون بن أبي جحيفة[٢] قال : كان أبى[٣] من شرط علي ، وكان تحت المنبر ، فحدثني : أنه صعد المنبر - يعني عليا - رضي اللّه عنه فحمد اللّه وأثني عليه وصلى على النبي ﷺ وقال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر ، وقال يجعل اللّه الخير حيث شاء[٤] .

قال ابن القيم : « وقد كانت الصلاة على النبي ﷺ في الخطب أمرًا مشهورًا معروفًا عند الصحابة رضي اللّه عنهم أجمعين .

أما وجوبها فيعتمد دليلا يجب المصير إليه وإلى مثله[٥] .

الموطن السادس من مواطن الصلاة عليه ﷺ : الصلاة عليه بعد إجابة المؤذن وعند الإقامة :

لما روى مسلم في صحيحه من حديث عبد اللّه بن عمرو أنه سمع رسول اللّه

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠ / ٢٣٥) .

(٢) عون بن أبي جحيفة وهب بن عبد اللّه السوائي الكوفي ، ثقة من الرابعة ، مات سنة ست عشرة ومائة . تهذيب التهذيب (٨ / ١٧٠) .

(٣) واسمه وهب بن عبد اللّه السوائي (بضم المهملة) ويقال اسم أبيه وهب ايضا ، أبو جحيفة مشهور بكنيته ، ويقال له وهب الخير ، قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره وحفظ عنه ثم صحب عليا بعده وولاه شرطة الكوفة . مات سنة أربع وستين . الإصابة (٣ / ٦٠٦) .

(٤) المسند (١ / ١٠٦) .

(٥) جلاء الأفهام (ص ٢٨٦) .

ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ، فإن من صلى علي صلاة صلى اللّٰه عليه بها عشرا ، ثم سلوا اللّٰه لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللّٰه تعالى ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل اللّٰه لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي »[١] .

الموطن السابع من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند الدعاء :

والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد[٢] رضي اللّٰه عنه قال : سمع رسول اللّٰه ﷺ رجلا يدعو في صلاة لم يحمد اللّٰه ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال رسول اللّٰه ﷺ : « عجل هذا » ثم دعاه ، فقال له أو لغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بما شاء »[٣] .

وعن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه قال : « إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ »[٤] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٢٦

(٢) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي ، صحابي جليل أسلم قديما ولم يشهد بدرًا ، وشهد أحدًا فما بعدها وشهد فتح مصر والشام قبلها ، مات في خلافة معاوية .
الإصابة (٣ / ٢٠١) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦ / ١٧) . ، وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء (٢ / ١٦٢) ح ١٤٨١ ، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات ، باب ادع تجب (٥ / ٥١٧) ح ٣٤٧٣ ، ٣٤٧٥ وقال : حديث حسن صحيح . وأخرجه النسائي في سننه (٣ / ٤٤) باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ . والحاكم في المستدرك (١ / ٢٣٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢ / ٣٥٦) .
وقال أحمد شاكر بهامشه : « هذا موقوف بحكم المرفوع » وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي (١ / ١٥٠ ، ١٥١) . وقال : « حسن – الصحيحه ٢٠٣٥ » .

الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند دخول المسجد وعند الخروج منه

لما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ، وليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم أجرني من الشيطان الرجيم »[١] .

وعن فاطمة بنت الحسين[٢] عن جدتها فاطمة الكبرى[٣] قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ، وقال : « رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم وقال : « رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك »[٤] .

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٤٥٢) وابن حبان (٣٢١) موارد .

(٢) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية المدنية روت عن أبيها وأخيها زين العابدين وغيرهم ، وزوجها هو ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي ، وتزوجها بعده عبد الله بن عمرو بن عثمان . وذكرها ابن حبان في الثقات ، وقال : ماتت وقد قاربت التسعين .
تهذيب التهذيب (١٢ / ٤٤٢ - ٤٤٣) .

(٣) فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، أم الحسنين سيدة نساء هذه الأمة ، تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في السنة الثانية للهجرة ، وماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر وقد جاوزت العشرين بقليل . تقريب التهذيب (ص ٤٧١) .

(٤) أخرجه بهذا اللفظ : الإمام أحمد في المسند (٦ / ٢٧٢) . والترمذي في السنن أبواب الصلاة باب ما جاء ما يقول عند دخول المسجد (٢ / ١٢٧ ، ١٢٨) ح ٣١٤ ، وقال الترمذي : « وفي الباب عن أبي حميد ، وأبي أسيد ، وأبي هريرة » ، وقال : « حديث فاطمة حديث حسن ، وليس إسناده بمتصل وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى ، وإنما عاشت فاطمة بعد النبي ﷺ أشهرا » . وأخرجه بلفظ : « إذا دخل المسجد يقول « بسم الله والسلام على رسول الله اللهم =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية « والصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد

= اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج قال « بسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » . الإمام أحمد في المسند (٦ / ٢٨٣) . وابن ماجة في السنن ، أبواب المساجد ، الدعاء عند دخول المسجد (١ / ١٣٩) ح ٧٥٥ وله شاهد من حديث أبي حميد وأبي أسيد الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، فإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك » . أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (١ / ٣١٧ ، ٣١٨) ح ٤٦٥ وهو عند مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب ما يقول إذا دخل المسجد (٢ / ١٥٥) بلفظ « إذا دخل المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج فليقل : « اللهم افتح لي أبواب فضلك » وهو عند أحمد بهذا اللفظ (٥ / ٤٢٥) . وهو عند النسائي بهذا اللفظ أيضا ، انظر السنن كتاب المساجد باب القول عند دخول المسجد والخروج منه (٢ / ٥٣) وفي سنن ابن ماجه ، أبواب المساجد ، باب الدعاء عند دخول المسجد (١ / ١٣٩) ح ٧٥٦ ، قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم ثم ليقل « اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل « اللهم إني أسألك من فضلك » . وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم » أخرجه ابن ماجة في سننه ، أبواب المساجد ، باب الدعاء عند دخول المسجد (١ / ١٣٩) ح ٧٥٧ ، وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول إذا دخل المسجد ح ٩٠ وفيه : فليقل : « اللهم باعدني من الشيطان » بدل قوله : « اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم » . وأخرجه من طريق آخر عن أبي هريرة ولم يذكر فيه السلام ح ٩١ ، ٩٢ وتعرض النسائي هنا لاختلاف ألفاظ الحديث فليراجع .

والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤٥٢) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٢٠٧) كتاب الصلاة ولفظه عند الحاكم « إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي ﷺ وليقل : اللهم أجرني من الشيطان الرجيم » وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٨) .

مأثور عنه ﷺ وعن غير واحد من الصحابة والتابعين »[١] .

وقال القاضي عياض : « ومن مواطن الصلاة والسلام عند دخول المسجد » وذكرا عددًا من الآثار عن بعض الأئمة[٢] .

الموطن التاسع من مواطن الصلاة عليه ﷺ : على الصفا والمروة

لما روى إسماعيل بن إسحاق القاضي بسنده عن نافع[٣]أن عمر رضي اللَّه عنه كان يكبر على الصفا ثلاثا ، ويقول : لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو ويطيل القيام والدعاء ، ثم يفعل على المروة نحو ذلك[٤] .

وعن وهب بن الأجدع[٥] قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه يخطب الناس بمكة يقول : إذا قدم الرجل منكم حاجا فليطف بالبيت سبعا وليصل عند المقام ركعتين ثم يستلم الحجر الأسود ، ثم يبدأ بالصفا ، فيقوم عليها ويستقبل البيت فيكبر سبع تكبيرات بين كل تكبيرتين حمد اللَّه عز وجل

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٤٧) .

(٢) الشفا (٢ / ٦٣٧) .

(٣) نافع الفقيه مولى ابن عمر أبو عبد اللَّه المدني ، ثقة ثبت فقيه مشهور قال البخاري : « أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر » مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك .
تهذيب التهذيب (١٠ / ٤١٢ - ٤١٤) .

(٤) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٦ - ٣٧) ح ٨٧ .
وقال الألباني في تعليقه عليه : « إسناده موقوف منقطع فإن نافعا لم يدرك عمر ، ولكن في « جلاء الأفهام » نقلا عن المصنف « أن ابن عمر » فان صح هذا فيكون قد سقط من نسختنا لفظة (ابن) ويكون السند حينئذ متصلا صحيحا ، وهذا مما أستبعده ، واللَّه أعلم » انتهى كلامه .

(٥) وهب بن الأجدع الهمداني الخارفي الكوفي ، تابعي ثقة ، روي عن عمر وعلي وعنه هلال بن سياف والشعبي ، وكان قليل الحديث . تهذيب التهذيب (١ / ١٥٨) .

وثناء عليه عز وجل ، وصلاة على النبي ﷺ ، ومسألة لنفسه وعلى المروة مثل ذلك[١] .

الموطن العاشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند اجتماع القوم قبل تفرقهم :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما جلس قوم مجلسا فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم ترة[٢] يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم ، وإن شاء أخذهم »[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « ما جلس قوم مجلسًا لم يصل فيه على النبي ﷺ إلا كانت عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة »[٤] .

---

(١) أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٤) ح ٨١ وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٢٩٢ - ٢٩٣) وعزاه لجعفر بن عون وأبي ذر الهروي . وأورده السخاوي في القول البديع (ص ٢٠٩) وعزاه للبيهقي وإسماعيل القاضي وأبي ذر الهروي وقال - أي السخاوي - إسناده قوي .

(٢) « ترة » : النقص ، وقيل التبعة . النهاية (١ / ١٨٩) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٤٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٨١ ، ٤٨٤) وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الدعاء ، باب في القوم يجلسون لا يذكرون الله (٥ / ٤٦١) ح ٣٣٨٠ وقال حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٥٩) ح ٤٤٩ وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٤٩٦) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصالح ليس بالساقط وتعقبه الذهبي بقوله صالح ضعيف . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر : موارد الظمآن (٢٣٢٢) .

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣١٤) ح ٤١٠ وأخرجه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٢٢) ح ٥٥ وقال الألباني في تعليقه عليه : « إسناده صحيح موقوف ولكنه في حكم المرفوع » .

وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « ما جلس قوم مجلسًا ثم تفرقوا من غير صلاة على النبي ﷺ إلا تفرقوا على أنتن من ريح جيفة »[1] .

الموطن الحادي عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند ذكره

قال ابن القيم : « وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ فقال أبو جعفر الطحاوي[2] وابو عبيد الله الحليمي : تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه .

وقال غيرهما : إن ذلك مستحب ، وليس بفرض يأثم تاركه . ثم اختلفوا :

فقالت فرقة : تجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة ، لأن الأمر مطلق لا يقتضي تكرارا ، والماهية تحصل بمرة ، وهذا محكي عن أبي حنيفة ومالك ، والثوري ، والأوزاعي[3] .

قال القاضي عياض وابن عبد البر : وهو قول جمهور الأمة .

وقالت فرقة : بل تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير كما تقدم ، وهو قول الشافعي وأحمد في آخر الروايتين عنه ، وغيرهما .

وقالت فرقة : الأمر بالصلاة عليه أمر استحباب لا أمر إيجاب ، وهذا قول ابن جرير وطائفة ، وادعى ابن جرير فيه الإجماع ، وهذا على أصله فإنه إذا رأي الأكثرين على قول ، جعله إجماعا يجب اتباعه .

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣١٤) ح ٤١١ .

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، أبو جعفر ، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر ، وهو أحد الثقات الأثبات الحفاظ ، توفي سنة ٣٢١ هـ . الأعلام (١ / ٢٠٦) .

(٣) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، أصله من سبي السند استقر بدمشق وهو من شيوخ الإسلام كان عابدًا مجاهدًا ، قال عنه الحاكم : « الأوزاعي إمام عصره عموما وإمام أهل الشام خصوصا » ، توفي ببيروت عام ١٥٧ هـ . البداية والنهاية (١٠ / ١١٥ - ١٢٠) .

واحتج الموجبون بحجج :

الحجة الأولى : حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة »(١) .

ورغم أنفه : دعاء عليه وذم له ، وتارك المستحب لا يذم ولا يدعى عليه

الحجة الثانية : حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه صعد المنبر فقال : « آمين ، آمين ، آمين ، فقيل له : يارسول اللّٰه ، ما كنت تصنع هذا ؟ فقال : « قال لي جبريل رغم أنف عبد دخل عليه رمضان ولم يغفر له ، فقلت : آمين ، ثم قال : رغم أنف عبد أدرك أبويه أو أحدهما الكبر لم يدخل الجنة ، فقلت : آمين ثم قال : رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين(٢) » .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ : « رغم أنف رجل » (٥ / ٥٥٠) ح ٣٥٤٥ وقال : « وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي .
وأخرجه إسماعيل بن اسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٩) ح ١٦ وقال الألباني في تعليقه عليه إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٩) ح ١٨ وقال الألباني في تعليقه عليه : « إسناده حسن » . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر : موارد الظمآن (٢٣٨٧) والحديث روي كذلك من طرق أخرى عن كل من :
١ - كعب بن عجرة رضي اللّٰه عنه :
أخرجه إسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٠) ح ١٩ .
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ١٥٣ ، ١٥٤) وصححه ووافقه الذهبي . =

الحجة الثالثة : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ذكرت عنده فليصل علي ، فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ﷺ »[1] . وهذا إسناد صحيح والأمر ظاهره الوجوب .

الحجة الرابعة : حديث الحسين بن علي[2] رضي الله عنهما عن النبي ﷺ

= ٢ - أنس بن مالك رضي الله عنه :

قال السخاوي في القول البديع (ص ١٤٨) أخرجه ابن أبي شيبة والبزار في مسنديهما .

٣ - مالك بن الحويرث رضي الله عنه :

أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٨٦) موارد ، وقال السخاوي (ص ١٤٨)

أخرجه ابن حبان في صحيحه وثقاته معا ، والطبراني ورجاله ثقات لكن فيهم عمران بن أبان الواسطي وهو وإن وثقه ابن حبان وأخرج حديثه هذا في صحيحه فقد ضعفه غير واحد .

٤ - جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٥) . وقال السخاوي في كتابه القول البديع (ص ١٤٨) : رواه البخاري في الأدب المفرد والطبري في تهذيبه والدارقطني في الأفراد وهو حديث حسن ونحوه من وجه آخر عند الطبراني في الأوسط وابن السني في عمل اليوم والليلة ، وأشار إليه الترمذي في جامعه بقوله وفي الباب عن جابر وقد أخرجه النسائي وساقه الضياء في المختارة من طريق الطيالسي وقال هذا عندي على شرط مسلم . انتهى وفي ذلك نظر والله أعلم .

٥ - جابر بن سمرة :

قال السخاوي : أخرجه الدارقطني في الأفراد والبزار في مسنده ، والطبراني في الكبير والدقيقي في أماليه . وللحديث طرق أخرى ذكرها السخاوي في القول البديع (ص ١٤٧ - ١٥١) ولا يتسع المجال هنا لذكرها . قال ابن القيم « ولا ريب أن الحديث بتلك الطرق المتعددة تفيد الصحة » جلاء الأفهام (ص ٢٩٥) .

(١) أخرجه النسائي في اليوم والليلة رقم (٦١) وابن السني (٣٨٣) وإسناده صحيح . وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٣) .

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة . الإصابة (١ / ٣٣١ - ٣٣٤) .

أنه قال : « إن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[١] .

وعن عوف بن مالك الأشجعي أن رسول الله ﷺ قعد أو قعد أبو ذر ـ فذكر حديثا طويلا ـ وفيه قال رسول الله ﷺ : « إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل عليّ »[٢] .

قالوا : فإذا ثبت أنه بخيل فوجه الدلالة به من وجهين :

أحدهما : أن البخل اسم ذم ، وتارك المستحب لا يستحق اسم الذم قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾[٣] فقرن البخل بالاختيال والفخر ، والآمر بالبخل ، وذم على المجموع ، فدل على أن البخل صفة ذم ، وقال النبي ﷺ : « وأي داء أدوأ من البخل »[٤] .

الثاني : أن البخيل هو مانع ما وجب عليه ، فمن أدى الواجب عليه كله لم يسم بخيلا ، وإنما البخيل مانع ما يستحق عليه إعطاؤه وبذله .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٠١) . والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب قول رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل » (٥ / ٥٥١) ح ٣٥٤٦ وقال : حديث حسن صحيح غريب والنسائي في اليوم والليلة (٥٥) . وابن حبان في « صحيحه » (٢٣٨٨) موارد .
والحاكم في المستدرك (١ / ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي .
وأخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٥) ح ٣٣ .

(٢) أخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي (ص ١٦) رقم ٣٧ وقال الألباني في تعليقه عليه : حديث صحيح بشاهده المتقدم والآتي بعده ، ورجال إسناده ثقات لولا الرجل الذي لم يسم . وقد رواه ابن أبي عاصم في « كتاب الصلاة » من طريق أخرى عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي ذر ، فأحد الطريقين يقوى الآخر .

(٣) الآيتان (٢٣ - ٢٤) من سورة الحديد .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٩٦) عن جابر رضي الله عنه والإمام أحمد في المسند (٣ / ٣٠٧) .

الحجة الخامسة : أن الله سبحانه وتعالى أمر بالصلاة والتسليم عليه ، والأمر المطلق للتكرار ، ولا يمكن أن يقال : التكرار هو كل وقت ، فإن الأوامر المكررة إنما تتكرر في أوقات خاصة ، أو عند شروط وأسباب تقتضي تكرارها ، وليس وقت أولى من وقت ، فتكرار المأمور بتكرار ذكر النبي ﷺ أولى لما تقدم من النصوص ، فهنا ثلاث مقدمات :

الأولى : أن الصلاة مأمور بها أمرا مطلقا ، وهذه معلومة .

المقدمة الثانية : أن الأمر المطلق يقتضي التكرار ، وهذا مختلف فيه فنفاه طائفة من الفقهاء والأصوليين . وأثبته طائفة . وفرقت طائفة بين الأمر المطلق والمعلق على شرط أو وقت ، فأثبتت التكرار في المعلق دون المطلق .

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد والشافعي ، وغيرهما .

ورجحت هذه الطائفة التكرار بأن عامة أوامر الشرع على التكرار كقوله تعالى : ﴿ ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[1] وقوله ﴿ ٱدْخُلُوا فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿ وَخَافُونِ ﴾[7]

(١) الآية (٧) من سورة الحديد .
(٢) الآية (٢٠٨) من سورة البقرة .
(٣) الآية (٥٩) من سورة النساء .
(٤) الآية (١٩٤) من سورة البقرة .
(٥) الآية (٤٣) من سورة البقرة .
(٦) الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران .
(٧) الآية (١٧٥) من سورة آل عمران .

وقوله : ﴿ وَٱخْشَوْنِي ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ ﴾[2] ، وقوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[3] .

وذلك في القرآن أكثر من أن يحصر ، وإذا كانت أوامر الله ورسوله على التكرار حيث وردت إلا في النادر ، علم أن هذا عرف خطاب الله ورسوله للأمة، والأمر وإن لم يكن في لفظه المجرد ما يؤذن بتكرار ولا فور فلا ريب أنه في عرف خطاب الشارع للتكرار ، فلا يحمل كلامه إلا على عرفه والمألوف من خطابه ، وإن لم يكن ذلك مفهومًا من أصل الوضع في اللغة ، وهذا كما قلنا : إن الأمر يقتضي الوجوب ، والنهي يقتضي الفساد ، فإن هذا معلوم من خطاب الشارع وإن كان لا تعرض لصحة المنهي ولا لفساده في أصل موضوع اللغة ، وكذا خطاب الشارع لواحد من الأمة يقتضي معرفة الخاص أن يكون اللفظ متناولًا له ولأمثاله ، وإن كان موضوع اللفظ لغة لا يقتضي ذلك ، فإن هذا لغة صاحب الشرع وعرفه في مصادر كلامه وموارده ، وهذا معلوم بالاضطرار من دينه قبل أن يعلم صحة القياس واعتباره وشروطه ، وهكذا الفرق بين اقتضاء اللفظ وعدم اقتضائه لغة ، وبين اقتضائه في عرف الشارع وعادة خطابه .

المقدمة الثالثة : أنه إذا تكرر المأمور به ، فإنه لا يتكرر إلا بسبب أو وقت ، وأولى الأسباب المقتضية لتكراره ذكر اسمه ﷺ ، لإخباره برغم أنف من ذكر عنده فلم يصل عليه ، وللإسجال عليه بالبخل وإعطائه اسمه .

---

(١) الآية (١٥٠) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٧٨) من سورة الحج .

(٣) الآية (١٠٣) من سورة آل عمران .

قالوا : ومما يؤيد ذلك أن اللّٰه سبحانه أمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه عقب إخباره لهم بأنه وملائكته يصلون عليه ، لم يكن مرة وانقطعت . بل هي صلاة متكررة ، ولهذا ذكرها مبينًا بها فضله وشرفه وعلو منزلته عنده ، ثم أمر المؤمنين بها ، فتكرارها في حقهم أحق وآكد لأجل الأمر .

قالوا : ولأن اللّٰه أكد السلام بالمصدر الذي هو التسليم ، وهذا يقتضي المبالغة والزيادة في كميته ، وذلك بالتكرار .

قالوا : ولأن لفظ الفعل المأمور به يدل على التكثير وهو « صلى وسلم » فإن « فعّل » المشدد ، يدل على تكرار الفعل ، كقولك كسّر الخبز وقطّع اللحم ، وعلّم الخير ، وشدّد في كذا ، ونحوه .

قالوا : ولأن الأمر بالصلاة عليه في مقابل إحسانه إلى الأمة ، وتعليمهم وإرشادهم وهدايتهم ، وما حصل لهم ببركته من سعادة الدنيا والآخرة، ومعلوم أن مقابلة مثل هذا النفع العظيم لا يحصل بالصلاة عليه مرة واحدة في العمر ، بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفيًا لحقه ولا مؤديًا لنعمته ، فجعل ضابط شكر هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ .

قالوا : ولهذا أشار النبي ﷺ إلى ذلك بتسميته من لم يصل عليه عند ذكره بخيلًا ، لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم ، وحصل له به هذا الخير الجسيم ، ثم يذكر عنده ولا يثني عليه ولا يبالغ في حمده ومدحه وتمجيده ، ويبدي ذلك ويعيده ، ويعتذر من التقصير في القيام بشكره وحقه ، عده الناس بخيلًا لئيمًا كفورًا فكيف بمن أدنى إحسانه إلى العبد يزيد على أعظم إحسان المخلوقين بعضهم لبعض الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة ، ونجا من شر الدنيا والآخرة ، الذي لا تتصور القلوب حقيقةنعمته وإحسانه ، فضلًا

عن أن تقوم بشكره ، أليس هذا المنعم المحسن أحق بأن يعظم ويثنى عليه ، ويستفرغ الوسع في حمده ومدحه إذا ذكر بين الملأ ، فلا أقل من أن يصلى عليه مرة إذا ذكر اسمه ﷺ .

قالوا : ولهذا دعا عليه النبي ﷺ برغم أنفه ، وهو أن يلصق أنفه بالرغام وهو التراب ، لأنه لما ذكر عنده فلم يصل عليه استحق أن يذله الله ويلصق أنفه بالتراب .

قالوا : ولأن الله سبحانه نهي الأمة أن يجعلوا دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضا ، فلا يسمونه إذا خاطبوه باسمه ، كما يسمى بعضهم بعضا بل يدعونه برسول الله ونبي الله ، وهذا من تمام تعزيره وتوقيره وتعظيمه ، فهكذا ينبغي أن يخص باقتران اسمه بالصلاة عليه ، ليكون ذلك فرقا بينه وبين ذكر غيره ، كما كان الأمر بدعائه بالرسول والنبي فرقا بينه وبين خطاب غيره ، فلو كان عند ذكره لا تجب الصلاة عليه كان ذكره كذكر غيره في ذلك ، هذا على أحد التفسيرين في الآية ، وأما على التفسير الآخر وهو أن المعنى لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا الإجابة بالاعتذار والعلل التي يؤخر بها بعضكم إجابة بعض ولكن بادروا إليه إذا دعاكم بسرعة الإجابة ومعاجلة الطاعة حتى لم يجعل اشتغالهم بالصلاة عذرا لهم في التخلف عن إجابته والمبادرة إلى طاعته فإذا لم تكن الصلاة التي فيها شغل عذرًا يستباح بها تأخير إجابته فكيف ما دونها من الأسباب والأعذار ؟ فعلى هذا يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل ، وعلى القول الأول يكون مضافًا إلى المفعول .

وقد يقال ـ وهو أحسن من القولين ـ إن المصدر هنا لم يضف إضافته إلى فاعل ولا مفعول ، وإنما أضيف إضافة الأسماء المحضة ، ويكون المعنى : لا

تجعلوا الدعاء المتعلق بالرسول المضاف إليه كدعاء بعضكم بعضا ، وعلى هذا فيعم الأمرين معا ، ويكون النهي عن دعائهم له باسمه كما يدعو بعضهم بعضا ، وعن تأخير إجابته ﷺ ، وعلى كل تقدير فكما أمر الله سبحانه أن يميز في خطابه ودعائهم إياه قياما للأمة بما يجب عليه من تعظيمه وإجلاله فتمييزه بالصلاة عليه عند ذكر اسمه من تمام هذا المقصود .

قالوا : وقد أخبر النبي ﷺ « أن من ذكر عنده فلم يصل عليه خطئ طريق الجنة »[1] فلولا أن الصلاة عليه واجبة عند ذكره لم يكن تاركها مخطئًا لطريق الجنة .

قالوا : وأيضا فمن ذكر النبي ﷺ أو ذكر عنده فلم يصل عليه فقد جفاه ، ولا يجوز لمسلم جفاؤه ﷺ .

فالدليل على المقدمة الأولى : ما روي عن قتادة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي »[2] ﷺ .

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن ، أبواب إقامة الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ (١ / ١٦٤) ح ٨٩٥ وقال الألباني حسن صحيح (صحيح ابن ماجة ١ / ١٥٠) . وأخرجه إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٧ - ١٨) ح ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤
وقال الألباني في تعليقه عليه : « إسناده مرسل صحيح ، والحديث له طرق وإن كانت لا تخلو من ضعف فبعضها يقوي بعضًا فالحديث يرتقي بها إلى درجة الحسن على أقل الدرجات » انتهى كلامه . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١ / ٤١٨) مرسلا عن محمد بن الحنفية . وأخرجه الطبراني في الكبير (٣ / ١٣٨) رقم ٢٨٨٧ موصولا عن الحسين بن علي من طريق بشر بن محمد الكندي وهو ضعيف . انظر : مجمع الزوائد (١٠ / ١٦٤) . وأخرجه البيهقي في الشعب (١ / ٤١٩) عن أبي هريرة .

(٢) أورده ابن القيم وعزاه لسعيد بن الأعرابي « جلاء الأفهام (ص ٣٠١) » وأورده السخاوي في القول البديع (ص ١٥٢) وقال أخرجه النميري من وجهين من طريق عبد الرزاق وهو في جامعه ورواته ثقات .

ولو تركنا وهذا المرسل وحده لم نحتج به ، ولكن له أصول وشواهد قد تقدمت من تسمية تارك الصلاة عليه عند ذكره بخيلًا وشحيحًا ، والدعاء عليه بالرغم ، وهذا من موجبات جفائه .

والدليل على المقدمة الثانية : أن جفاءه مناف لكمال حبه ، وتقديم محبته على النفس والأهل والمال ، وأنه أولى بالمؤمن من نفسه فإن العبد لا يؤمن حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه ومن ولده ووالده والناس أجمعين ، كما ثبت عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال : يارسول الله ، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، قال : « لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك »

قال : فوالله لأنت الآن أحب إلي من نفسي ، قال : « الآن ياعمر[1] »

وثبت عنه في الصحيح أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[2]فذكر هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة فإن المحبة إما محبة إجلال وتعظيم ، كمحبة الوالد ، وإما محبة تحنن وود ولطف كمحبة الولد ، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال ، كمحبة الناس بعضهم بعضا ، ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول ﷺ عنده أشد من هذه المحاب كلها .

ومعلوم أن جفاءه ﷺ ينافي ذلك .

قالوا : فلما كانت محبته فرضا ، وكانت توابعها من الإجلال والتعظيم والتوقير والطاعة والتقديم على النفس ، وإيثاره بنفسه بحيث يقي نفسه بنفسه

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠٧

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٠٨

فرضا ، كانت الصلاة عليه ﷺ إذا ذكر من لوازم هذه الأحبية وتمامها .

قالوا : وإذا ثبت بهذه الوجوه وغيرها وجوب الصلاة عليه ﷺ على من ذكر عنده ، فوجوبها على الذاكر نفسه أولى ، ونظير هذا أن سامع السجدة إذا أمر بالسجود إما وجوبا أو استحبابا ، فوجوبها على التالي أولى ، والله أعلم .

قال نفاة الوجوب : الدليل على قولنا من وجوه :

أحدها : أن من المعلوم الذي لا ريب فيه أن السلف الصالح الذين هم القدوة لم يكن أحدهم كلما ذكر النبي ﷺ يقرن الصلاة عليه باسمه ، وهذا في خطابهم للنبي ﷺ أكثر من أن يذكر فإنهم كانوا يقولون يارسول الله ، مقتصرين على ذلك وربما كان يقول أحدهم « صلى الله عليك » وهذا في الأحاديث ظاهر كثير ، فلو كانت الصلاة عليه واجبة عند ذكره لأنكر عليهم تركها .

الثاني : أن الصلاة عليه لو كانت واجبة كلما ذكر لكان هذا من أظهر الواجبات ، ولبينه النبي ﷺ لأمته بيانًا يقطع العذر وتقوم به الحجة .

الثالث : أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم هذا القول ، ولا يعرف أحد منهم قال به ، وأكثر الفقهاء - بل قد حكى الإجماع - على أن الصلاة عليه ﷺ ليست من فروض الصلاة ، وقد نسب القول بوجوبها إلى الشذوذ ومخالفة الإجماع السابق ، فكيف تجب خارج الصلاة .

الرابع : أنه لو وجبت الصلاة عليه عند ذكره دائمًا ، لوجب على المؤذن أن يقول : أشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ ، وهذا لا يشرع له في الأذان فضلا أن يجب عليه .

الخامس : أنه كان يجب على من سمع النداء وأجابه أن يصلي عليه ﷺ ، وقد أمر ﷺ السامع أن يقول كما يقول المؤذن ، وهذا يدل على جواز

اقتصاره على قوله « اشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا رسول اللّه » فان هذا مثل ما قال المؤذن .

السادس : أن التشهد الأول ينتهي عند قوله « وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله » اتفاقا ، واختلف هل يشرع أن يصلي على النبي ﷺ وعلى آله فيه ، على ثلاثة أقوال :

أحدها : لا يشرع ذلك إلا في الأخير .

والثاني : يشرع .

والثالث : تشرع الصلاة عليه خاصة دون آله ، ولم يقل أحد بوجوبها في الأول عند ذكر النبي ﷺ .

السابع : أن المسلم إذا دخل في الإسلام بتلفظه بالشهادتين لم يحتج أن يقول أشهد أن محمدا رسول اللّه ﷺ .

الثامن : أن الخطيب في الجمع والأعياد وغيرهما لا يحتاج أن يصلي على النبي ﷺ في نفس التشهد ، ولو كانت الصلاة واجبة عليه عند ذكره لوجب عليه أن يقرنها بالشهادة ، ولا يقال تكفي الصلاةعليه في الخطبة فإن تلك الصلاة لا تنعطف على ذكر اسمه عند الشهادة ، ولا سيما مع طول الفصل ، والموجبون يقولون : تجب الصلاة عليه كلما ذكر ومعلوم أن ذكره ثانيًا غير ذكره أولًا .

التاسع : أنه لو وجبت الصلاةعليه كلما ذكر لوجبت على القارئ كلما مر ذكر اسمه أن يصلي عليه ، ويقطع لذلك قراءته ليؤدي هذا الواجب ، وسواء كان في الصلاة أو خارجها ، فإن الصلاة عليه ﷺ لا تبطل الصلاة ، وهي واجب قد تعين فلزم أداؤه ، ومعلرم أن ذلك لو كان واجبًا لكان

الصحابة والتابعون أقوم به وأسرع إلى أدائه وترك إهماله .

العاشر : أنه لو وجبت الصلاة عليه كلما ذكر لوجب الثناء على اللَّه عز وجل كلما ذكر اسمه ، فكان يجب على من ذكر اسم اللَّه أن يقرنه بقوله : « سبحانه وتعالى » أو « عز وجل » أو « تبارك وتعالى » أو « جلت عظمته » أو « تعالى جده » ونحو ذلك ، بل كان ذلك أولى وأحرى فإن تعظيم الرسول وإجلاله ومحبته وطاعته تابع لتعظيم مرسله سبحانه وإجلاله ومحبته وطاعته ، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول ﷺ دون مرسله ، بل انما يثبت ذلك له تبعا لمحبة اللَّه وتعظيمه وإجلاله ، ولهذا كانت طاعة الرسول طاعة للَّه ، فمن يطع الرسول فقد أطاع اللَّه ، ومبايعته مبايعة للَّه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[1]ومحبته محبة للَّه قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]، وتعظيمه تعظيم للَّه ، ونصرته نصرة للَّه ، فإنه رسوله وعبده الداعي إليه وإلى طاعته ومحبته وإجلاله ، وتعظيمه وعبادته وحده لا شريك له ، فكيف يقال تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه ، وهي ثناء وتعظيم كما تقدم ، ولا يجب الثناء والتعظيم للخالق سبحانه وتعالى كلما ذكر اسمه ؟ هذا محال من القول .

الحادي عشر : لو جلس إنسان ليس له هجيرى[3]إلا قوله : محمد رسول اللَّه ، أو اللهم صل على محمد ، وبشر كثير يسمعونه ، فإن قلتم تجب على كل أولئك السامعين أن يكون هجيراهم الصلاة عليه ﷺ ، ولو طال المجلس

(١) الآية (١٠) من سورة الفتح .

(٢) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٣) هجيرى : الدأب والشأن .

ما طال ، كان ذلك حرجا ومشقة وتركا لقراءة قارئهم ، ودراسة دارسهم ، وكلام صاحب الحاجة منهم ، ومذاكرته في العلم ، وتعليمه القرآن وغيره ، وإن قلتم لا تجب عليهم الصلاة عليه في هذه الحال ، نقضتم مذهبكم ، وإن قلتم : تجب عليه مرة أو أكثر ، كان تحكما بلا دليل مع أنه مبطل لقولكم .

الثاني عشر : أن الشهادة له بالرسالة أفرض وأوجب من الصلاة عليه بلا ريب ، ومعلوم أنه لا يدخل في الإسلام إلا بها ، فإذا كانت لا تجب كلما ذكر اسمه ، فكيف تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه ، وليس من الواجبات بعد كلمة الاخلاص أفرض من الشهادة له بالرسالة ، فمتى أقر له بوجوبها عند ذكر اسمه تذكر العبد الإيمان وموجبات هذه الشهادة فكان يجب على كل من ذكر اسمه أن يقول محمد رسول الله ، ووجوب ذلك أظهر بكثير من وجوب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه .

ولكل فرقة من هاتين الفرقتين أجوبة عن حجج الفرقة المنازعة لها ، بعضها ضعيف جدا وبعضها محتمل ، وبعضها قوي ، ويظهر ذلك لمن تأمل حجج الفريقين ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب »[١] .

الموطن الثاني عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة

فعن أوس بن أوس[٢] قال : قال رسول الله ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي »

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٢٩٤ إلى ٣٠٥) .

(٢) أوس بن أوس الثقفي ، صحابي ، سكن الشام ومات بها .
الإصابة (١ / ٩٢) وتهذيب التهذيب (١ / ٣٨١) .

قالوا : يارسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ - يعني وقد بليت - فقال : « إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الآنبياء »(١)

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ / ٨) وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي (ص ١١) رقم ٢٢ . وأخرجه أبو داود في سننه (١ / ٦٣٥) كتاب الصلاة ، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ح ١٠٤٧
وأخرجه النسائي في السنن (٣ / ٩١) كتاب الجمعة ، باب ذكر فضل الجمعة .
وأخرجه ابن ماجة في سننه (١ / ١٩٥) أبواب إقامة الصلاة ، باب فضل الجمعة ح ١٠٧١ وفي أبواب ما جاء في الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١ / ٣٠٠) ح ١٦٣٧
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٦٠) وصححه ووافقه الذهبي .
ورواه ابن حبان في صحيحه . انظر الموارد (٥٥٠) .
قال ابن القيم : « وقد أعله بعض الحفاظ بأن حسينا الجعفي حدث به عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس ، قال ومن تأمل هذا الإسناد لم يشك في صحته ، لثقة رواته وشهرتهم وقبول الأئمة أحاديثهم وعلته : أن حسينًا الجعفي لم يسمع من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وإنما سمع من عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، وعبد الرحمن بن يزيد ابن تميم لا يحتج به ، فلما حدث به حسين الجعفي غلط في اسم الجد ، فقال ابن جابر ، وقد بين ذلك الحفاظ ونبهوا عليه .
فقال البخاري في « التاريخ الكبير » (٥ / ١٣٦٥) عبد الرحمن بن يزيد بن تميم السلمي الشامي عن مكحول ، سمع منه الوليد بن مسلم ، عنده مناكير ، ويقال : هو الذي روى عنه أبو أسامة وحسين الجعفي ، وقالا : هو يزيد بن جابر ، وغلطا في نسبه ويزيد بن تميم أصح ، وهو ضعيف الحديث . وقال الخطيب : روى الكوفيون أحاديث عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ووهموا في ذلك ، والحمل عليهم في تلك الأحاديث . وقال موسى بن هارون الحافظ : روى أبو أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وكان ذلك وهمًا منه ، وهو لم يلق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وإنما لقي عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، فظن أنه ابن جابر نفسه ، وابن تميم ضعيف . وقد أشار غير واحد من الحفاظ إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة .
وجواب هذا التعليل من وجوه :
أحدها : أن حسينًا الجعفي قد صرح بسماعه له من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر . =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت

= قال ابن حبان في « صحيحه » : حدثنا ابن خزيمة ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا حسين بن علي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، فصرح بالسماع منه .

وقولهم : إنه ظن أنه ابن جابر وإنما هو ابن تميم ، فغلط في اسم جده بعيد ، فإنه لم يكن يشتبه على حسين هذا بهذا ، مع نقده وعلمه بهما وسماعه منهما .

فإن قيل : فقد قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب « العلل » سمعت أبي يقول عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ، لا أعلم أحدًا من أهل العراق يحدث عنه ، والذي عندي أن الذي يروي عنه أبو أسامة وحسين الجعفي واحد ، وهو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم لأن أبا أسامة روى عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن القاسم عن أبي أمامة خمسة أحاديث أو ستة أحاديث منكرة ، لا يحتمل أن يحدث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بمثله ، ولا أعلم أحدا من أهل الشام روى عن ابن جابر من هذه الأحاديث شيئا . وأما حسين الجعفي فإنه يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث ، عن أوس بن أوس عن النبي ﷺ في يوم الجمعة أنه قال : « أفضل الأيام يوم الجمعة ، فيه الصعقة وفيه النفخة ، وفيه كذا » وهو حديث منكر لا أعلم أحدا رواه غير حسين الجعفي ، وأما عبد الرحمن بن يزيد بن تميم فهو ضعيف الحديث ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثقة ، تم كلامه . قيل : وقد تكلم في سماع حسين الجعفي ، وأبي أسامة من ابن جابر فأكثر أهل الحديث أنكروا سماع أبي أسامة منه . قال شيخنا (أبو الحجاج المزي) في التهذيب : قال ابن نمير - وذكر أبا أسامة - فقال : الذي يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يرى أنه ليس بابن جابر المعروف ، ذكر لي أنه رجل يسمى باسم ابن جابر ، قال يعقوب : صدق ، هو عبد الرحمن ابن فلان بن تميم ، فدخل عليه أبو أسامة فكتب عنه هذه الأحاديث فروى عنه ، وإنما هو إنسان يسمى بابن جابر . قال يعقوب : وكأني رأيت ابن نمير يتهم أبا أسامة أنه علم ذلك وعرف ولكن تغافل عن ذلك قال : وقال لي ابن نمير أما ترى روايته لا تشبه سائر حديثه الصحاح الذي روى عنه أهل الشام وأصحابه ؟ وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت محمد بن عبد الرحمن ابن أخي حسين الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، (فقال قدم الكوفة عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر) ثم قدم عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بعد ذلك بدهر والذي يحدث عنه أبو أسامة ليس هو ابن جابر ، بل هو ابن تميم وقال ابن داود سمع أبو أسامة من ابن المبارك عن ابن جابر وجميعا يحدثان عن مكحول ، وابن جابر أيضا دمشقي ، فلما قدم هذا قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد الدمشقي ، وحدث عن مكحول ، فظن أبو أسامة أنه ابن =

فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا هي مصيخة[١] يوم الجمعة ، من حين تصبح حتى تطلع الشمس ، شفقا من الساعة ، إلا الجن والانس ، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ، يسأل الله شيئا إلا أعطاه الله إياه »[٢] .

= جابر الذي روى عنه ابن المبارك وابن جابر ثقة مأمون يجمع حديثه ، وابن تميم ضعيف .
وقال أبو داود : متروك الحديث ، حدث عنه أبو أسامة وغلط في اسمه ، وقال : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الشامي وكل ما جاء عن أبي أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد ، فإنما هو ابن تميم .
وأما رواية حسين الجعفي عن ابن جابر ، فقد ذكر شيخنا في التهذيب وقال : روى عنه حسين بن علي الجعفي ، وأبو أسامة حماد بن أسامة إن كان محفوظا فجزم برواية حسين عن ابن جابر ، وشك في رواية حماد فهذا ما ظهر في جواب هذا التعليل .
ثم بعد أن كتبت ذلك رأيت الدارقطني قد ذكر ذلك نصا فقال في كلامه على كتاب أبي حاتم في « الضعفاء » قوله : حسين الجعفي روى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وأبو أسامة يروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم . فيغلط في اسم جده ، تم كلامه .
وللحديث علة أخرى : وهي أن عبد الرحمن بن يزيد لم يذكر سماعه من أبي الأشعث .
قال علي بن المديني : حدثنا الحسين بن علي بن الجعفي ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر سمعته يذكر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس ... فذكره .
وقال إسماعيل بن إسحاق في كتابه (ص ١١) رقم ٢٢ حدثنا على بن عبد الله ... فذكره .
وليست هذه بعلة قادحة فإن للحديث شواهد من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وأبي مسعود الأنصاري ، وأنس بن مالك والحسن عن النبي ﷺ » . انتهي كلام ابن القيم جلاء الأفهام (ص ٦٩ - ٧١) .

(١) مصيخة : أي مستمعة ، مصغية .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب فضل يوم الجمعة (٣ / ٦) وأخرجه الترمذي في سننه ، أبواب الجمعة ، باب ما جاء في فضل يوم الجمعة (٢ / ٣٥٩) ح ٤٨٨ .
وأخرجه النسائي في سننه ، كتاب الجمعة ، باب ذكر فضل يوم الجمعة (٣ / ٨٩) .
وأخرجه مالك في الموطأ (١ / ١٠٨) .

قال ابن القيم : « فهذا الحديث الصحيح مؤيد لحديث أوس بن أوس ، دال على مثل معناه »[١] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحدًا لا يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها » قال : قلت بعد الموت ؟ قال : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » فنبي الله حي يرزق »[٢] .

وعن أبي أمامة[٣] قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة ، فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم صلاة كان أقربهم مني منزلة »[٤] .

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٧١) .

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ، أبواب ما جاء في الجنائز ، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١ / ٣٠٠) ١٦٣٨ ، وقال في الزوائد : هذا حديث صحيح ، إلا أنه منقطع في موضعين لأن عبادة روايته عن أبي الدرداء مرسلة ، قاله العلاء ، وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة قاله البخاري .
وقال السخاوي : أخرجه ابن ماجه ورجاله ثقات لكنه منقطع .
وأخرجه الطبراني في الكبير بلفظ « أكثروا الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ليس من عبد يصلي علي إلا بلغتني صلاته حيث كان » قلنا وبعد وفاتك ؟ قال : « وبعد وفاتي إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .
وقال العراقي إن إسناده لا يصح . القول البديع (ص ١٦٤) .

(٣) صدي (بالتصغير) ابن عجلان بن الحارث الباهلي ، أبو أمامة صحابي مشهور بكنيته ، سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين . الإصابة (٢ / ١٧٥ - ١٧٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في السنن (٣ / ٢٤٩) . وقال السخاوي : « رواه البيهقي بسند حسن لا بأس به ، إلا أن مكحولًا قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة في قول الجمهور . وقد رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس له فأسقط منه ذكر مكحول وسنده ضعيف » . القول البديع (ص ١٦٤) .
وقال ابن القيم : « ولكن لهذا الحديث علتان : =

وعن أنس رضي اللّٰه عنه قال : « قال رسول اللّٰه ﷺ « أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه أتاني جبريل آنفا من ربه عز وجل فقال : ما على الأرض من مسلم يصلي عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشرا »[١] .

وعنه رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإن صلاتكم تعرض عليّ »[٢] .

قال ابن القيم : « هذان وإن كانا ضعيفين فيصلحان للاستشهاد »[٣]

وعنه رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة »[٤] وكان الصحابة رضي اللّٰه عنهم يستحبون إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة .

وعن زيد بن وهب[٥] قال : قال لي ابن مسعود رضي اللّٰه عنه : « يا زيد بن وهب لا تدع ـ إذا كان يوم الجمعة ـ أن تصلي على النبي ﷺ ألف مرة تقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي »[٦] .

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي اللّٰه عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أكثروا

= إحداهما : أن برد بن سنان قد تكلم فيه ، وقد وثقه يحيى بن معين وغيره .
العلة الثانية : أن مكحولا قد قيل إنه لم يسمع من أبي أمامة واللّٰه أعلم » .
جلاء الأفهام (ص ٧٢ - ٧٣) .

(١) قال السخاوي : رواه الطبراني بسند لا بأس به في المتابعات ، القول البديع (ص ١٦٢) .

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣ / ٩٤٤) وسنده ضعيف ، كما ذكر السخاوي فيه ثلاثة رواة ضعفاء هم : جبارة بن مغلس ، وأبو إسحاق خازم ، ويزيد الرقاشي . القول البديع (ص ١٦٢) .

(٣) جلاء الأفهام (ص ٧٣) .

(٤) الكامل لابن عدي (٣ / ١٠٣٩) .

(٥) زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي ، رحل إلى النبي ﷺ فقبض وهو في الطريق ، ثقة جليل ، كثير الحديث ، توفي سنة ست وتسعين وقيل قبلها . تهذيب التهذيب (٣ / ٤٢٧) .

(٦) جلاء الأفهام (ص ٧٣ ، ٧٤) والقول البديع (ص ١٥٩) .

علي من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته »[١] .

وفي مراسيل الحسن[٢] عن النبي ﷺ قال : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنها تعرض علي »[٣] .

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب : « أن انشروا العلم يوم الجمعة فإن غائلة العلم النسيان ، وأكثروا الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة »[٤] .

وهناك مواطن أخرى غير ما ذكرنا ذكرها ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام[٥]

---

(١) أورده السخاوي في القول البديع وقال : رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد والبيهقي في شعب الإيمان وحياة الأنبياء في قبورهم له ، وابن أبي عاصم في فضل الصلاة له ، وفي سنده أبو رافع وهو إسماعيل بن رافع وثقه البخاري وقال يعقوب بن سفيان يصلح حديثه للشواهد والمتابعات لكن قد ضعفه النسائي ويحيى بن معين وقيل إنه منكر الحديث » . (ص ١٦٤) .
وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣١٠) وقال : « وفيه إسماعيل بن رافع قال يعقوب بن سفيان : يصلح حديثه للشواهد والمتابعات .

(٢) الحسن البصري وقد تقدم ترجمته ص ٢٦٩

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ، من وجهين .
انظر (ص ١٣) ح ٢٨ ، ح ٢٩ ، قال الألباني : حديث صحيح بشاهده عن أوس بن أوس .

(٤) أورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٣١١) وعزاه لابن وضاح ، والسخاوي في القول البديع (ص ١٩٩ - ٢٠٠) وعزاه لابن وضاح وابن بشكوال .

(٥) من المواطن التي ذكرها ابن القيم غير ما تقدم ما يلي :
١ - الصلاة عليه ﷺ عند استلام الحجر الاسود .
٢ - الصلاة عليه ﷺ عند قبره ﷺ .
٣ - الصلاة عليه ﷺ إذا خرج إلى السوق أو إلى دعوة أو غيرها .
٤ - الصلاة عليه ﷺ إذا قام الرجل من نوم الليل .
٥ - الصلاة عليه ﷺ عقب ختم القرآن . =

وكذلك السخاوي في كتابه القول البديع ، والفيروز أبادي في الصلات والبشر ممن أراد الاستزادة فليرجع إليها ، وحسبي أني أشرت لأشهرها .

٥٥٥٥

= ٦ - الصلاة عليه ﷺ عند القيام من المجلس .
٧ - الصلاة عليه ﷺ عند المرور على المساجد ورؤيتها .
٨ - الصلاة عليه ﷺ عند الهم ، والشدائد وطلب المغفرة .
٩ - الصلاة عليه ﷺ عند كتابة اسمه ﷺ .
١٠ - الصلاة عليه ﷺ عند تبليغ العلم إلى الناس ، والتذكير والقصص .
١١ - الصلاة عليه ﷺ في أول النهار وآخره .
١٢ - الصلاة عليه ﷺ عقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه .
٣١ - الصلاة عليه ﷺ عند العطاس .
١٤ - الصلاة عليه ﷺ بعد الفراغ من الوضوء .
١٥ - الصلاة عليه ﷺ عند دخول المنزل .
١٦ - الصلاة عليه ﷺ في كل موطن يجتمع فيه لذكر الله سبحانه وتعالى .
١٧ - الصلاة عليه ﷺ عقب الصلوات .
١٨ - الصلاة عليه ﷺ عند النوم .
١٩ - الصلاة عليه ﷺ في أثناء صلاة العيد .

المطلب الرابع

فضل الصلاة على النبي ﷺ

قال ابن القيم : « إن طلب الصلاة من الله على رسوله ﷺ هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته »[١] يدلك على ذلك ما جاء في فضلها من الأحاديث .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى علي واحدة صلى عليه عشرا » رواه مسلم[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » رواه مسلم[٣] .

وعن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : « ما شئت » . قلت : الربع ؟

قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : النصف ؟

قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قلت : الثلثين ؟

قال : « ما شئت وإن زدت فهو خير » .

---

(١) بدائع الفوائد (٢ / ١٩٠) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٨١ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٢٦ .

قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : « إذًا تكفي همك ويغفر لك ذنبك »[(١)].

وللحديث طريق آخر عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي[(٢)] قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني آتٍ من ربي فقال : ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرًا » فقام إليه رجل فقال : يارسول الله أجعل نصف دعائي لك ؟ قال : « إن شئت » قال : ألا أجعل ثلثي دعائي لك ؟ قال : « إن شئت » قال : ألا أجعل دعائي كله ؟ قال : « إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة »[(٣)]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا »[(٤)].

وفي رواية « من صلى علي صلاة واحدة صلىّ الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات »[(٥)].

وفي رواية « من صلّى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي ، أبو يوسف المدني ، قاضي المدينة ، ثقة قليل الحديث و مات في ولاية أبي جعفر . تهذيب التهذيب (١١ / ٣٨٥) .

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٨٧) ح رقم ١٣ وقال : قال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان : عمن أسنده ؟ قال : لا أدري ، وقال الألباني في تعليقه : هذا مرسل صحيح الإسناد ، ويشهد له الحديث الذي بعده - يعني الحديث الذي تقدم ذكره .

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٥) ح رقم ٦١ باب ثواب الصلاة على النبي ﷺ وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص ١٣٥ ، ١٣٦) ح رقم ٣٨٠

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ١٠٢ ، ٢٦١) . والبخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤ ، ٩٥) باب الصلاة على النبي ﷺ . والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦) ح ٦٣ باب ثواب الصلاة على النبي ﷺ . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن (٢٣٩٠) .

عنه عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات »[١] .

وفي رواية : « خرج النبي ﷺ يتبرز ، فلم يجد أحدًا يتبعه فهرع عمر فاتبعه بمطهرة - يعني إداوة - فوجده ساجدا في شربة ، فتنحى عمر فجلس وراءه حتى رفع رأسه قال : فقال : « أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ، ورفعه عشر درجات »[٢] .

وأخرج هذا الحديث عن عمر بن الخطاب قال : « خرج النبي ﷺ يتبرز ، فاتبعته بإدواة ، فوجدته قد فرغ ، ووجدته ساجدا لله في شربة ، فتنحيت عنه فلما فرغ ،

(١) أخرجه النسائي في السنن (٣ / ٥٠) باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ وكذلك في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٥ ، ١٦٦) ح ٦٢ ، ثواب الصلاة على النبي ﷺ . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٥٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وكل من رواية « صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات » .

ورواية « صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات » جاءت من طريق بريد بن أبي مريم وقد جاء في بعض الروايات عن بريد بن أبي مريم عن الحسن عن أنس وفي بعضها عن بريد بن أبي مريم عن أنس ، وقد ذكر ابن القيم (أن هذه العلة لا تقدح فيه شيئًا ، لأن الحسن لاشك في سماعه من أنس ، وقد صح سماع بريد بن أبي مريم من أنس أيضا هذا الحديث ، فرواه ابن حبان في صحيحه « موارد ٢٣٩٠ » والحاكم في المستدرك (١ / ٥٥٠) من حديث يونس بن أبي إسحاق ، عن بريد بن أبي مريم ، قال سمعت أنس بن مالك ... فذكره . ولعل بريدًا سمعه من الحسن ثم سمعه من أنس ، فحدث به على الوجهين ، فإنه قال : كنت أزامل الحسن بن محمد ، فقال حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكره ، ثم إنه حدثه به أنس فرواه عنه كما تقدم) . جلاء الأفهام (ص ٥٦) .

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٤) ح رقم ٤ .

وقال الألباني : إسناده ضعيف ، ولكن المرفوع من الحديث صحيح له شواهد كثيرة .

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤) باب الصلاة على النبي ﷺ .

رفع رأسه فقال : « أحسنت ياعمر حين تنحيت عني إن جبريل أتاني فقال : من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات »[١].

وعن عبد الرحمن بن عوف[٢] قال : أتيت النبي ﷺ وهو ساجد فأطال السجود قال : « أتاني جبريل قال : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله شكرًا »[٣].

وفي رواية « كان لا يفارق فيء النبي ﷺ بالليل والنهار خمسة نفر من أصحابه أو أربعة لما ينوبه من حوائجه قال : فجئت فوجدته قد خرج فتبعته ، فدخل حائطا من حيطان الأسواف[٤] فصلى فسجد سجدة أطال فيها ، فحزنت وبكيت فقلت : لأرى رسول الله ﷺ قد قبض الله روحه ، قال : فرفع رأسه ، وتراءيت له ، فدعاني ، فقال : مالك ؟ قلت : يارسول الله سجدت سجدة أطلت فيها فحزنت ، وبكيت ، وقلت : لأرى رسول الله

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٥) ح رقم ٥ .
وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٩٤) عن أوس بن الحدثان عن النبي ﷺ وذكره .
وهذا الحديث والذي قبله هما من طريق سلمة بن وردان وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه (٢ / ٥٠٣) ح رقم ٨٢٩ (وسلمة بن وردان ضعيف بغير تهمة ، فيصلح للاستشهاد به وللحديث شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن عوف .

(٢) عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل دخول دار الأرقم ، وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد رجال الشورى الستة ، توفي سنة ٣١ هـ وقيل سنة ٣٢ هـ وهو الأشهر . الإصابة (٢ / ٤٠٨ - ٤١٠) .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٥) ح ٧
وأخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ١٩١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٢٨٧) (رواه أحمد ورجاله ثقات) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٢٢٢) وقال هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) الأسواف بالفتح آخره « فاء » موضع شامي البقيع . وفاء الوفاء (٤ / ١١٢٥) .

ﷺ قد قبض اللّٰه روحه .

قال : « هذه سجدة سجدتها شكرًا لربي فيما آتاني في أمتي ، من صلى علي صلاة كتب اللّٰه له عشر حسنات »(١) .

وفي رواية « إني سجدت هذه السجدة شكرًا للّٰه عز وجل فيما أبلاني في أمتي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى اللّٰه عليه بها عشرا »(٢) .

وعن أبي طلحة « أن رسول اللّٰه ﷺ خرج عليهم يوما يعرفون البشر في وجهه فقالوا : إنا نعرف الآن في وجهك البشر يارسول اللّٰه . قال : أجل أتاني الآن آتٍ من ربي فأخبرني أنه لن يصلي علي أحد من أمتي إلا ردها اللّٰه عليه عشر أمثالها(٣) .

وفي رواية « أن رسول اللّٰه ﷺ جاء يوما والبشر يرى في وجهه فقالوا : يارسول اللّٰه إنا نرىٰ في وجهك بشرًا لم نكن نراه ،

قال : أجل إنه أتاني ملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك ألا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ، ولا سلم عليك إلا سلمت عليه عشرا »(٤) .

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٦ - ٧) ح ١٠ .

(٢) أورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٦٤) وعزاه لابن أبي الدنيا والسخاوي في القول البديع (ص ١١٢) وعزاه لابن أبي عاصم وابن أبي الدنيا .

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣) ح رقم ١

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ / ٣٠) . وإسماعيل القاضي ، في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣ - ٤) ح ٢ ، والنسائي في السنن (٣ / ٤٤ و ٥٠) كتاب الصلاة ، باب فضل التسليم على النبي ﷺ ، وباب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ . وكذلك أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، باب ثواب الصلاة على النبي ﷺ . وقال الحافظ ابن حجر (رواته ثقات) فتح الباري (١١ / ١٦٧) وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٥٠) وابن حبان في صحيحه (٢٣٩١) موارد .

وفي رواية « أصبح رسول لله ﷺ يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر . قالوا : يارسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر . قال : أجل أتاني آتٍ من ربي عز وجل فقال : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها »(١) .

وعن أبي بردة بن نيار(٢) قال : قال رسول لله ﷺ « من صلى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه ، صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفعه بها عشر درجات وكتب له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات »(٣) .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : « سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في صلاته لم يمجد الله ، ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : عجل هذا »

ثم دعاه فقال له أو لغيره : « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (٤ / ٢٩) .
قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢ / ٥٠٣) ح رقم ٨٢٩ عن رواية أحمد هذه (وهذا إسناد ضعيف ، لسوء حفظ أبي معشر ، وإسحاق بن كعب مجهول الحال فهو إسناد لا بأس به في الشواهد والمتابعات) انتهي كلامه والحديث له شواهد متعددة سبق ذكر بعضها .

(٢) هانئ بن نيار بن عمرو البلوي أبو بردة بن نيار حليف الأنصار ، خال البراء بن عازب مشهور بكنيته وقيل اسمه الحرث وقيل مالك والأول أشهر ، صحابي جليل شهد بدرًا وما بعدها ، مات في أول خلافة معاوية . الإصابة (٣ / ٥٦٥) - (٤ / ١٩) .

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٦ ، ١٦٧) ح رقم ٦٤ ، باب ثواب الصلاة على النبي ﷺ . وقال ابن حجر : رواته ثقات . فتح الباري (١١ / ١٦٧) . وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٨٣ ، ٨٤) وعزاه للطبراني في المعجم الكبير وابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ .

ثم يصلي علي ، ثم يدعو بما شاء »[١] .

وفي رواية : « سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ « عجلت أيها المصلي » ثم علمهم رسول الله ﷺ وسمع رسول الله ﷺ رجلًا يصلي فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ادع تجب وسل تعط »[٢] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة »[٣]

فالمتأمل في هذه الأحاديث يعرف عظم فضل الصلاة على النبي ﷺ .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في الباب الرابع من كتابه القيم جلاء الأفهام عددا من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ أنتقي منها ما يلي :

الفائدة الأولى : امتثال أمر الله تعالى .

الثانية : موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلفت الصلاتان ، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال ، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٣٥) .

(٢) سنن النسائي (٣ / ٤٤) باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ . قال الألباني في صحيح سنن النسائي ، صحيح الترمذي (٣٧٢٤)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢ / ٣٥٤) باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم ٤٨٤ وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن (٢٣٨٩) . وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام وعزاه كذلك إلى البزار والبغوي جلاء الأفهام (ص ٥٣) . وقال ابن حجر في الفتح (١١ / ١٦٧) « وله شاهد عند البيهقي عن أبي أمامة بلفظ « صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة » ولا بأس بسنده » انتهى كلامه .

الثالثة : موافقة ملائكته فيها .

الرابعة : حصول عشر صلوات من اللّٰه على المصلي مرة .

الخامسة : أنه يرفع عشر درجات .

السادسة : أنه يكتب له عشر حسنات .

السابعة : أنه يمحى عنه عشر سيئات .

الثامنة : أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه ، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين .

التاسعة : أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له .

العاشرة : أنها سبب لغفران الذنوب .

الحادية عشرة : أنها سبب لكفاية اللّٰه العبد ما أهمه .

الثانية عشرة : أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة .

الثالثة عشرة : أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها ، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب ، واستحضاره في قلبه ، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه ، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه ، واستولى على جميع قلبه ، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه ، نقص حبه من قلبه ، ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه ، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه ، والحس شاهد بذلك . فقلب المؤمن توحيد اللّٰه وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة ودوام الذكر سبب لدوام المحبة ، فالذكر للقلب كالماء للمزرع ، بل كالماء للسمك ، لا حياة له إلا به ...

الرابعة عشرة : أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد ، فإنها إذا كانت سببا لزيادة محبة المصلي عليه له ، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلى عليه ﷺ .

الخامسة عشرة : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه ، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره ، استولت محبته على قلبه ، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولا شك في شيء مما جاء به ، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله ، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه ، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة ازدادت صلاته عليه ﷺ .

ولهذا كانت صلاة أهل العلم ـ العارفين بسنته وهديه المتبعين له عليه ، خلاف صلاة العوام عليه الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم .

وأما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به فصلاتهم عليه نوع آخر ، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من اللّٰه .

وهكذا ذكر اللّٰه سبحانه ، كلما كان العبد به أعرف وله أطوع وإليه أحب كان ذكره غير ذكر الغافلين واللاهين ، وهذا أمر إنما يعلم بالخبر لا بالحبر وفرق بين من يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبه جميع قلبه ويثني عليه بها ويمجده بها ، وبين من يذكرها إما إمارة وإما لفظًا ، لا يدري ما معناه ، ولا يطابق فيه قلبه لسانه ، كما أنه فرق بين بكاء النائحة وبكاء الثكلى .

فذكره ﷺ وذكر ما جاء به ، وحمد اللّٰه تعالى على إنعامه علينا ومنته بإرساله هو حياة الوجود وروحه ، كما قيل :

روح المجالس ذكره وحديثه ... وهدى لكل ملدد حيران

وإذا أخل بذكره في مجلس ... فأولئك الأموات في الحيان

السادسة عشرة : أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه ﷺ وذكره عنده ، كما تقدم قوله ﷺ « إن صلاتكم معروضة علي » وكفى بالعبد نيلا أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله ﷺ .

السابعة عشرة : أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه ، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا ، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علمًا ولاقدرة ولا إرادة ، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه .

الثامنة عشرة : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله ، فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله ، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله ، كما عرفنا ربنا أسماءه وصفاته ، وهدانا إلى طريق مرضاته ، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه ، فهي متضمنة لكل الإيمان ، بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرب المدعو وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه ، وإرسال رسوله وتصديقه في أخباره كلها ، وكمال محبته ، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان ، فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك ، وتصديقه به ، ومحبته له ، فكانت من أفضل الأعمال .

التاسعة عشرة : أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء ، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان :

أحدهما : سؤاله حوائجه ومهماته ، وما ينوبه في الليل والنهار فهذا دعاء وسؤال ، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه .

الثاني : سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه ، ويزيد في تشريفه وتكريمه ،

وإيثار ذكره ، ورفعه ، ولا ريب أن اللَّه تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه ، فالمصلي عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب اللَّه ورسوله ، وآثر ذلك على طلبه وحوائجه ومحابه هو ، بل كان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وآثرها عنده ، فقد آثر ما يحبه اللَّه ورسوله على ما يحبه هو ، وقد آثر اللَّه ومحابه على ما سواه ، والجزاء من جنس العمل ، فمن آثر اللَّه على غيره آثره اللَّه على غيره .

واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم إذا أرادوا التقرب والمنزلة عندهم ، فإنهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته إليه ، وكلما سألوه أن يزيد في حبائه وإكرامه وتشريفه ، علت منزلتهم عنده ، وازداد قربهم منه ، وحظوا به لديه ، لأنهم يعلمون منه إرادة الإنعام والتشريف والتكريم لمحبوبه ، فأحبهم إليه أشدهم له سؤالا ورغبة أن يتم عليه إنعامه وإحسانه ، وهذا أمر مشاهد بالحس ، ولا تكون منزلة هؤلاء ومنزلة من سأل المطاع حوائجه هو ـ وهو فارغ من سؤاله تشريف محبوبه والإنعام عليه ـ واحدة .

فكيف بأعظم محب وأجله لأكرم محبوب وأحقه بمحبة ربه له ؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه إلا هذا المطلوب وحده لكفى المؤمن به شرفًا[1] .

وكما وردت أحاديث ترغب في الصلاة على النبي ﷺ وتبين فضلها فقد وردت أحاديث تذم تارك الصلاة عليه ﷺ .

فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ

---

(١) جلاء الأفهام (ص ٣٣٥ ، ٣٤٤) بتصرف .

قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة »[١].

وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي »[٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة »[٣] .

○ ○ ○ ○

(١) تقدم تخريجه ص ٤٧٢

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٢٨

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٤٨

المبحث الثالث

السلام عليه ﷺ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مشروعية السلام عليه .

المطلب الثاني : السلام عليه عند حجرته التي دفن فيها .

● ● ● ●

المطلب الأول

الأدلة على مشروعية السلام على النبي ﷺ

إن نصوص الكتاب والسنة متظاهرة بأن اللّه أمرنا أن نصلي على النبي ونسلم عليه ﷺ(١).

أما في القرآن :

فقد أمر اللّه عباده المؤمنين أن يسلموا على نبيهم مع أمره لهم بالصلاة عليه فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢).

والشاهد من الآية معنا هو قوله عز وجل ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

فهذا نص في مشروعية السلام على النبي ﷺ ، وبيان لحق من حقوقه صلوات اللّه وسلامه عليه ، وإظهار لشرفه ورفعة منزلته .

والآية في جملتها فيها من تشريف اللّه وتكريمه ما لا يوجد في غيرها من الآيات .

وأما في السنة :

فقد جاء تشريع السلام عليه ﷺ مع تعليمهم التشهد الذي كان متقدما على تعليمهم الصلاة عليه ﷺ .

فتعليم الصلاة عليه إنما كان بعد نزول الآية فلهذا سأل الصحابة عن كيفية الصلاة ولم يسألوا عن كيفية السلام فقالوا : يارسول اللّه قد علمنا كيف نسلم

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥٩) .

(٢) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

عليك فكيف نصلي عليك[١] فقولهم « قد علمنا كيف نسلم عليك » إشارة إلى السلام الذي في التشهد وهو قول « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته »[٢] .

قد بينت السنة المواطن التي يشرع فيها السلام على النبي ﷺ .

فالسلام على النبي ﷺ مشروع في التشهد عند كل صلاة ففي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان .

فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله الصلوات الطيبات ، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو »[٣] .

وشرع السلام كذلك عند دخول المسجد والخروج منه .

فعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : بسم الله والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ . فتح الباري (١١ / ١٥٢) ح ٦٣٥٧

(٢) فتح الباري (١١ / ١٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ، وليس بواجب . فتح الباري (٢ / ٣٢٠) ح ٨٣٥ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة (٢ / ١٣) .

وإذا خرج قال : بسم اللّه والسلام على رسول اللّه ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك »(١) .

وقد ورد كذلك في فضل السلام على النبي ﷺ عدد من الأحاديث أورد بعضًا منها هنا :

١ ـ عن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن للّه في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام »(٢)

٢ ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ما من أحد يسلم على إلا رد اللّه عز وجل إلى روحي حتى أرد عليه السلام »(٣) .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٣٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٣٨٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٢) .
وأخرجه النسائي في السنن ، كتاب السهو ، باب السلام على النبي ﷺ (٣ / ٤٣) .
وأخرجه أيضا في اليوم الليلة ، فضل السلام على النبي ﷺ ح ٦٦ .
وأخرجه الدارمي في السنن ، كتاب الرقائق ، باب فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢ / ٣١٧) ح ٢٧٧٧ ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، كتاب الأدعية ، باب الصلاة على النبي ﷺ . انظر : موارد الظمآن (ح ٢٣٩٣) . وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١١) ح ٢١ ، وقال ابن القيم في جلاء الأفهام (ص ٥٤) : إسناده صحيح .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٥٢٧) . وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور (٢ / ٥٣٤) ح ٢٠٤١ ، وعزاه السخاوي في القول البديع (ص ١٦١) إلى الطبراني والبيهقي أيضا والحديث لا يسلم من مقال في إسناده . قال ابن عبد الهادى : أما المقال في إسناده فمن جهة تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة . ولم يتابع ابن قسيط أحد في روايته عن أبي هريرة ولا تابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط . الصارم المنكي (ص ٢٥٠) وحميد بن زياد أبو صخر ، ويزيد بن عبد اللّه بن قسيط فيهما كلام قال ابن عبد الهادي : وأبو صخر حميد بن زياد قد اختلف الأئمة في عدالته والاحتجاج بخبره مع الاضطراب في اسمه وكنيته واسم أبيه ، فما تفردبه من الحديث ولم يتابعه عليه أحد لا ينهض إلى درجة الصحة =

٣ ـ وقد تقدم حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : « أتاني جبريل فقال : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه »[١].

٤ ـ وكذلك حديث أبي طلحة وفيه « أما يرضيك ألا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ، ولا سلم عليك إلا سلمت عليه عشرًا »[٢].

وبما تقدم من نصوص يعلم أن السلام هو حق من الحقوق التي للنبي ﷺ على أمته ، والمسلم مأمور بالقيام بهذا الحق حيث كان إما مطلقا ، وإما عند الأسباب المؤكدة لذلك كما في التشهد وعند الدخول إلى المسجد أو الخروج منه .

وهذا السلام فيه من الخاصية للنبي ﷺ والفضل على هذه الأمة ما فيه .

أما الخاصية التي فيه للنبي ﷺ .

فالأمر بالسلام عليه ﷺ مع الغيبة من خصائصه التي خصه الله بها ، فلم يرد في الشرع الأمر بالسلام على معين مع مغيبه إلا عليه ﷺ وذلك كما في التشهد فليس فيه سلام على معين إلا عليه وكذلك عند دخول المسجد والخروج منه[٣] .

وأما الفضل الذي جعله الله لهذه الأمة بهذا السلام فهو جعله سبحانه وتعالى

= بل يستشهد به ويعتبر به . انتهي كلامه . وهذا الحديث مما تفرد به كما سبق بيانه من كلام ابن عبد الهادى . وقد ذكر ابن عبد الهادي أقوال أئمة الجرح والتعديل في كل من حميد بن زياد أبي صخر ويزيد بن عبد الله بن قسيط وقال في نهاية نقله والحديث إسناده مقارب وهو صالح أن يكون متابعا لغيره عاضدا له والله أعلم .

الصارم المنكى (ص ٢٥٩) .

(١) تقدم تخريجه ص ٥٦٤ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٦٥

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤١٢) .

هذا السلام مطلقا لا يتكلف فيه المرء قطع المسافة ولا يشترط فيه اللقاء به في حياته أو المجيء إلى قبره بعد وفاته .

فالمسلم يسلم على النبي ﷺ في أي مكان في هذه الدنيا وفي أي وقت وزمان يشاء وهذا من الفضل والنعمة التي امتن اللّٰه بها علينا .

o o o o

المطلب الثاني

السلام على النبي ﷺ عند حجرته التي دفن فيها

وهذه المسألة أشكلت على كثير من الناس ، ولكن الذي ينبغي على من أراد أن يعرف الحق ودين الإسلام ، أن يتأمل في النصوص النبوية الواردة في جوانب هذه المسألة ، وأن يعرف ما كان يفعله الصحابة والتابعون وما قاله أئمة المسلمين ، ليعرف ما هو المشروع وما هو المبتدع وما هو مجمع عليه وما هو متنازع فيه .

وسيرًا على هذا الأساس فسأعرض هذه المسألة بشيء من التوسع متناولًا في ذلك عددًا من الجوانب التي جاءت بها النصوص الشرعية بغرض إبراز أمور هامة قد تخفى على كثير من الناس ويغفلون عنها ، وهي أمور على درجة كبيرة من الأهمية إذ على أساسها ينبني الفهم الصحيح الموافق لنصوص الشرع في هذه المسألة .

وقد قسمت هذا المطلب إلى نقاط ختمتها بذكر خلاصة لأقوال العلماء في عدد من المسائل الواردة في هذا الشأن .

النقطة الأولى :

لم يرد عن النبي ﷺ نص صحيح صريح يأمر فيه أمته بالسلام عليه عند قبره فالمتأمل للنصوص الواردة في شأن السلام عليه ﷺ - والتي سبق إيرادها - لا يجد فيها أن النبي ﷺ قد خص قبره بالسلام ، كما قد ورد تخصيص التشهد بالسلام عليه وكذا الدخول إلى المسجد والخروج منه .

وهنا يحسن توضيح الأمور الهامة التالية :

١ ـ أن عدم التخصيص للقبر بالسلام فيه إظهار لخاصية اختص بها النبي ﷺ لا يماثله فيها أحد من الخلق .

فالمقصود عند قبر غيره من الدعاء له هو مأمور به في حق الرسول ﷺ في الصلوات الخمس وعند دخول المساجد والخروج منها . فالله عز وجل فضله بهذا الأمر على غيره ، وأغناه بذلك عما يفعل عند قبور غيره[١] .

٢ ـ أن الذي تدل عليه نصوص السلام عليه ﷺ أن هذا السلام يستوى فيه القريب والبعيد ، وهذا أمر اختص به النبي ﷺ .

ولهذا قال الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب[٢] لذلك الرجل الذي رآه يختلف إلى قبر النبي ﷺ ويدعو عنده . فقال له : يا هذا إن رسول الله ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي فإن صلاتكم حيثما كنتم تبلغني »[٣] فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء .

فالحسن بن الحسن ـ شيخ أهل بيته ـ وغيره لا يفرقون بين أهل المدينة والغرباء ولا بين المسافر وغيره ولا يرون في السلام عليه عند قبره مزية[٤] فالسلام يصل إليه من مشارق الأرض ومغاربها .

(١) الصارم المنكي (ص ٥٤) .

(٢) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، المدني الإمام أبو محمد ، وهو قليل الرواية مع صدقه وجلالته ، توفي سنة تسع وتسعين وقيل سبع وتسعين للهجرة .
سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٨٣ ، ٤٨٧) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٦٢٦) . وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٣ – ١٤) ح ٣٠ وقال الألباني بهامشه : حديث صحيح . وابن عساكر (٤ / ٢١٧ / أ) . وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٨٣ – ٤٨٤) . وعزاه الألباني في تحذير الساجد (ص ١٤١) إلى ابن خزيمة في حديث علي بن حجر (٤ / رقم ٤٨) .

(٤) الرد على الأخنائي (ص ١٤٦) .

وهذا من فضل الله على هذه الأمة فالمسلم في أي بقعة من الأرض له أن يقوم بهذا الحق للنبي ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثبت بالسنة واتفاق الأمة أن كل ما يفعل من الأعمال الصالحة في المسجد عند حجرته من صلاة عليه وسلام وثناء وإكرام وذكر محاسن وفضائل ، ممكن فعله في سائر الأماكن ، ويكون لصاحبه من الأجر ما يستحقه ، كما قال : « لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » . ولو كان للأعمال عند القبر فضيلة لفتح للمسلمين باب الحجرة ، ولما منعوا من الوصول إلى القبر »[١] .

« فالله سبحانه خص رسوله ﷺ بما خصه به تفضيلًا له وتكريمًا لما يجب من حقه على كل مسلم في كل موضع ، فإن الله أوجب الإيمان به ومحبته وموالاته ونصره وطاعته واتباعه على كل أحد في كل مكان ، وأمر من الصلاة عليه والسلام عليه في كل مكان ومن سؤال الوسيلة له عند كل أذان ومن ذكر فضائله ومناقبه وما يعرف به قدر نعمة الله به على أهل الأرض ، وأن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من إرسال محمد ﷺ إليهم ، وأنه هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأنه لا يؤمن العبد حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ، بل حتى يكون أحب إليه من نفسه إلى غير ذلك من حقوقه ، وكل هذه مشروعة في جميع البقاع ليس منها شيء يختص بالقبر ولا بما هو قريب من القبر . ولا شرع للناس أن يكون قيامهم بهذه الحقوق عند القبر أفضل من قيامهم بها في بلادهم . بل المشروع أن يقوموا بها في كل مكان . ومن قام بها عند القبر وفتر عن القيام بها في بلده كما يوجد في بعض

(١) الجامع الفريد (ص ٣٩٦) .

الناس يوجد من محبته وتعظيمه وثنائه ودعائه للرسول عند قبره أعظم مما يوجد في بلده وطريقه ، فهذه حالة منقوصة غير محمودة ، وصاحبها منحوس الحظ ناقص النصيب وهو ناقص الدين والإيمان إما بترك واجب يأثم بتركه وإما بترك مستحب تنقص درجته بتركه بخلاف من منَّ الله عليه فجعل محبته وثناءه وتعظيمه ودعاءه للرسول في بلده مثل ما إذا كان بالمدينة عند قبره أو أعظم .

فهذه هي الحالة المحمودة المشروعة وهي حال الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة ولا يعرف عن أحد منهم أنه كان يزيد حبه وتعظيمه ودعاؤه وثناؤه عند القبر ، ولهذا لم يكونوا يأتونه لأن قيامهم بما يجب من حقوق الرسول في جميع الأمكنة سواء .

وقد نهى عن تخصيص القبر بذلك وأن يتخذوه عيدا ومسجدا لأنه مظنة أن يتخذ وثنا ويفضي إلى الشرك ومظنة أن ينقص قيامهم بحقه في سائر البقاع إذا خصوا تلك البقعة بمزيد القيام ، كما أن المشاعر لما خصت بالعبادات فالمؤمن تجد إيمانه فيها أعظم من إيمانه في غيرها ، والرسول ﷺ حقه في جميع البقاع سواء ولكن تتنوع حقوقه بحسب الأحوال ، ولهذا إذا اعتبرت أحوال الناس كان من يعظم النبي ﷺ عند قبره مقصرًا في حقوقه التي أمر بها في سائر البقاع بحسب ما زاد عند القبر . وهذا أمر مطرد معروف من جميع أحوال الناس .

ولما كان السابقون الأولون أقوم بحقوقه في جميع المواضع كانوا أبعد الناس عن تخصيص القبر بشيء ، والخلفاء الراشدون ونحوهم لما كانوا أقوم بحقوقه من غيرهم لم يفعلوا ما فعله ابن عمر ونحوه ، فأبوه عمر كان أقوم بحقه ﷺ منه وكان ينهي أن يقصد الصلاة في موضع صلى فيه النبي ﷺ ، خلاف ما

فعله ابنه عبد اللّٰه مع فضله ودينه رضي اللّٰه عنهم أجمعين »[1] .

فمن يجد قلبه عند قبر الرسول أكثر محبة له وتعظيمًا ، ولسانه أكثر صلاة عليه وتسليما مما لايجده في سائر المواضع ، كان ذلك دليلًا على أنه ناقص الحظ منحوس النصيب من كمال المحبة والتعظيم وكان فيه من نقص الإيمان وانخفاض الدرجة بحسب هذا التفاوت ، بل المأمور به أن تكون محبته وتعظيمه وصلاته وتسليمه عند غير القبر أعظم فإن القبر قد حيل بين الناس وبينه .

فمن لم يجد إيمانه به ومحبته له وتعظيمه له وصلاته عليه وتسليمه عليه إذا كان في بلده أعظم مما يكون لو كان في نفس الحجرة من داخل ، فهو ناقص الحظ من الدين وكمال الإيمان واليقين ، فكيف إذا لم يكن من داخل بل من خارج ؟ هذا واللّٰه أعلم[2] .

٣ ـ أن عدم تخصيص النبي ﷺ للقبر بالسلام ولا بغيره من العبادات هو لما في ذلك من مظنة اتخاذه وثنًا أو عيدًا فيفضي ذلك إلى الشرك ، والمعروف عنه ﷺ أنه حريص على سد كل ذريعة قد توصل إلى الشرك .

وسيأتي توضيح هذه المسألة في النقطة الثالثة بإذن اللّٰه .

النقطة الثانية :

الأحاديث الواردة في زيارة قبره كلها موضوعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لم يثبت عن النبي ﷺ حديث واحد في زيارة قبر مخصوص ، ولا روى أحد في ذلك شيئًا ، لا أهل الصحاح ولا السنن ولا الأئمة المصنفون في المسانيد كالإمام أحمد وغيره ، وإنما روى هذه

(١) الرد على الأخنائي (ص ٧٤ - ٧٦) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٩٧ - ٩٨) .

الأحاديث من جمع الموضوع وغيره »[١].

وقال أيضا : « وأما قوله : « من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي » .

وأمثال هذا الحديث مما روي في زيارة قبره ﷺ فليس منها شيء صحيح[٢] ولم يروها أحد من أهل الكتب المعتمدة لا أصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم . ولا أصحاب السنن كأبي داود والنسائي ولا الأئمة من أهل المسانيد : كالإمام أحمد وأمثاله ، ولا اعتمد على ذلك أحد من أئمة الفقه كمالك والشافعي وأحمد ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي حنيفة ، والثوري ، والأوزاعي وأمثالهم .

بل عامة هذه الأحاديث مما يعلم أنها كذب موضوعة ، كقوله « من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » وقوله « من حج ولم يزرني فقد جفاني » فإن هذه الأحاديث ونحوها كذب .

وقال أيضا : وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئًا منها ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها ، بل مالك - إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة - كره أن يقول الرجل زرت قبره ﷺ ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم ، أو مشروعًا ، أو مأثورًا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٤٠٠) .

(٢) جمع الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادى في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي ، الأحاديث التي وردت في زيارة قبر النبي ﷺ وبين درجتها ورد على من احتج بها وكذلك الشيخ حماد الأنصاري في رسالة له سماها كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر الأحاديث الواردة في هذه المسألة وبين حكمها .

عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة[١] .

ومما يوضح هذا أنه لم يعرف عن أحد من الصحابة أنه تكلم باسم زيارة قبره لا ترغيبا في ذلك ولا غير ترغيب ، فعلم أن مسمى هذا الاسم لم يكن له حقيقة عندهم[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ولا أعرف عن أحد من الصحابة أنه تكلم بلفظ زيارة قبره ألبتة ، فلم يكن هذا اللفظ معروفًا عندهم[٣] .

ولهذا كره من كره من العلماء إطلاق هذا الاسم .

« والذين أطلقوا هذا الاسم من العلماء انما أرادوا به إتيان مسجده والصلاة فيه والسلام عليه فيه إما قريبا من الحجرة وإما بعيدا عنها إما مستقبلا للقبلة وإما مستقبلا للحجرة .

وليس في أئمة المسلمين لا الأربعة ولا غيرهم من احتج على ذلك بلفظ روى في زيارة قبره .

بل إنما يحتجون بفعل ابن عمر مثلا وهو أنه « كان يسلم » أو بما روي عنه من قوله ﷺ « ما من رجل يسلم علي إلا رد اللّٰه علي روحى حتى أرد عليه السلام » وذلك احتجاج بلفظ السلام لا بلفظ الزيارة .

وليس في شيء من مصنفات المسلمين التي يعتمدون عليها في الحديث والفقه أصل عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه في زيارة قبره .

أما أكثر مصنفات جمهور العلماء فليس فيها استحباب شيء من ذلك بل

---

(١) الجامع الفريد - كتاب الزيارة (ص ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ١٣٧) .

(٣) الرد على الأخنائي (ص ١٣٧) .

يذكرون المدينة وفضائلها وأنها حرم ويذكرون مسجده وفضله وفضل الصلاة فيه والسفر إليه وإلى المسجد الحرام ونذر ذلك ونحو ذلك من المسائل ولا يذكرون استحباب زيارة قبره لا بهذا اللفظ ولا بغيره فليس في الصحيحين وأمثالهما شيء من ذلك ولا في عامة السنن مثل النسائي والترمذي وغيرهما ولا في مسند الشافعي وأحمد وإسحاق ونحوهم من الأئمة .

وطائفة أخرى ذكروا ما يتعلق بالقبر لكن بغير لفظ زيارة قبره ، كما روى مالك في الموطأ عن ابن عمر أنه كان يسلم على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر كما قال أبو داود في سننه ، (باب ما جاء في زيارة القبور) وذكر قوله ﷺ : « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام » .

ولهذا أكثر كتب الفقه المختصرة التي تحفظ ليس فيها استحباب زيارة قبره مع ما يذكرون من أحكام المدينة .

وإنما يذكر ذلك قليل منهم ، والذين يذكرون ذلك يفسرونه بإتيان المسجد كما تقدم .

ومعلوم أنه لو كان هذا من سنته المعروفة عند أمته المعمول بها من زمن الصحابة والتابعين لكان ذكر ذلك مشهورا عند علماء الإسلام في كل زمان كما اشتهر ذكر الصلاة عليه والسلام عليه ، وكما اشتهر عندهم ذكر مسجده وفضل الصلاة فيه ، فلا يكاد يعرف مصنف للمسلمين في الحديث والفقه إلا وفيه ذكر الصلاة والسلام عليه وذكر فضل مدينته والصلاة في مسجده[١] .

فالمعنى الذي أراده العلماء بقولهم « يستحب زيارة قبر النبي ﷺ » أو قولهم

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٧٢ - ١٧٣) .

« يستحب السفر لزيارة قبره » ـ كما هو موجود في كلام كثير منهم عند ذكرهم للحج ـ هو السفر إلى مسجده إذ كان المصلون والزوار لا يصلون إلا إلى مسجده ، ولا يصل أحد إلى قبره ولا يدخل أحد إلى حجرته .

ولكن قد يقال هذا في الحقيقة ليس زيارة لقبره ؟ ولهذا كره من كره من العلماء أن يقال زرت قبره . ومنهم من لم يكره . والطائفتان متفقون على أنه لا يزار قبره كما تزار القبور بل إنما يدخل إلى مسجده .

وأيضا فالنية في السفر إلى مسجده وزيارة قبره مختلفة .

فمن قصد السفر إلى مسجده للصلاة فيه فهذا مشروع بالنص والإجماع .

وإن كان لم يقصد إلا القبر ولم يقصد المسجد فمالك والأكثرون يحرمون هذا السفر وكثير من الذين يحرمونه لا يجوزون قصر الصلاة فيه .

وآخرون يجعلونه سفرا جائزا وإن كان غير مستحب ولا واجب بالنذر .

وأما إن كان قصده السفر إلى مسجده وقبره معا فهذا قد قصد مستحبا مشروعا بالإجماع[١] أي السفر إلى المسجد لا السفر إلى القبر .

النقطة الثالثة :

استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ التي ينهي فيها عن الصلاة إلى القبور أو اتخاذها مساجد ، ولعن من اتخذ تلك القبور من الأمم السابقة مساجد .

وقد جاء هذا التحذير منه حتى وهو في آخر أيام حياته كما جاءت بذلك بعض روايات تلك الأحاديث .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ٢١) بتصرف .

يقم منه « لعن اللّٰه اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت : فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا »[١] .

وعنها رضي اللّٰه عنها وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قالا : « لما نزل برسول اللّٰه ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك « لعنة اللّٰه على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر مثل ما صنعوا[٢] .

وعن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : لما اشتكى النبي ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي اللّٰه عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها .

فرفع رأسه فقال : « أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند اللّٰه »[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن حكمة اللّٰه أن عائشة أم المؤمنين صاحبة الحجرة التي دفن فيها ﷺ تروي هذه الأحاديث وقد سمعتها منه ، وإن كان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور . فتح الباري (٣ / ٢٠٠) ح ١٣٣٠ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب حدثنا أبو اليمان فتح الباري (١ / ٥٣٢) ح ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري « واللفظ له » كتاب الجنائز ، باب بناء المسجد على القبر .
فتح الباري (٣ / ٢٠٨) ح ١٣٤١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٦) .

غيرها من الصحابة أيضا يرويها كابن عباس ، وأبي هريرة ، وجندب بن عبد الله[١] وابن مسعود رضي الله عنهم » ، انتهي كلامه[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٣] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٤] .

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ولو كنت متخذًا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلًا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك »[٥].

وعن أبي مرثد الغنوي[٦] قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا إلى القبور

---

(١) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ، صحابي ، سكن الكوفة ثم البصرة ، ومات زمن فتنة ابن الزبير . الإصابة (١ / ٢٥٠) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٠٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد وباب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب حدثنا أبو اليمان فتح الباري (١ / ٥٣٢) ح ٤٣٧ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (ص / ٦٧) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٢ / ٦٧ – ٦٨) .

(٦) أبو مرثد الغنوى كناز بن حصين ويقال حصين بن كناز ، وقيل غير ذلك ، صحابي ، ذكره ابن اسحاق فيمن شهد بدرا ، سكن الشام وتوفي سنة ١٢ من الهجرة .
الإصابة (٤ / ١٧٧) وتهذيب التهذيب (٨ / ٤٤٨) .

ولا تصلوا إليها »[١].

فهذه النصوص النبوية وردت لحماية جناب التوحيد، ولسد كل ذريعة إلى الشرك فقد لعن فيها من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد وجل هذه الأحاديث قالها النبي ﷺ في مرض موته، نصيحة للأمة وحرصا منه على هداها.

وقد ثبت عنه ﷺ نهيه لهذه الأمة عن اتخاذ قبره عيدًا أو وثنًا وهذا أبلغ في بيان مراده في سد كل ذريعة إلى الشرك بالله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا وحيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني »[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة إليه (٣ / ٦٢)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٦٧) « واللفظ له ». وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب زيارة القبور (٢ / ٥٣٤) ح ٢٠٤٢. والبيهقي في حياة الأنبياء (ص ١٢).

كلهم من طريق عبد الله بن نافع الصائغ عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا

قال الشيخ ربيع المدخلي في تعليقه على كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٤٤) « عبد الله بن نافع، ثقة صحيح الكتاب في حفظه لين، فالحديث حسن على أقل الأحوال وصححه النووي في الأذكار (ص ٩٣) وقال شيخ الإسلام في الاقتضاء « إسناده حسن » وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار - كما في الفتوحات الربانية وله شواهد تقويه.

وقال الألباني في تحذير الساجد (ص ٢٥) رواه أحمد (رقم ٧٣٥٢) وابن سعد (٢ / ٢٤١ - ٢٤٢) والمفضل الجندي في فضائل المدينة (٦٦ / ١) وأبو يعلى في مسنده (٣١٢ / ١)، والحميدي (١٠٢٥) وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٢٨٣ و ٧ / ٣١٧) بسند صحيح.

وله شاهد مرسل رواه عبد الرزاق في المصنف (١ / ٤٠٦) ح ١٥٨٧ وكذا ابن أبي شيبة (٤ / ١٤١) عن زيد بن أسلم وإسناده قوي.

وآخر أخرجه مالك في الموطأ (١ / ١٨٥) وعنه ابن سعد (٢ / ٢٤٠، ٢٤١) عن عطاء بن يسار مرفوعا وسنده صحيح، وقد وصله البزار عن أبي سعيد الخدري وصححه ابن عبد البر مرسلًا وموصولًا ... ». =

وعن عطاء بن يسار[1] أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد ، اشتد غضب اللّٰه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[2] .

قال أبو عمر بن عبد البر « الوثن : الصنم ، وهو الصورة من ذهب كان أو من فضة أو غير ذلك من التمثال ، وكل ما يعبد من دون اللّٰه فهو وثن صنمًا كان أو غير صنم ، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول اللّٰه ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم ، كان اذا مات نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم ، فقال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يصلى إليه ويسجد نحوه ويعبد ، فقد اشتد غضب اللّٰه على من فعل ذلك ، وكان رسول اللّٰه ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدا كما

= وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « هذا حديث حسن ورواته ثقات ، مشاهير ، لكن عبد اللّٰه بن نافع الصائغ فيه لين لا يمنع الاحتجاج به قال يحيى بن معين ، هو ثقة ، وحسبك بابن معين موثقًا .
وقال أبو زرعة : لابأس به ، وقال أبو حاتم الرازي : ليس بالحافظ هو لين تعرف وتنكر .
قلت : ومثل هذا يخاف أن يغلط أحيانا ، فإذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ ، وهذا له شواهد متعددة » . الرد على الأخنائي (ص ١٤٥) .

(١) عطاء بن يسار الهلالي أبو محمد المدني القاص مولى ميمونة زوج النبي ﷺ ، كان مولده سنة ١٩ هـ ، ثقة ، فاضل ، صاحب مواعظ وعبادة ، مات سنة ٩٤ وقيل بعد ذلك .
تهذيب التهذيب (٧ / ٢١٧ - ٢١٨) .

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (ص ١١٩) ح رقم ٤١٤ كتاب جامع الصلاة عن عطاء بن يسار مرسلا . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (١ / ٤٠٦) باب الصلاة على القبور برقم ١٥٨٧) عن معمر عن زيد بن اسلم . وابن سعد في الطبقات (٢ / ٢٤١) وابن أبي شيبة (٣ / ٣٤٥) .
قال الشيخ ربيع المدخلي : « فهو معضل عند هؤلاء ، لكنه جاء موصولًا عن أبي هريرة ... » انظر قاعدة جليله في التوسل والوسيلة (ص ٣٤) ، وقد تقدم تخريج حديث أبي هريرة .

صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها ، وذلك الشرك الأكبر ، فكان رسول الله ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه ، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم ، وكان صلى الله عليه وسلم يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار ، وكان يخاف على أمته اتباعهم »[1].

والعيد إذا جعل اسما للمكان : فهو المكان الذي يقصد للاجتماع فيه وإتيانه للعبادة عنده ، أو لغير العبادة[2] .

وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ فلم يتخذ قبره ـ ولله الحمد والمنة ـ عيدًا ولا وثنا كما اتخذ قبر غيره بل ولا يتمكن أحد من الدخول إلى حجرته بعد أن بنيت الحجرة . وقبل ذلك ما كانوا يمكنون أحدًا من أن يدخل إليه ليدعو عنده ولا يصلي عنده ، ولا غير ذلك مما يفعل عند قبر غيره .

ولكن من الجهال من يصلي إلى حجرته ، أو يرفع صوته أو يتكلم بكلام منهي عنه ، وهذا إنما يفعل خارجا عن حجرته لا عند قبره .

وإلا فهو ولله الحمد استجاب الله دعوته فلم يمكن أحد قط أن يدخل إلى قبره فيصلي عنده أو يدعو أو يشرك به كما فعل بغيره اتخذ قبره وثنا فإنه في حياة عائشة رضي الله عنها ما كان أحد يدخل إلا لأجلها ، ولم تمكن أحدا أن يفعل عند قبره شيئا مما نهي عنه ، وبعدها كانت مغلقة إلى أن أدخلت في المسجد فسد بابها وبني عليها حائط آخر .

كل ذلك صيانة له ﷺ أن يتخذ بيته عيدًا وقبره وثنًا .

وإلا فمعلوم أن أهل المدينة كلهم مسلمون ، ولا يأتي إلى هناك إلا مسلم ،

---

(١) التمهيد (٥ / ٤٥) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٢٤) .

وكلهم معظمون للرسول ﷺ ، وقبور آحاد أمته في البلاد معظمة .

فما فعلوا ذلك ليستهان بالقبر المكرم ، بل فعلوه لئلا يتخذ وثنا يعبد ، ولا يتخذ بيته عيدًا .

ولئلا يفعل به كما فعل أهل الكتاب بقبور أنبيائهم .

والقبر المكرم في الحجرة إنما عليه بطحاء - وهو الرمل الغليظ - ليس عليه حجارة ولا خشب ، ولا هو مطين كما فعل بقبور غيره .

وهو ﷺ إنما نهى عن ذلك سدا للذريعة ، كما نهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لئلا يفضي ذلك إلى الشرك .

ودعا اللّٰه أن لا يتخذ قبره وثنا يعبد ، فاستجاب اللّٰه دعاءه ﷺ ، فلم يكن مثل الذين اتخذت قبورهم مساجد فإن أحدًا لا يدخل إلى قبره ألبتة ، فإن من كان قبله من الأنبياء إذا ابتدع أممهم بدعة بعث اللّٰه نبيا ينهي عنها .

وهو ﷺ خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، فعصم اللّٰه أمته أن تجتمع على ضلالة ، وعصم قبره المكرم أن يتخذ وثنًا ، فإن ذلك والعياذ باللّٰه لو فعل لم يكن بعده نبي ينهى عن ذلك ، وكان الذين يفعلون ذلك قد غلبوا الأمة ، وهو ﷺ قد أخبر أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة ، فلم يكن لأهل البدع سبيل أن يفعلوا بقبره المكرم كما فعل بقبور غيره ﷺ .

فالدخول عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك ، أو الصلاة والدعاء مما لم يشرعه لهم ، بل نهاهم فقال : « لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني فبين أن الصلاة تصل إليه من البعيد ، وكذلك السلام ، ومن صلى عليه مرة صلى اللّٰه عليه بها عشرا ومن سلم عليه مرة سلم

الله عليه عشرا ، كما قد جاء في بعض الأحاديث .

وتخصيص الحجرة بالصلاة والسلام جعل لها عيدا ، وهو قد نهاهم عن ذلك ، ونهاهم أن يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجدا ، ولعن من فعل ذلك ليحذروا أن يصيبهم مثل ما أصاب غيرهم من اللعنة .

وكان أصحابه خير القرون ، وهم أعلم بسنته ، وأطوع الأمة لأمره ، وكانوا إذا دخلوا إلى مسجده لا يذهب أحد منهم إلى قبره لا من داخل الحجرة ولا من خارجها .

وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب إذ كانت عائشة رضي الله عنها فيها ، وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الآخر .

وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه : لا لسلام ولا لصلاة عليه ، ولا لدعاء لأنفسهم ، ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلامًا أو سلامًا فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث ، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج ، كما طمع الشيطان مع غيرهم ، فأضلهم عند قبره ، وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم في الظاهر ، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم ، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج يقظة لا مناما .

فإن الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس .

وهم تلقوا الدين عن النبي ﷺ بلا واسطة ، ففهموا من مقاصده ﷺ

وعاينوا من أفعاله وسمعوا منه شفاهًا ما لم يحصل لمن بعدهم ...

ولهذا لم يطمع الشيطان أن ينال منهم من الإضلال والإغواء ما ناله ممن بعدهم من أهل البدع . فلم يكن أحد من الصحابة رضوان اللّٰه عليهم يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه وأشكل عليهم من العلم ، لا خلفاؤه الأربعة ولا غيرهم ، مع أنهم أخص الناس به ﷺ .

والمقصود هنا أن الصحابة رضوان اللّٰه عليهم تركوا البدع المتعلقة بالقبور كقبره المكرم وقبر غيره ، لنهيه ﷺ لهم عن ذلك ، ولئلا يتشبهوا بأهل الكتاب الذين اتخذوا قبور أنبيائهم أوثانا .

والصحابة رضوان اللّٰه عليهم خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء بل ان خير الناس بعدهم أتبعهم لهم .

قال عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه : من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا علي الهدي المستقيم »[1] .

« ثم إن أفضل التابعين من أهل بيته على بن الحسين [2]رضي اللّٰه عنه نهي ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ »[3] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٧ - ٣٩٥) بتصرف .

(٢) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، المدني زين العابدين من أَجَلِّ التابعين علمًا ودينًا ، حتى قال عنه الزهري : « ما رأيت هاشميًا مثله » وكان ثقةً ، مأمونًا ، كثير الحديث عاليًا رفيعًا ورعًا ، توفي سنة ٩٤ هـ . سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٨٦ - ٤٠١) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٢٤) .

فقد روى إسماعيل بن إسحاق بسنده عن علي بن الحسين بن علي أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي ﷺ ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما اشتهره عليه علي بن الحسين ، فقال له علي بن الحسين ما يحملك على هذا ؟

قال : أحب التسليم على النبي ﷺ .

فقال له علي بن الحسين : هل لك أن أحدثك حديثًا عن أبي ؟

قال : نعم ، فقال له علي بن الحسين أخبرني أبي عن جدي أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا قبري عيدًا ، ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم ، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم »[١] .

فاستدل رضي الله عنه بالحديث ، وهو راوي الحديث الذي سمعه من أبيه الحسين عن جده علي وهو أعلم بمعناه من غيره .

وهذا يقتضي أنه لا مزية للسلام عليه عند قبره كما لا مزية للصلاة عليه عند قبره بل قد نهي عن تخصيص القبر بهذا[٢] .

فتبين أن قصد قبره للدعاء ونحوه : اتخاذ له عيدا[٣] .

وكذلك ابن عمه حسن بن حسن شيخ أهل بيته : كره أن يقصد القبر

---

(١) أخرجه في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٠) ح رقم ٢٠ .

قال الألباني : أخرجه ابن أبي شيبة (٢ / ٨٣ / ٢) . وعنه أبو يعلى في مسنده ، ورواه الضياء في المختارة (١ / ١٥٤) من طريق أبي يعلى والخطيب في الموضح (٢ / ٣٠) . وسنده مسلسل بأهل البيت رضي الله عنهم إلا أن أحدهم وهو علي بن عمر مستور كما قال الحافظ في التقريب . تحذير الساجد (ص ١٤٠) . وقال أيضا : « حديث صحيح بطرقه وشواهده » انظر هامش كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٠) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ١٤٤) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٢٤) .

للسلام ونحوه غير دخول المسجد ، ورأى أن ذلك من اتخاذه عيدا .

فعن سهيل بن أبي سهيل[١] عن الحسن بن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني[٢] » .

وفي رواية عند إسماعيل بن إسحاق القاضي عن سهيل قال : جئت أسلم على النبي ﷺ وحسن بن حسن يتعشى في بيت عند النبي ﷺ ، فدعاني فجئته فقال : أدن فتعش ، قال : قلت : لا أريده .

قال : مالي رأيتك وقفت ؟ قال : وقفت أسلم على النبي ﷺ

قال : إذا دخلت المسجد فسلم عليه ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ قال : « صلوا في بيوتكم ولا تجعلوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم »[٣] .

فهذا فيه أنه أمره أن يسلم عند دخول المسجد وهو السلام المشروع الذي روي عن النبي ﷺ[٤] .

---

(١) سهيل هذا أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤ / ٢٤٩)
ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلًا ، وذكر له عنه راويين :
أحدهما : محمد بن عجلان وهو الراوي لهذا الحديث عن ابن أبي شيبة .
والآخر : سفيان الثوري . قال الألباني في تحذير الساجد (ص ١٤١) وله راو ثالث وهو : إسماعيل بن علية الراوي لهذا الحديث عنه عند ابن خزيمة ، فقد روى عنه ثلاثة من الثقات ، فهو معروف غير مجهول ، انتهي كلامه .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٠ .

(٣) كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ١٣ - ١٤) .
ح رقم ٣٠ وقال الألباني بهامشه : « حديث صحيح » .

(٤) الرد على الأخنائي (ص ١٤٦) .

فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة ، وأهل البيت الذين لهم من رسول اللّه ﷺ قرب النسب ، وقرب الدار ؟ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا لها أضبط .

النقطة الرابعة :

نظرا لتعلق المسألة بزيارة القبور فيحسن إعطاء نبذة موجزة عن أقوال العلماء في مسألة زيارة القبور :

اتفق العلماء على أن النبي ﷺ كان قد نهي عن زيارة القبور .

ثم اختلفوا هل نسخ ذلك ؟

فقالت طائفة : لم ينسخ ذلك .

وقد ذهب إلى ذلك طائفة من السلف فقد نقل ذلك عن إبراهيم النخعي[(١)] والشعبي ومحمد بن سيرين وهؤلاء من أجل علماء المسلمين في زمن التابعين باتفاق المسلمين ويحكى قولًا في مذهب مالك[(٢)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وتنازع المسلمون في زيارة القبور ، فقال طائفة من السلف إن ذلك كله منهي عنه لم ينسخ ، فإن أحاديث النسخ لم يروها البخاري ، ولم تشتهر ، ولما ذكر البخاري زيارة القبور احتج بحديث المرأة التي بكت عند القبر »[(٣)] .

وروي عن الشعبي أنه قال : لولا أن رسول اللّه ﷺ نهى عن زيارة القبور

---

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الإمام الحافظ فقيه العراق أحد الأعلام ، مات سنة ست وتسعين ولما بلغ الشعبي موته قال : واللّه ما ترك بعده مثله . سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٢٠ - ٥٢٩)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٤٣) والرد على الأخنائي (٥٧ ، ٥٨ ، ١٢٠) .

(٣) انظر صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور . فتح الباري (٣ / ١٤٨) ح ١٢٨٣ .

لزرت قبر ابنتي[١] .

وقال النخعي : كانوا يكرهون زيارة القبور[٢]وعن ابن سيرين مثله[٣]قال ابن بطال[٤] : وقد سئل مالك عن زيارة القبور ؟

فقال : قد كان نهي عنها عليه السلام ثم أذن فيها ، فلو فعل ذلك إنسان ولم يقل إلا خيرًا لم أر بذلك بأسًا ، وليس من عمل الناس .

وروي عنه أنه كان يضعف زيارتها »[٥] .

فهذا قول طائفة من السلف ، ومالك في القول الذي رخص فيه يقول : « ليس من عمل الناس » وفي الآخر ضعفها ، فلم يستحبها لا في هذا ولا في هذا[٦] .

وقالت طائفة : بل نسخ ذلك وهم على قسمين :

القسم الأول : قالوا إنما نسخ إلى الإباحة ، فزيارة القبور مباحة لا مستحبة وهذا قول في مذهب مالك وأحمد .

قالوا : لأن صيغة أفعل بعد الحظر إنما تفيد الإباحة كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، وكنت نهيتكم عن الانتباذ في الأوعية فانتبذوا ولا تشربوا مسكرا »[٧] .

(١،٢،٣) انظر المصنف لابن أبي شيبة ، كتاب الجنائز ، باب من كره زيارة القبور (٣ / ٣٤٥) .

(٤) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، أبو الحسن ، عالم بالحديث من أهل قرطبة له كتاب شرح البخاري ، توفي سنة ٤٤٩ هـ . الأعلام (٤ / ٢٨٥) .

(٥) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٧٥) والرد على الأخنائي (١٢٠) .

(٦) الرد على الأخنائي (ص ١٢٠) .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (٣ / ٦٥) .

وروي « فزوروها ولا تقولوا هجرا »[١] وهذا يدل على أن النهي كان لما كان يقال عندها من الأقوال المنكرة سدا للذريعة ، كالنهي عن الإنتباذ في الأوعية أولًا لأن الشدة المطربة تدب فيها ولا يدري بذلك فيشرب الشارب الخمر وهو لا يدري .

القسم الثاني : قال الأكثرون زيارة قبور المؤمنين مستحبة للدعاء للموتى مع السلام عليهم ، كما كان النبي ﷺ يخرج إلى البقيع فيدعو لهم[٢] وكما ثبت عنه ﷺ في الصحيحين أنه خرج إلى شهداء أحد فصلى عليهم صلاته على الموتى كالمودع للأحياء والأموات[٣] .

وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء اللّٰه بكم لاحقون يرحم اللّٰه المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل اللّٰه لنا ولكم العافية »[٤] .

وهذا في زيارة قبور المؤمنين .

وأما زيارة قبر الكافر فرخص فيها لأجل تذكار الآخرة ، ولا يجوز الإستغفار لهم ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الجنائز (١ / ٣٧٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٣ / ٦٣ - ٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد ، فتح الباري (٧ / ٣٤٨) ح ٤٠٤٢ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ (٧ / ٦٧)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٣ / ٦٤ - ٦٥) .

أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت »[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والعلماء المتنازعون كل منهم يحتج بدليل شرعي ويكون عند بعضهم من العلم ما ليس عند الآخر - فإن العلماء ورثة الأنبياء - وقال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٢]

والأقوال الثلاثة صحيحة باعتبار : فهناك زيارة محرمة ، وزيارة مباحة وزيارة مستحبة ، فالذي تدل عليه الأدلة الشرعية أن نحمل المطلق من كلام العلماء على المقيد ، ونفصل الزيارة إلى ثلاثة أنواع : منهي عنه ، ومباح ، ومستحب ، وهو الصواب :

وأما النوع الأول : فإن الزيارة إذا تضمنت أمرًا محرمًا من شرك ، أو كذب أو ندب أو نياحة أو قول هجر : فهي محرمة بالإجماع ، كزيارة المشركين والساخطين لحكم الله ، فإن هؤلاء زيارتهم محرمة ، فإنه لا يقبل دين إلا دين الإسلام : وهو الاستسلام لخلقه وأمره . فيسلم لما قدره وقضاه .

ويسلم لما يأمر به ويحبه ، وهذا نفعله وندعو إليه ، وذاك نسلمه ونتوكل فيه عليه ، فنرضى بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا ونقول في صلاتنا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٣] مثل قوله تعالى ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه (٣ / ٦٥) .

(٢) الآيتان (٧٨ - ٧٩) من سورة الأنبياء .

(٣) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

(٤) الآية (١٢٣) من سورة هود .

والنوع الثاني : زيارة القبور لمجرد الحزن على الميت ، لقرابته أو صداقته فهذه مباحة كما يباح البكاء على الميت بلا ندب ولا نياحة .

كما زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال : « زوروا القبور فإنها تذكر الموت » فهذه الزيارة كان نهي عنها لما كانوا يفعلون من المنكر ، فلما عرفوا الإسلام أذن فيها لأن فيها مصلحة ، وهو تذكر الموت فكثير من الناس إذا رأى قريبه وهو مقبور ، ذكر الموت ، واستعد للآخرة ، وقد يحصل منه جزع ، فيتعارض الأمران ، ونفس الحزن مباح ، وإن قصد به طاعة كان طاعة وإن عمل معصية كان معصية .

وأما النوع الثالث : فهو زيارتها للدعاء لها كالصلاة على الجنازة فهذا هو المستحب الذي دلت السنة على استحبابه ، لأن النبي ﷺ فعله ، وكان يعلم أصحابه ما يقولون إذا زاروا القبور .

فيستحب عند الجمهور لمن أتى المدينة أن يأتي البقيع وشهداء أحد كما كان النبي ﷺ يفعل .

فزيارة القبور للدعاء للميت من جنس الصلاة على الجنائز يقصد فيها الدعاء لهم ، لا يقصد فيها أن يدعو مخلوقًا من دون اللّه ، ولا يجوز أن تتخذ مساجد ، ولا تقصد لكون الدعاء عندها أو بها أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت ، والصلاة على الجنائز أفضل باتفاق المسلمين من الدعاء للموتى عند قبورهم ، وهذا مشروع بل فرض كفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين[١] .

□ **والذي يجب معرفته هنا أن زيارة القبور على وجهين** :

زيارة بدعية ، وزيارة شرعية .

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٦٥ - ٣٨١) بتصرف .

فالزيارة البدعية : هي التي نهي عنها رسول الله ﷺ واتفق العلماء على أنها غير مشروعة وهي مثل اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، والصلاة إلى القبر ، واتخاذه وثنا أو عيدًا فلا يجوز أن تقصد القبور للصلاة الشرعية ، ولا أن تعبد كما تعبد الأوثان ولا أن تتخذ عيدا يجتمع إليها في وقت معين كما يجتمع المسلمون في عرفة ومِنىٰ .

فكل زيارة تتضمن فعل ما نهي عنه وترك ما أمر به ـ كالتي تتضمن الجزع وقول الهجر وترك الصبر ، أو تتضمن الشرك ودعاء غير اللّٰه وترك إخلاص الدين للّٰه فهي منهي عنها .

وأما الزيارة الشرعية : فهي السلام على الميت والدعاء له وهي مستحبة عند الأكثرين . وقيل : مباحة . وقيل : كلها منهي عنها كما تقدم .

والقول الراجح الذي تدل عليه الأدلة الشرعية أن نحمل المطلق من كلام العلماء على المقيد ونفصل الزيارة إلى ثلاثة أنواع :

١ ـ منهي عنه . ٢ ـ مباح . ٣ ـ مستحب .

وهو الصواب ، كما تقدم .

قال مالك وغيره : لا نأتي إلا هذه الآثار : مسجد النبي ﷺ ، ومسجد قباء وأهل البقيع ، وأحد .

فإن النبي ﷺ لم يكن يقصد إلا هذين المسجدين وهاتين المقبرتين »[1] .

ولكن بعد هذا التوضيح هل يصح أن يقاس قبر النبي ﷺ على قبور سائر المسلمين فيقال إذا كانت زيارة قبور المؤمنين مشروعة فزيارة قبره من باب أولى ؟

هذا ما سيأتي تفصيله في النقطة التالية :

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٠) بتصرف .

النقطة الخامسة :

أقوال العلماء في مسألة السلام على النبي ﷺ عند قبره .

سبق وأن وضحت في النقطة الثانية من هذا المطلب أنه لم يثبت عن النبي ﷺ نص ثابت صحيح في هذه المسألة ، يأمر فيه الأمة بالإتيان إلى قبره للسلام عليه ، كما ورد ذلك في شأن السلام عليه في التشهد وعند دخول المساجد والخروج منها ، وكذلك فإن الذي كان عليه فعل جمهور الصحابة من بعده ﷺ هو عدم الإتيان للقبر للسلام ، ولا تخصيصه بأي عمل من الأعمال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وجمهور الصحابة كانوا يدخلون المسجد ويصلون فيه على النبي ﷺ ، ولا يسلمون عليه عند الخروج من المدينة وعند القدوم من السفر ، بل يدخلون المسجد فيصلون فيه ويسلمون على النبي ﷺ ولا يأتون القبر ، ومقصود بعضهم التحية »[١].

وعلى هذا سار كثير من السلف من بعدهم . روى ابن أبي شيبة[٢] في المصنف[٣] عن خالد بن الحارث[٤] قال سئل هشام[٥] أكان عروة [٦] يأتي قبر النبي

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤١٤) .

(٢) عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة ، أبو بكر ، الكوفي ، ثقة حافظ صاحب تصانيف ، ومن أشهر كتبه المصنف ، توفي سنة ٢٣٥ هـ . تهذيب التهذيب (٦ / ٢ - ٤) .

(٣) (٣ / ٣٤١) .

(٤) خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمي ، أبو عثمان البصري ، ثقة ثبت من الثامنة ، مات سنة ست وثمانين ومائة . تهذيب التهذيب (٣ / ٨٣ - ٨٤) .

(٥) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، ثقة ، فقيه ربما دلس من الخامسة ، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة . تهذيب التهذيب (١١ / ٤٨ - ٥١) .

(٦) هو عروة بن الزبير وقد تقدم ترجمته ص ٥٢٨ .

ﷺ فيسلم عليه ؟ قال : لا .

وعن نوح بن يزيد قال : أخبرنا أبو إسحاق يعني إبراهيم بن سعد قال : ما رأيت أبي قط يأتي قبر النبي ﷺ ، وكان يكره إتيانه »[1] .

ولكن ابن عمر كان يأتيه فيسلم عليه وعلى صاحبيه عند قدومه من السفر

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ٢٦٨) . وقال شيخ الإسلام بعد إيراده لهذا الأثر وعزوه إلى أبي الحسن علي بن عمر القزويني في أماليه ما نصه : « ونوح بن يزيد بن سيار المؤدب هذا الراوي عن إبراهيم ابن سعد هو ثقة معروف بصحبة إبراهيم وله اختصاص به روى عنه أحمد بن حنبل وأبو داود وغيرهما قال أبو بكر الأثرم : ذكر لي أبو عبد الله نوح بن يزيد المؤدب فقال هذا شيخ كبير أخرج إلي كتاب إبراهيم بن سعد فرأيت فيه ألفاظًا وقال محمد بن المثنى : سألت أحمد بن حنبل عنه فقال : اكتب عنه فإنه ثقة حج مع إبراهيم بن سعد وكان يؤدب ولده . وذكره ابن حبان في الثقات .
وأما إبراهيم بن سعد فهو من أكابر علماء المدينة وأكثرهم علمًا وأوثقهم وكان قد خرج إلى بغداد روى عنه الناس : أحمد بن حنبل وطبقته ، ومن سعة علمه روى عنه الليث بن سعد وهو أقدم وأجل منه . وأما أبوه سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري الذي ذكر عنه ابنه إبراهيم أنه قال : ما رأيت أبي قط أتى قبر النبي ﷺ وكان يكره إتيانه » وهو من أفضل أهل المدينة في زمن التابعين ومن أصلحهم وأعبدهم ، وكان قاضي المدينة في زمن التابعين في زمن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأمثاله ... توفي سنة ست وعشرين ومائة ... وقد أدرك بالمدينة جابر ابن عبد الله وسهل بن سعد الساعدى وغيرهما من الصحابة ، ورأى كبار التابعين مثل سعيد بن المسيب وسائر الفقهاء السبعة ، ومعلوم أنه لم يكن ليخالفهم فيما اتفقوا عليه ، بل قد يخالف ابن عمر ، فإن ما نقله عنه ابنه يقتضي أنه كان لا يأتيه لا عندالسفر ولا غيره بل يكره إتيانه مطلقا كما كان جمهور الصحابة على ذلك لما فهموا من نهيه ﷺ عن ذلك وأنه أمر بالصلاة والسلام عليه في كل زمان ومكان ... مع أن سعد بن إبراهيم هذا في دينه وعبادته وصيامه وتلاوته للقرآن بحيث كان يختم باليوم والليلة كثيرًا .
وأبو الحسن علي بن عمر القزويني وغيره من أهل العلم والدين ذكروا هذه الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ليبينوا للناس كيف كان السلف يفعلون في مثل ذلك .
الرد على الأخنائي (ص ٢٦٨ ، ٢٧٠) .

وقد يكون فعله غير ابن عمر أيضا[١] .

فلهذا رأى من رأى من العلماء هذا جائزا اقتداء بمن فعل ذلك من الصحابة رضوان الله عليهم وابن عمر كان يسلم ثم ينصرف ، ولا يقف ، يقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ثم ينصرف[٢] . وكان يفعل ذلك إذا قدم من سفر أو أراده .

فعن عبد الله بن دينار[٣] قال رأيت ابن عمر إذا قدم من سفر دخل المسجد

---

(١) لعل شيخ الإسلام يقصد هنا بقوله : « وقد يكون فعله غيره » ما نقل عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهذا ما صرح به شيخ الإسلام في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٢٩٣)

وكذلك أنس بن مالك وغيره نقل عنهم أنهم كانوا يسلمون على النبي ﷺ فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى .

وقال في اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٧٢) وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في كتاب أخبار المدينة ... قال حدثني عمر بن هارون عن سلمة بن وردان قال « رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو » فهذا إن كان ثابتا عن أنس فإن أنسا لم يكن ساكنا بالمدينة ، وإنما كان يقدم من البصرة ، إما مع الحجيج أو نحوهم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومحمد بن الحسن هذا صاحب أخبار ، وهو مضعف عند أهل الحديث كالواقدي ونحوه ، ولكن يستأنس بما يرويه ويعتبر به .

اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٧١) .

وهذا يعني أنه لا يعول على أحاديثه وإنما تؤخذ شاهدا ومقويا هامش اقتضاء الصراط (ص ٣٧١)

وهذا الأثر أورده السخاوي في القول البديع (ص ٢١٢) وعزاه لابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن أبي أمامة عن أبيه قال : رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف » .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٠٠) .

(٣) عبد الله بن دينار العدوي مولاهم أبو عبدالرحمن المدني ، مولى ابن عمر ، ثقة من الرابعة ، مات سنة سبع وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب (٥ / ٢٠١ - ٢٠٣) .

فقال : السلام عليك يارسول الله ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي ، ويصلي ركعتين[١] . وفي رواية عنه أنه قال : « رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ ويصلي على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما »[٢] .

وفي المصنف لابن أبي شيبة بسنده عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلى ثم أتى قبر النبي ﷺ فقال : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه ثم يأخذ وجهه ، وكان إذا قدم من سفر يفعل ذلك قبل أن يدخل منزله[٣] » .

وفي المصنف لعبد الرزاق[٤] عن معمر[٥] عن أيوب[٦] عن نافع[٧] قال : كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه .

قال معمر : فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر[٨] فقال : « لا نعلم أحدا من

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضي (ص ٤١) ح ٩٩ وقال الألباني : إسناده موقوف صحيح .

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي (ص ٤١) ح ٩٨ وقال الألباني : إسناده موقوف صحيح وهو في الموطأ ح ٣٩٧ برواية يحيى بن يحيى الليثي بهذا اللفظ ، ومن طريقه رواه البيهقي (٥ / ٢٤٥) .

(٣) المصنف (٣ / ٣٤١) .

(٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، مولاهم ، أبو بكر الصنعاني ثقة ، حافظ ، مصنف شهير مات سنة إحدى عشر ومائتين . تهذيب التهذيب (٦ / ٣١٠ - ٣١٥) .

(٥) معمر بن راشد الأزدي الحداني مولاهم ، البصري ، نزيل اليمن ثقة ، ثبت ، فاضل ، أخرج له الجماعة ، مات سنة أربع وخمسين ومائة . تهذيب التهذيب (١ / ٢٤٣ - ٢٤٦) .

(٦) هو أيوب السختياني وقد تقدم ترجمته .

(٧) هو نافع مولى ابن عمر وقد تقدم ترجمته .

(٨) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، أبو عثمان القرشي العدوي ثم العمري المدني ، إمام ، مجود ، حافظ ، ثقة ثبت ، من صغار التابعين ، مات سنة بضع وأربعين ومائة . سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٠٤ - ٣٠٧) .

أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك[١] .

واستنادا لفعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أجاز الإمام مالك وأحمد وغيرهما[٢] من الأئمة السلام على النبي ﷺ عند القبر على الحال التي كان يفعلها ابن عمر رضي الله عنهما وهي حال القدوم من السفر أو إرادته ، واقتصروا في مشروعية السلام على النبي ﷺ عند القبر على هذه الحال ولم يفتوا في غيرها .

وهم وإن استحب بعضهم وأجاز بعضهم السلام على النبي عند القبر للقادم

---

(١) المصنف لعبد الرزاق (٣ / ٥٧٦) ح ٦٧٢٤

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي بعد أن أورد هذا الأثر في تعليقه على كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » (ص ١٢٨ - ١٢٩) أقول : يستفاد من قول عبيد الله ابن عمر الإمام المدني ، الثقة الثبت . أن الصحابة الكرام - وفيهم الخلفاء الراشدون - ما كانوا يأتون قبر النبي ﷺ إلا ما كان من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا قدم من سفر . مع حبهم الشديد لرسول الله وإكرامهم إياه وطاعتهم وانقيادهم له فهل آن للأمة الإسلامية أن تثوب إلى رشدها ، فتتبع هؤلاء العظماء والفقهاء النبلاء ، وإننا على ثقة أنهم ما وقفوا جميعا هذا الموقف إلا على أساس متين ، وصراط مستقيم من العلم النبوي الصحيح ، وعلى إدراك واع لمقاصد الشريعة وأهدافها .

إنه ما كان ذلك منهم - مع حبهم الشديد الصادق لرسول الله ﷺ - إلا تنفيذا لتوجيهاته الكريمة مثل قوله « لا تتخذوا قبري عيدًا ومثل قوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ومثل قوله ﷺ : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . تنفيذا لهذه التوجيهات العظيمة الهادفة إلى حماية التوحيد وصيانة العقيدة الإسلامية من شوائب الغلو والضلال الذي وقع فيه أهل الكتاب ، كان ذلك الموقف الواعي الرشيد من الصحابة الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون والفقهاء المبرزون مثل زيد بن ثابت وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وغيرهم من علماء الصحابة وعظمائها وساداتها ... » .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٧٣) .

إلا أنهم لم يقولوا بوجوبه وتعيينه فالذي نقل عن الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة من قول في هذه المسألة يدل على أنه استدل بفعل ابن عمر رضي الله عنهما ، وأن فتواه لم تتجاوز ما فعله رضي الله عنه وهذا من دقة فقه الإمام مالك ، ويتضح لك هذا من عبارته ففي الشفا للقاضي عياض : وقال مالك في « المبسوط » وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر ، وإنما ذلك للغرباء .

وقال فيه أيضا : لا بأس لمن قدم من سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ ، فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر .

فقيل له : فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة ؟

فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده »[٢] .

وقد ذكر الإمام مالك في موطئه فعل عبد الله بن عمر وأنه كان يأتي فيقول : « السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف .

وفي رواية : كان إذا قدم من سفر . رواه معمر عن نافع عنه .

وعلى هذا اعتمد مالك رحمه الله فيما يفعل عند الحجرة إذ لم يكن عنده إلا

---

(٢) الشفا (٢ / ٦٧٥ ، ٦٧٦) .

أثر ابن عمر رضي الله عنهما .

وأما ما زاد على ذلك مثل الوقوف للدعاء للنبي ﷺ وكثرة التردد على القبر للصلاة والسلام عليه فقد كرهه مالك ، وقال هو بدعة لم يفعلها السلف ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها[١] .

وقد تقدم ذكر نص كلامه وإذا كان مالك رحمه الله يكره أن يطيل الرجل الوقوف عنده ﷺ للدعاء فكيف بمن لا يقصد لا السلام ولا الدعاء له ، وإنما يقصد دعاءه وطلب حوائجه منه ، ويرفع صوته عنده فيؤذي الرسول ، ويشرك بالله ويظلم نفسه ؟[٢]

وقد كره الإمام مالك رحمه الله أن يقول القائل : زرت قبر النبي ﷺ . كره هذا اللفظ لأن السنة لم تأت به في قبره[٣] .

وقد ذكروا في تعليل ذلك وجوها ، ورخص غيره في هذا اللفظ للأحاديث العامة في زيارة القبور .

ومالك يستحب ما يستحبه سائر العلماء من السفر إلى المدينة والصلاة في مسجده . وكذلك السلام عليه وعلى صاحبيه عند قبورهم اتباعا لابن عمر .

ومالك من أعلم الناس بهذا لأنه قد رأى التابعين الذين رأوا الصحابة بالمدينة ولهذا كان يستحب اتباع السلف في ذلك ، ويكره أن يبتدع أحد هناك بدعة .

فكره أن يطيل الرجل القيام والدعاء عند قبر النبي ﷺ ؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يفعلون ذلك .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٤) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٥) .

(٣) فالسنة إنما وردت بزيارة مسجده والصلاة فيه .

وكره الإمام مالك لأهل المدينة كلما دخل انسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك .

وقال رحمة الله عليه : ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها »[١].

وقد صرح مالك وغيره : بأن من نذر السفر إلى المدينة النبوية إن كان مقصوده الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ وفى بنذره وإن كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد لم يف بنذره ؛ لأن النبي ﷺ قال : « لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد » والمسألة ذكرها القاضي إسماعيل بن إسحاق في المبسوط »[٢] .

وما أفتى به الإمام مالك من جواز السلام على النبي ﷺ عند حجرته التي دفن فيها وذلك لمن قدم من سفر هو ما أفتي به باقي الأئمة الأربعة .

وقد احتجوا بفعل ابن عمر كما احتج به مالك[٣] .

ومنهم من احتج بحديث « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »[٤] .

فقد اعتمد الإمام أحمد في زيارة قبره المكرم على هذا الحديث . وعن أحمد

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٣٤) . والإمام مالك نظر إلى قصد المسافر ونيته ومسمى الزيارة في لغته ، فقد يكون السائل من عرفه أن لفظ زيارة قبر النبي ﷺ يتناول من أتى المسجد وكان قصده القبر ، ومن أتاه وقصده المسجد ، وهذاعرف عامة الناس المتأخرين يسمون هذا كله زيارة ، ولم يكن هذا لغة السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

الرد على الأخنائي (ص ٢٣) بتصرف

(٣) الرد على الأخنائي (ص ١٣٧ - ١٣٨) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٧٦ .

أخذ ذلك أبو داود[١] فلم يذكر في زيارة قبره المكرم غير هذا الحديث وترجم عليه « باب زيارة القبر »[٢] .

فهذا الحديث هو عمدة الإمام أحمد وأبي داود وأمثالهم وهو غاية ما عندهم في هذا الباب عن النبي ﷺ إلا أن دلالة الحديث على المقصود فيها نزاع وتفصيل[٣] .

فليس في لفظ الحديث المعروف في السنن والمسند (عند قبري) مع أن الذين احتجوا بهذا الحديث قالوا إن هذا هو المراد ، ولم يرد على كل مسلم عليه في شرق الأرض وغربها مع أن هذا المعنى أي أنه يرد على كل مسلم في شرق الأرض وغربها إن كان هو المراد بطل الاستدلال بالحديث من كل وجه على اختصاص تلك البقعة بالسلام .

وإن كان المراد بالسلام في الحديث هو السلام عليه عند قبره كما فهمه عامة العلماء ، فهل يدخل فيه من سلم من خارج الحجرة ؟

---

(١) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي ، السجستاني أبو داود ، مصنف السنن وغيرها ، ثقة حافظ من كبار العلماء وأئمة الحديث ، مات سنة خمس وسبعين ومائتين .
تهذيب التهذيب (٤ / ١٦٩ - ١٧٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٣٠) .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولو أريد إثبات سنة لرسول الله ﷺ بمثل هذا الحديث لكان هذا مختلفا فيه ، فالنزاع في إسناده ودلالة متنه » . الرد على الأخنائي (ص ٢٠٣) .
وقال ابن عبد الهادي : « وهذا الحديث لا يسلم من مقال في إسناده ونزاع في دلالته » وقد تقدم الكلام على إسناده (وأما النزاع في دلالة الحديث فمن جهة احتمال لفظه فإن قوله : « ما من أحد يسلم علي » يحتمل أن يكون المراد به عند قبره كما فهمه جماعة من الأئمة ويحتمل أن يكون معناه على العموم وأنه لا فرق في ذلك بين القريب والبعيد وهذا هو ظاهر الحديث وهو الموافق للأحاديث المشهورة . الرد على السبكي (ص ٢٥٩) .

فهذا مما تنازع فيه الناس ، وقد توزعوا في دلالته .

فمن الناس من يقول هذا إنما يتناول من سلم عليه عند قبره كما كانوا يدخلون الحجرة في زمن عائشة رضي الله عنها فيسلمون على النبي ﷺ فكان يرد عليهم فأولئك سلموا عليه عند قبره وكان يرد عليهم[١] .

وهذا السلام عليه عند قبره كان مشروعا لما كان ممكنا بدخول من يدخل على عائشة رضي الله عنها .

وقالوا : فأما من كان في المسجد فهؤلاء لم يسلموا عليه عند قبره بل سلامهم عليه كالسلام عليه إذا دخل المسلم المسجد وخرج منه .

والذين استدلوا بهذا الحديث على اختصاص تلك البقعة بالسلام جعلوه متناولا لمن سلم عليه من داخل الحجرة أو من خارجها .

وقد اعترض على من احتج بهذا الحديث « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » على استحباب السلام للقادم عند الحجرة .

فقيل : إن هذا الحديث لو دل على استحباب السلام عليه من المسجد لما اتفق الصحابة على ترك ذلك ، ولم يفرق في ذلك بين القادم من السفر وغيره ؟

فقد اتفق الصحابة ابن عمر وغيره على أنه لا يستحب لأهل المدينة الوقوف عند القبر للسلام إذا دخلوا وخرجوا بل يكره ذلك ، فلما اتفقوا على ترك ذلك مع تيسره علم أنه غير مستحب بل لو كان جائزًا لفعله بعضهم وبهذا يتبين ضعف حجة من احتج بالحديث على استحباب السلام عليه من المسجد .

---

(١) هذا على قول من خص الحديث على السلام القريب وقالوا « إنما هو فيمن سلم عليه من قريب والقريب أن يكون في بيته ، فإن لم يحد بذلك لم يبق له حد محدود من جهة الشرع » . الرد على الأخنائي (ص ١٧٠) .

ولهذا كان أكثر السلف لا يفرقون بين الغرباء وأهل المدينة ولا بين حال السفر وغيره فإن استحباب هذا لهؤلاء وكراهته لهؤلاء حكم شرعي يفتقر إلى دليل شرعي ولا يمكن لأحد أن ينقل عن النبي ﷺ أنه شرع لأهل المدينة الإتيان عند الوداع للقبر وشرع لهم ولغيرهم ذلك عند القدوم من سفر ، وشرع للغرباء تكرير ذلك كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه ، ولم يشرع ذلك لأهل المدينة ، فمثل هذه الشريعة ليس منقولا عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه ولا هو معروف من عمل الصحابة وإنما نقل عن ابن عمر السلام عند القدوم من السفر ، وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة ، كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل ونزل وعبر النبي ﷺ في السفر ، وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك بل أبوه عمر كان ينهي عن مثل ذلك فعن المعرور بن سويد عن عمر قال : خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في صلاة الفجر ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ولإيلاف قريش في الثانية ، فلما رجع من حجه رأى الناس ابتدروا المسجد فقال : « ما هذا ؟ فقالوا مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فقال : وهذا ملة أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا ، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض »(١) (٢). ومن استدل بهذا الحديث من العلماء ذكر أنه يرد على القريب وخصوا الجواز للمسافر القادم أو المقيم المسافر .

وليس في الحديث ما يدل على التخصيص ، ذلك أنه يمتنع أن يقال إنه يرد على هؤلاء ولا يرد على أحد من أهل المدينة المقيمين فيها ، فيمتنع أن يكون

---

(١) عزاه شيخ الإسلام إلى سنن سعيد بن منصور .

انظر : الرد على الأخنائي (ص ١٦٩ ، ١٧٠) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ١٦٩ ، ١٧٠) بتصرف .

المعنى : من سلم منكم يا أهل المدينة لم أرد عليه مادمتم مقيمين بها فإن المقام بها هو غالب أوقاتهم ، وليس في الحديث تخصيص ، ولا روي عن النبي ﷺ ما يدل على ذلك .

يبين هذا : أن الحجرة لما كانت مفتوحة وكانوا يدخلون على عائشة لبعض الأمور ويسلمون عليه إنما كان يرد عليهم إذا سلموا .

فإن قيل : إنه لم يكن يرد عليهم فهذا تعطيل للحديث .

وإن قيل : كان يرد عليهم من هناك ، ولا يرد إذا سلموا من خارج فقد ظهر الفرق .

وإن قيل : بل هو يرد على الجميع فحينئذ إن كان رده لا يقتضي استحباب هذا السلام بطل الاستدلال به .

وإن كان رده يقتضي الاستحباب وهو من سلم من خارج ، لزم أن يستحب لأهل المدينة السلام كلما دخلوا المسجد وخرجوا وهو خلاف ما أجمع عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وخلاف قول المفرقين[1] ـ أي بين أهل المدينة والغرباء ـ الذين استدلوا بهذا الحديث .

هذا ولم يعتمد الأئمة لا الأربعة ولا غير الأربعة على شيء من الأحاديث التي يرويها البعض في زيارة قبره ﷺ كحديث « من زارني في مماتي فكأنما زارني في حياتي » .

وحديث : « من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » ونحو ذلك فإن هذه الأحاديث وأمثالها لم يروها أحد من أئمة الإسلام ولم

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٧٦ ، ١٧٧) .

يعتمدوا عليها ، ولم يروها لا أهل الصحاح ولا أهل السنن التي يعتمد عليها كأبي داود والنسائي لأنها ضعيفة بل موضوعة كما قد بين العلماء الكلام عليها »[١] .

ولكن جاء لفظ زيارة القبور في غير هذه الأحاديث كما في قوله ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإنها تذكر الموت »[٢] .

وكان ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين .. »[٣] .

وكان ﷺ يزور قبور أهل البقيع وشهداء أحد[٤] .

بيان غلط من قاس قبره ﷺ على قبر غيره في شأن الزيارة :

وقد استدل طائفة من الناس بهذه الأحاديث على مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ حيث قالوا إنه إذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبره أولى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن هنا غلط طائفة من الناس يقولون إذا كانت زيارة قبر آحاد الناس مستحبة فكيف بقبر سيد الأولين والآخرين .

وهؤلاء ظنوا أن زيارة قبر الميت مطلقا هو من باب الإكرام والتعظيم له والرسول أحق بالإكرام والتعظيم من كل أحد .

وظنوا أن ترك الزيارة له فيه تنقيص لكرامته ، فغلطوا وخالفوا السنة وإجماع الأئمة سلفها وخلفها .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٨٥ ، ٦٣٨) بتصرف .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٩٩ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٦٠٠ .

(٤) تقدم تخريجهما ص ٦٠٠ .

فقولهم نظير قول من يقول : إذا كانت زيارة القبور يصل الزائر فيها إلى قبر المزور ، فإن ذلك أبلغ في الدعاء له فالرسول أولى أن نصل إلى قبره إذا زرناه .

وقد ثبت بالتواتر وإجماع الأمة أن الرسول لا يشرع الوصول إلى قبره لا للدعاء له ولا لدعائه ولا لغير ذلك .

بل غيره من الناس يصلى على قبره عند أكثر السلف كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، والصلاة على القبر ـ كالصلاة على الجنازة ـ تشرع مع القرب والمشاهدة .

أما للنبي ﷺ فالإجماع لا يصلى على قبره سواء كان للصلاة حد محدود أو كان يصلى على القبر مطلقًا .

ولم يعرف عن أحد من الصحابة الغائبين لما قدم صلى على قبره ﷺ .

وزيارة القبور المشروعة هي مشروعة مع الوصول إلى القبر بمشاهدته وهذه الزيارة غير مشروعة في حقه بالنص والإجماع ، ولا هي أيضًا ممكنة فقبر النبي ﷺ خص بالمنع شرعًا وحسًا فقد دفن في الحجرة ومنع الناس من زيارة قبره من داخل الحجرة كما تزار سائر القبور فيصل الزائر إلى عند القبر ، وقبر النبي ليس كذلك ، فلا تستحب هذه الزيارة في حقه ولا تمكن وهذا لعلو قدره وشرفه لا لكون أن غيره أفضل منه ، فإن هذا لا يقوله أحد من المسلمين فضلا عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين بالمدينة وغيرها .

وبهذا يتبين غلط هؤلاء الذين قاسوه على عموم المؤمنين ، وهذا من باب القياس الفاسد .

ومن قاس قياس الأولى ولم يعلم ما اختص به كل واحد من المقيس والمقيس عليه كان قياسه من جنس قياس المشركين الذين يقيسون الميتة على المذكى

ويقولون للمسلمين أتأكلون ما قتلتم ولا تأكون ما قتل اللّٰه ؟[١]

فأنزل اللّٰه تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[٢] .

وكذلك لما أخبر اللّٰه أن الأصنام التي تعبد هي وعابدوها حصب جهنم . قاس ابن الزعبري[٣] ـ قبل أن يسلم ـ هو وغيره من المشركين ـ عيسى بها وقالوا فيجب أن يعذب عيسى ؟[٤]

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓا ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٥] .

ثم قال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٦] .

وبين تعالى الفرق بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[٧] بين أن من كان صالحًا نبيًا أو غير نبي لم يعذب لأجل من أشرك به وعبده وهو بريء من إشراكهم به .

وأما الأصنام فهي حجارة تجعل حصبا للنار ، وقد قيل انها من الحجارة التي

---

(١) انظر سبب نزول الآية في تفسير الطبري (٨ / ١٥ – ١٩) .

(٢) الآية (١٢١) من سورة الأنعام .

(٣) عبد اللّٰه بن الزعبري – بكسر الزاي الموحدة وسكون المهملة بعدها راء مقصورة – ابن قيس القرشي السهمي ، كان من أشهر قريش وكان شديدًا على المسلمين ثم أسلم في الفتح ومدح النبي ﷺ . الإصابة : (٢ / ٣٠٠) .

(٤) انظر : سبب النزول في تفسير ابن كثير (٤ / ١٣١) .

(٥) الآيتان (٥٧ – ٥٨) من سورة الزخرف .

(٦) الآية (٥٩) من سورة الزخرف .

(٧) الآية (١٠١) من سورة الأنبياء .

قال الله ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[(١)] وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[(٢)] .

والمقصود هنا أن يعرف أن ما مضت به سنته وكان عليه خلفاؤه وأصحابه وأهل العلم والدين بالمدينة تركهم لزيارة قبره أكمل في القيام بحق الله وحق رسوله :

١ ـ فهو أكمل وأفضل وأحسن مما يفعل مع غيره .

٢ ـ وهو أيضا في حق الله وتوحيده أكمل وأتم وأبلغ .

بيان ذلك :

أما كونه أتم في حق الله : فلأن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا كما ثبت ذلك في الصحيحين عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : « أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟

حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ... الحديث[(٣)]

ويدخل في العبادة جميع خصائص الرب : فلا يتقى غيره ، ولا يخاف غيره ولا يتوكل على غيره ، ولا يدعى غيره ، ولايصلى لغيره ، ولا يصام لغيره ، ولا يتصدق إلا له ، ولا يحج إلا إلى بيته . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ ﴾[(٤)] .

---

(١) الآية (٦) من سورة التحريم .

(٢) الآية (١٥) من سورة الجن .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب اسم الفرس والحمار فتح الباري (٦ / ٥٨) ح ٢٨٥٦ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١ / ٤٣) .

(٤) الآية (٥٢) من سورة النور .

فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى ٱللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾(١) .

فجعل الإيتاء لله والرسول كما قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾(٢) .

وجعل التوكل والرغبة إلى الله وحده .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ ﴾(٧) .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

(١) الآية (٥٩) من سورة التوبة .

(٢) الآية (٧) من سورة الحشر .

(٣) الآيتان (٧ - ٨) من سورة الشرح .

(٤) الآيتان (٥١ - ٥٢) من سورة النحل .

(٥) الآية (٤٤) من سورة المائدة .

(٦) الآية (٥٦) من سورة الإسراء .

(٧) الآية (٤) من سورة الأحقاف .

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[١]

وهذا باب واسع .

وقال النبي ﷺ لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله »[٢] .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ في صفة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب قال : « هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون »[٣] فهم لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم والرقية دعاء فكيف بما هو أبلغ من ذلك ؟

ومعلوم أنه لو اتخذ قبره عيدًا ومسجدًا ووثنًا ، وصار الناس يدعونه ويتضرعون إليه ويسألونه ويتوكلون عليه ويستغيثون به ، ويستجيرون به ، وربما سجدوا له وطافوا به وصاروا يحجون إليه ، وهذه كلها من حقوق الله وحده

---

(١) الآية (٢٢) من سورة سبأ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١ / ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧) .
وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب صفة القيامة ، باب (٥٩) (٤ / ٦٦٧) ح ٢٥١٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٥٤١ - ٥٤٢) .
قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم (ص ١٧٤) : « لهذا الحديث عن ابن عباس طرق كثيرة وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي ، كذا قال ابن منده وغيره ، وقد روى أيضا من طرق عن علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر ، وفي أسانيدها كلها ضعف ، وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة. انتهي باختصار يسير .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب من لم يرق . فتح الباري (١٠ / ٢١١) ح ٥٧٥٢ واللفظ له . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٣٧) .

لا يشركه فيها مخلوق .

فكان من حكمة اللّٰه دفنه في حجرته ومنع الناس من مشاهدة قبره ، والعكوف عليه ، والزيارة له ، ونحو ذلك لتحقيق توحيد اللّٰه وعبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين للّٰه .

وأما قبور أهل البقيع ونحوهم من المؤمنين فلا يجعل ذلك عندها وإذا قدر أن ذلك فعل عندها منع من يفعل ذلك وهدم ما يتخذ عليها من المساجد ، وإن لم تزل الفتنة إلا بتعفية قبره وتعميته فعل ذلك كما فعله الصحابة بأمر عمر بن الخطاب في قبر دانيال(١) .

وأما كون ذلك أعظم لقدره وأعلى لدرجته : فلأن المقصود المشروع بزيارة قبور المؤمنين كأهل البقيع وشهداء أحد هو الدعاء لهم كما كان هو يفعل ذلك إذا زارهم وكما سنه لأمته .

فلو سن للأمة أن يزوروا قبره للصلاة عليه والسلام عليه والدعاء له ، كما كان بعض أهل المدينة يفعل ذلك أحيانا وبين مالك أنه بدعة لم يبلغه عن صدر هذه الأمة ولا عن أهل العلم بالمدينة ، وأنها مكروهة فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ـ لكن بعض الناس يزوره ثم لتعظيمه في القلوب وعلم الخلق بأنه أفضل الرسل وأعظمهم جاهًا وأنه أوجه الشفعاء إلى ربه ، يدعو النفس إلى أن تطلب منه حاجاتها وأغراضها وتعرض عن حقه الذي هو له من الصلاة والسلام عليه والدعاء له .

فإن الناس مع ربهم كذلك إلا من أنعم اللّٰه عليه بحقيقة الإيمان ، إنما

---

(١) انظر : البداية لابن كثير (٢ / ٤٠ – ٤٢) .

يعظمون الله عند ضرورتهم إليه كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾(٢)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾(٣) ونظائر هذا في القرآن متعددة .

فإذا كانوا إلا ما شاء الله ، إنما يعظمون ربهم ويوحدونه ويذكرونه عند ضرورتهم لأغراضهم ولا يعرفون حقه إذا خلصهم فلا يحبونه ويعبدونه ولا يشكرونه ولا يقومون بطاعته فكيف يكونون مع المخلوق ؟

فهم يطلبون من الأنبياء والصالحين أغراضهم وذلك مقدم عندهم على حقوق الأنبياء والصالحين فإذا أيقنوا أن في زيارة قبر نبي أو صالح تحصيل أغراضهم بسؤاله ودعائه وجاهه وشفاعته أعرضوا عن حقه واشتغلوا بأغراضهم كما هو الموجود في عامة الذين يحجون إلى القبور المعظمة ويقصدونها لطلب الحوائج .

فلو أذن الرسول لهم في زيارة قبره ومكنهم من ذلك لأعرضوا عن :

١ ـ حق الله الذي يستحقه من عبادته .

٢ ـ وعن حق الرسول الذي يستحقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له بل ومن جعله واسطة بينهم وبين الله في تبليغ أمره ونهيه وخبره .

فكانوا يهضمون حق الله وحق الرسول كما فعلت النصارى فإنهم بغلوهم

---

(١) الآية (١٢) من سورة يونس .

(٢) الآية (٦٧) من سورة الإسراء .

(٣) الآية (٨) من سورة الزمر .

في المسيح تركوا حق الله من عبادته وحده وتركوا حق المسيح ، فهم لا يدعون له بل هو عندهم رب يدعى ولا يقومون بحق رسالته فينظرون ما أمر به وما أخبر به بل اشتغلوا بالشرك به وبغيره وطلب حوائجهم ممن يستشفعون به من الملائكة والأنبياء والصالحين عما يجب من حقوقهم .

وأيضا فلو جعلت الصلاة والسلام عليه والدعاء له عند قبره أفضل منها في غير تلك البقعة كما قد يكون الدعاء للميت عند قبره أفضل ، لكانوا يخصون تلك البقعة بزيادة الدعاء له وإذا غابوا عنها تنقص صلاتهم وسلامهم ودعاؤهم له ، فإن الإنسان لا يجتهد في الدعاء في المكان المفضول كما يجتهد في المكان الفاضل ، وهم قد أمروا أن يقوموا بحق الرسول ﷺ في كل مكان ، وأن لا يكون البعيد عن قبره أنقص إيمانًا وقيامًا بحقه من المجاور لقبره ، وقال لهم ﷺ : « لا تتخذوا قبري عيدًا وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني »[1] .

وقد شرع لهم أن يصلوا عليه ويسألوا له الوسيلة إذا سمعوا المؤذن حيث كانوا ، وأن يسلموا عليه في كل صلاة ، ويصلوا عليه في الصلاة ، وأن يسلموا عليه إذا دخلوا المسجد وإذا خرجوا منه .

فهذا الذي أمروا به عام في كل مكان ، وهو يوجب من القيام بحقه ورفع درجته وإعلاء منزلته ما لا يحصل لو جعل ذلك عند قبره أفضل ، ولا إذا سوي بين قبره وقبر غيره .

بل إنما يحصل كمال حقه مع حق ربه ، بفعل ما شرعه وسنه لأمته من واجب ومستحب : وهو أن يقوموا بحق الله ، ثم بحق رسوله حيث كانوا من

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٠ .

المحبة والموالاة والطاعة وغير ذلك من الصلاة والسلام والدعاء وغير ذلك .

ولا يقصدون تخصيص القبر لما يفضي إليه ذلك من ترك حق اللَّه وحق رسوله .

فهذا وغيره مما يبين أن ما نهي عنه الناس ومنعوا منه ، وكان السلف لا يفعلونه من زيارة قبره ، وإن كانت زيارة قبر غيره مستحبة ، فهو أعظم لقدره وأرفع لدرجته وأعلى في منزلته ، وأن ذلك أقوم بحق اللَّه وأتم وأكمل في عبادته وحده لا شريك له وإخلاص الدين له ، ففي ذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله .

وإن أهل البدع الذين فعلوا ما لم يشرعه اللَّه بل ما نهي عنه وخالفوا الصحابة والتابعين لهم بإحسان فاستحبوا ما كان أولئك يكرهونه ويمنعون منه ، هم مضاهؤون للنصارى ، وإنهم نقصوا من تحقيق الإيمان باللَّه وبرسوله ، والقيام بحق اللَّه وحق رسوله بقدر ما دخلوا فيه من البدعة التي ضاهوا بها النصارى فهذا هذا ، واللَّه أعلم .

وأيضا فإنه إذا أطيع أمره وأتبعت سنته كان له من الأجر بقدر أجر من أطاعه واتبع سنته لقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا »[1] .

وأما البدع ـ التي لم يشرعها بل نهي عنها ، وإن كانت متضمنة للغلو فيه والشرك به والإطراء له كما فعلت النصارى ، فإنه لا يحصل بها أجر لمن عمل بها فلا يكون للرسول فيها منفعة ، بل صاحبها إن عذر كان ضالًا لا أجر له

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٩٧ .

وإن قامت عليه الحجة استحق العذاب .

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »[1] .

فإن قال هؤلاء الذين قاسوا زيارة قبره على زيارة سائر القبور : إن الناس منعوا من الوصول إليه تعظيما لقدره ، وجعل سلامهم وخطابهم له من الحجرة لأن ذلك أبلغ في الأدب والتعظيم .

قيل : فهذا يوجب الفرق فإن الزيارة المشروعة إن كان مقصودها الدعاء له فكون ذلك قريبا من الحجرة أفضل منه في سائر المساجد والبقاع ، فالذي يدعو له من داخل الحجرة أقرب ، وإن كان القرب مستحبًا فكلما كان أقرب كان أفضل كسائر القبور .

وإن كان مقصودها ـ أي الزيارة ـ ما يقوله أهل الشرك والضلال من دعائه ودعاؤه من القرب أولى ، فينبغي أن يكون من داخل الحجرة أولى .

ولما ثبت بالنص والإجماع أن هذا القرب من القبر ممنوع منه ، وهو أيضا غير مقدور عليه ، علم أن القرب من ذلك ليس بمستحب . بخلاف زيارة قبر غيره والصلاة على قبره ـ أي قبر ذلك الغير ـ فإن القرب منه مستحب إذا لم يفض إلى مفسدة من شرك أو بدعة أو نياحة فإن أفضى إلى ذلك منع من ذلك .

ومما يوضح هذا : أن الشخص الذي يقصد أتباعه زيارة قبره يجعلون قبره بحيث يمكن زيارته فيكون له باب يدخل منه إلى القبر ويجعل عند القبر مكان للزائر إذا دخل بحيث يتمكن من القعود فيه بل يوسع المكان ليسع الزائرين .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ فتح الباري (٦ / ٤٧٨) ح ٣٤٤٥ .

ومن اتخذه مسجدا جعل عنده صورة محراب أو قريبا منه ، وإذا كان الباب مغلقا جعل له شباكا على الطريق ليراه الناس فيه فيدعونه .

وقبر النبي ﷺ بخلاف هذا كله لم يجعل للزوار طريق إليه بوجه من الوجوه ولا قبر في مكان كبير يسع الزوار ، ولا جعل للمكان شباك يرى منه القبر بل منع الناس من الوصول إليه والمشاهدة له .

ومن أعظم ما من اللّه به على رسوله ﷺ وعلى أمته واستجاب فيه دعاءه أن دفن في بيته بجانب مسجده .

فلا يقدر أحد أن يصل إلا إلى المسجد والعبادة المشروعة في المسجد معروفة بخلاف ما لو كان القبر منفردًا عن المسجد .

والمسافر إليه إنما يسافر إلى المسجد وإذا سمى هذا زيارة لقبره فهو اسم لا مسمى له إنما هو إتيان إلى مسجده ، ولهذا لم يطلق السلف هذا اللفظ »[1]

فالزيارة المعهودة من القبور ممتنعة فيه قبره فليست من العمل المقدور ولا المأمور ، فامتنع أن يكون أحد من العلماء يقصد بزيارة قبره هذه الزيارة ، وإنما أرادوا السفر إلى مسجده والصلاة والسلام عليه والثناء عليه هناك لكن سموا هذا زيارة لقبره كما اعتادوه ، ولو سلكوا مسلك التحقيق الذي سلكه الصحابة ومن اتبعهم لم يسموا هذا زيارة لقبره وإنما هو زيارة لمسجده وصلاة وسلام عليه ودعاء له وثناء عليه في مسجده سواء كان هناك القبر أو لم يكن[2].

فمجرد زيارة قبره كالزيارة المعروفة للقبور غير مشروعة ولا ممكنة ولو كان في زيارة قبره عبادة زائدة للأمة لفتح باب الحجرة ومكنوا من فعل تلك العبادة

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٥١ - ١٦٠) بتصرف .

(٢) الصارم المنكي (ص ٨٥ ، ٨٦) .

عند قبره ، وهم لم يمكنوا إلا من الدخول إلى مسجده[١]

والله سبحانه قد فرق بين قبر رسوله ﷺ وقبر غيره فإنهم دفنوه بالحجرة ولم يبرزوا قبره كما كانوا يبرزون قبورهم خوفًا أن يتخذ مسجدًا .

ثم إنهم منعوا الناس من زيارته كما يزورون القبور ، فلم يكونوا يمكنون الناس من الدخول لزيارته . ثم إنهم سدوا باب الحجرة وبنوا عليها حائطًا آخر فلم يبق أحد متمكنا من زيارته كما تزار القبور .

ولهذا لم يعرف عن أحد من الصحابة أنه تكلم بهذا الاسم في حقه فقال تستحب زيارة قبره أو لا تستحب أو نحو ذلك ولا علق بهذا الاسم حكما شرعيا

وقد كره من كره من العلماء التكلم به ، وذلك اسم لا مسمى له ولفظ لا حقيقة له وإنما تكلم به من تكلم من المتأخرين ومع هذا فلم يريدوا ما هو معروف من زيارة القبور »[٢] .

فتبين أنه ليس في الشريعة عمل يسمى « زيارة لقبره » وأن هذا الاسم لا مسمى له ، والذين أطلقوا هذا الاسم إن أرادوا به ما يشرع فالمعنى صحيح لكن عبروا عنه بلفظ لا يدل عليه .

وإن أرادوا ما لا يشرع فذاك المعنى خطأ مفهوم ومع هذا فليس هو زيارة .

فخلاصة ما يمكن حصره من مسائل وأقوال في مسألة السلام على النبي ﷺ ما يلي :

١ ـ أن السلام عليه ﷺ عند دخول مسجده وسائر المساجد في سائر البقاع مشروع بالكتاب والسنة والإجماع وقد تقدم ذكر الأدلة في ذلك .

---

(١) الصارم المنكي (ص ١١٢) .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٢٥ - ٢٦) .

٢ ـ أما السلام عليه عند قبره من داخل الحجرة فهذا كان مشروعا لما كان ممكنًا بدخول من يدخل على عائشة .

٣ ـ أما تخصيص هذا السلام أو الصلاة بالمكان القريب من الحجرة فهذا محل النزاع .

وللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال :

القول الأول : منهم من ذكر استحباب السلام أو الصلاة والسلام عليه إذا دخل المسجد ، ثم بعد أن يصلي في المسجد استحب أيضا أن يأتي إلى الحجرة ويصلي ويسلم كما ذكر ذلك طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد .

القول الثاني : ومنهم من لم يذكر إلا النوع الثاني فقط أي أنه يأتي إلى الحجرة ويصلي ويسلم .

القول الثالث : ومنهم من لم يذكروا إلا النوع الأول فقط أي السلام أو الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد ، وفي التشهد في الصلاة وهذا ما ذكره كثير من السلف[1] .

فهذا النوع الأول ـ أي السلام عند دخول المسجد ـ هو المشروع لأهل البلد وللغرباء في هذا المسجد وغير هذا المسجد .

وأما النوع الثاني ـ أي السلام عليه عند الحجرة ـ فهو الذي فرق من استحبه بين أهل البلد والغرباء سواء فعله مع الأول أو مجردًا عنه فاستحبوه للغرباء دون أهل البلد ، محتجين على ذلك بفعل ابن عمر رضي اللّٰه عنهما .

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٤٢) .

وفي هذا الاستحباب نظر « لأن الأمر إذا فعله من الصحابة الواحد والاثنان والثلاثة وأكثر ، دون غيرهم كان غايته أن يثبت به التسويغ بحيث يكون هذا مانعًا من دعوى الإجماع على خلافه ، بل يكون كسائر المسائل التي يساغ فيها الاجتهاد ، أما أن يجعل من سنة الرسول وشريعته وحكمه ما لم تدل عليه سنته لكون بعض السلف فعل ذلك فهذا لا يجوز[1] .

فالأولى في هذه المسألة أن يقال : إن فعل ابن عمر إنما يدل على التسويغ بحيث يكون فعل من فعل ذلك اقتداء بفعل بعض الصحابة لم يبتدع شيئا من عنده .

أما أن يقال إن فعل هذا عبادة وطاعة يشرع فعلها احتجاجا بفعل بعض الصحابة ـ ولا سيما إذا عرف أن جمهور الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك ـ فلا يكفي الإحتجاج بفعل بعض الصحابة على استحبابه بل الأمر يحتاج إلى دليل شرعي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما أن يقال إن الرسول ندب إلى ذلك ورغب فيه وجعله عبادة وطاعة يشرع فعلها ، فهذا يحتاج إلى دليل شرعي ولا يكفي في ذلك فعل بعض السلف .

ولا يجوز أن يقال إن اللّٰه ورسوله يحب ذلك أو يكرهه ، وإنه سن ذلك وشرعه ، أو نهي عن ذلك وكرهه ، ونحو ذلك إلا بدليل يدل على ذلك لا سيما إذا عرف أن جمهور أصحابه لم يكونوا يفعلون ذلك .

فيقال : لو كان ندبهم إلى ذلك وأحبه لهم لفعلوه فإنهم كانوا أحرص الناس

---

(١) الرد على على الأخنائي (ص ١٧٧ - ١٧٨) .

على الخير ، ونظائر هذا متعددة والله أعلم »[١] .

وفي الوقت ذاته لا يقال : انعقد إجماعهم[٢] على تركه فيبدع من فعله مع أنه قد ثبت فعله من بعض الصحابة كما ثبت من فعل ابن عمر رضي الله عنهما .

هذا فيما يتعلق بالسلام عليه عند حجرته للقادم من السفر .

أما الشخص المقيم فلم يستحب أحد من علماء السلف أن يأتي أحد إلى الحجرة للسلام أو الصلاة ، بل هو منهي عنه لأن في تخصيص الحجرة للصلاة والسلام بهذه الصورة جعلًا لها عيدًا ، وكذلك فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان لم يكونوا يفعلون ذلك . وقد تقدم نقل كلام الإمام مالك في هذه المسألة بعينها وكيف أنه كره ذلك لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك وقال رحمه الله : « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها » .

فوقوف أهل المدينة بالقبر من البدع التي لم يفعلها الصحابة ، وهذه الزيارة منهي عنها لقوله ﷺ : « لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني » وروي مثل ذلك في السلام عليه ، فعلم أنه يكره تخصيص تلك البقعة بالصلاة والسلام بل يصلى ويسلم في جميع المواضع وذلك واصل إليه فمثل هذه الزيارة بدعة منهي عنها .

والذين أجازوا السلام عليه عند الحجرة للغرباء اختلفوا كيف يسلم عليه هل تستقبل الحجرة أم القبلة ؟ على قولين :

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ١٧٩) .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية « وإذا فعله من الصحابة الواحد والاثنان والثلاثة وأكثر دون غيرهم كان غايته أن يثبت به التسويغ بحيث يكون مانعا من دعوى الإجماع .

القول الأول : فالأكثرون يقولون يستقبل الحجرة كمالك والشافعي وأحمد .
القول الثاني : وأبو حنيفة يقول يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره في قول وخلفه في قول .

لأن الحجرة النبوية لما كانت خارجة عن المسجد لم يكن يمكن أحدًا أن يستقبل وجهه ﷺ ، ويستدبر القبله ، كما صار ذلك ممكنا بعد دخولها في المسجد ، بل كان إن استقبل القبلة صارت عن يساره ، وحينئذ فإن كانوا يستقبلونه ويستدبرون الغرب فقول الأكثرين أرجح وإن كانوا يستقبلون القبلة حينئذ ويجعلون الحجرة عن يسارهم فقول أبي حنيفة أرجح »[١] .

والسلف كلهم متفقون على أن الزائر لا يسأله شيئا ولا يطلب منه ما يطلب في حياته ويطلب منه يوم القيامة لا شفاعة ولا استغفار ولا غير ذلك وإنما كان نزاعهم في الوقوف للدعاء له والسلام عليه[٢] .

فقد تكلم السلف في الدعاء للرسول ﷺ عند قبره

١ ـ فمنهم من نهي عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه .

٢ ـ ومنهم من رخص في الدعاء له والسلام عليه .

٣ ـ ومنهم من نهي عن الدعاء له والسلام عليه[٣] (أي عند قبره) .

ولا يجوز السجود للحجرة ولا الطواف بها بل هو كفر بإجماع المسلمين[٤] بل ولا الصلاة إليها لما ثبت في صحيح مسلم من أبي مرثد الغنوي أنه قال

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٣٠) .
(٢) الرد على الأخنائي (ص ١٦٦) .
(٣) الرد على الأخنائي (ص ١٦٣) .
(٤) الرد على الأخنائي (ص ١٧٧ ، ٢١٥) .

ﷺ : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والصلاة إلى الحجرة والتمسح بها وإلصاق البطن بها وغير ذلك مما يفعله الجهال منهي عنه باتفاق المسلمين »[٢] .

قال أبو بكر الأثرم[٣] قلت لأبي عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل : قبر النبي ﷺ يلمس ويتمسح به ؟ فقال : ما أعرف هذا . قلت لأبي عبد الله : إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر . وقلت له : ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ، ويقيمون ناحية فيسلمون . فقال أبو عبد الله : نعم ، وهكذا كان ابن عمر يفعل . ثم قال أبو عبد الله : بأبي وأمي ﷺ »[٤] .

أما السفر إلى « زيارة قبره » فهذا اللفظ فيه إجمال[٥] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٩ .

(٢) الرد على الأخنائي (ص ٢٢٩) .

(٣) أحمد بن محمد بن هانئ الطائي ويقال الكلبي ، أبو بكر الأثرم ثقة حافظ ، صاحب تصانيف ، روى عن أحمد بن حنبل وتفقه عليه ، وسأله عن المسائل والعلل ، توفي سنة ٢٦١ هـ ، وقيل بعدها .
تهذيب التهذيب (١ / ٧٨ - ٧٩) .

(٤) الرد على الأخنائي (ص ١٧٨) .

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : هذا الموضع مما يشكل على كثير من الناس ، فينبغي لمن أراد أن يعرف دين الإسلام أن يتأمل النصوص النبوية ويعرف ما كان يفعله الصحابة والتابعون وما قاله أئمة المسلمين ليعرف المجمع عليه من المتنازع فيه . فإن في الزيارة مسائل متعددة تنازعوا فيها ، لكن لم يتنازعوا في استحباب السفر إلى مسجده واستحباب الصلاة والسلام عليه ونحو ذلك مما شرعه الله في مسجده ، ولم يتنازع الأئمة الأربعة والجمهور في أن السفر إلى غير الثلاثة ليس بمستحب لا لقبور الأنبياء والصالحين ولا لغير ذلك ، فإن قول النبي ﷺ « لا تشد الرحال » حديث متفق على صحته وعلى العمل به ، عند الأئمة المشهورين وعلى أن السفر إلى القبور داخل فيه .
الرد على الأخنائي (ص ٢٧٠ - ٢٧١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : لفظ اتيان القبر ، وزيارة القبر والسفر إلى القبر ونحو ذلك ، يتناول من يقصد المسجد وهذا مشروع .

ويتناول من لم يقصد إلا القبر وهذا منهي عنه كما دلت عليه النصوص وبينه مالك وغيره . فمن نقل عن السلف أنهم استحبوا السفر لمجرد القبر دون المسجد ولا الصلاة فيه ، بل إنما يقصد القبر كالصورة التي نهي عنها مالك فهذا لا يوجد في كلام أحد من علماء السلف استحباب ذلك فضلا عن إجماعهم عليه . وهذا الموضع يجب على المسلمين عامة وعلمائهم تحقيقه ومعرفة ما هو المشروع والمأمور به الذي هو عبادة الله وحده وطاعة له ولرسوله وبر وتقوى وقيام بحق الرسول .

وما هو شرك وبدعة وضلالة منهي عنها لئلا يلتبس هذا بهذا فإن السفر إلى مسجد المدينة مشروع باتفاق المسلمين لكن إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

وقد تقدم عن مالك وغيره أنه من نذر إتيان المدينة إن كان قصده الصلاة في المسجد يوفي بنذره ، وإلا لم يوف بنذره .

وأما اذا نذر اتياه المسجد لزمه لأنه إنما يقصد الصلاة .

فلم يجعل إلى المدينة سفرا مأمورا به إلا سفر من قصد الصلاة في المسجد وهو الذي يؤمر به الناذر بخلاف غيره لقوله ﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . فتح الباري (٣ / ٦٣) ح ١١٨٩ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٤ / ١٢٦) .

وجعل من سافر إلى المدينة أو إلى بيت المقدس لغير العبادة الشرعية في المسجدين سفرًا منهيًا عنه ، لا يجوز أن يفعله وإن نذره ، وهذا هو قول جمهور العلماء .

فمن سافر إلى مدينة الرسول أو بيت المقدس لقصد زيارة ما هناك من القبور أو من آثار الأنبياء والصالحين كان سفره محرمًا عند مالك والأكثرين وقيل إنه سفر مباح ليس بقربة كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ، وهو قول ابن عبد البر .

وما علمنا أحدًا من علماء المسلمين المجتهدين الذين تذكر أقوالهم في مسائل الإجماع والنزاع ذكر أن ذلك مستحب .

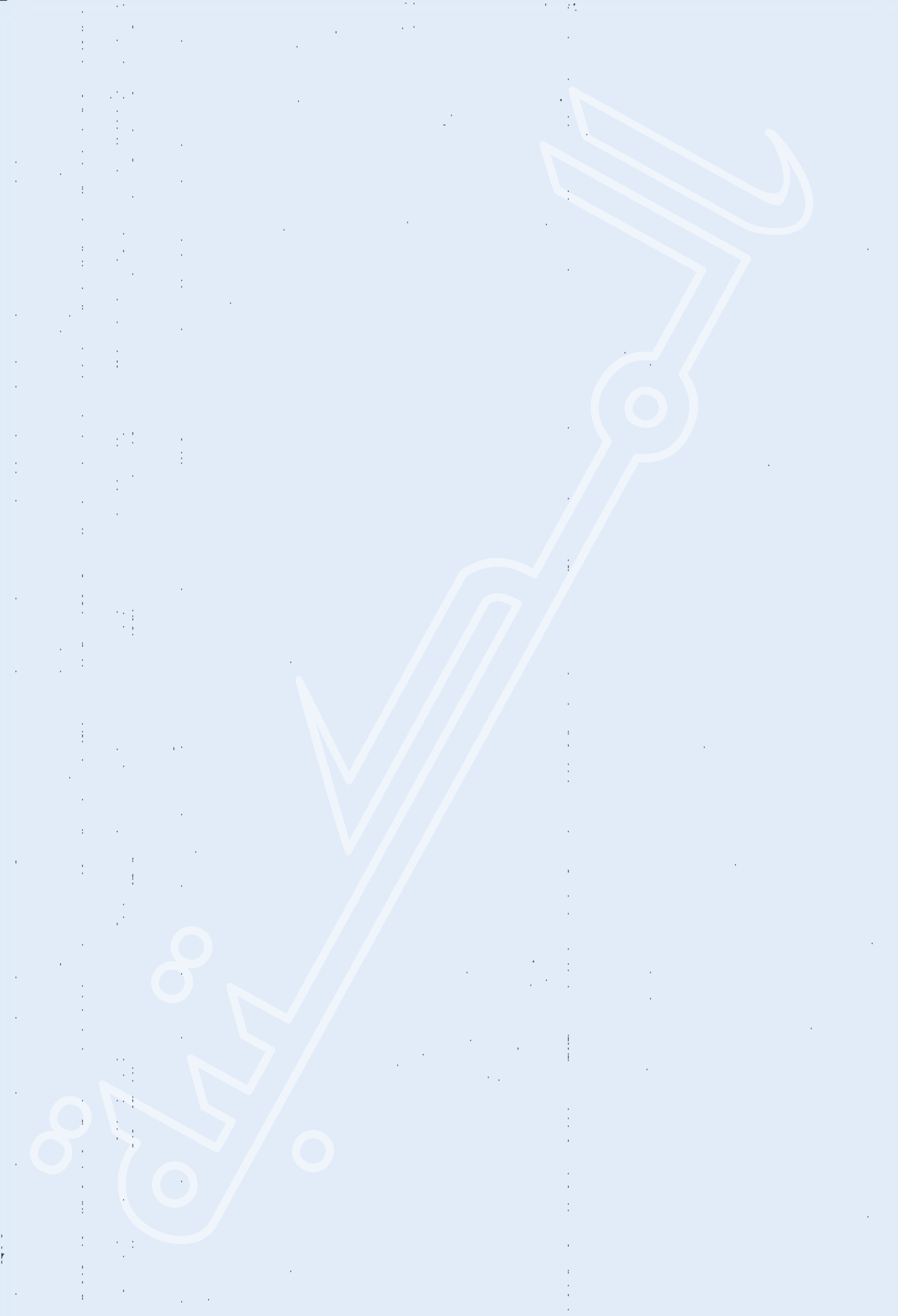
فدعوى من ادعى أن السفر إلى مجرد القبور مستحب عند جميع علماء المسلمين كذب ظاهر وكذلك إن ادعى أن هذا قول الأئمة الأربعة أو جمهور أصحابهم أو جمهور علماء المسلمين فهو كذب بلا ريب وكذلك إن ادعى أن هذا قول عالم معروف من الأئمة المجتهدين .

وإن قال إن هذا قول بعض المتأخرين أمكن أن يصدق في ذلك وهو بعد أن يعرف صحة نقله ، نقل قولًا شاذا مخالفا لإجماع السلف مخالفا لنصوص الرسول ﷺ ، فكفي بقول فسادًا أن يكون قولا مبتدعا في الإسلام مخالفا للسنة والجماعة ولما سنه الرسول ولما اجتمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، والنقل عن علماء السلف يوافق ما قاله مالك ، فمن نقل عنهم ضد ذلك فقد كذب »[1] .

○○○○

---

(١) الرد على الأخنائي (ص ٢١٩ - ٢٢١) .



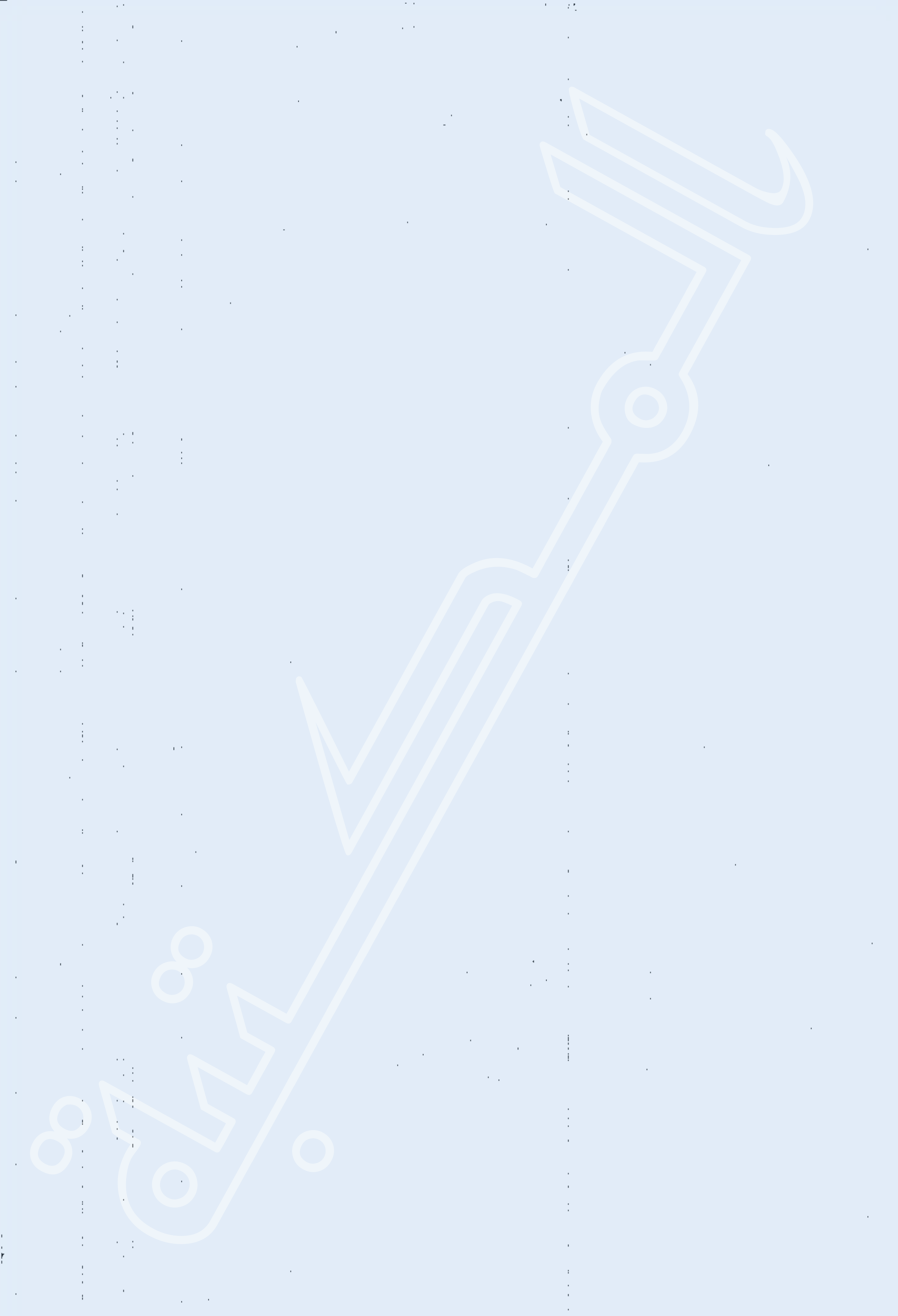
الباب الرابع

النهي عن الغلو في حقه ﷺ

○ وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف الغلو وسد الشارع لطرق الغلو في حقه .

الفصل الثاني : بيان الأمور التي حصل فيها غلو في حقه وحكم الشرع فيها .



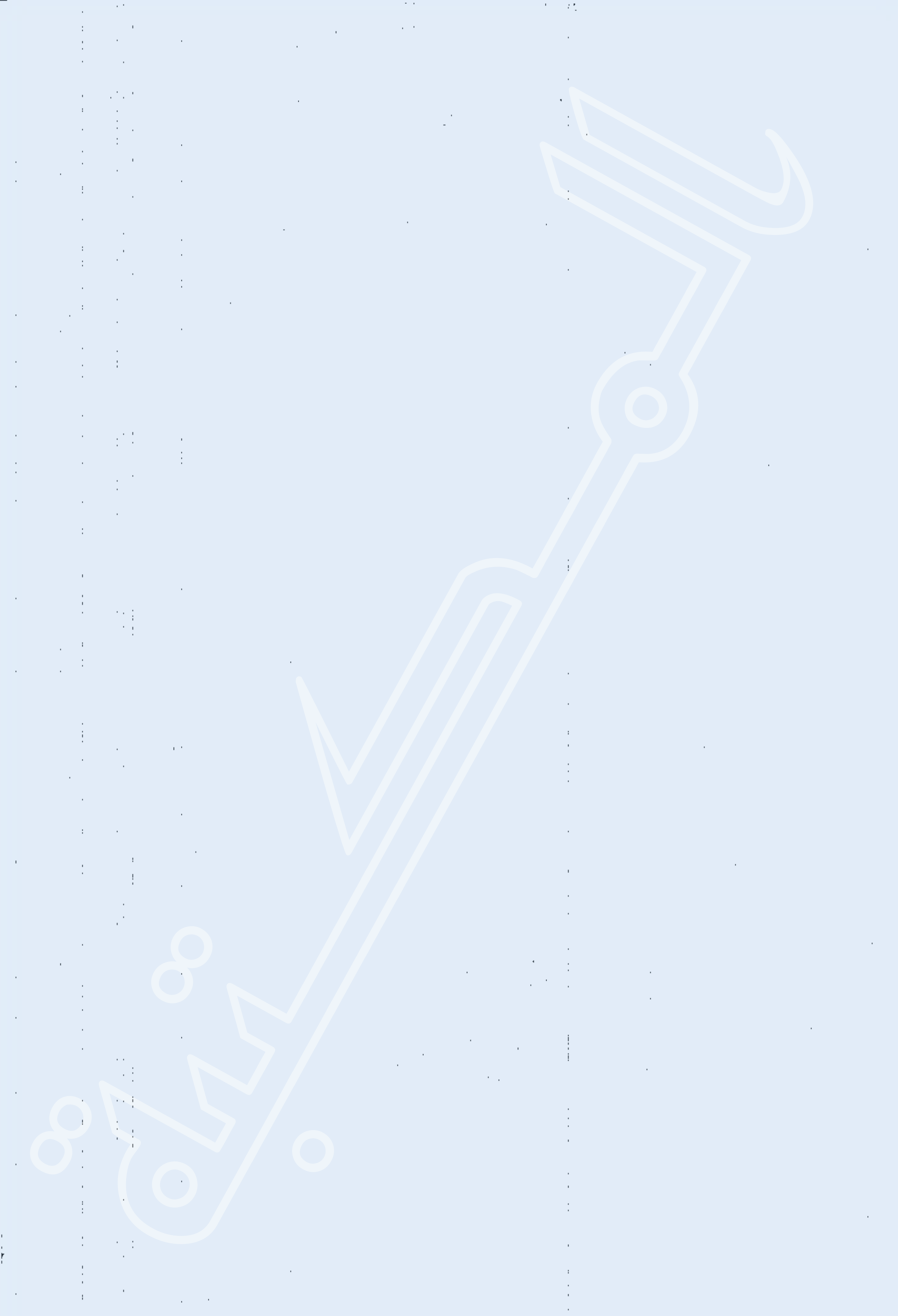
الفصل الأول

تعريف الغلو وسد الشارع لطرق الغلو في حقه ﷺ

المبحث الأول : تعريف الغلو وموقف الشرع منه .

المبحث الثاني : الفرق بين ما هو حق لله وحده لا يشركه فيه غيره وبين ما هو حق للرسول ﷺ .

المبحث الثالث : بيان توسط السلف في حق النبي ﷺ .



المبحث الأول

تعريف الغلو وموقف الشرع منه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المعنى اللغوي .

المطلب الثاني : التعريف الشرعي للغلو وموقف الشرع منه .

● ● ● ●

المطلب الأول

المعنى اللغوي

أما المعنى اللغوي للغلو :

فجاء في مقاييس اللغة : الغين ـ واللام ـ والحرف المعتل ـ أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر . يقال : غلا السعر يغلو غلاء ، وذلك ارتفاعه . وغلا الرجل في الأمر غلوا ، إذا جاوز حده . وغلا بسهمه غلوا ، إذا رمى به سهما أقصى غايته . وتغالى النبت ارتفع وطال . وتغالى لحم الدابة : إذا انحسر عنه وبره ، وذلك لا يكون إلا عن قوة وسمن وعلو ... الخ[1]

وفي التهذيب « ... غلا السعر غلاء ممدود . وغلا في الدين يغلو غلوا : إذا جاوز الحد ... »[2]

وفي اللسان : « ... أصل الغلاء : الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء . وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا : جاوز حده .

وفي التنزيل : ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الغلو : هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك »[4] .

○○○○

(١) معجم مقاييس اللغة (٤ / ٣٨٧ ، ٣٨٨) .

(٢) تهذيب اللغة (٨ / ١٩٠ ، ١٩٢) .

(٣) لسان العرب (١٥ / ١٣١ ، ١٣٢) مادة (غلا) .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) .

المطلب الثاني

التعريف الشرعي للغلو وموقف الشرع منه

الغلو في الشرع : هو مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل .

وقد جاء ذكر لفظ الغلو في القرآن الكريم في موضعين وكان الخطاب فيهما للنصارى باعتبارهم أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وأما الموضعان :

فأحدهما : في قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ٱنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾[1]

والموضع الثاني : قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2]

قال ابن جرير الطبري :

« يعني جل ثناؤه بقوله ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ ﴾ : يا أهل الإنجيل من النصارى ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ يقول : « لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتفرطو فيه ،

---

(١) الآية (١٧١) من سورة النساء .

(٢) الآية (٧٧) من سورة المائدة .

ولا تقولوا في عيسى غير الحق فإن قيلكم في عيسى إنه ابن اللّه قول منكم على اللّه غير الحق ، لأن اللّه لم يتخذ ولدًا ، فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابنا « ولا تقولوا على اللّه إلا الحق » .

وأصل الغلو في كل شيء : مجاوزة حده الذي حده ، ويقال منه في الدين قد غلا فهو يغلو غلوًا »[(١)] .

وقال في تفسير آية المائدة : وهذا خطاب من اللّه تعالى ذكره ، لنبيه محمد ﷺ ، يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ ﴾ يعني بالكتاب الإنجيل ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ يقول لا تفرطوا في القول فيما تدينون به في أمر المسيح ، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه : هو اللّه أو هو ابنه ، ولكن قولوا : هو عبد اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ يقول لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه كما قالوا وتبهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية ... »[(٢)]

وقال ابن كثير في تفسيره للآية الواردة في سورة النساء : « ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه اللّه إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون اللّه يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا ، أو ضلالا أو رشادا ، أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال اللّه

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣٤) .

(٢) تفسير الطبري (٦ / ٣١٦) .

تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[1] [2] .

وقال عند تفسير آية سورة المائدة : أي لا تتجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهًا من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا ... »[3] .

والمتأمل للنصوص القرآنية يجد أن النصارى لم يكتفوا بالغلو في المسيح ورفعه إلى درجة الألوهية بل غلوا أيضًا في حق أحبارهم ورهبانهم فأعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والاتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه .

فكان الأحبار والرهبان يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ويقررون شرائع وأحكامًا ما أنزل الله بها من سلطان فتلقى النصارى ذلك كله بالقبول والطاعة .

قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

فهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ أي الذي إذا حرم شيئًا فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأنداد

---

(١) الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ٨٢) .

والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه »[١] .

ولم يقتصر غلو النصارى عند الحد ، بل قدسوهم أمواتًا كما قدسوهم أحياءً فأقاموا على قبورهم الأضرحة وقدموا لهم القرابين فكان ذلك سببا في لعنهم قال ﷺ « لعنة اللّٰه على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود كما في الصحيحين : « أن النبي ﷺ ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي اللّٰه عنهما كنيسة بأرض الحبشة ، وذكرتا من حسنها وتصاوير فيها . فقال : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات بنوا على قبره مسجدًا ، وصوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند اللّٰه يوم القيامة »[٣] .

والنصارى كثيرا ما يعظمون آثار القديسين منهم ، فلا يستبعد أنهم ألقوا الى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه .

فالذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى[٤] .

فالنصارى أمة ضلت وهلكت وكان سبب ضلالها وهلاكها غلوها وقد تجلى غلوها في عدة أمور منها :

١ ـ غلوهم في نبي اللّٰه عيسى ورفعه إلى مكانة الألوهية .

٢ ـ غلوهم في رهبانهم وصالحيهم وذلك بإعطائهم حق التشريع في التحليل

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٤٩) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٨ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٨٨ .

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤٦٠ ، ٤٦١) .

والتحريم ، والعكوف على قبورهم وتقديسها بعد موتهم .

٣ - إبتداعهم الرهبانية .

والله سبحانه وتعالى بذكره لأحوالهم في كتابه العزيز يحذرنا من الوقوع فيما وقعوا فيه ، وفي هذا دعوة للاعتبار بالأمم السابقة ومعرفة سبب هلاكها وضرورة اجتنابه قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾(١).

والغلو عند النصارى هدم أصلي الدين :

١ - التوحيد . ٢ - الاتباع .

فهم هدموا الأصل الأول بجعلهم عيسى في مقام الألوهية . وهدموا الأصل الثاني بأن جعلوا لرهبانهم حق التشريع والتحليل والتحريم .

فانظر كيف كان الغلو سببًا لهدم الدين .

فإن المسيح قال لهم ﴿ اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ وقال ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(٢) فلو امتثلوا أمره كانوا مطيعين لرسول الله موحدين لله ، ونالوا بذلك السعادة من الله في الدنيا والآخرة ، ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون الله ، يستغيثون به وبغيره من الأنبياء والصالحين ويطلبون منهم ويشركون بهم ، وكذبوا بالرسول الذي بشر به ، وحرفوا التوراة التي صدق بها وظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح وكان هذا من جهلهم وضلالهم ، فإنهم لو أطاعوه فيما دعاهم إليه لكان له مثل أجورهم ، وكانت طاعتهم له والإقرار بعبوديته وبما بشر به فيه له ولهم من الأجر مالا يحصيه إلا الله ،

(١) الآية (١١١) من سورة يوسف .

(٢) الآية (٦) من سورة الصف .

ففوتوا هذا الأجر والثواب عليهم وعليه وله ولهم فيه الخير المستطاب واعتاضوا عن ذلك بما ضرهم في الدنيا والآخرة .

وإذا بين لهم قدر المسيح فقيل لهم ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[١] .

قالوا : إن هذا تنقص بالمسيح وسب له واستخفاف بدرجته وسوء أدب معه ، بل قالوا هذا كفر وجحد لحقه ، وسلب لصفات الكمال الثابتة له .

وهذا في الحقيقة إنما هو نقص لما في نفوسهم من الغلو فيه لا نقص لنفس المسيح الموجود في نفس الأمر .

وفي ذلك من الحمد له والمدح وإعظامه والإيمان به وإعطائه الدرجة العلية ما ليس في الغلو فيه .

لأن في تقرير كمال عبوديته التي هي كمال المخلوق ، وهذا هو الكمال فأما الغلو فيه إلى حد الربوبية فذاك خيال باطل لا كمال حاصل وفي إثبات العبودية له ، إيمان به وموافقة لخبره وأمره ، فيحصل له بذلك من الخير والرحمة ما لا يحصل له بالغلو فيه ، الذي هو كذب فيه مكذوب عليه ومعصية له وإشراك بالله ، وليس في ذلك ما ينفعه ولا ما يرفعه بل في ذلك ضرر على المشركين المفترين »[٢] .

ولم يقتصر الغلو على النصارى وحدهم بل كان واقعا في الأمم قبلهم فالغلو كان أول خطوات الإنحراف عن الدين القويم والوقوع في الشرك .

فقد روى الطبري بسنده عن عكرمة قال : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون

(١) الآية (٧٥) من سورة المائدة .

(٢) الرد على البكري (ص ١٠٤ - ١٠٥) .

كلهم على الإسلام »[١] .

فكان مبدأ الشرك في قوم نوح ، وكان سببه غلوهم في الصالحين فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب قوله تعالى ﴿ ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ﴾ عن ابن عباس أنه قال : « أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت »[٢] .

فالغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال باتخاذ أنداد للّه من خلقه واعتقاد أنها تملك شيئًا من خصائص الإلهية .

قال ابن القيم : « ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطائه فوق منزلته ، حتى جعل فيه حظ من الإلهية ، وشبهوه باللّه سبحانه .

وهذا التشبيه الواقع في الأمم هو الذي أبطله اللّه سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله[٣] .

ولهذا نهي الشارع الحكيم عن الغلو بشتى صوره وأشكاله وحذر منه وذلك لما له من آثار سيئة على الدين ولما فيه من منافاة لعقيدة التوحيد وهدم لأصليّ الدين : التوحيد ، والاتباع .

ولقد حذر النبي ﷺ أمته من الغلو في الدين وأخبر أنه سبب هلاك من قبلنا

(١) تفسير الطبري (٢٩ / ٩٩) .

(٢) انظر فتح الباري (٨ / ٦٦٧) .

(٣) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٢٦) .

من الأمم .

فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال : « إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين »(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقوله « إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال »(٢) .

وسبب قول النبي ﷺ لهذه العبارة أن النبي ﷺ قال لابن عباس غداة العقبة وهو على ناقته « القط لي حصى ، فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا ، ثم قال : أيها الناس إياكم والغلو في الدين ... الحديث .

فسبب ورود الحديث ينبهنا إلى أمر هام جدا وهو أن الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرته فتهلك بذلك أمم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه فالغلو فيه : مثل رمي الحجارة ونحو ذلك ، بناء على أنه بالغ في الحصى الصغار ، ثم علل ذلك بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢١٥ ، ٣٤٧) . والنسائي في السنن (٥ / ٢٦٨) كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى . وابن ماجه في سننه ، أبواب المناسك ، باب قدر حصى الرمى (٢ / ١٨٣) ح ٣٠٦٤ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : رواه أحمد والنسائي وابن ماجة من حديث عوف بن أبي جميلة عن زيادة بن حصين عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم . اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) . وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣ / ٢٧٨) ح ١٢٨٣ وقال في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١ / ٤٦) إسناده صحيح .. وقد صححه ابن خزيمة والحاكم (١ / ٤٦٦) والذهبي والنووي وابن تيمية .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) .

في النصارى[١] .

ولو لم يرد في السنة إلا هذا الحديث لكفى به زاجرا ورادعا للأمة عن الوقوع في الغلو ، كيف والسنة مليئة بالأحاديث التي تحذر من الغلو وتبين خطره وهلاكه .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطعون » : قالها ثلاثًا[٢] .

قال النووي : « هلك المتنطعون » : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[٣] .

وقال أيضا : « المتنطعون : المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد »[٤]

فهذا الحديث موافق لما جاء في الحديث السابق من الإخبار بهلاك أصحاب الغلو . وهناك أحاديث كثيرة نهي فيها النبي ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم عن الغلو في جوانب معينة من الدين نذكر اثنين منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها .

فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون (٨ / ٥٨)

(٣) شرح النووي (١٦ / ٢٢٠) .

(٤) رياض الصالحين باب الاقتصاد في الطاعة (ص ٨٨) .

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس مني »[١] .

فسمى النبي ﷺ الغلو في جانب العبادات والسنن التي سنها لهم رغبة عن الشرع الذي جاء به ، وتبرأ ممن هذه حاله ، حتى وإن كان الدافع لذلك التقرب إلى الله تعالى ذلك لأن هذا الغلو فيه هدم للأصل الثاني من أصول هذا الدين ألا وهو الاتباع فنحن مأمورون بالاقتداء به ﷺ والأخذ بسنته .

والغلو في هذا الجانب مناقض تماما لهذا الأصل ، ولذلك فلا غرابة أن يتبرأ النبي ﷺ ممن غلا في جانب ماسنه وشرعه للأمة .

لأنه لو فتح هذا الباب وولجته الأمة لأصبحت عبادة الله مجالا لأهواء الناس وعقولهم وبذلك يتلاشى دينها وتنطمس معالمه فتستحق بذلك غضب الله ومقته فتهلك كما هلكت الأمم السابقة .

وعن أنس رضي الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال « ما هذا الحبل ؟ » قالوا : هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به . فقال النبي ﷺ : « حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد »[٢] وعند مسلم « حبل لزينب تصلي » .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب ما يكره من التشديد في العبادة . انظر : فتح الباري (٣ / ٣٦) ح ١١٥٠ . وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب أمر من نعس في صلاته ... (٢ / ١٨٩) .

قال ابن حجر : « وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها ... »[١]

وقد حذر النبي ﷺ أمته كذلك من الغلو في حقه ﷺ .

وذلك لما ينطوى عليه الغلو من الشر العظيم ، ولما يعلمه ﷺ من منزلته في قلوب المؤمنين .

فقد خشى ﷺ أن يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها اللّه له وتشريكه مع اللّه في بعض ما هو حق للّه .

فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب مختلفة وذلك حماية منه لجناب التوحيد وقطعا لذريعة الشرك .

وقد جاء تحذيره تارة بأسلوب النهي الصريح .

وتارة بالتجائه إلى ربه ودعائه بأن لا يتحول قبره إلى وثن يعبد .

وتارة بلعنة الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

فمما ورد عنه قوله ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد اللّه ورسوله »[٢] .

قال ابن حجر : « الإطراء : المدح بالباطل تقول أطربت فلانًا : مدحته فأفرطت في مدحه »[٣] .

فمعني الحديث : أى لا تمدحوني فتغلوا في مدحى كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية ، وإنما أنا عبد اللّه فصفوني بذلك كما وصفني به

---

(١) فتح الباري (٣ / ٣٧) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٢٦ .

(٣) فتح الباري (٦ / ٤٩٠) .

ربى ، وقولوا عبد اللّٰه ورسوله .

فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره ، وارتكابا لنهيه ، وناقضوه أعظم المناقضة وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد اللّٰه ورسوله ، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به ، ولا ينذر له ، ولا يطاف بحجرته ، وأنه ليس له من الأمر شيء ، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه اللّٰه ، أن في ذلك هضمًا لجنابه وغضًا من قدره ، فرفعوه فوق منزلته ، وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه ، فسألوه مغفرة الذنوب ، وتفريج الكروب وغير ذلك من الأمور[1] .

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب تلخيص الاستغاثة[2]عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه باللّٰه ، وصنف فيه مصنفًا . وكان يقول أن النبي ﷺ يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا اللّٰه .

وحكى عن آخر من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا أنه كان يقول إن النبي ﷺ يعلم ما يعلمه اللّٰه ويقدر على ما يقدر اللّٰه عليه .

ومن هؤلاء من يقول في قول اللّٰه تعالى ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ إن الرسول ﷺ هو الذي يسبح بكرة وأصيلا .

ومنهم من يقول : نحن نعبد اللّٰه ورسوله فيجعلون الرسول معبودًا ويقول قائلهم :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من جوده ، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ[3]

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٢ - ٢٧٣) .

(٢) الرد على البكرى (ص ٢١٨) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٧٣) .

فانظر إلى ما أدى إليه هذا الإطراء من صرف أمور قد اختص بها الرب عز وجل فصرفت للنبي ﷺ .

ولكن ما على الرسول إلا البلاغ فقد سد النبي ﷺ كل ذريعة مؤدية إلى الغلو والشرك حتى يبقى هذا الدين وسطًا صافيًا لا كدر فيه ، وتبقى عقيدة التوحيد نقية قوية خالدة .

فلقد نهي الرسول الكريم عن المبالغة في مدحه لعلمه بأن هذه المبالغة بريد إلى الغلو ومدعاة للشرك والانحراف عن الطريق السوى .

وهذا من الحرص الكامل للرسول ﷺ على حماية التوحيد ، فبهذا النهي الشديد سد الرسول ﷺ طريق الغلو .

والنهي عن المبالغة في الاطراء لا يعني التقليل من قدره وتوقيره فإن للتوقير والتعظيم وسائله المشروعة والتي سبق ذكرها .

ولكن هناك أناس شق عليهم التوقير المشروع فلجأوا إلى التوقير الممنوع فنسجوا قصائد مطولة أغرقوا فيها بالمديح المجاوز للحد والمنافي لقواعد التوحيد والذي لا يرضى به اللّٰه ورسوله بل جاء التحذير منه بنص القرآن والسنة المطهرة .

« ولقد كان النبي ﷺ أحرص الخلق على تجريد التوحيد حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات ، حتى قال له رجل : ماشاء اللّٰه وشئت ، قال : « اجعلتني للّٰه ندا ؟ بل ماشاء اللّٰه وحده »[1] .

ونهي أن يحلف بغير اللّٰه ، وأخبر أن ذلك شرك .

ونهي أن يصلى إلى القبر أو يتخذ مسجدا أو عيدا أو يوقد عليه سراج ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١ / ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧) ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٥٤٥ ح ٩٨٧

بل مدار دينه على هذا الأصل ـ أي تجريد التوحيد ـ الذي هو قطب رحا النجاة ، ولم يقرر أحد ما قرره ﷺ بقوله وفعله وسد الذرائع المنافية له ، فتعظيمه ﷺ بموافقته على ذلك لا مناقضته فيه[١] .

والغلو بشتى صوره وأشكاله مناف لأصلي التوحيد ويكفيك أن تعلم أن سبب عبادة الأصنام هو الغلو في المخلوق ، وإعطاؤه فوق منزلته ، حتى جعل فيه حظ من الإلهية ، وشبهوه باللّٰه سبحانه ، وهذا هو التشبيه الواقع في الامم الذي أبطله اللّٰه سبحانه ، وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله .

فهو سبحانه ينفي ، وينهي ، أن يجعل غيره مثلا له ، وندا له وشبها له .

لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مثلا لشيء من مخلوقاته ، فجعلت المخلوق أصلا وشبهت به الخالق ، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم .

وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك ، غلوا فيمن يعظمونه ، ويحبونه ، حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية ، بل صرحوا أنه إله ، وأنكروا جعل الألهة إلها واحدا وقالوا : ﴿ اصبروا على آلهتكم ﴾ وصرحوا بأنه إله معبود ، يرجى ، ويخاف ، ويعظم ، ويسجد له ويحلف باسمه ، وتقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغى إلا للّٰه تعالى .

فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده باللّٰه سبحانه ، وإن لم يشبه من كل وجه[٢] .

فحقيقة الشرك هو التشبه بالخالق أو التشبيه للمخلوق به فالمشرك مشبه

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٢٧٤

(٢) إغاثة اللهفان (٢ / ٢٢٦) .

للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية .

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده .

فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل مالا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ـ فضلا عن غيره ـ شبيها لمن له الأمر كله ، فأزمة الأمور كلها بيديه ، ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد ، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد .

فمن أقبح التشبيه : تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات .

ومن خصائص الإلهية : الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه .

وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب ، كل ذلك عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون له وحده ، ويمنع عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره . فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله .

ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة .

ومن خصائص الإلهية : العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما : غاية الحب ، مع غاية الذل ، هذا تمام العبودية ، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين .

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم ، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها .

ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسني فأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه بما يوفق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورًا على نور ﴿ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[1] .

إذا عرف هذا فمن خصائص الألهية السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به .

ومنها التوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به .

ومنها التوبة ، فمن تاب لغيره فقد شبهه به .

ومنها الحلف باسمه تعظيما وإجلالا له ، فمن حلف بغيره فقد شبهه به .

هذا في جانب التشبيه .

وأما في جانب التشبه به : فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء ، وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته والهيته ، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ، ويذله غاية الذل ، ويجعله تحت أقدام خلقه .

وفي الصحيح عنه ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : العظمة إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعني واحدا منهما عذبته »[2] .

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة

---

(١) الآية (٣٥) من سورة النور .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الكبر (٨ / ٣٦) .

لتشبهه بالله في مجرد الصنعة ، فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية ؟

ففي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة »[١]. فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر وقال ﷺ : « أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم »[٢] [٣] .

○ ○ ○ ○

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ فتح الباري (١٣ / ٥٢٨) ح ٧٥٥٩ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٦ / ١٦٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب عذاب المصورين يوم القيامة . فتح الباري (١٠ / ٨٢ - ٨٣) ح ٤٩٥٠ - ٤٩٥١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٦ / ١٦١) .

(٣) الجواب الكافي (ص ١٥٩ - ١٦١) .

المبحث الثاني

الفرق بين ما هو حق لله وحده لا يشركه فيه غيره وبين ما هو حق للرسول

بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن دعاء ما سواه ـ لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة ـ .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[4] .

فدين الحق دين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسله كما يدل عليه قولنا : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله »

---

(١) الآية (٢٥) من سورة الأنبياء .

(٢) الآية (٣٦) من سورة النحل .

(٣) الآية (٤٥) من سورة الزخرف .

(٤) الآيتان (٧٩ ، ٨٠) من سورة آل عمران .

فهذان الأصلان :

١ - توحيد الرب بالعبادة . ٢ - الإيمان برسله .

لابد منهما ، ولهذا لا يدخل أحد في الإسلام حتى يشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه .

ذلك لأن دين الإسلام مبني على هذين الأصلين ومن خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين .

فلا إله إلا اللّٰه معناها أن نعبد اللّٰه وحده ولا نشرك به شيئا .

فإن الإله : هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وإكرامًا .

وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره ، فلا يعبد إلا اللّٰه ولا يدعى إلا اللّٰه ولا يخاف إلا اللّٰه ولا يطاع إلا اللّٰه .

وأما شهادة أن محمدًا رسول اللّٰه فهي تعني ألا نعبد اللّٰه إلا بما شرعه على لسان رسول اللّٰه ﷺ فهو المبلغ عن اللّٰه طاعته وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه ، فهو الواسطة بين اللّٰه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده .

وليس للرسول واسطة في إجابة الدعاء ، وكشف البلاء ، والهداية ، والاغناء ونحو ذلك .

فاللّٰه تعالى هو المتفرد بذلك فهو سبحانه الذي يسمع ويرى ويعلم السر والنجوى وهو القادر على إنزال النعم وإزالة الضر من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده أو يعينه على قضاء حوائجهم .

والأسباب التي بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها ، فهو مسبب الأسباب التي يحصل بها ذلك ولهذا فرض سبحانه على المصلى أن يقول في صلاته

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[(١)] .

فالله سبحانه أجل وأعظم وأغني وأعلى من أن يفتقر إلى شيء ، بل هو الأحد الصمد وكل ما سواه مفتقر إليه ، وهو مستغن عن كل ما سواه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول وعظم أمره قال : « لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة ، يقول : يارسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، وعلى رقبته بعير له رغاء ، يقول يارسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك » الحديث[(٢)].

فهؤلاء الذين بلغهم أخبر أنهم إذا استغاثوا به يوم القيامة وسألوه الشفاعة يقول لهم لا أملك لكم من الله شيئا قد أبلغتكم[(٣)] .

فعلى المسلم أن يفرق بين ما هو حق لله وحده وبين ما هو حق لرسله

فالله أمرنا أن نؤمن بالأنبياء وما جاؤا به وفرض علينا طاعة الرسول الذي بعث إلينا ومحبته وتعزيره وتوقيره والتسليم لحكمه .

وأمرنا أيضًا أن لا نعبد إلا الله وحده لا نشرك به شيئا ولا نتخذ الملائكة والنبيين أربابًا .

وفرق بين حقه الذي يختص به الذي لا يشركه فيه لا ملك ولا نبي .

وبين الحق الذي أوجبه علينا لملائكته وأنبيائه عمومًا ولمحمد ﷺ خاتم الرسل

---

(١) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب الغلول .

انظر : فتح الباري (٦ / ١٨٥) ح ٣٠٧٣ .

وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب غلظ تحريم الغلول (٦ / ١٠) .

(٣) انظر : الرد على البكرى (ص ٥٢ - ٥٤) بتصرف .

وخير مرسل الذي جاءه بالوحى خصوصًا ، فإن اللّه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس ، فاصطفي من الملائكة جبريل لرسالته واصطفي من البشر محمدًا ﷺ ، وأخبر أن هذا القرآن الذي نزل به هذا الرسول إلى هذا الرسول مبلغًا له عن اللّه قال تعالى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(1)

وقال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾(2) .

فاللّه أوجب علينا الإيمان بمحمد ﷺ خصوصا وبالملك الذي جاءه بالقرآن .

وأمرنا بالإيمان بالأنبياء كلهم وبجميع ما أوتوا كما قال تعالى ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(3) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ ﴾(4) .

وقال تعالى : ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(5) .

---

(1) الآية (٩٧) من سورة البقرة .

(2) الآيات (١٩٢ الى ١٩٥) من سورة الشعراء .

(3) الآية (١٣٦) من سورة البقرة .

(4) الآية (١٧٧) من سورة البقرة .

(5) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[1] .

فالأنبياء وسائط بين الله عز وجل وبين عباده في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده ، وما أخبر به عن نفسه وملائكته وغير ذلك مما كان وسيكون .

وسائر الأنبياء علينا أن نؤمن بهم ، مجملا وذلك بأن كل ما أخبروا به عن الله فهو حق وأن طاعتهم فرض على من أرسلوا إليهم .

أما محمد ﷺ فهو الذي أرسل إلينا وإلى جميع الخلق وقد ختم الله به الأنبياء وآتاه من الفضائل ما فضله به على غيره وجعله سيد ولد آدم وخصائصه وفضائله كثيرة وعظيمة لايسعها هذا الموضع .

وقد أوجب الله علينا أن نطيعه في كل ما أوجبه وأمر به وأن نصدقه في كل ما أخبر به ، كما سبق ذكر ذلك في الباب الأول من هذه الرسالة .

وهو سبحانه مع هذا كله نهانا عن الشرك بهم والغلو فيهم ، وميز بين حقه تعالى وحقهم .

فقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَائِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2] فهذا بيان أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر مع وجوب الإيمان بهم ما لم يحصل بعبادة الأوثان ، فإن الأوثان

---

(١) الآية (١٣٦) من سورة النساء .

(٢) الآيتان (٧٩ ، ٨٠) من سورة آل عمران .

تستحق الإهانة وأن تكسر كما كسر إبراهيم الأصنام وكما حرق موسى العجل ونسفه وكما كان نبينا ﷺ يكسر الأصنام ويهدم بيوتها وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[1] فإهانتها من تمام التوحيد والإيمان .

والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبة والموالاة والتكريم والثناء .

مع أنه يحرم الغلو فيهم والشرك بهم ، فلهذا صار بعض الناس يزيد في التعظيم على ما يستحقونه فيصير شركًا ، وبعضهم يقصر عما يجب لهم من الحق فيصير فيه نوع من الكفر .

والصراط المستقيم صراط الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو القيام بما أمر اللّه به ورسله في هذا وهذا .

واللّه تعالى يميز حقه من حق غيره ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له : « يا معاذ أتدرى ما حق اللّه على العباد »

قلت : اللّه ورسوله أعلم .

قال : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، أتدرى يا معاذ ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك ؟ » قلت : اللّه ورسوله أعلم . قال : « أن لا يعذبهم »[2] .

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[3] .

---

(١) الآية (٩٨) من سورة الأنبياء .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) الآيتان (٧٤ - ٧٥) من سورة القصص .

فالرسل كلهم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم يبينون أن العبادة والتقوى حق لله وحده ، وحق الرسل طاعتهم .

قال نوح عليه السلام ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾(١) .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾(٢) .

وقال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٣) .

وكذلك قال سائر الرسل هود وصالح وشعيب كل يقول ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٤) .

وكذلك في رسالة محمد ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(٥) .

فجعل الطاعة لله والرسول . وجعل الخشية والتقوى لله وحده .

وقال تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٦) .

فالإيمان بالله والرسول ، والتعزير والتوقير للرسول ، وتعزيره ، نصره ومنعه .

(١) الآيتان (٢ - ٣) من سورة نوح .
(٢) الآيات (٦٥ - ٧٣ - ٨٥) من سورة الأعراف .
(٣) الآيات (من ١٠٥ الى ١٠٨) من سورة الشعراء .
(٤) الآيات (١٢٦ - ١٣١ - ١٤٤ - ١٦٣ - ١٧٩) من سورة الشعراء .
(٥) الآية (٥٢) من سورة النور .
(٦) الآية (٩) من سورة الفتح .

والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده ، فإن ذلك من العبادة لله وحده والعبادة هي لله وحده .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾[1]

فأنكر سبحانه أن يتقى غيره كما أمر أن لا يرهب إلا إياه .

وقال تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

فقد أمر الله تعالى في غير موضع بأن يخشى ويخاف ولا يخشى ويخاف غيره .

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى ٱللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾[4] .

ففي الإيتاء قال ﴿ ما آتاهم الله ورسوله ﴾ كما قال : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ لأن الحلال ما حلله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله .

فما أعطاه الرسول للناس فهو حقهم بالقول والعمل كالفرائض التي قسمها الله وأعطى كل ذى حق حقه وكذلك من الفيئ والصدقات ما أعطى فهو

---

(١) الآيتان (٥١ ، ٥٢) من سورة النحل .

(٢) الآية (١٥٠) من سورة البقرة .

(٣) الآية (١٨) من سورة التوبة .

(٤) الآية (٥٩) من سورة التوبة .

حقه ، وما أباحه له فهو مباح ، وما نهاه عنه فهو حرام عليه فلهذا قال تعالى ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم اللَّه ورسوله وقالوا حسبنا اللَّه ﴾ ولم يقل هنا ورسوله لأن اللَّه تعالى وحده حسب عبده أي كافيه . لا يحتاج الرب في كفايته إلى أحد لا رسول ولا نبي ، ولهذا لا تجئ هذه الكلمة إلا اللَّه وحده كقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] الى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] أى حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين كما قاله جمهور أهل العلم . ومن قال إن اللَّه ومن اتبعك حسبك فقد غلط ، ولم يجعل اللَّه وحده حسبه بل جعله وبعض المخلوقين حسبه ، وهذا مخالف لسائر آيات القرآن .

وقال تعالى ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[5] فهو وحده كاف عبده .

وقال تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[6] .

---

(١) الآية (١٧٣) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (١٢٩) من سورة التوبة .

(٣) الآية (٦٢) من سورة الأنفال .

(٤) الآية (٦٤) من سورة الأنفال .

(٥) الآية (٣٦) من سورة الزمر .

(٦) الآية (٣) من سورة الطلاق .

فلهذا قال تعالى ﴿ وقالوا حسبنا اللّٰه ﴾ ولم يقل ورسوله ثم قال ﴿ إنا إلى اللّٰه راغبون ﴾ ولم يقل ورسوله بل جعل الرغبة إلى اللّٰه وحده كما قال ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾(١)

فالرغبة تتضمن التوكل وقد أمر أن لا نتوكل إلا عليه كقوله ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾(٢) وقوله ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٣) .

فالتوكل على اللّٰه وحده ، والرغبة إليه وحده ، والرهبة منه وحده .

ليس لمخلوق لا الملائكة ولا الأنبياء في هذا حق كما ليس لهم حق في العبادة ولا يجوز أن نعبد الا اللّٰه وحده ولا نخشى ولا نتقى إلا اللّٰه وحده كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٤) .

فإذا قال القائل لا يجوز التوكل إلا على اللّٰه وحده ، ولا العبادة إلا للّٰه وحده ولا يتقى ولا يخشى إلا اللّٰه وحده لا الملائك ولا الأنبياء ولا غيرهم كان هذا تحقيقا للتوحيد .

ولم يكن هذا سبًا لهم ولا تنقصًا بهم ولا عيبًا لهم وإن كان فيه بيان نقص درجتهم عن درجة الربوبية فنقص المخلوق عن الخالق من لوازم كل مخلوق .

ويمتنع أن يكون المخلوق مثل الخالق .

---

(١) الآيتان (٧ - ٨) من سورة الشرح .

(٢) الآية (٢٣) من سورة المائدة .

(٣) الآية (٩٩) من سورة النحل .

(٤) الآية (٢) من سورة الأنفال .

والملائكة والانبياء كلهم عباد اللّه يعبدونه كما قال تعالى ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ ﴾(٢) .

فاذا نفي عن مخلوق ملك أو نبي أو غيرهما ما كان من خصائص الربوبية وبين أنه عبد اللّه كان هذا حقا واجب القبول ، وكان إثباته إطراء للمخلوق فإن دفعه عن ذلك كان عاصيًا بل مشركًا .

ولهذا قال النبي ﷺ « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد اللّه فقولوا عبد اللّه ورسوله » .

فاللّه تعالى قد وصفه بالعبودية حين أرسله ، وحين تحدى ، وحين أسرى به فقال تعالى ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾(٣) .

وقال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾(٤) .

وقال تعالى ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾(٥) .

وأهل الباطل يقولون لمن وصفهم بالعبودية إنه عابهم وسبهم ونحو ذلك .

---

(١) الآية (١٧٢) من سورة النساء .

(٢) الآيات (٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) من سورة الأنبياء .

(٣) الآية (١٩) من سورة الجن .

(٤) الآية (٢٣) من سورة البقرة .

(٥) الآية (١) من سورة الاسراء .

ولهذا لما سأل النجاشي[1] جعفر بن أبي طالب[2] رضي لله عنه ما تقول في المسيح عيسى ؟ فقال : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه رفع النجاشي عودًا وقال : ما زاد المسيح على ما قلت هذا العود فنخرت بطارقته[3] . فقال : وإن نخرتم »[4] .

فهم يجعلون قول الحق في المخلوق سبًا له ، وهم يسبون الله ويصفونه بالنقائص والعيوب كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . أما تكذيبه إياي أن يقول : إني لن أعيده كما بدأته ، وأما شتمه إياي أن يقول : اتخذ الله ولدًا ، وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي

---

(١) أصحمة بن أبحر النجاشي – ملك الحبشة – وأسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب ، أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يهاجر إليه ، وكان ردءا للمسلمين نافعا ، وقصته مشهورة في المغازى في إحسانه للمسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام ، توفي في عهد النبي ﷺ وصلى عليه صلاة الغائب .

الإصابة (١ / ١١٧) .

(٢) جعفر بن أبي طالب عن عبد المطلب ، ابن عم النبي ﷺ وأحد السابقين للإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه ، ثم قدم المدينة والنبي ﷺ بخيبر ، واستشهد في مؤتة سنة ثمان من الهجرة .

الإصابة (١ / ٢٣٩ – ٢٤٠) .

(٣) أي تكلمت ، وكأنه كلام مع غضب ونفور . النهاية (٥ / ٣٢) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٠١ – ٢٠٣) (٥ / ٢٩٠ – ٢٩٢) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٤ – ٢٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢ / ٢٩٣ – ٢٩٥) .

وهو في سيرة ابن هشام (١ / ٢٨٩ – ٢٩١) .

كفوا أحد »[١].

فقد أخبر سبحانه أن هؤلاء يسبونه ، وقد كان معاذ بن جبل يقول عن النصارى : لا ترحموهم فقد سبوا الله سبة ما سبه اياها أحد من البشر .

وهذا نظير ما ذكره الله تعالى عن المشركين بقوله ﴿ وَإِذَا رَآكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[٢].

فكانوا ينكرون على محمد عليه السلام أن يذكر آلهتهم بما تستحقه وهم يكفرون بذكر الرحمن ولا ينكرون ذلك كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٣].

وهكذا من فيه شبهه من اليهود والنصارى والمشركين تجده يغلو في بعض المخلوقين من المشايخ والأئمة والأنبياء وغيرهم وإذا ذكروا بما يستحقونه أنكر ذلك ونفر منه وعادى من فعل ذلك وهو وأصحابه يستخفون بعبادة الله وحده وبحقه وبحرماته وشعائره ولا ينكر ذلك . ويحلف أحدهم بالله ويكذب ويحلف بمن يعظمه ويصدق ولا يستجيز الكذب إذا حلف به . وهؤلاء من جنس النصارى والمشركين وكذلك قد يعيبون من نهي عن شركهم كالحج إلى القبور التي يحجون إليها عادة وهم يستخفون بحرمة الحج إلى بيت الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ... ﴾ الآية (٦ / ٢٨٧) ح ٣١٩٣ وكذلك في كتاب التفسير ، تفسير سورة الإخلاص . انظر فتح الباري (٨ / ٧٣٩) ح ٤٩٧٤ ، ٤٩٧٥) .

(٢) الآية (٣٦) من سورة الأنبياء .

(٣) الآية (١٠٨) من سورة الأنعام .

ويجعلون الحج إلى القبور أفضل منه . وقد ينهون عن الحج اعتياضا إلى القبور ويقولون هذا الحج الأكبر .

ويرون النهي عن الحج إلى قبور الأنبياء والصالحين إخلالًا بحقهم ومعاداة لهم ونحو ذلك .

وهم لا يرون الشرك بالله ودعاء غيره واتخاذ عباده من دونه أولياء إخلالًا بحقه ومعاداة له .

ومعلوم أن المشركين من أعظم أعداء الله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[1] فأمر بالتأسي بإبراهيم ومن معه لما تبرءوا من المشركين وما يعبده المشركون ، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده . فالمشرك والآمر بالشرك والراضي به معاد لله ، ومن عادى الله فقد عادى أنبياءه وأولياءه .

---

(١) الآيات (١ ـ ٤) من سورة الممتحنة .

وأما من أمر بما جاءت به الرسل فلم يعادهم ولم يعاندهم قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾(١).

وهنا موضع يشكل على بعض الناس وذلك أنه قال عليه السلام في الحديث الصحيح : « أصدق كلمة قد قالها شاعر كلمة لبيد

ألا كل شيء ما خلا اللّٰه باطل(٢)

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَاطِلُ ﴾(٣).

فالمراد بالباطل : ما لا ينفع ، وكل ما سوى اللّٰه لا تنفع عبادته ، وهذا يدخل فيه كل ما عبد من دون اللّٰه من الملائكة والأنبياء وهؤلاء قد سبقت لهم من اللّٰه الحسني فكيف يدخلون في الباطل ؟ .

وكذلك قوله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾(٤).

فيقال : إن المراد عبادتهم والعمل لهم باطل ، وقد يقال عن الشيء أنه لا شيء لانتفاء المقصود منه ليس بشيء وكما قال ﷺ عن الكهان لما سئل عنهم فقال : « ليسوا بشيء » فقالوا إنهم يحدثون أحيانًا الشيء يكون حقا ، فقال

---

(١) سورة الكافرون .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية فتح الباري (٧ / ١٤٩) ح ٣٨٤١ . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الشعر (٧ / ٤٩) .

(٣) الآية (٦٢) من سورة الحج .

(٤) الآية (٣٢) من سورة يونس .

رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة »[١]. فهم ليسوا بشيء : أى لا ينتفع بهم فيما يقصد منهم ، وهو الاستخبار عن الأمور الغائبة لأنهم يكذبون كثيرًا فلا يدرى ما قالوه أهو صدق أم كذب . وهم مع ذلك موجودون يضلون ويضلون .

فقوله : « ليس بشيء » مثل قوله : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وقوله ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنما يدعون من دونه الباطل ﴾ فهو من جهة كونه معبودًا باطل لا ينتفع به ولا يحصل لعابده مقصود العبادة وإن كان من جهة أخرى هو شمس وقمر ينتفع بضيائه ونوره وهو يسجد لله ويسبحه .

وكذلك الملائكة والأنبياء إذا نفي عنهم كونهم آلهة معبودين وتبين أن عبادتهم عمل باطل لا ينتفع به ، لم ينف ذلك ما يستحقونه من الإجلال والإكرام وعلو قدرهم عند الله تعالى .

والتبرى من عبادتهم وكونهم معبودين ، لا من موالاتهم والإيمان بهم وقولهم ﴿ انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ أي ومن عبادتهم ومن كونهم معبودين كما قال الخليل عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[٢] فهو بريءٌ من كل شريك لله من جهة كونه جعل شريكًا وندًا لله ولم يبرأ منه من جهات أخرى .

فإبراهيم لم يبرأ من الشمس والقمر والكواكب من جهة كونها مسخرة لمنافع العباد وكونها تسجد لله وتسبحه وكونها من آياته العظيمة بل من جهة كونها

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٧ / ٣٦) .
(٢) الآية (٧٨) من سورة الأنعام .

شركاء لله . أما الأوثان ونحوها فتعادى مطلقا . والشمس والقمر والملائكة والكواكب تعادى عبادتها وكونها آلهة معبودة فتبغض من هذه الجهات وتعادى ، مع وجوب الإيمان بالملائكة وإذا قيل للنصارى نحن براء من شرككم ومما تعبدون من دون الله . وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] هذا بعد قوله : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[2] .

فالبراءة من كل معبود سوى الله كالبراءة من كل إله سوى الله ، وذلك براءة من الشرك ومن كل ما سوى الله معبودا ، وليس هو براءة من المسيح من جهة كونه رسولًا كريمًا وجيها عند الله ، بل براءة مما قيل فيه من الباطل لا من الحق .

والمسيح والملائكة وغيرهم يتبرؤن ممن عبدوهم ويعادونهم ولا يوالونهم قال الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ۞ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴾[4]

(١) الآية (٧٦) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٧٥) من سورة المائدة .

(٣) الآيتان (٤٠ – ٤١) من سورة سبأ .

(٤) الآية (١٧ – ١٨) من سورة الفرقان .

وقال تعالى ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[1].

وقال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾[3] .

وهو سبحانه لم ينه عن موالاتهم فمن أحبهم ووالاهم فهو موحد ومن جعلهم أندادًا أحبهم كما يحب اللّٰه فهو مشرك .

فالحب للّٰه توحيد وإيمان . والحب كما يحب اللّٰه شرك وكفر .

وكذلك الشفاعة قال تعالى : ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾[4].

وقال تعالى ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[5] .

فتبين أنه لا تنفع شفاعة الملائكة والأنبياء ولا غيرهم إلا لمن أذن له حتى « إذا قضى بالأمر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان »[6]وصعقوا فلا يعلمون ما قال ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[7].

---

(١) الآية (١٠٢) من سورة الكهف .

(٢) الآية (٩) من سورة الشورى .

(٣) الآية (١٤) من سورة الأنعام .

(٤) الآية (٤) من سورة السجدة .

(٥) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، تفسير سورة سبأ ، باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) .
فتح الباري (٨ / ٥٣٧ - ٥٣٨) ح ٤٨٠٠

(٧) الآية (٢٣) من سورة سبأ .

فحينئذ يعلمون ما قضى به ، فكيف يشفعون بدون إذنه ؟

قال اللّٰه تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[2] .

وأوجه الشفعاء وأول شافع يوم القيامة محمد ﷺ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أحاديث الشفاعة أن الناس يوم القيامة إذا ذهبوا إلى آدم ليشفع لهم يردهم إلى نوح ونوح إلى إبراهيم وإبراهيم إلى موسى وموسى إلى المسيح والمسيح إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين فيقول اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر له اللّٰه ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال ﷺ فيأتوني فأذهب إلى ربي فإذا رأيت ربي خررت ساجدا وأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن وحينئذ فيقول اللّٰه تعالى (أي محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه واشفع تشفع) قال فأقول : أي رب أمتي فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة » وكذلك ذكر في الثانية والثالثة[3] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قلت : يارسول اللّٰه من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ « الحديث إلى أن قال ﷺ : أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا اللّٰه خالصا من قلبه[4] » .

فقد بين أوجه الشفعاء أنه إذا أتى يبدأ بالسجود للّٰه والحمد للّٰه لا يبدأ

---

(١) الآيتان (٢٦ ، ٢٧) من سورة الأنبياء .

(٢) الآية (٤٣) من سورة الزمر .

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٥٨ .

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٩ .

بالشفاعة حتى يؤذن له فإن أذن له فحينئذ يشفع ، فإذا شفع حد له حدًا فيدخلهم الجنة ، وبين أن أولى الناس بشفاعته من كان أعظم إخلاصا وتوحيدًا لا من كان سائلا وطالبا منه أو من غيره . فالأمر كله للّه وحده لا شريك له هو الذي يأذن في الشفاعة وهو الذي يقبل شفاعة الشفيع فيمن يختار قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١) .

فالذين يخالفون شريعة الأنبياء ويغلون فيهم ويقولون إنهم يحبونهم ويوالونهم ويعظمونهم بذلك ، فالأنبياء يتبرءون منهم ، ومحمد ﷺ بريء من عمل يخالف أمره وسنته قال اللّه تعالى ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)

ولا ينفع من عصى الرسول أن يقول قصدى تعظيمهم فإنه إنما أمر بطاعتهم ولم يأمر أن يعبد اللّه بالظن وما تهوى الأنفس قال اللّه تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾(٣) .

فقد أخبر أنه لم يقل لهم إلا ما أمره اللّه به أن يعبدوا اللّه وحده وكذلك سائر الانبياء قال اللّه تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ

---

(١) الآية (٦٨) من سورة القصص .

(٢) الآية (٢١٦) من سورة الشعراء .

(٣) الآيتان (١١٦ ، ١١٧) من سورة المائدة .

﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[١] .

وهو سبحانه إنما يعبد بما شرع من الدين ، لا يعبد بما شرع من الدين بغير إذنه فإن ذلك شرك قال الله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾[٣] والدين الذي شرعه إما واجب أو مستحب فكل من عبد عبادة ليست واجبة في شرع الرسول ولا مستحبة كانت من الشرك والبدع ، وكلما تدبر الانسان ما أمر به وشرعه تبين له أنه جمع في شرعه بين كمال توحيد الرب وإخلاص الدين له .

وبين كمال طاعة الرسل وتعزيرهم ومحبتهم وموالاتهم ومتابعتهم فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أتبعهم للرسول باطنا وظاهرا ﷺ تسليما[٤] .

فهذا هو صراط الله المستقيم قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٥].

ولما أمرنا الله أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المغايرين للمغضوب

---

(١) الآية (٢٥) من سورة الأنبياء .

(٢) الآية (٢١) من سورة الشورى .

(٣) الآية (١٣) من سورة الشورى .

(٤) الرد على الأخنائي (٣٣٣ - ٣٨٨) بتصرف .

(٥) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

عليهم وللضالين . كان ذلك مما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين[١] . والمغضوب عليهم هو اليهود والضالون هم النصارى[٢] .

وقد افترق اليهود والنصارى في شأن الأنبياء

فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[٣]

والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله تعالى قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[٤] .

فبالإيمان بهم وتصديقهم وطاعتهم يخرج المسلم عن مشابهة اليهود وبعبادة الله وحده والاعتراف بأنهم عباد الله لا يجوز اتخاذهم أربابا ولا الشرك بهم والغلو فيهم يخرج عن مشابهة النصارى .

فإن اتخاذهم أربابا كفر قال الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٥] والنصارى يشركون

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٦٥) .

(٢) كتاب الله يدل على ذلك فقد قال الله في حق اليهود ﴿ فباؤا بغضب على غضب ﴾ وقال النصارى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ .

(٣) الآية (٨٧) من سورة البقرة .

(٤) الآية (١٧١) من سورة النساء .

(٥) الآية (٨٠) من سورة آل عمران .

بمن دون المسيح من الأحبار والرهبان قال تعالى ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] فمن غلا فيهم واتخذهم أربابا فهو كافر .

ومن كذب شيئا مما جاؤا به أو سبهم أو عابهم أو عاداهم فهو كافر .

فلابد من رعاية هذا الأصل[2] .

وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم ففيه شبه من اليهود كما يُرى في أحوال منحرفة أهل العلم من تحريف الكلم عن مواضعه ، وقسوة القلوب ، والبخل بالعلم وغير ذلك .

ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى كما يُرى في منحرفة أهل العبادة من الغلو في الأنبياء والصالحين وغير ذلك[3] .

والغلو في هذه الأمة وقع في طائفتين :

الطائفة الأولى : طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية .

الطائفة الثانية : طائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين[4] .

فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئًا من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارى .

وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم قال تعالى في خطابه لبني

---

(١) الآية (٣١) من سورة التوبة .

(٢) الرد على الأخنائي (٣٢٤ - ٣٢٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (١ / ٦٥) بتصرف .

(٤) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١ / ٩٢) والرد على البكرى (ص ١٠٥ ، ١٠٦)

إسرائيل ﴿ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾(١) .

والتعزير : النصر والتوقير والتأييد .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾(٢) فهذا في حق الرسول ، ثم قال في حق الله تعالى ﴿ وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾(٣) .

وقال تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤) .

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٥) .

وقال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾(٦) وذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعا .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٧) .

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ

---

(١) الآية (١٢) من سورة المائدة .
(٢) الآية (٨ ، ٩) من سورة الفتح .
(٣) الآية (٩) من سورة الفتح .
(٤) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .
(٥) الآية (٣١) من سورة آل عمران .
(٦) الآية (٣٢) من سورة آل عمران .
(٧) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا ﴾[١] فقد بين الله في كتابه حقوق الرسول من الطاعة له ، ومحبته ، وتعزيره ، وتوقيره ، ونصره ، وتحكيمه ، والرضى بحكمه ، والتسليم له واتباعه والصلاة والتسليم عليه ، وتقديمه على النفس والأهل والمال ، ورد ما يتنازع فيه إليه وغير ذلك من الحقوق .

وأخبر أن طاعته طاعته فقال : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٢]
ومبايعته مبايعته فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[٣] .

وقرن بين اسمه واسمه في المحبة فقال ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[٤]
وفي الأذى فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[٥] وفي الطاعة والمعصية فقال ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[٦] ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[٧] .

وفي الرضا فقال ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[٨] .

فهذا ونحوه هو الذي يستحقه رسول الله بأبي هو وأمي .

فأما العبادة والاستعانة فلله وحده لا شريك له كما قال ﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[٩] .

---

(١) الآية (٢٤) من سورة التوبة .
(٢) الآية (٨٠) من سورة النساء .
(٣) الآية (١٠) من سورة الفتح .
(٤) الآية (٢٤) من سورة التوبة .
(٥) الآية (٥٧) من سورة الأحزاب .
(٦) الآية (١٣) من سورة النساء .
(٧) الآية (١٤) من سورة النساء .
(٨) الآية (٦٢) من سورة التوبة .
(٩) الآية (٣٦) من سورة النساء .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[١] .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾[٢] .

وقد جمع بينهما في مواضع كقوله ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[٣] .

وقوله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾[٤] .

والدعاء للَّه وحده سواء كان دعاء عباده أو دعاء المسألة والاستعانة كما قال تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾[٥] .

وتوحيد اللَّه وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جدًّا ، بل هو قلب الإيمان ، وأول الإسلام وآخره .

كما قال النبي ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه »[٦] .

وقال ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة »[٧] .

---

(١) الآية (٥) من سورة الفاتحة .

(٢) الآية (٥) من سورة البينة .

(٣) الآية (١٢٣) من سورة هود .

(٤) الآية (٥٨) من سورة الفرقان .

(٥) الآيات (من ١٨ الى ٢٠) من سورة الجن .

(٦) تقدم تخريجه ص ٤٥ .

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٢٣٣) .

وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الجنائز ، باب في التلقين (٣ / ٤٨٦) ح ٣١١٦

وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٣٥١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار - كما في الفتوحات الربانية (٤ / ١٠٩ - ١١٠) وذكر له شواهد .

وهو قلب الدين والإيمان ، وسائر الأعمال كالجوارح له .

فالعبادة والإستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستغفار كل هذا لله وحده لا شريك له .

فالعبادة متعلقة بألوهيته ، والاستعانة متعلقة بربوبيته ، والله رب العالمين لا إله إلا هو ، ولا رب لنا غيره ، لا ملك ولا نبي ولا غيره ، بل أكبر الكبائر الإشراك بالله وأن تجعل له ندا وهو خلقك ، والشرك أن تجعل لغيره شركا أى نصيبًا في عبادتك ، وتوكلك ، واستعانتك كما قال من قال ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] .

وأصناف العبادات : الصلاة بأجزائها مجتمعة ، وكذلك أجزاؤها التي هي عبادة بنفسها من السجود والركوع والتسبيح والدعاء والقراءة والقيام لا يصلح إلا لله وحده .

ولا يجوز أن يتنفل عن طريق العبادة إلا لله وحده ، لا لشمس ولا لقمر ولا لملك ولا لنبي ولا صالح ولا قبر نبي ولا صالح ، وهذا في جميع ملل الأنبياء وقد ذكر في شريعتنا حتى نهي أن يتنفل على وجه التحية والإكرام للمخلوقات ، ولهذا نهي النبي ﷺ معاذًا أن يسجد له وقال : « لو كنت آمرًا أن يُسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها »[2].

---

(١) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤ / ٣٨١) من حديث عبد الله بن أبي أوفي (٥ / ٢٢٧ - ٢٢٨) من حديث معاذ (٦ / ٧٦) من حديث عائشة . وأخرجه ابو داود في السنن ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة (٢ / ٦٠٤ - ٦٠٥) ح ٢١٤٠ من حديث قيس بن سعد وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة (٣ / ٤٦٥) ح ١١٥٩ من حديث أبى هريرة وقال : وفي الباب عن معاذ بن جبل وسراقة بن مالك =

وكذلك الزكاة العامة من الصدقات كلها والخاصة لا يتصدق إلا لله كما قال تعالى ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾[2] .

فلا يجوز فعل ذلك عن طريق الدين لا لملك ولا لشمس ولا لقمر ولا لنبي ولا لصالح ، كما يفعل بعض السوال والمعظمين كرامة لفلان وفلان ، يقسمون بأشياء إما من الأنبياء وإما من الصحابة وإما من الصالحين .

وكذلك الحج لا يحج إلا إلى بيت الله ، فلا يطاف إلا به ، ولا يحلق الرأس إلا به ، ولا يوقف إلا بفنائه ، ولا يفعل ذلك بنبي ولا صالح ولا بقبر نبي ولا صالح ، ولا بوثن .

وكذلك الصيام لا يصام إلا عبادة لله ، فلا يصام لأجل الكواكب والشمس والقمر ، ولا لقبور الأنبياء والصالحين ونحو ذلك .

وهذا كله تفصيل الشهادتين : اللتين هما أصل الدين « شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا عبده ورسوله »

والإله : من يستحق أن يألهه العباد ويدخل فيه حبه وخوفه .

فما كان من توابع الألوهية فهو حق محض لله .

= وعائشة وابن عباس وعبد الله بن أبي أوفي وطلق بن على وأم سلمة وأنس وابن عمر . انتهي كلامه . وأخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة (١ / ٣٤١ - ٣٤٢) ح ١٨٥٧ من حديث عائشة ، و ١٨٥٨ من حديث عبد الله بن أبي أوفي . وأخرجه ابن حبان في صحيحه . انظر موارد الظمآن (ح ١٢٩٠) من حديث عبد الله بن أبي أوفي .

(١) الآيتان (١٩ - ٢٠) من سورة الليل .

(٢) الآية (٩) من سورة الانسان .

وما كان من أمور الرسالة فهو حق الرسول[١] .

ونصوص القرآن والسنة مليئة بتقرير هذا الأمر ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ﴾[٢]

○ ○ ○ ○

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٦٦ ، ٧٦) بتصرف يسير .

(٢) الآية (٤٢) من سورة الأنفال .

المبحث الثالث

بيان توسط السلف في حق النبي ﷺ

إن مما امتاز به اتباع هذا الدين : الوسطيه في كل شيء فلا إفراط ولا تفريط قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[1]

قال ابن كثير : « والوسط هنا المراد به الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا أى خيرها .

ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب »[2] .

ومن الأمور التي توسطت بها هذه الأمة توسطها في شأن الأنبياء بين اليهود والنصارى .

فقد افترق اليهود والنصارى في الأنبياء : فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم . والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله .

أما هذه الأمة فقد توسطت بين الطائفتين فأمنت وصدقت بأنبياء الله ولم يتخذهم أربابا من دون الله .

فالسلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ساروا في هذا الشأن وفق نصوص القرآن والسنة الصحيحة شأنهم في ذلك شأنهم في سائر أمور هذا الدين الاتباع وترك الابتداع .

فما نص عليه القرآن يجب الأخذ به والعمل به والحال نفسه ينطبق على ما

---

(١) الآية (١٤٣) من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ١٩٠) .

نصت عليه السنة .

فقد نصت النصوص على أمور متعددة فيما يتعلق بشأن نبينا ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فمن أخذ بهذه الأمور جميعها وأمن بها فقط توسط ومن أخل بشيء منها فهو لا محالة واقع في أحد حالين إما الغلو أو التنقص .

ولما كان حال الغلو هو الأكثر خطرا على اتباع الرسل ، فقد جاء التنبيه والتأكيد على بشريتهم في مواطن متعددة في كتاب اللّٰه العزيز منها :

١ـ التأكيد على بشرية الرسول وعبوديته للّٰه تعالى :

قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(١)

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾(٢)

وقال تعالى ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٣)

وقال تعالى ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾(٤)

وقال تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾(٥)

وقال تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِٱللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾(٦) .

---

(١) الآية (٧٩) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (١١٠) من سورة الكهف .

(٣) الآية (٩٣) من سورة الإسراء .

(٤) الآية (١) من سورة الإسراء .

(٥) الآية (٢٣) من سورة البقرة .

(٦) الآية (٤١) من سورة الأنفال .

وقال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾(١)
وقال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٢)
وقال تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾(٣).
وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾(٤).
وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾(٥).

٢ـ التأكيد على أن الرسل لا يملكون شيئًا من خصائص الألهية والربوبية

قال تعالى ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾(٦).
وقال تعالى ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّالِمِينَ * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾(٧).
وقال تعالى ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ

---

(١) الآية (١) من سورة الكهف .
(٢) الآية (١) من سورة الفرقان .
(٣) الآية (١٠) من سورة النجم .
(٤) الآية (٩) من سورة الحديد .
(٥) الآية (٢٠) من سورة الفرقان .
(٦) الآية (٥٠) من سورة الأنعام .
(٧) الآية (٥٨ ، ٥٩) من سورة الأنعام .

مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾[3] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾[4] .

وقال تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[5] .

وقال تعالى ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ ﴾[6] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[7]

٣- التنبيه على ما كان من حال النصارى مع عيسى عليه السلام وبيان كفرهم في ذلك :

قال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[8]

وقال تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ

---

(١) الآيتان (١٨٧ ، ١٨٨) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٢٠) من سورة يونس .

(٣) الآية (٣١) من سورة هود .

(٤) الآية (٢١) من سورة الجن .

(٥) الآية (١٢٨) من سورة آل عمران .

(٦) الآية (٤٩) من سورة يونس .

(٧) الآية (٩) من سورة الأحقاف .

(٨) الآية (١٧) من سورة المائدة .

ٱلْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] .

٤- بيان كفر من رفعهم إلى درجة الربوبية :

قال تعالى ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَائِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2] .

وبجانب هذا التأكيد على بشرية الرسل والتحذير من رفعهم فوق مكانتهم التي أعطاهم الله إياها ووصفهم بما ليس لهم حق فيه .

أكد الإسلام وجوب الإيمان بهم وإكرامهم ورفع درجتهم وجعلهم في مكانة ومنزلة سامية . فأوجب الإيمان بهم .

قال تعالى ﴿ آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

---

(١) الآيات (من ٧٢ - ٧٧) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٨٠) من سورة آل عمران .

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١] .

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « فالمؤمنون يؤمنون بأن اللّٰه واحد ، فرد صمد ، لا اله غيره ولا رب سواه .

ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد اللّٰه المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير ، وان كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن اللّٰه حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين »[٢] .

وفي مقابل ذلك فقد عد تكذيب واحد منهم كفرًا ولو ادعى الإيمان باللّٰه ورسله جميعا إلا ذلك ، فإيمان من هذا حاله إيمان زائف لا وزن له ولا خير فيه وصاحبه موسوم بالكفر .

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[٣] .

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : « والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه اللّٰه إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن ايمانه بمن آمن به

---

(١) الآية (٢٨٥) من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٣٤٢) .

(٣) الآيتان (١٥٠ ، ١٥١) من سورة النساء .

من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًا إنما هو عن غرض وهوى وعصبية »[1] .

وبهذه الوسطيه تمسك السلف الصالح ومن سار على نهجهم فالأنبياء وعلى رأسهم نبينا صلوات اللّٰه عليهم أجمعين بشر مثلنا فضلهم اللّٰه واصطفاهم واختارهم وشرفهم بحمل الرسالة وتبليغها إلى الناس ، وأوجب علينا لهم من الحقوق ما سبق ذكره ، وكذلك جعل لنا عليهم من الأمور والحقوق التي تطلب منهم ، « فالأمور نوعان :

النوع الأول : نوع يطلب لنبينا منا ويجب له علينا .

والنوع الثاني : نوع يطلب لنا منه سواء أوجب عليه أو لم يجب .

فالواجب له علينا من الحقوق بعد الموت الإيمان به ومحبته ونصره وتعزيره وتوقيره وطاعة أمره واتباع سنته وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه .

هذا بالنسبه لما يتعلق بالنوع الأول . أما ما يتعلق بالنوع الثاني : فتحقيق ذلك أن اللّٰه أمره بأشياء منها ما هو حق للّٰه . ومنها ما هو حق للناس .

والأمر تارة يكون أمر إيجاب ، وتارة أمر استحباب .

وكل ما أمر به مما فيه نفع للخلق ففيه حق لهم عليه كتبليغهم وتعليمهم والبيان لهم وأمرهم بكل معروف ونهيهم عن كل منكر ، وحضهم على كل ما يقربهم إلى الجنة ونهيهم عن كل ما يبعدهم عنها وتبيين كل ما يحتاجون إليه وأمثال ذلك .

وقد فعل ذلك وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها ، وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لهم منه علما بأخباره وأوامره ونواهيه .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٧٢) .

وكذلك كان يقوم بأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم ، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم ، وإطعام جائعهم ، وعيادة مريضهم ، والصلاة على ميتهم ، وأمثال ذلك من أنواع إحسانه إليهم في جميع مصالح الدنيا والآخرة .

فاجتمعت له صفات الكمال المتفرقة في غيره من الرسل والأنبياء وولاة الأمر وغيرهم .

وكان له من خصائص النبوة والرسالة ما لم يشركه فيه أحد بعده ، وكان يقوم بالإمامة في الصلاة والإمارة في الغزو وإرسال البعوث وعقد الألوية والشعائر في الحروب وإقامة الحدود وإيصال الحقوق وقسم المواريث والمغانم والفئ والصدقات ، وتعليمهم ما يؤمرون به مما في القلوب من المعارف والأحوال ، أو ما يقوم بالأبدان من الأقوال والأعمال ، وأفتاهم فيما ينويهم من المسائل ، والحكم بينهم فيما يتنازعون فيه من القضايا ، وتعبير الرؤيا وما كان وما يكون من أمر الدنيا والآخرة ، وصفات الرب ، وملائكته ، وأمر الآخرة والجنة والنار إلى غير ذلك . فهذه الأمور التي كان مأمورًا بها أمر إيجاب أو أمر استحباب وكانت حقا عليه للخلق انتهت بموته فلم يبق عليه منها شيء .

كما أدّى حق اللَّه الذي أمره به ، فلم يبق عليه منه شيء ، فجاهد في اللَّه ونصح الأمة ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين .

وأما ما كان حقا له على الأمة ـ ومنفعته في الحقيقة تعود عليهم ، واللَّه تعالى يثيبه بما يعملون به من طاعته مثل ثوابهم ، ويستجيب فيه صالح دعواهم ـ فهو في الحقيقة حق اللَّه وان كان فيه حق للرسول فإن اللَّه هو الذي أمرهم به الرسول ، ومن يطع الرسول فقد أطاع اللَّه .

فكل ما أمرهم به الرسول من واجب ومستحب فالله آمرهم به .
وإذا اطاعوا الله ورسوله فأجرهم على الله .
وإذا عصوا الله ورسوله فحسابهم على الله .
قال تعالى ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[1]
وقال تعالى ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[2]
وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[3] ثم قال ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[4]
فأمر بطاعته وطاعة رسوله لأن طاعته طاعة لله .

وأمرهم بالتوكل عليه وحده ، وطاعة الرسول هي عبادة لله وحده والأمر والمعنى المتقدم من أن الرسول ليس عليه إلا ما أمر به من البلاغ والبيان والجهاد وليس عليه جزاء العباد ولا حسابهم ولا هدايتهم قد كرر في القرآن في مواضع .

والحق الذي لله وللرسول باق بعد موت الرسول ، وكذلك ما كان من حقوقه التي يمكن بقاؤها كالصلاة عليه والتسليم والتعزير والتوقير والمحبة وغيرها فهي لم تنقص بعد موته بل توكدت وقويت ، بل حقوقه عليها بعد موته أكمل منها في حياته .

فمن ذلك أن من تنقصه في حياته أو سبه فإنه كان له ﷺ أن يعفو عن حقه .

---

(١) الآية (٤٠) من سورة الرعد .

(٢) الآيات (من ٢١ - ٢٦) من سورة الغاشية .

(٣) الآية (١٢) من سورة التغابن .

(٤) الآية (١٣) من سورة التغابن .

فأما بعد موته فليس لأحد أن يعفو عن حقه ولا يسقط وكذلك في مغيبه . فعلينا أن نقوم بحقوقه الواجبة علينا في حال مماته ومغيبه أكثر مما علينا أن نقوم بها في محياه وحضوره .

وتلك الحقوق علينا له ، واذا فعلناها كانت عبادة منا للّه ، أجرنا فيها على اللّه وهي مما يزيده اللّه بها من فضله من جهة امتثالنا لما أمرنا به ، وهو داعينا ، وكلما أطعنا كان له مثل أجورنا ، ومن جهة ما يصل إليه من الرحمة باستجابة اللّه دعاء الأمة ، مع ما يزيده اللّه إياه من فضله . وهذه الحقوق الثابتة بعد موته هي تبع لرسالته فإنه هو السفير والواسطة بيننا وبين اللّه تعالى في تعليمنا وانتفاعنا بما علمنا من علم اللّه وخبره ، وفي أمرنا وإرشادنا إلى ما أمر اللّه به وأحبه ورضيه وبذلك حصل لمن آمن به واتبعه سعادة الدنيا والآخرة .

بل أعظم نعمة أنعم اللّه بها على المؤمنين أن أرسله إليهم وأنزل عليه الكتاب ومنَّ عليهم باتباعه . فليس في الدنيا خير أعظم من هذا[1] .

وبعد فهذا أنموذج من فهم السلف لنوع العلاقة التي تربط الأمة بنبيها وهو فهم أوجبته النصوص الشرعية وأكدته وأوضحته ورسمته ، فليس لنا أن نحيد عنه أو نبدل فيه .

وهو فهم أعطى لكل ذى حق حقه كما أوجب ربنا وشرع في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فحق اللّه هو توحيده وتجريد العبادة له تبارك وتعالى .

وحق الرسول الإيمان به وطاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والصلاة والسلام عليه إلى غير ذلك مما سبق ذكره .

---

(١) الرد على البكرى (ص ١٠٨ - ١١٢) بتصرف يسير .

وعن هذا التوازن في وضع الأمور في نصابها الذي أوجبه اللَّه تعالى علينا يقول ابن القيم : « والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم أرباب المراتب أن تجريد التوحيد أن لا يعطى المخلوق شيئًا من حق الخالق وخصائصه ، فلا يعبد ، ولا يصلى له ، ولا يسجد ولا يحلف باسمه ، ولا ينذر له ، ولا يتوكل عليه ، ولا يؤله ولا يقسم به على اللَّه ، ولا يعبد ليقرب إلى اللَّه زلفى ، ولا يساوى برب العالمين في قول قائل : ما شاء اللَّه وشئت ، وهذا منك ومن اللَّه ، وأنا باللَّه وبك ، وأنا متوكل على اللَّه وعليك ، واللَّه لي في السماء وأنت لى في الأرض ، وهذا من صدقاتك وصدقات اللَّه ، وإنا تائب إلى اللَّه وإليك ، وأنا في حسب اللَّه وحسبك ، فيسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم يحلق رأسه له ، ويحلف باسمه ، وينذر له ، ويسجد لقبره بعد موته ، ويستغيث به في حوائجه ومهماته ، ويرضيه بسخط اللَّه ، ولا يسخطه في رضا اللَّه ، ويتقرب إليه أعظم مما يتقرب إلى اللَّه ويحبه ويخافه ويرجوه أكثر مما يحب اللَّه ويخافه ويرجوه أو يساويه .

فإذا هضم المخلوق خصائص الربوبية ، وأنزله منزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه فضلًا عن غيره ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا لم يكن هذا تنقصًا له ولا حطًّا من مرتبته ولو رغم المشركون .

وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات اللَّه وسلامه عليه أنه قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد اللَّه فقولوا عبد اللَّه ورسوله »[1].

وقال ﷺ : « لا تتخذوا قبرى عيدا »[2].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٦٢٦ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٠ .

وقال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد »[(١)] .

وقال ﷺ : « لاتقولوا ما شاء اللّه وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء اللّه ثم شاء فلان »[(٢)] .

وعن عدى بن حاتم أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ فقال : من يطع اللّه ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، فقال رسول اللّه ﷺ : « بئس الخطيب أنت قل ومن يعص اللّه ورسوله »[(٣)] .

وقال له رجل : ما شاء اللّه وشئت . فقال : « أجعلتني للّه ندا ؟ »[(٤)] .

وقال له رجل قد أذنب : الله إني أتوب اليك ولا أتوب إلى محمد . فقال : « عرف الحق لأهله »[(٥)] .

وقد قال اللّه له : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾[(٦)] .

وقال : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[(٧)] .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٩١ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) . وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب لا يقال خبثت نفس (٥ / ٢٥٩) ح ٤٩٨٠ . وأخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب ، باب لا يقال خبثت نفس (٥ / ٢٥٩) ح ٤٩٨٠ . وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، باب النهي أن لا يقال خبثت نفس (٥ / ٢٥٩) ح ٤٩٨٠ . وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، باب النهي أن يقال ماشاء اللّه وشاء فلان (ص ٥٤٤) ح ٩٨٥ . وقال النووي : رواه أبو داود بإسناد صحيح . رياض الصالحين (ص ٦١١) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣ / ١٢ - ١٣) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٦٥٥ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣ / ٤٣٥) .

(٦) الآية (١٢٨) من سورة آل عمران .

(٧) الآية (١٥٤) من سورة آل عمران .

وقال : ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ ﴾[١] .

وقال : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾[٢] أي لن أجد من دونه من ألتجئ إليه وأعتمد عليه . وقال لابنته فاطمه وعمه العباس وعمته صفية[٣] : « لا أملك لكم من الله شيئا »[٤] وفي لفظ : « لا أغني عنكم من الله شيئا »[٥] .

فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم وآلهتهم ، وأبوا ذلك كله ، وادعوا لشيوخهم ومعبوديهم خلاف هذا كله ، وزعموا أن من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم ، وقد هضموا جانب الالهية غاية الهضم وتنقصوه فلهم نصيب وافر من قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[٦] [٧] .

---

(١) الآية (٤٩) من سورة يونس .

(٢) الآيتان (٢١ ، ٢٢) من سورة الجن .

(٣) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية عمة رسول الله ﷺ ، والدة الزبير بن العوام ، وهي شقيقة حمزة ، اسملت وهاجرت مع ولدها الزبير وروت وعاشت إلى خلافة عمر . الإصابة (٤ / ٣٣٩ - ٣٤٠) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب من انتسب لآبائه في الإسلام والجاهلية . فتح الباري (٦ / ٥٥١) ح ٣٥٢٧) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١ / ١٣٣) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب . انظر فتح الباري (٥ / ٣٨٢) ح ٢٧٥٣ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١ / ١٣٣) .

(٦) الآية (٤٥) من سورة النور .

(٧) الروح لابن القيم (٢ / ٧٦٦ ، ٧٦٧) .

وقال أيضا رحمه الله في قصيدته النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية :

يامن له عقل ونور قد غدا يمشى به في الناس كل زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ في كل وقت بينكم بأذان
الرب رب والرسول فعبده حقا وليس لنا إله ثان
فلذاك لم نعبده مثل عبادة الرحـ من فعل المشرك النصراني
كلا ولم نغلوا الغلو كما نهي عنه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون لغيره ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقا واحدا من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله وكذا الصلاة وذبح ذى القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا وكذا مثاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به إياك نعبد ذاك توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والتهليل حق آلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير حق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا يختص بل حقان مشتركان
هذى تفاصيل الحقوق ثلاثة لا تجهلوها يا أولى العدوان
حق الاله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير اشراك به شيئا هما سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله المقبول اذ هو صاحب البرهان

والأمر منه الحتم لا تخيير فيه عند ذى عقل وذى ايمان
من قال قولا غيره قمنا على أقواله بالسير والميزان
ان وافقت قول الرسول وحكمه فعلى الرؤوس تشال كالتيجان
أو خالفت هذا رددناها على من قالها من كان من انسان
أو أشكلت عنا توقفنا ولم نجزم بلا علم ولا برهان
هذا الذي أدى إليه علمنا وبه ندين الله كل أوان
فهو المطاع وأمره العالى على أمر الورى وأمر ذى السلطان
وهم المقدم في محبتنا على الأهلين والأزواج والولدان
وعلى العباد جميعهم حتى على النفس التي قد ضمها الجنبان
ونظير هذا قول أعداء المسيح من النصارى عابدى الصلبان
انا تنقصنا المسيح بقولنا عبد وذلك غاية النقصان
لو قلتم ولد اله خالق وفيتموه حقه بوزان
وكذاك أشباه النصارى مذغلوا في دينهم بالجهل والطغيان
صاروا معادين الرسول ودينه في صورة الأحباب والاخوان
فانظر إلى تبديلهم توحيده بالشرك والإيمان بالكفران
وانظر إلى تجريده التوحيد من أسباب كل الشرك بالرحمن
واجمع مقالتهم وما قد قاله واستدع بالنقاد والوزان
عقل وفطرتك السليمة ثم زن هذا وذا لا تطغ في الميزان
فهناك تعلم أى حزبينا هو المتنقص المنقوص ذو العدون
رامى البرئ بدائه ومصابه فعل المباهت أوقح الحيوان
كمعير للناس بالزغل الذي هو ضربه فاعجب لذا البهتان

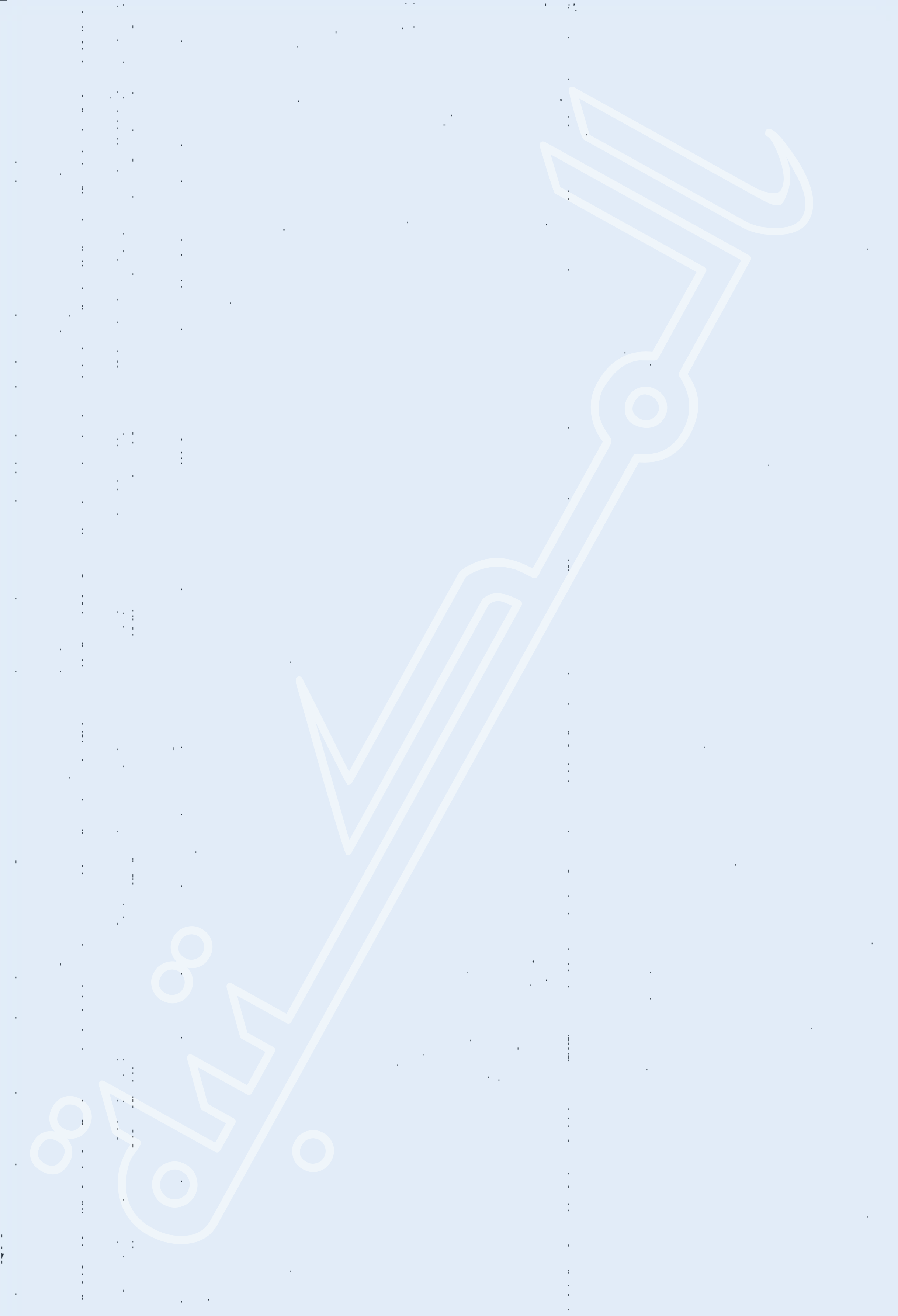
يافرقة التنقيص بل يا أمة الدعوى بلا علم ولا عرفان
والله ما قدمتمُ يوما مقالته على التقليد للانسان
والله ما قال الشيخ وقال الا كنتم معهم بلا كتمان
والله أغلاط الشيوخ لديكم عين الصواب ومقتضى البرهان
ولذا . قضيتم بالذي حكمت به جهلا على الاخبار والقرآن
والله انهم لديكم مثل معصوم وهذا غاية الطغيان
تبا لكم ماذا النقص بعد ذا لو تعرفون العدل من نقصان
والله ما يرضيه جعلكم له ترسًا لشرككم وللعدوان
وكذاك جعلكم المشايخ جنة لخلافه يشهده أولو الإيمان
والله ما عظمتموه طاعة ومحبة يافرقة العصيان
أني وجهلكم به وبدينه وخلافكم للوحى معلومان ؟
أوصاكم أشياخكم بخلافهم لوفاقه في سالف الأزمان
خالفتم قول الشيوخ وقوله فغدا لكم خلفان متفقان
والله أمركم عجيب معجب ضدان فيكم ليس يتفقان
تقديم آراء الرجال عليه مع هذا الغلو فكيف يجتمعان ؟
كفرتم من جرد التوحيد جهلا منكم بحقائق الإيمان
لكن تجردتم لنصر الشرك والبدع المضلة في رضى الشيطان
والله لم نقصد سوى التجريد للتوحـ ـيد ذاك وصية الرحمن
ورضى رسول الله منا لا غلـ ـو الشرك أصل عبادة الأوثان
والله لو يرضى الرسول دعاءنا إياه بادرنا إلى الاذعان
والله لو يرضى الرسول سجودنا كنا نخر له على الأذقان

والله ما يرضيه منا غير اخـ ـلاص وتحكيم لذا القرآن
ولقد نهي ذا الخلق عن اطرائه فعل النصارى عابدى الصلبان
ولقد نهانا أن نصير قبره عيدا حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمه وثنا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان
ولقدغدا عند الوفاة مصرحا باللعن يصرخ فيهم بأذان
وعني الألى جعلوا القبور مساجدا وهم اليهود وعابدوا للصلبان
والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبوه بالحيطان
قصدوا إلى تسنيم حجرته ليمتنـ ـع السجود له على الأذقان
قصدوا موافقة الرسول وقصده التجريد للتوحيد للرحمن[1]

○○○○

---

(١) انظر : توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شر قصيدة ابن القيم (٢ / ٣٤٦ - ٣٥٤) .



الفصل الثاني

بيان الأمور التي حصل فيها غلو في حقه ﷺ وحكم الشرع فيها

○ وفيه تمهيد وستة مباحث :

المبحث الأول : نماذج من الغلو الحاصل في شأن النبي ﷺ .

المبحث الثاني : حكم التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالنبي ﷺ .

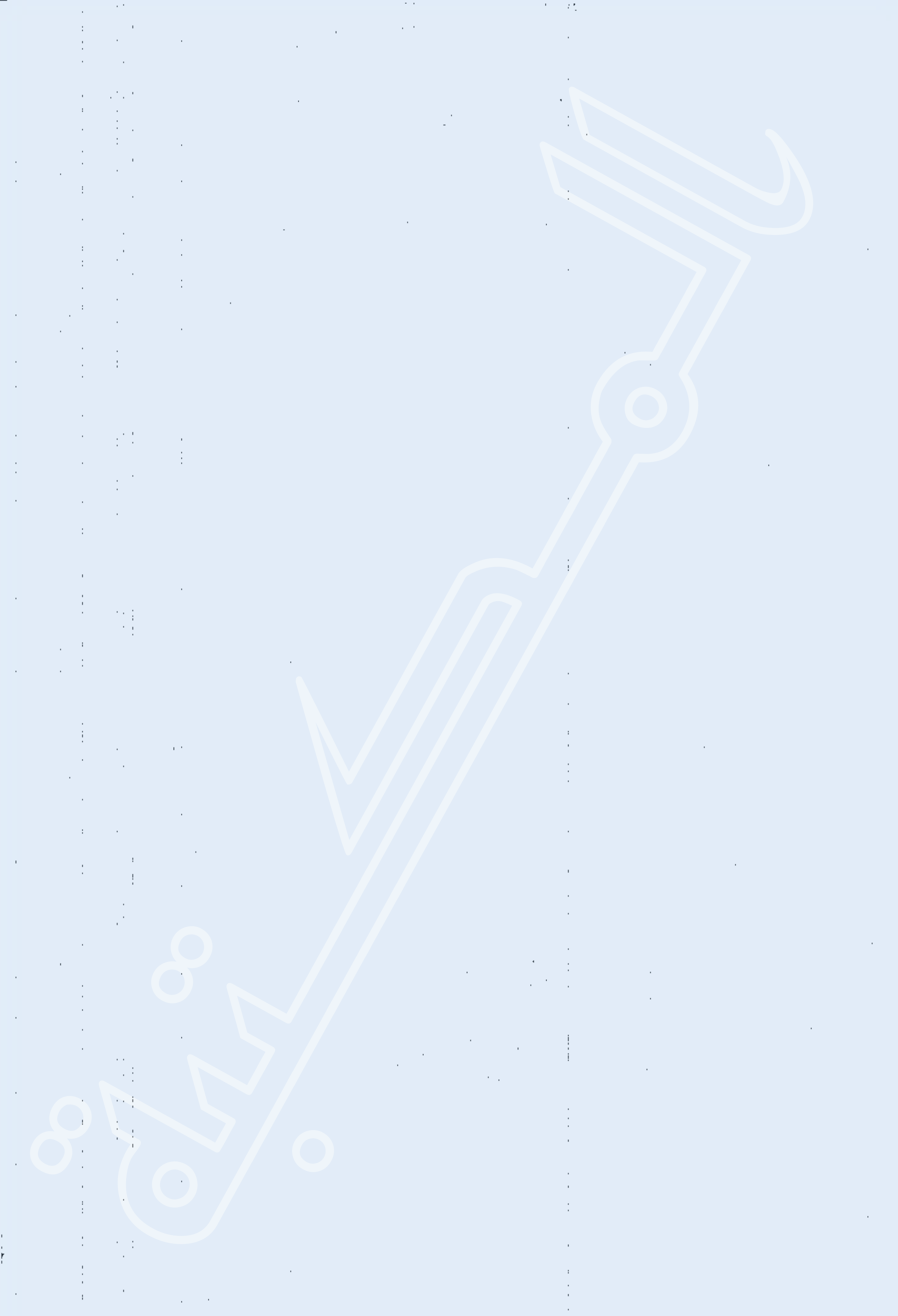
المبحث الثالث : حكم ما يفعل عند حجرته التي دفن فيها من الأمور المبتدعة

المبحث الرابع : حكم الحلف بالنبي .

المبحث الخامس : حكم الاحتفال بمولده .

المبحث السادس : حكم القول بحضوره في مجالس المحتفلين ورؤيته بالعين الباصرة .

● ● ● ●



تمهيد

قال اللّٰه تعالى ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[١]

وقال تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾[٢]

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٣]

وقال تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٤].

وقال تعالى ﴿ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ... ﴾[٥].

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٦].

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[٧].

برغم هذه الآيات البينات والبراهين الواضحات التي تبين وتفصل بين ما هو

---

(١) الآية (٤٠) من سورة الرعد .

(٢) الآية (٩) من سورة الأحقاف .

(٣) الآية (١١٠) من سورة الكهف .

(٤) الآية (١٢٨) من سورة آل عمران .

(٥) الآية (٣١) من سورة هود .

(٦) الآية (١٨٨) من سورة الأعراف .

(٧) الآيات (٢٠ - ٢٣) من سورة الجن .

حق للرسول وما ليس له بحق ، وما يملكه الرسول وما لا يملكه وأمثالها في القرآن الكريم كثير جدًّا .

يأبى أناس إلا معصية اللّٰه ورسوله ومخالفة ما جاءت به النصوص ؛ اتباعا لأهوائهم وسلوكا لسبيل الشيطان ، فقد غلوا في حق النبي ﷺ وتنوع غلوهم وتفاوت حتى وصل في كثير من أنواعه إلى درجة الإشراك باللّٰه تعالى .

وسأذكر في هذا الفصل نماذج من هذا الغلو الحاصل مع الإشارة إلى وجه مخالفتها للنصوص الشرعية والرد عليها .

○○○○

المبحث الأول

نماذج من الغلو الحاصل في شأن النبي ﷺ

أ- ما يسمى بـ (الحقيقة المحمدية) :

وهي أسطورة من أساطير الصوفية ، نسجها خيالهم المريض ، وأوهامهم الفاسدة ، فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع ، بل هي مناقضة تمامًا لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ . أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم : « اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ... ثم انبخست منه ﷺ عيون الأرواح فهو الجنس العالى على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات »[1] .

ويقول آخر : « اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضًا من نور النبي ، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت »[2] .

وفي هذا يقول شاعرهم :

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى فردا لفرد ، والبرية في عدم
ثم استمد جميع مخلوقاته من نورك السامى ، فيا عظم الكرم

---

(١) الأنوار المحمدية (ص ٩) .

(٢) هذه هي الصوفية (ص ٨٧) .

فلذا إليك الخلق تفزع كلهم في هذه الدنيا ، وفي اليوم الأهم
وإذا دعتهم كربة فرجتها حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم[١]

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء .

الدعوى الأولى : دعوى أن النبي ﷺ خلق من نور رب العالمين .

الدعوى الثانية : أنه وجد قبل خلق آدم .

الدعوى الثالثة : أن الأشياء خلقت منه .

وكل دعوى من هذه الدعاوى هي أكذب من أختها ، وقد قال بها جميعًا بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى ، ويروون في ذلك أحاديث ، وكلها كذب ، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال إني كلى بشر فقد كفر ، ومن قال لست ببشر فقد كفر » وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث[٢] .

ومنهم من يروى عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال : قلت يارسول اللّه بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه اللّه تعالى قبل الأشياء ؟ قال : يا جابر إن اللّه تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء اللّه تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي ، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق

---

(١) الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة (نقلا عن كتاب هذه الصوفية) (ص ٨٧) .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ / ٢٠٠ - ٢٠١) بتصرف

من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السموات ، ومن الثاني الأراضين ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسم الرابع أربع أجزاء فخلق من الأول أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة باللّٰه تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا اللّٰه محمد رسول اللّٰه »[١].

وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي : « ليس له إسناد يعتمد عليه »[٢].

ولا يخفي على من له أدني معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات ، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه .

وكذلك مما يرونه « كنت نبيًا ولا آدم ولا ماء ولا طين » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (« هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره ، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب ، وإنما كان بين الروح والجسد .

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجودًا وأن ذاته خلقت قبل الذوات ، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه « أنه كان نورا حول العرش ، فقال : يا جبريل أنا كنت ذلك النور »[٣].

ومن العجيب أن كثيرا من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم .

ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب

(١) الأنوار المحمدية (ص ١٣) .

(٢) الحاوى للفتاوى (١ / ٣٢٥) .

(٣) الرد على البكرى (ص ٨ - ٩) .

والسنة .

فقد اخبرنا عز وجل عن أصل ما خلق منه الإنس والجن فقال تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ * وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[١] .

والنبي ﷺ بشر خلق مما خلق منه باقى البشر فلا ميزة له في هذا الشأن عن باقى البشر قال تعالى ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[٢]وقال تعالى ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٣] .

والآيات في هذا الشأن ، وفي شأن خلق السموات والأرض وكذا الأحاديث الثابتة كثيرة وكلها تخالف هذا الخبر المذكور وتبين زيفه وبطلانه[٤] .

ب ـ دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ :

وفي هذا يقول قائلهم

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم[٥]

وقول الآخر ممن هو من نقطة وشكله

لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم[٦]

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها حديث « لولاك

---

(١) الآيتان (١٤ - ١٥) من سورة الرحمن .

(٢) الآية (٩٣) من سورة الاسراء .

(٣) الآية (٩) من سورة الاحقاف .

(٤) انظر في هذا الشأن رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق .

(٥) ديوان البوصيرى (ص ٢٤٠) .

(٦) تنبيه الحذاق (ص ٢٧) .

ما خلقت الأفلاك » وهو موضوع[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أوحى الله إلى عيسى ياعيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار ... »[٢] .

وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعى كهذا .

أضف إلى ذلك مخالفتها للشرع فالذي تدل عليه النصوص الشرعية أن الله عز وجل إنما خلق الجن والانس لغاية ذكرها في القرآن الكريم حيث قال عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣] .

قال ابن كثير : « ومعني الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب »[٤] .

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ

---

(١) قاله الصغانى في الأحاديث الموضوعة (ص ٧) ، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكانى (ص ٣٢٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم ٢٨٢

(٢) لا أصل له مرفوعًا إنما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٦١٤ ، ٦١٥) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : فذكره موقوفا وقال : « صحيح الإسناد » وتعقبه الذهبي بقوله « أظنه موضوعًا على سعيد » .

وقد قال الذهبي في الميزان (٣ / ٢٤٦) عند ترجمته لعمرو بن أوس الذي روى هذا الحديث عن سعيد ما نصه : « عمرو بن أوس يجهل حاله اتى بخبر منكر ، أخرجه الحاكم في مستدركه ، وأظنه موضوعًا من طريق جندل بن والق » ثم ذكر نص هذا الحديث .

ووافقه ابن حجر في اللسان (٤ / ٣٥٤) .

(٣) الآية (٥٦) من سورة الذاريات .

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٣٨) .

عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[١] .

وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٢]

وقال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٣]

فصرح جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

فهذه هي الحكمة من خلقهم أولًا وبعثهم ثانيًا[٤] .

والنصوص من آيات وأحاديث كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه ، وفي الوقت نفسه تبطل ما زعمه الغلاة من أن الغاية من خلق الخلق هي من أجل محمد ﷺ .

فهذه الدعاوى يعرف بطلانها من له أدني بصيرة في نصوص الشرع والنبي ﷺ قد أعطاه اللّٰه خصائص وفضائل كثيرة تدل على فضله ومكانته ، فليس هو بحاجة إلى أن ترفع مكانته ويبين شرفة بمثل هذه الاخبار الباطلة الموضوعة .

ج ـ دعوى الغلاة : جواز صرف بعض جوانب العبادة له ﷺ :

وقد تفنن الغلاة في هذا

« فمن قائل يقول إنه يستغاث به في كل يستغاث فيه بالخالق بمعني أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق .

فهؤلاء جعلوا الرسول ﷺ يطلب منه الناس ما يطلبونه من اللّٰه تعالى .

فأذوا الرسول وأساؤا في حقه إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق وسووه برب

---

(١) الآية (٧) من سورة هود .

(٢) الآية (٢) من سورة الملك .

(٣) الآية (٧) من سورة الكهف .

(٤) انظر أضواء البيان (٧ / ٦٧٣ - ٦٧٧) .

العالمين وسلطوا عليه العامة ، فهذا يطلب منه انزال المطر ، وهذا يطلب منه غفران الذنوب ، وهذا يطلب منه النصر على الأعداء ، وهذا يطلب منه أن يتزوج ، وهذا يطلب منه الولد .

وهذا يطلب منه المعيشه وهذا يطلب منه الملك ، وهذا يطلب منه الولاية ، وهذا يطلب منه قضاء دينه ، وهذا يطلب منه شفاء مريضه إلى غير ذلك من الأمور فنزلوا المخلوق منزلة الإله وطلبوا منه من جلب المنافع ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا اللّٰه »[١] .

ومن نظم بعضهم في هذا قوله :

يا أكرم الرسل مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول اللّٰه جاهك بى إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن لى ذمة منه بتسميتى محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادى آخذا بيدى فضلًا وإلا فقل يازلة القدم[٢]

فنفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث ، إلا النبي ﷺ وليس ذلك إلا للّٰه وحده لا شريك له ، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه سبحانه وتعالى .

ودعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من اللّٰه ، وذلك الشرك في الالهية[٣] .

ومن شعر بعضهم قوله :

ماذا تعامل ياشمس النبوة من أضحى إليك من الأشواق في كبدي

---

(١) الرد على البكرى (ص ٣٣٥ ، ٣٣٦) بتصرف .

(٢) ديوان البوصيرى (ص ٢٤٨) .

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص ١٨٧) .

فامنع جناب صريع لا صريخ له نائى المزار غريب الدار مبتعدى
حليف ودك واه الصبر منتظر لغارة منك ياركني وياعضدى
أسير ذنبي وزلاتى ولا عمل أرجو النجاة به إن أنت لم تجد

وجرى في شركه إلى أن قال :

وحل عقدة كربى يا محمد من هم على خطرات القلب مطرد
أرجوك في سكرات الموت تشهدني كيما يهون إذ الأنفاس في صعد
وإن نزلت ضريحا لا أنيس به فكن أنيس وحيد فيه منفرد
وارحم مؤلفها عبد الرحيم ومن يليه من أجله وانعشه وافتقد
وإن دعا فأجبه واحم جانبه من حاسد شامت أو ظالم نكد

وقوله من أخرى :

يارسول اللّٰه ياذا الفضل يا بهجة الحشر جاها ومقاما
عد على عبد الرحيم الملتجى بحمى عزك ياغوث اليتامى
وأقلني عثرتى يا سيدى في اكتساب الذنب في خمسين عاما

وقوله :

ياسيدى يارسول اللّٰه يا أملى ويا موئلى يا ملاذى يوم يلقانى
هبني بجاهك ما قدمت من زلل جودا أو رجح بفضل منك ميزانى
واسمع دعائى واكشف ما يساورني من الخطوب ونفس كل أحزاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه عندى وإن بعدت دارى وأوطاني
إني دعوتك من نيابتى برع وأنت اسمع من يدعوه ذو شأن
فامنع جنابي وأكرمني وصل نسبى برحمة وكرامات وغفران

لقد أنسانا هذا ما قبله ، وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى في عيسى عليه

السلام ، إلا أن أولئك اطلقوا عليه اسم الإله ، وهذا لم يطلقه ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها ، وترك الاسم ، إذ في الاسم نوع تمييز ، فرأى الشيطان أن الاتيان بالمعني دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل ، وقبوله عند ذوى العقول السخيفة ، إذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر ، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسما ومعني لردوه وأنكروه ، فأخذ المعنى وأعطاه البرعى واضرابه ، وترك الاسم للنصارى والا فما ندرى ماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب ، فاللّٰه المستعان[١] .

ويقول صاحب المواهب اللدنية : وينبغى للزائر ـ لقبره ـ أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به ﷺ فجدير بمن استشفع به أن يشفعه اللّٰه تعالى فيه فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي ﷺ واقع في كل حال قبل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة[٢] .

ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج إلى الكعبة وأن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة باللّٰه تعالى ودعائه[٣] .

ومنهم من يظن أن الرسول يعلم ذنوبه وحوائجه وإن لم يذكرها وأنه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه ويقدر على ما يقدر عليه اللّٰه ويعلم ما يعلمه اللّٰه »[٤].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١٨٩ ، ١٩٠) .

(٢) انظر الأنوار المحمدية (ص ٦٠٤) .

(٣) الرد على البكرى (ص ٣٤٩) .

(٤) الرد على البكرى (ص ٣٠) .

ومنهم من يقول « ان النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان » يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود ، ولا من مكان إلا هو فيه موجود[١].

ومنهم من يقول : « إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت ، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته »[٢].

ومنهم من يقول في قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٣].

يقول : إن الرسول هو الذي يسبح بكرة وأصيلا .

ومنهم من يقول : اسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت .

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول اللّه ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم[٤]

ومنهم من يقول نحن نعبد للّه ورسوله فيجعلون الرسول معبودا[٥].

بل لم يكتف غلاة الصوفية بهذا القدر حتى اعتقدوا أنه هو اللّه سبحانه ذاتا وصفة[٦].

---

(١) غاية الأمانى (١ / ٤٨) .
(٢) هذه هي الصوفية (ص ٨١) .
(٣) الآيتان (٨ ، ٩) من سورة الفتح .
(٤) ديوان البوصيرى (ص ٢٤١) .
(٥) الرد على البكرى (ص ٢١٩) .
(٦) هذه هي الصوفية (ص ٧٤ - ٧٥) .

وكتب أصحاب البدع وعباد القبور مملؤة بالكثير من أنواع هذا الغلو والألوانه والذي لا يشك الموحد بكذبه وبطلانه .

وسأتطرق في المباحث القادمة للرد على أشهر تلك الأنواع ، فنسأل الله الإعانة على ذلك .

○ ○ ○ ○

المبحث الثاني

حكم التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالنبي ﷺ

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الكلام على مسألة التوسل .

المطلب الثاني : الكلام على مسألة الشفاعة

المطلب الثالث : الكلام على مسألة الاستغاثة .

● ● ● ●

تمهيد

قبل التعرض لبيان حكم الشرع في هذه المسائل يجدر التنبيه على نقطة هامة جدا تتعلق بالمعاني التي استعملت فيها هذه الألفاظ في هذه المواضع .

ذلك أن كل من لفظ « التوسل » و « الشفاعة » و « الاستغاثة » قد ورد ذكرها في القرآن والسنة وكلام الصحابة واستعملت لمعاني معينة .

ولكن الذي حدث بعد ذلك أن أهل البدع والأهواء أحدثوا اصطلاحات ومعاني لهذه الألفاظ خلافا لما كانت تستعمل فيه من معان في خطاب الشرع وعرف الصحابة أنذاك ، قاصدين بذلك استعمال الأدلة الشرعية بما يوافق أهوائهم وأغراضهم ، ومن ثم لبسوا على الناس وأفهموهم أن تلك الألفاظ لم ترد إلا لتلك المعاني التي أحدثوها هم ، وهذا التلاعب بمعاني تلك الألفاظ هو الذي سهل على أهل البدع استعمال تلك النصوص في حججهم وسهل على عامة الناس تقبل تلك البدع لظنهم أن تلك النصوص دالة على تلك المعاني الباطلة .

ولذا كان من الواجب عند بيان الحق في هذه المسائل أن نبين المعني الشرعي لتلك الألفاظ ونحذر من المعاني المبتدعة المحدثة (فالألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد الشارع بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني)[(١)] ويجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك ، فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن لم يعرف لغة الصحابة التي يتكلمون

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٤) .

بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ وعادتهم في الكلام وإلا حرف الكلم عن مواضعه .

فإن كثيرا من الناس ينشأ على اصطلاح قوم وعادتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك .

وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام والفقه والنحو والعامة وغيرهم .

وآخرون يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتباعهم على معان أخر مخالفة لمعانيهم ، ثم ينطقون بتلك الألفاظ مريدين بها ما يعنونه هم ، ويقولون إنا موافقون للأنبياء »[١] .

ولفظ « التوسل » و « الاستشفاع » ونحوهما دخل فيها من تغيير لغة الرسول وأصحابه ، ما أوجب غلط من غلط عليهم في دينهم ولغتهم[٢] .

وبناء على ما تقدم فاني أجد لزامًا علي في هذا المقام أن أبين مراد الشارع بألفاظ التوسل والشفاعة والاستغاثة ليتضح ما أثبته الشارع من المعاني وما نفاه وذلك حتى يستنير الحق لطالبه .

فهذه النقطة هي موضع اللبس عند كثير من الناس ، فمتى ما وضحت زالت الغشاوة عن الأفهام ، وأمكن بالتالى فهم النصوص وفق مراد الشارع وأمره فهنا مكمن الداء والدواء . وأول ما نشرع به من هذه الألفاظ لفظ « التوسل » .

○ ○ ○ ○

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥٢ – ١٥٣) .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥٨) .

المطلب الأول

الكلام على مسألة التوسل

التوسل في اللغة : التقرب

والوسيلة : هي ما يتقرب به إلى الشيء [١] وتطلق على غير ذلك

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لفظ الوسيلة » و « التوسل » فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه ويعطى كل ذي حق حقه .

فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه .

وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعني ذلك .

ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه .

فإن كثيرًا من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الاجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب .

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[٢] .

وفي قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[٣].

---

(١) لسان العرب (١١ / ٧٢٤) مادة « وسل » .

(٢) الآية (٣٥) من سورة المائدة .

(٣) الآيتان (٥٦ ، ٥٧) من سورة الاسراء .

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات .

فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب ، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرما أو مكروها أو مباحا .

فالواجب والمستحب : هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول .

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول ، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك .

والثاني : لفظ « الوسيلة » في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ « سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة »[(١)] .

وقوله « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة »[(٢)] .

فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة ، وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة ، وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله وهو يرجو أن يكون ذلك العبد . وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول وأخبر أن من سأل له هذه الوسيلة فقد

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٦٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، باب الدعاء عند الأذان .
فتح الباري (٢ / ٩٤) ح ٦١٤ .

حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لأن الجزاء من جنس العمل ، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم ، فإن الشفاعة نوع من الدعاء كما قال : « إنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا »[(١)] .

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته « والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون ويسألون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح .

وحينئذ فلفظ التوسل به يراد به ثلاث معان .

يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد معنى ثالث لم ترد به السنة .

فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء .

فأحدهما : هو أصل الإيمان والإسلام والدين وهو التوسل بالإيمان به وطاعته وهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به ، ولا ينكره أحد من المسلمين .

وهو المراد بقوله تعالى ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ أي القربة إليه بطاعته ، وطاعة رسوله طاعته قال تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[(٢)] .

والثاني : التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته . ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[(٣)] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا حديث (١٠١٠) وكتاب فضائل الصحابة باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حديث (٣٧١٠) .

أي بدعائه وشفاعته .

فإنه توسل بدعائه لا بذاته ، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس ، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته ، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائمًا .

وأما المعني الثالث الذي لم ترد به سنة فهو : التوسل به بمعني الإقسام على اللّٰه بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم .

وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قول حجة [١] .

وليس في الأحاديث المرفوعة في ذلك حديث في شيء من دواوين المسلمين التي يعتمد عليها في الأحاديث ـ لا في الصحيحين ولا كتب السنن ولا المسانيد المعتمدة كمسند الإمام أحمد وغيره ـ وإنما يوجد في الكتب التي عرف أن فيها كثيرا من الأحاديث الموضوعة المكذوبة التي يختلقها الكذابون [٢].

والأحاديث التي تروى في هذا الباب ـ وهو السؤال بنفس المخلوقين ـ هي من الأحاديث الضعيفة الواهية بل الموضوعة ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها ولا اعتمد عليها [٣] .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٧٩ ، ٨٠) بتصرف يسير .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٦٠) .

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٦٤) .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة [١] عددا من الأحاديث والآثار التي استدل بها من أجاز التوسل بالذوات وبين ضعف حججهم وقال : « ليس في هذا الباب حديث واحد مرفوع إلى النبي ﷺ يعتمد عليه في مسألة شرعية ، باتفاق أهل المعرفة بحديثه ، بل المروى في ذلك إنما يعرفه أهل المعرفة بالحديث أنه من الموضوعات ، إما تعمدًا من واضعه وإما غلطًا منه » [٢].

ويتضح من النقول السابقة أن التوسل ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : التوسل الشرعي الذي دلت عليه النصوص الشرعية

القسم الثاني : التوسل البدعي الذي لم يثبت به نص شرعي

والتوسل الشرعي الذي جاءت به النصوص على نوعين :

النوع الأول : التوسل إلى اللّٰه تعالى بالأعمال الصالحة ، أو بتعبير آخر التقرب إلى اللّٰه بطاعته .

النوع الثاني : التوسل بدعاء الأحياء الصالحين للغير .

فالتوسل الشرعي في النوع الأول : « هي الوسيلة التي أمرنا اللّٰه أن نبتغيها إليه قال تعالى ﴿ وابتغوا اليه الوسيلة ﴾ وهي التقرب إلى اللّٰه بطاعته وهذا النوع يدخل فيه كل ما أمرنا اللّٰه به ورسوله ، وهذه الوسيلة لا طريق لنا إليها إلا باتباع النبي ﷺ وطاعته .

وهذا النوع من التوسل فرض على كل أحد[٣]، ويكون مراد التوسل به أحد أمرين :

---

(١) انظر (ص ١٦٤ الى ٢٣٠) .

(٢) قاعدة جليلة (ص ١٨٠) .

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥٩) .

١ـ أن يتوسل بذلك إلى إجابة الدعاء واعطاء السؤال ، كحديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار ، فإنهم توسلوا بأعمالهم الصالحة ليجيب دعاءهم ويفرج كربتهم ، وسيأتي بيان ذلك .

٢ـ التوسل بذلك إلى حصول ثواب الله وجنته ورضوانه ، فإن الأعمال الصالحة التي أمر بها الرسول ﷺ هي الوسيلة التامة إلى سعادة الدنيا والآخرة [١].

والأعمال التي يتوسل ويتقرب بها إلى الله أنواع منها :

١ـ التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله ﷺ وبكل ما أمر به :

مثال ذلك ما حكاه الله سبحانه عن المؤمنين في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [٢] .

وقوله تعالى ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [٣] فهم قدموا ذكر الإيمان قبل الدعاء .

وكذا التوسل بالإيمان بالرسول ﷺ كأن يقول العبد اللهم إني أسألك بإيماني برسولك محمد ﷺ أن تعطيني كذا ، أو تدفع عني كذا .

وكذا التوسل باتباعه وطاعته ﷺ فيما جاء به من ربه عز وجل .

وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال باطنًا وظاهرا ، في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته ، في مشهده ومغيبة ، ولا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٢٤٠ ، ٢٤١) .

(٢) الآية (١٠٩) من سورة المؤمنون .

(٣) الآية (١٩٣) من سورة آل عمران .

بعد قيام الحجة عليه - ولا بعذر من الأعذار ، ولا طريق إلى كرامة اللّٰه ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته [١] .

فإذا توسلنا إلى اللّٰه بإيماننا بنبينا ومحبته وموالاته واتباع سنته فهو من أعظم الوسائل .

فالأعمال الصالحة سبب لثواب اللّٰه لنا ، فإذا توسلنا إلى اللّٰه بالأعمال الصالحة كنا متوسلين إليه بوسيلة كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ فالوسيلة هي الأعمال الصالحة

أما سؤال اللّٰه بمجرد ذات النبي فغير مشروع ، لأننا إذا توسلنا إلى اللّٰه بنفس ذاته لم يكن في نفس ذاته سبب يقتضى إجابة دعائنا ولهذا لم يكن هذا منقولا عن النبي ﷺ نقلا صحيحًا ولا متواترًا ولا مشهورًا عن السلف .

فنحن إنما ننتفع باتباعنا له ومحبتنا له ، وهو له عند اللّٰه من الدرجة والمنزلة أمر يعود نفعه إليه ، فالتوسل به من غير متابعة له في الأعمال لا يجوز أن يكون وسيلة [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولا يتوسل إلى اللّٰه بمجرد ذات أحد من خلقه من غير دعاء من المتوسل به ولا طاعة من المتوسل » .

والداعي إنما ينتفع من وجهين :

إما بدعاء الرسول له . أو بإيمان الداعى به وطاعته ومحبته .

فأما إذا كان الرسول ﷺ لم يدع له ، وهو لم يؤمن به ، لم ينتفع بالرسول ﷺ .فأبو طالب مع كفره لما كان يحوط الرسول ويمنعه شفع فيه حتى خفف

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٣ - ٤) .

(٢) الرد على البكرى (ص ٤٠) بتصرف .

عنه العذاب ، وقد كان في غمرة من النار ، فلما شفع فيه صار في ضحضاح من النار ، وفي رجليه نعلان من النار يغلى منهما دماغه ، ولولاه لكان في الدرك الأسفل من النار هكذا رواه مسلم في صحيحه [(١)] فانتفع به مع كفره في تخفيفه عذابه بأن شفع فيه .

والإيمان به نافع لمن آمن وإن لم تحصل معه شفاعة .

فهذان السببان هما اللذان ينفعان العبد من سيد الخلق ﷺ .

وأما مجرد توسل العبد بذاته أو إقسامه به بدون هذين السببين فلا ينفعه أصلا » [(٢)] .

فالوسيلة بين العباد وبين ربهم عز وجل هي الإيمان بالرسل وطاعتهم قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [(٣)] وقال تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [(٤)] فالله تعالى يحب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ﷺ ومحبته وطاعته وموالاته .

٢ـ التوسل إلى الله بعبادته وطاعته :

فالتوسل إلى الله بعبادته وطاعته من أعظم القربات التي يحبها الله ويرضاها من عبده ويثيبه عليها .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١ / ١٣٤ - ١٣٥) .

(٢) الرد على البكرى (ص ٦١) .

(٣) الآية (٦٩) من سورة النساء .

(٤) الآية (٢٣) من سورة الجن .

ففي الحديث القدسى عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إن اللّه قال : من عادىٰ لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » . الحديث [1] .

فيستفاد منه : أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى اللّه ، وأن العبد إذا أدى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة اللّه تعالى ولا يكون التقرب بالنوافل إلا بعد أداء الفرائض .

فالتوسل إلى اللّه بعمل صالح يفعله العبد خالصًا للّه تعالى ، من أنواع التوسل المشروع .

وذلك كما في قصة أصحاب الغار كما يرويها عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما عن رسول اللّه ﷺ أنه قال « بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل ، فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة للّه ، فادعوا اللّه تعالى بها لعل اللّه يفرجها عنكم .

فقال أحدهم : اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران ، وامرأتى ولى صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالديّ فسقيتهما قبل بني

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق ، باب التواضع .
انظر : فتح الباري (١١ / ٣٤٠ ، ٣٤١) ح ٦٥٠٢ .

وأنه نأى بي ذات يوم الشجر ، فلم آت حتى أمسيت ، فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أسقى الصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة نرى منها السماء .

ففرج اللّٰه منها فرجة فرأوا السماء .

وقال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها ، فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد اللّٰه اتق اللّٰه ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم .

وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرق أرز فلما قضى عمله ، قال أعطني حقى فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها ، فجاءني فقال : اتق اللّٰه ولا تظلمني حقى فقلت اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها ، فقال : اتق اللّٰه ولا تستهزئ بى ، فقلت : إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى ففرج اللّٰه ما بقى »[1] فهؤلاء الثلاثة سألوا اللّٰه وتوسلوا إليه بأعمال البر .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب إجابة دعاء من بر والدية .
انظر فتح الباري (١٠ / ٤٠٤) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (٨ / ٨٩) واللفظ له .

٣ـ التوسل بالاستغفار والتسبيح والدعاء :

وهذا من أفضل ما يتوسل به العبد إلى ربه فقد اثني الله على المستغفرين من ذنوبهم التائبين إليه كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[١] .

وكان ﷺ يكثر من الاستغفار وحث أمته عليه ، وأرشدهم إلى ملازمته لمافيه من إظهار العبودية لله والافتقار إليه والذل والخشوع له ولا شك أن حاجة الأمة إلى الاستغفار والتوبة أشد من احتياجة ﷺ لذلك .

فقد قال ﷺ : « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة »[٢] .

وعنه ﷺ أنه قال : « إنه ليغان على قلبى وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة »[٣] . والغين هو ما يتغشى القلب[٤] .

وأما الدعاء فإنه أقوى وسائل التقرب إلى الله وأفضل ما يتقرب به العبد إلى مولاه فالدعاء مخ العبادة .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٥] .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا

---

(١) الآية (١٣٥) من سورة آل عمران .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٨ / ٧٢ ، ٧٣) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٨ / ٧٢ ، ٧٣) .

(٤) شرح النووي (١٧ / ٢٣) .

(٥) الآية (٦٠) من سورة غافر .

دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1] .

والآيات القرآنية التي فيها الأمر بالتوجه إلى اللّٰه وحده بالدعاء كثيرة جدًّا .

ويدخل في هذا النوع التوسل إلى اللّٰه بدعائه باسم من أسمائه الحسني أو بصفة من صفاته العليا : كأن يقول المسلم في دعائه : اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم ، اللطيف الخبير أن تعافيني .

أو يقول : أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لى .

ومثله قول القائل : اللهم إني أسألك بحبك لمحمد ﷺ .. فإن الحب من صفاته تعالى .

قال اللّٰه عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[2]والمعني ادعوا اللّٰه متوسلين إليه بأسمائه الحسني ، ولاشك أن صفاته العليا داخلة في هذا الطلب لأن أسمائه الحسني صفات له ، خصت به تبارك وتعالى [3] .

ومن ذلك ما ذكره تعالى من دعاء سليمان عليه السلام حيث قال ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ ﴾[4] .

وأما النوع الثاني : من أنواع التوسل المشروع فهو : التوسل بدعاء الأحياء الصالحين للغير .

كأن يطلب العبد ممن يظن فيه الصلاح والتقوى والعلم بالكتاب والسنة أن يدعو له لما يريده من أمور الدنيا والآخرة .

---

(١) الآية (١٨٦) من سورة البقرة .

(٢) الآية (١٨٠) من سورة الأعراف .

(٣) كتاب التوسل أنواعه وأحكامه (٢٩ ، ٣٠) .

(٤) الآية (١٩) من سورة النمل .

فهذا النوع من أنواع التوسل اجازته الشريعة المطهرة وأرشدت إليه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال : يارسول الله هلكت المواشى وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا .

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » .

قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا ، وما بيننا وبين سلع[1]من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت . قال والله ما رأينا الشمس سبتا .

ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائما فقال : يارسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر

قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشى في الشمس »[2] .

وعن أنس رضي الله عنه « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا .

قال : فيسقون »[3] .

---

(١) سلع (بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة) جبل معروف بالمدينة . وفاء الوفاء (ص ١٢٣٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في المسجد الجامع .
انظر : فتح الباري (٢ / ٥٠١) ح ١٠١٣

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا
انظر فتح الباري (٢ / ٤٩٤) ح ١٠١٠

وهكذا يتضح لنا جليا أن التوسل المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وجرى عليه عمل السلف الصالح وأجمع عليه المسلمون هو :

١ ـ التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة وعلى رأسها :

أ ـ التوسل بالإيمان بالله وبرسوله وبكل ما أمر به .

ب ـ التوسل إلى الله بعبادته وطاعته .

ج ـ التوسل إلى الله بالاستغفار والتسبيح والدعاء .

٢ ـ التوسل بدعاء الأحياء الصالحين للغير .

وأما ماعدا هذه الأنواع فهي توسلات بدعية ، وذلك كالتوسل بذوات المخلوقين ، أو جاههم فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وسواء كانوا أحياء أم أمواتًا ، وسواء كانوا أنبياء أم صالحين أم كانوا من عامة المؤمنين والذي نعتقده وندين الله به أن هذا غير جائز ولا مشروع ، لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة .

ولا يجوز للمسلم أن يتقرب إلى الله ويتوسل إليه بغير ما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله .

وفيما شرعه الله ورسوله الغنية عن غيره من التوسلات البدعية والشركية .

○○○○

المطلب الثاني

الكلام على مسالة الشفاعة

أ- أما الشفاعة فمعناها في اللغة :

قال صاحب اللسان : « شفع لى يشفع ، شفاعة ، وتشفع : طلب .
وروى عن المبرد وثعلب[1] أنهما قالا في قوله تعالى ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[2] قالا : الشفاعة الدعاء ههنا .

والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره .

وشفع إليه : في معني طلب إليه .

والشافع : الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب .

يقال : تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه .

واسم الطالب : شفيع .

واستشفعته إلى فلان : أى سألته أن يشفع لي إليه .

وتشفعت إليه في فلان : فشفعني فيه تشفيعا »[3] .

ويتضح من النقل السابق ما يلى :

١ - أن معني الشفاعة في اللغة : الدعاء والطلب .

---

(١) وأسمه أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى بالولاء ، أبو العباس المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، كان راوية للشعر ، ثقة حجة ، مات ببغداد سنة ٢٩١ هـ .
الاعلام (١ / ٢٦٧) .

(٢) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٣) لسان العرب (٨ / ١٨٤) مادة شفع .

٢. أن الشفاعة لها أركان أربعة :

١ ـ الطلب . ٢ ـ المشفع فيه أى صاحب الحاجة .

٣ ـ الشافع أو الشفيع . ٤ ـ المشفوع إليه .

وهذه الأركان الأربعة مذكورة في كلام صاحب اللسان حيث قال : « الشفاعة ، كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها للغير » فهناك :

١ ـ شفيع . ٢ ـ ملك . ٣ ـ حاجة . ٤ ـ وغير .

٣ ـ أن الشفاعة في لغة العرب لابد فيها من طلب الشافع للسائل ، فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه .

قال صاحب اللسان : « الشافع الطالب لغيره ، واسم الطالب : شفيع . وهذا لا يكون إلا بوجود الشافع وحضوره . وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة ليس هذا استشفاعا في اللغة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كثير من العامة يقولون لمن توسل في دعائه بنبي أو غيره : قد تشفع به . من غير أن يكون المتشفع به شفع له ولا دعا له ، بل قد يكون غائبا لم يسمع كلام ولا شفع له . وهذا ليس هو لغة النبي ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة بل ولا هو لغة العرب . فان الاستشفاع : طلب الشفاعة . والشافع : هو الذي يشفع للسائل فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه . وأما الاستشفاع بمن لم يشفع للسائل ولا طلب له حاجة بل وقد لا يعلم بسؤاله ، فليس هذا استشفاعا لا في اللغة ولا في كلام من يدرى ما يقول . نعم هذا سؤال به ، ودعاؤه ، ليس هو استشفاعا به » [1].

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ١٥١ - ١٥٢) .

فالشفاعة في لغة العرب ولغة النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم ، لابد فيها من « طلب الشافع » وهذا لا يكون إلا بوجوده وحضوره .

وأما توسل الشخص في دعائه بنبي أو غيره ، وتسمية بعض المبتدعة لهذا استشفاعا - أى سؤالا بالشافع ، وصاروا يقولون : استشفع به فيشفعك ، أى يجيب سؤالك به ، فهذا من تغيير معني الشفاعة في اللغة والشرع ، وأصحابه أرادوا أن يغيروا اللغة كما غيروا الشريعة .

ب - معني الشفاعة في خطاب الشارع :

معني الشفاعة في استعمال الشارع هو الدعاء كما ورد في وضع اللغة فمما ورد في ذلك ما رواه أبو هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته على الجنازة : « اللهم أنت ربها وأنت خلقها وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها »[١] .

وعن أنس وعائشة عن النبي ﷺ قال : « ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه »[٢] .

هذا وقد جاءت النصوص الشرعية بذكر نوعين من الشفاعة :

النوع الأول : الشفاعة المنفية .

النوع الثاني : الشفاعة المثبتة .

أما النوع الأول : أى الشفاعة المنفية

فإنه لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٤٥ ، ٣٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه : (٣ / ٥٢ ، ٥٣) .

بأذيال الشفاعة كما قال تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(٢) .

فقد نفي الله هذه الشفاعة ونزه نفسه عنها ، ونفي أن يكون للخلق من دونه من ولي أو شفيع كما قال تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(٤)

وهذه الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الاطلاق وهي أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته »(٥) .

وأصحاب هذه الشفاعة المنفية جعلوا وسائط بين الله وبين خلقه ـ كالحجاب الذي بين الملك ورعيته ـ بحيث يكون أولئك الوسائط هم الذين يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، فهم يعتقدون أن الله إنما يهدى عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك : يسألون الملوك

---

(١) الآية (١٨) من سورة يونس .

(٢) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٣) الآيتان (٤٣ ، ٤٤) من سورة الزمر .

(٤) الآية (٤) من سورة السجدة .

(٥) مجموع الفتاوى (١ / ١١٨) .

حوائج الناس ، لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبه من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج .

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه : فهو مشرك ، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

وهؤلاء مشبهون لله ، شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا لله أندادًا وفي القرآن الكريم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع المجال لذكره ههنا .

ومعلوم أن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة :

١ ـ إما لإخبارهم من أحوال الناس مما لا يعرفونه .

أو أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه ، فلابد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه .

٣ ـ وإما أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته ، والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج .

فإذا خاطب الملك من ينصحه ، ويعظمه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه أو يخافه : تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه .

وكل هذه الأمور ممتنعة في حق الله تعالى .

فمن قال إن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر .

بل هو سبحانه يعلم السر وأخفي ، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في

السماء وهو السميع البصير .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾[١]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾[٢].

والله سبحانه ليس له ظهير ، ولا ولى من الذل .

قال تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[٣]

وقال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[٤] .

وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه ، وربه ومليكه ، فهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك .

والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وهو سبحانه رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وهو سبحانه لا يرجو أحدا ولا يخافه ، ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

---

(١) الآية (٥) من سورة آل عمران .

(٢) الآية (٣٨) من سورة إبراهيم .

(٣) الآية (٢٢) من سورة سبأ .

(٤) الآية (١١١) من سورة الإسراء .

مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[1] .

فالمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند ملوكهم .

قال تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[3] .

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[4][5]

فالمشرك يقصد فيما يشرك به :

١ ـ أن يشفع له عند اللّٰه .

٢ ـ أن يتقرب بعبادته إلى اللّٰه .

وهذا بعينه هو ما يوجد عند عباد القبور نعوذ باللّٰه من حالهم .

وأما الشفاعة المثبتة : فهي الشفاعة الشرعية المخالفة لما عليه المشركون .

وهي التي أخبر اللّٰه تعالى أنها لا تنفع إلا بشرطين :

الأول : إذنه سبحانه للشافع أن يشفع .

الثاني : رضاه سبحانه عن المشفوع له .

---

(١) الآية (٦٦) من سورة يونس .

(٢) الآية (١٨) من سورة يونس .

(٣) الآية (٢٨) من سورة الأحقاف .

(٤) الآية (٣) من سورة الزمر .

(٥) مجموع الفتاوى (١ / ١٢٦ - ١٢٩) بتصرف .

قال تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾(٤) .

وهذه الشفاعة منها ما هو في الدنيا . ومنها ما هو في يوم القيامة .

والشفاعة كما سبق وأن ذكرنا هي : الدعاء .

ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك .

فمشروع أن يدعو الأعلى للأدني والأدني للأعلى .

ولقد كان الصحابة يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء ويطلبون منه الدعاء ، بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه ، وهذا من الشفاعة في الدنيا .

وفي يوم القيامة يطلب الناس الشفاعة من الأنبياء ومحمد ﷺ وهو سيد الشفعاء ، وله شفاعات يختص بها .

ولكن لابد في هذه الشفاعة من الشرطين السابقين أى إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له .

---

(١) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة .

(٢) الآية (٢٦) من سورة النجم .

(٣) الآية (٢٨) من سورة الأنبياء .

(٤) الآية (١٠٩) من سورة طه .

فالداعى الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن اللّٰه في ذلك ، فلا يشفع شفاعة نهي عنها : كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[1] .

وقال تعالى في حق المنافقين ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[3] .

وشرط الرضى غير متحقق في المشفوع له مع أن الشافع هنا هو خير الخلق وأعظمهم قدرا عند اللّٰه تعالى . وقد قال تعالى ﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[4] أى المعتدين في الدعاء .

ومن الاعتداء في الدعاء : أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله مثل : أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو مغفرة المشركين ونحو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية اللّٰه كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان .

فالشفيع الذي أذن اللّٰه له في الشفاعة : شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان .

والأنبياء لو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فإنهم معصومون أن

---

(١) الآية (١١٣) من سورة التوبة .

(٢) الآية (٦) من سورة المنافقون .

(٣) الآية (٨٠) من سورة التوبة .

(٤) الآية (٥٥) من سورة الأعراف .

يقروا على ذلك .

كما قال نوح ﴿ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ ﴾(١)

قال تعالى ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ﴾(٢) .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾(٣) .

وكل داع شافع ، دعا اللّٰه سبحانه وشفع : فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء اللّٰه وقدره ومشيئته ، فهو الذي يجيب الدعاء من جملة الأسباب التي قدرها اللّٰه سبحانه وتعالى .

وإذا كان كذلك : فالالتفات إلى الأسباب بالكلية شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل .

والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ، بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى اللّٰه سبحانه وتعالى واللّٰه يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ـ ما شاء .

فالدعاء للغير ، ينتفع به الداعى ، والمدعو له ، وإن كان الداعي دون المدعو في الدرجة والمنزلة .

فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعى والمدعو له .

فمن قال لغيره أدع لى وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو وأخوه

---

(١) الآية (٤٥) من سورة هود .

(٢) الآية (٤٦) من سورة هود .

(٣) الآية (٤٧) من سورة هود .

متعاونين على البر والتقوى . فهو نبه المسئول وأشار عليه بما ينفعهما ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى ، فيثاب المأمور على فعله ، والآمر أيضا يثاب مثل ثوابه لكونه دعا إليه . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل »(١) .

وعند النظر في نصوص الشرع الواردة في شفاعة النبي ﷺ نجد أن هناك شفاعة أخروية له في يوم القيامة ، وشفاعة دنيوية في حياته .

أما الشفاعة الأخروية : فقد أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك ، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة .

ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستفاضت به السنن من أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته ويشفع لعموم الخلق .

فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشركه فيها أحد ، وشفاعات فيها وغيره من الأنبياء والصالحين سواء ، ولكن ماله فيها أفضل مما لغيره ، فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين ومن ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة منها في الصحيح أحاديث متعددة ، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده .

أما الشفاعة الدنيوية (التي كانت في حياته) ، فقد أجمع أهل العلم على أن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٨ / ٨٦) .

الصحابة كانوا يستشفعون به ويتوسلون به في حياته بحضرته . كما ثبت في أحاديث الاستسقاء ، وهذا الاستشفاع هو طلب للدعاء منه ، فإنه كان يدعو للمستشفع والناس يدعون معه ، كما جاء في الحديث الثابت في الاستسقاء أن المسلمين لما أجدبوا على عهد النبي ﷺ دخل عليه أعرابي فقال : يارسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا .

فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا » [(١)] .

فهذا يبين أن معني الاستشفاع بالنبي ﷺ هو استشفاع بدعائه وشفاعته .

وهذا ما فهمه الصحابة وعملوا به بعد وفاة النبي ﷺ فعمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال « اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا [(٢)]. وكذلك معاوية بن أبي سفيان ـ لما أجدب الناس بالشام ـ استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي [(٣)]فقال : « اللهم انا نستشفع ونتوسل بخيارنا ، يايزيد ارفع يديك « فرفع يديه ودعا ، ودعا الناس حتى سقوا [(٤)].

فهم لم يستسقوا ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا

---

(١) تقدم تخريجه ص ٧٣٧

(٢) تقدم تخريجه ص ٧٣٧

(٣) يزيد بن الاسود الجرشي أبو الأسود ، من سادة التابعين أسلم في حياة النبي ﷺ ، وكان من العباد الخشن وقصته مع معاوية تدل على فضله وصلاحه ، توفي سنة ٧١ هـ
الإصابة (٣ / ٦٣٤) وسير أعلام النبلاء (٤ / ١٣٦ - ١٣٧) .

(٤) أورده ابن حجر في الإصابة (٣ / ٦٣٤) وقال : « أخرجه أبو زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما بسند صحيح » وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤ / ١٣٧) .
وابن كثير في البداية (٨ / ٣٢٤) .

عند قبره ولا غير قبره ، بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد .

فجعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه .

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا ويستشفعوا به ويقولوا في دعائهم في الصحراء بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بالمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به ، فيقولون نسألك أو نقسم عليك أو نستشفع عليك أو نستشفع بنبيك أو جاه نبيك ، ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس .

ولكنهم لم ينقل عنهم أنهم توسلوا أو استشفعوا بمثل هذه العبارات فهذا يؤكد ويبرهن على أن التوسل بالذات في حضور الشخص أو مغيبة أو بعد موته أمر لم يشرعه لهم الشارع ولم يكن معروفا عندهم .

○○○○

المطلب الثالث

الكلام على مسالة الاستغاثة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الاستغاثة : طلب الاغاثة والتخليص من الكربة والشدة . والنبي ﷺ في حياته يجوز أن يستغاث به ، فيطلب منه أن ينصر المظلوم ، ويطعم الجائع ، ويسقى الظمآن ، ويخلص الأسرى ، ويقضى الدين عن المدين ، ويبين الدين ، ويزيح شبهات المعارضين ويجب السائلين ونحو ذلك .

ومعلوم أن نبينا ﷺ أفضل الناس عملًا ، وأعظمهم حرصًا على البر والتقوى ، بل كل خير في الوجود فهو معين عليه بل له مثل أجر كل عامل خير من أمته فإنه هو الذي دعا إلى ذلك « من دعا إلى الهدى كان له مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا » [(١)][(٢)] .

واستغاثة الصحابة به في القحط ، إنما استغاثوا به ليدعو لهم كما يستغيث الناس به يوم القيامة ليشفع لهم .

والاستغاثة بالمخلوق ليدعو للعبد أو ليعينه بما يقدر عليه ليس بممنوع منه .

وإنما الممنوع أن يستغاث به فيما لا يقدر عليه ، وأن يقسم على اللّٰه به ولاسيما إذا كان المخلوق ميتًا أو غائبًا فلا يجوز أن يستغاث به فيما يقدر عليه حيا ، ولا فيما لا يقدر عليه .

(وأما قول من يقول إن الاستغاثة به بعد موته ثابتة ثبوتها في حياته فهو كلام

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٤٥ .

(٢) الرد على البكرى (ص ٨٨) بتصرف .

باطل قطعا لأنه يلزم من ذلك أن يطلب منه أن يخرج إلى الغزوات ويقيم الحدود ويعود المريض فاعلا ذلك ببدنه كما كان يفعل ذلك في حياته فهل يقول هذا انسان ؟ أو يحتاج رد هذا الى برهان[1] .

فليس عليه بعد الموت فعل من الأفعال لا واجب ولا مستحب كما ليس ذلك على غيره من الناس ، بل الموت ينتهي به التكليف الثابت في الحياة بإجماع الخلق ، فليس على نبي ولا غيره بعد موته أن يفعل ما كان يؤمر به في حال الحياة من واجب ومستحب .

ولا يستطيع أحد أن ينقل عن أحد من الصحابة ولا من السلف أنهم بعد موته طلبوا منه إغاثةً ولا نصرًا ولا إعانةً ولا استسقوا بقبره ولا استنصروا به كما كانوا يطلبون ذلك منه في حياته »[2] .

ويفهم من كلام شيخ الإسلام المتقدم أن الاستغاثة بالنبي ﷺ فيها تفصيل .

فهناك استغاثة جائزة مشروعة وهي :

١ ـ إما بالطلب منه في حياته فيما يقدر عليه وهذه لم ينازع فيها أحد .

٢ ـ وإما بالطلب منه في عرصات يوم القيامة أن يشفع لهم وهذه ما دلت عليه النصوص الثابتة .

وهناك استغاثة غير مشروعة بل هي شركية وهي عائدة إلى شيئين :

١ ـ الاستغاثة به بعد موته .

٢ ـ أن يطلب منه مالا يقدر عليه .

وكلا الأمرين يجتمعان فيمن استغاث به بعد موته .

---

(١) الرد على البكرى (ص ٩٠) .

(٢) الرد على البكرى (٩٠ ، ٩١) بتصرف .

ومن تلفظ بهذه العبارة من المبتدعة فهو يريد بها أحد أمرين إما أن يطلب الإغاثة من الرسول نفسه لاعتقاده أن له تصرفا في هذه الأمور وقدرة على تحصيلها وهذا هو اعتقاد كثير من العوام وهو ما يدل عليه استعمال الكلمة في لغة العرب .

وإما أن يكون مراده بهذه العبارة الطلب من الله بواسطة الرسول أي أنه متوسل به إلى الله تعالى وهذا المعني يأباه استعمال العرب لهذه اللفظة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن ظن أن الباب في التوسل كالباب في الاستغاثة فقد أخطأ فالمستغاث به هو المسئول .

وأما المتوسل به فهو الذي يتسبب به إلى المسئول [١] .

(والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاسغاثة به .

وأريد أن أُعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال ، فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه ، ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة ، لم يتمكن من مداواة أصحابها ، وإزالة شبهاتهم ، فوقع لي أن سبب هذا الضلال والاشتباه عليهم أنهم عرفوا أن يقال سألت الله بكذا كما في الحديث « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان »[٢] .

ورأى أن الاستغاثة تتعدى بنفسها كما يتعد السؤال كقوله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾[٣] .

وقوله ﴿ فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[٤] .

---

(١) الرد على البكرى (٢٦١ ، ٢٦٢) .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر (٣ / ٥٢) .

(٣) الآية (٩) من سورة الأنفال .

(٤) الآية (١٥) من سورة القصص .

فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله سألت بفلان .

والمتوسل إلى الله بغائب أو ميت تارة يقول : أتوسل إليك بفلان ، وتارة يقول أسألك بفلان .

فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة فإما أن يقول أستغيثك بفلان ، أو أستغيث إليك بفلان . ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب .

وأصل الشبهة على هذا التقدير ، أنهم لم يفرقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثًا مدعوًا مسؤلا مطلوبًا منه .

فإذا قيل توسلت به ، أو سألت به ، أو توجهت به فهي الاستعانة كما تقول كتبت بالقلم . وهم يقولون استغيثه به من الإغاثة كما يقولون استغثت الله واستغثت به من الغوث ، فالله في كلا الموضعين مسؤول مطلوب منه .

وإذا قالوا لمخلوق استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسؤلًا مطلوبًا منه .

وأما إذا قالوا استغثت به من الاغاثة فقد يكون مسؤلًا وقد لا يكون مسؤلًا .

وكذلك استنصرته ، واستنصرت به ، فإن المستنصر يكون مسؤلًا مطلوبًا .

وأما المستنصر به فقد يكون مسؤلًا وقد لا يكون مسؤلًا . فلفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعني الطلب من المستغاث به .

وقول القائل : استغثت فلانا واستغثت به بمعنى طلبت منه الاغاثة لا بمعنى توسلت به .

فلا يجوز للانسان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله) [١] .

فإذا كان معني الاستغاثة هو الطلب منه ، فما الدليل على أن الطلب منه ميتا

---

(١) الرد على البكرى (ص ٨٠ - ٨٢) .

كالطلب منه حيا .

ولا يمكن لأحد أن يذكر دليلا شرعيا على أن سؤال الموتى من الأنبياء والصالحين وغيرهم مشروع . بل الأدلة على تحريم ذلك كثيرة جدًا ، فهذه الاستغاثة وتوجه القلب إلى المسئول بالسؤال والإنابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لأحد من أمته رسول رب العالمين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر اللّٰه به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين .

وهذا مما يعلم بالاضطرار من المسلمين أن أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به نازلة أو عرضت له حاجة لميت ياسيدى فلان أنافي حسبك أو اقضي حاجتي ، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين .

ولا أحد من الصحابة رضي اللّٰه عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ، ولا إذا بعدوا عنها ، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال ويشتد البأس بهم ويظنون الظنون ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولاغيره من المخلوقين ولا أقسموا بمخلوق على اللّٰه أصلا ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الأنبياء ولا الصلاة عندها .

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف .

وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر فلان الترياق المجرب ، وقول بعضهم فلان يدعى عند قبره ، وقول بعض الشيوخ لمريده : إذا كانت لك حاجة

فاستغث بي ، أو قال : استغث عند قبري ، ونحو ذلك فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم .

وكثير من هؤلاء إذا استغاث بالشيخ رأى صورته ، وربما قضى بعض حاجته فيظن أنه الشيخ نفسه ، أو أنه ملك تصور على صورته ، وأن هذا من كراماته فيزداد به شركا وفيه مغالاة ، ولا يعلم أن هذا من جنس ما تفعله الشياطين بعباد الأوثان ، حيث تتراءى أحيانا لمن تعبدها وتخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وتقضي لهم بعض الطلبات .

لكن هذه الأمور كلها محدثة في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة .

وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الإسلام والسفر إليها محدث في الإسلام لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضي الله عنها : « لولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا » [١] .

وثبت في الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » [٢] .

ولما أجدبوا في خلافة عمر رضي الله عنه استسقى عمر بالعباس وقال : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك نبينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » [٣].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٨

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٨٩

(٣) تقدم تخريجه ص ٧٣٧

فلم يذهبوا إلى القبور ، ولا توسلوا بميت ولا غائب ، بل توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ ، وكان توسلهم به توسلهم بدعائه كالإمام مع المأموم ، وهذا تعذر بموته .

فأما قول القائل عند ميت من الأنبياء والصالحين : اللهم إني أسألك بفلان أو بجاه فلان أو بحرمة فلان ، فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز .

فكيف يقول القائل للميت أنا استغيث بك واستجير بك وأنا في حسبك وسل لي الله ونحو ذلك ، فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة ولو قدر أنَّ لما يفعلونه تأثيرا ، فليس هو من الاسباب المشروعة ، ولا له تأثير صالح بل مفسدته راجحة على مصلحته كأمثاله من دعاء غير الله تعالى ، وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب ميت من تتمثل له الشياطين ، وربما كانت على صورة ذلك الغائب ، وربما كلمته ، وربما قضت له أحيانا بعض حوائجة كما تفعل شياطين الأصنام بعبادها ، وهذا مما قد جرى لغير واحد فينبغى أن يعرف هذا »(١).

وقال أيضا : « وسؤال الخلق هو في الأصل محرم لأن فيه أنواع الظلم الثلاثة :

١ ـ الظلم في حق الله بالشرك .

٢ ـ الظلم للمسؤول ، فإن فيه إيذاء له .

٣ ـ وظلم الانسان نفسه لما فيه من تعبيدها لغير الله .

وقد أبيح من ذلك من سؤال الحى ما دل الشرع على إباحته وأما سؤال الميت والغائب فلم يأذن الله به قط .

---

(١) الرد على البكرى (ص ٢٣١ - ٢٣٣) بتصرف يسير .

ومن عدل عما أمر به الرسول من عبادة الله وحده والتوكل عليه والرغبة إليه وطاعته فيما أمر به من الإحسان والخير الذي ينتفع به هو وهم وغيره من المخلوقين ، فإن العبد كلما عمل بما أمرت به الرسل كان لهم مثل أجره وحصل له هو من الخير من إجابة دعائه ونفعه وغير ذلك .

فمن عدل عن هذه الرحمة والخير وسعادة الدنيا والآخرة إلى أن يفعل ما لم تأمر به الرسل بل اتخذهم أربابا يسألهم ويستغيث بهم في مماتهم ومغيبهم وغير ذلك كان مثله مثل النصارى فإن المسيح قال لهم : ﴿ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [(١)] وقال ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ ﴾ [(٢)] فلو امتثلوا أمره كانوا مطيعين لرسل الله موحدين لله ، ونالوا بذلك السعادة من الله تعالى في الدنيا والآخرة .

ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه الهين من دون الله ، يستغيثون بهم ، وكذبوا بالرسول الذي بشر به ، وحرفوا التوراة التي صدق بها ، فظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح ، وكان هذا من جهلهم وضلالهم » [(٣)] .

فخلاصة القول : إن دعاء النبي ﷺ بعد موته وسؤاله والاستغاثة به وغير ذلك مما يفعل عند قبره أو بعيدًا عنه هو من الدين الذي لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين[(٤)] .

---

(١) الآية (٧٢) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٦) من سورة الصف .

(٣) الرد على البكرى (ص ١٠٣) .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٩) بتصرف .

وأما ما يحتج به أهل البدع الذين يفعلون مثل هذه الأمور ويدعون الناس إليها فشبههم لا تخرج عن أحد الأمور التالية :

١ ـ إما آيات وأحاديث صحيحة يتأولونها ويتعسفون في تفسيرها حتى توافق ما جاءوا به من الباطل مع أنه ليس فيها دلالة على ما يزعمون ويدعون .

٢ ـ وإما أحاديث واهية أو موضوعة لا يحتج بها ولا يعتمد عليها بل هي مخالفة لأهم قواعد هذا الدين المبنية على الآيات والأحاديث الثابتة الصحيحة .

وهذا الصنف هو أغلب بضاعتهم ، بل وأكثر ما يستدلون به عند عرض بدعهم ، إما جهلا منهم بحكم هذه الأحاديث ، أو لعلمهم بأن هذا النوع من الأدلة هو مما يسهل ترويج باطلهم عند العوام الذين لا يستطيعون أن يميزوا بين الصحيح والضعيف من الأحاديث .

٣ ـ وإما بحكايات مكذوبة منسوبة لبعض أئمة هذا الدين الذين لهم في نفوس الناس منزلة ومكانة .

وتلك الحكايات مروية بأسانيد مظلمة عن رجال مجهولين وهي مردودة بما اشتهر عن أولئك الأئمة من أقوال ذكرت في كتبهم أو رويت عن طريق تلاميذهم بأسانيد صحيحة تؤكد زيف تلك الحكايات المنسوبة إليهم وتبرهن على بطلانها .

٤ ـ أو بمنامات لا تخلو من أحد أمرين إما كذب صاحبها أو تلبيس الشياطين عليه ، ويشهد لهذا ويؤكده مخالفتها لقواعد هذا الدين وأصوله .

وياسبحان الله كيف يتصور أن يترك المسلم شرع الله من أجل أحلام ومنامات .

٥ ـ أو أقوال من تكلم في الدين بلا علم ، وليس معه فيما يقول ويدعى دليل

شرعي ، ويجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

٦ - أو بحجج هي من جهة الرأي والذوق هي أوهن من بيوت العنكبوت ولا يخفي ضعفها وفسادها ومخالفتها لقواعد هذا الدين وأصوله إلا على الجهلة وأصحاب الهوى اتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم : إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، أو منقولات عمن لا يحتج بقوله إما أن يكون كذبا عليه وإما أن يكون غلطا منه إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ، وان اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول ﷺ حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما يفعل النصارى »[1] .

والمقام هنا لا يتسع لعرض تلك الشبه والرد عليها ، فمن أراد الاستزادة في هذا الشأن فعليه بمظان ذلك في كتب علماء السلف[2] .

○ ○ ○ ○

---

(١) الرد على البكرى (ص ٣٥٢) .

(٢) انظر :

أ - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ب - الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ج - الرد على البكرى لشيخ الإسلام ابن تيمية .

د - صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ محمد بشير السهسوانى .

هـ - الصواعق المرسلة الشهابية للشيخ سليمان بن سحمان .

و - غاية الأماني في الرد على النبهانى للشيخ محمود شكرى الالوسى .

المبحث الثالث

حكم ما يفعل عند حجرته التي دفن فيها من الأمور المبتدعة

ومن ذلك سؤاله الاستغفار والشفاعة والتوسل به والاستغاثة والسجود إلى حجرته والطواف بها والتمسح بالجدران المحيطة بها والصاق البطن بها .

وجميع هذه الأمور وما شاكلها هي أمور مبتدعة أحدثهابعض المتأخرين ولم يفعلها أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هي منهي عنها .

وقد سبق بيان حكم دعائه واستغاثته والاستشفاع والتوسل به وأما السجود للحجرة والطواف بها فهو محرم أو كفر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وزاد بعض جهال العامة ما هو محرم أو كفر بإجماع المسلمين كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك »(١) .

« فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي ﷺ ، وليس في مسجد النبي ﷺ شيء يطاف به ، ولا فيه ما يتمسح به ، ولا ما يقبل .

بل ليس في الأرض مكان يطاف به إلا الكعبة ، ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة »(٢) .

وقال أيضا : « وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور ، فلا يجوز الطواف بصخرة بيت المقدس ولا بحجرة النبي ﷺ ولا غير ذلك . وكذلك اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستسلام ولا التقبيل إلا للركنين اليمانيين ، فالحجر الأسود يستلم ويقبل ، واليماني يستلم . وقد قيل

---

(١) الرد على البكرى (ص ٢١٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٠) .

إنه يقبل وهو ضعيف . وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله ، كجوانب البيت ، والركنين الشاميين ، ومقام إبراهيم ، والصخرة والحجرة النبوية وسائر قبور الأنبياء والصالحين [١] .

فالطواف بغير الكعبة لم يشرعه اللّٰه بحال [٢]ولا يفعل في مسجد النبي ﷺ إلا ما يفعل في سائر المساجد [٣]. وكذا الحال بالنسبة للسجود للحجرة ، فلقد نهي النبي ﷺ عن السجود له في حياته .

فعن عبد اللّٰه بن أبي أوفي قال : قدم معاذ اليمن أو قال الشام فرأى النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فروأ في نفسه أن رسول اللّٰه ﷺ أحق أن يعظم فلما قدم قال يارسول اللّٰه رأيت النصارى تسجد لبطارقتها وأساقفتها فروأت في نفسى أنك أحق أن تعظم . فقال : « لو كنت آمرا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ... » الحديث .

وفي رواية : « فقلت لأي شيء تصنعون هذا ؟ قالوا هذا كان تحية الأنبياء قبلنا . فقلت : نحن أحق أن نصنع هذا بنبينا .

فقال نبي اللّٰه ﷺ إنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرفوا كتابهم إن اللّٰه عز وجل أبدلنا خيرًا من ذلك السلام تحية أهل الجنة »[٤] .

وعن قيس بن سعد [٥] قال : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ / ٥٢١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ١١) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٦ / ١٥٠) .

(٤) تقدم تخريجه ص ٦٨٦

(٥) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ، صحابي جليل ، شهد المشاهد مع رسول اللّٰه ﷺ وكان أحد الفضلاء الجلة من دهاة العرب ، مات في آخر خلافة معاوية بالمدينة .الإصابة (٣ / ٢٣٩) .

فقلت : رسول اللّٰه أحق أن يسجد له ، قال : فأتيت النبي ﷺ فقلت : إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت يارسول اللّٰه أحق أن نسجد لك .

قال : « أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له ؟ » قال : قلت : لا .

قال : « فلا تفعلوا ، لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل اللّٰه لهم عليهن من الحق »(١) .

فتأمل وجوب الصحابي عندما قال له النبي ﷺ : « أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له ؟ فقال : لا فالسجود حق للّٰه تعالى ، وما كان حقا خالصا للّٰه لم يكن لغيره فيه نصيب (٢) .

ونبينا ﷺ نهي عن الشرك دقة وجله وحقيرة وكبيره فالسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى .

وكذا الحال بالنسبة للتمسح بالجدران المحيطة بالحجرة والصاق البطن بها فليس شيء من هذا من الدين الذي بعث اللّٰه به محمدا ﷺ باتفاق المسلمين .

ومن اعتقد أن هذا من الدين وفعله وجب أن ينهي عنه ، ولم يستحب هذا أحد من الأئمة الأربعة ، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان .

والأجر والثواب إنما يكون على الأعمال الصالحة ، والأعمال الصالحة هي ما أوجبه الشارع أو استحبه ، وهذه الأمور من جملة ما نهي عنه من أسباب الشرك

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب في حق الزوج على المرأة (٢ / ٦٠٤ ، ٦٠٥) ح ٢١٤٠

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧ / ٩٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠٨ ، ١٠٩) بتصرف .

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٩١ .

ودواعيه وأجزائه [٣] وقد قال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » [٤] وقال ﷺ : « لا تتخذوا قبرى عيدا » [١] .

فالتمسح بالقبر - أى قبر كان - وتقبيله وتمريغ الخد عليه منهي عنه باتفاق المسلمين ، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ؛ ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هذا شرك » [٢] .

فإن كان هذا حكم من تمسح بالقبر فمن تمسح بالجدران المحيطة من باب أولى .

○ ○ ○ ○

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٠

(٢) الجامع الفريد (ص ٤٤٤) .

المبحث الرابع

حكم الحلف بالنبي ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « تنازع الناس هل يحلف بالنبي ﷺ ؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة . فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي ﷺ ، ولا تنعقد اليمين ، كما لا يحلف بشيء من المخلوقات ، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث . فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » [(١)].

وفي رواية : « ألا من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله » [(٢)]. وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » [(٣)] وفي رواية : « فقد كفر »

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأيمان والنذور ، باب لا تحلفوا بآبائكم حديث (٦٦٤٦) انظر فتح الباري (١١ / ٥٣٠) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأيمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٥ / ٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية . انظر فتح الباري (٧ / ١٤٨) ح ٣٨٣٦ واللفظ له . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٥ / ٨١) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢ / ٣٤ ، ٨٦ ، ١٢٥) . وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله وقال : حديث حسن (٤ / ١١٠) ح ١٥٣٥ ، وأخرجه ابو داود في السنن ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهة الحلف بالأباء (٣ / ٥٧٠) ح ٣٢٥١ وأخرجه ابن حبان كما في الموارد (ص ٢٨٦) ح ١١٧٧ والحاكم في المستدرك (١ / ١٨) كتاب الأيمان (٤ / ٢٧٩) كتاب الأيمان والنذور وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي » .

وعن أحمد بن حنبل رواية : أنه يحلف بالنبي ﷺ لأنه يجب الإيمان به خصوصًا ، ويجب ذكره في الشهادتين والأذان فللايمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره ، واختار هذا طائفة من أصحاب الإمام أحمد كالقاضي أبي يعلى [(١)] وغيره خصوا ذلك بالنبي ﷺ .

وقال ابن عقيل[(٢)] : بل هذا كونه نبيًا وطرد ذلك في سائر الأنبياء .

والصواب : قول الجمهور وانه لا تنعقد اليمين بمخلوق لا بنبي ولا غيره ، بل ينهى عن الحلف به . وإيجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وإن كان نبيًا قول ضعيف في الغاية مخالف للأصول والنصوص . فالذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق لا نبي ولا غير نبي ، ولا ملك من الملائكة ، ولا ملك من الملوك ، ولا شيخ من الشيوخ . والنهي عن ذلك نهي تحريم عند أكثرهم . وروى عن عبد اللّٰه بن مسعود وعبد اللّٰه بن عباس وعبد اللّٰه بن عمر : لئن أحلف باللّٰه كاذبًا أحب إلي من أحلف بغير اللّٰه صادقًا[(٣)] وذلك لأن الحلف بغير اللّٰه شرك ، والشرك أعظم من الكذب[(٤)] .

---

(١) هو : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء ، أبو يعلى عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون ، ومن كبار الحنابلة ولد سنة ٣٨٠ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ .
الأعلام (٦ / ٩٩ - ١٠٠) .

(٢) هو : على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي ، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته ، ولد سنة ٤٣١ هـ وتوفي سنة ٥١٣ هـ . الأعلام (٤ / ٣١٣) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨ / ٤٦٩) .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤ / ١٧٧) وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح وهو في الطبراني (٩ / ٢٠٥) ح ٨٩٠٢

(٤) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٨٤ - ٨٦) ومجموع الفتاوى (٢٧ / ٣٤٩) والرد على الأخنائي (١٠٦ ، ١٠٧) .

المبحث الخامس

حكم الاحتفال بمولده ﷺ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حكم فعل المولد .

المطلب الثاني : بيان ما يفعل في الموالد من الغلو والمنكرات .

• • • •

المطلب الأول

حكم فعل المولد

إن من جملة ما نهي النبي ﷺ أمته عنه ، وحذرهم منه :

١ - الابتداع في الدين .

٢ - التشبه باليهود والنصارى .

والمقيم للمولد والمشارك فيه واقع في المحظورين معا .

فإقامة المولد من الأمور المحدثة المبتدعة التي لم يشرعها النبي ﷺ لأمته ، ولم يفعله أصحابه من بعده بل ولا أهل القرون المفضلة .

فما ظنك بعمل لم يأمرنا النبي ﷺ بفعله ولا حث عليه ولا رغب فيه ، وهو المشهود له بأنه ما ترك أمر خير إلا وحث الأمة عليه ورغبهم فيه .

وما ظنك بعمل لم يفعله سلف الأمة ، « ولو كان خيرًا محضًا ، أو راجحًا لكانوا رضوان اللّه عليهم أحق منا به ، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول اللّه ﷺ وتعظيمًا له منا ، وهم على الخير أحرص » [١] .

وما أحسن أن يستشهد المرء هنا بقول الإمام مالك رحمه اللّه تعالى « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ، لأن اللّه يقول ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[٢] فما لم يكن يومئذ دينًا ، فلا يكون اليوم دينًا »[٣] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٩٥) .

(٢) الآية (٣) من سورة المائدة .

(٣) تقدم تخريجه .

وقال أيضًا : « قبض رسول اللّٰه ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل فإنما ينبغى أن نتبع آثار رسول اللّٰه ﷺ ولا نتبع الرأي »[١] .

هذا وإن أصل الاحتفال بالمولد يرجع إلى العبيدين[٢] الذين يتسمون (بالفاطميين) فهم أول من أحدث هذه البدعة في الأمة وما كانت الموالد تعرف في دولة سلام قبل هؤلاء .

فقد جاء في كتاب الخطط المسمى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم ...) .

قال : « كان للخلفاء في طول السنة أعيادًا ومواسم :

رأس السنة ، وموسم أول العام ، ويوم عاشوراء ، ومولد النبي ﷺ ... »[٣].

فكانت الموالد من الآثار التي خلفها هؤلاء العبيديون الباطنيون مع غيرها من البدع والمنكرات التي ما أنزل اللّٰه بها من سلطان .

قد حمل راية هذه البدعة من بعدهم المتصوفة ، الذين وجدوا في إحياء هذه البدعة متنفسًا لنشر باطلهم وبدعهم ، وما الطقوس التي تعمل في زمننا هذا أثناء إقامة المولد إلا أكبر شاهد على حمل الصوفية لراية هذه البدعة .

فقد وجدوا في هذه البدعة مرتعًا خصبًا لنشر غلوهم ورقصهم وطقوسهم

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٤٧ .

(٢) العبيديون هم أبناء عبيد اللّٰه بن ميمون بن ديصان المشهور بالقداح اليهودى قامت دولتهم في مصر (٣٦٢ - ٥٦٤ هـ) وكانوا من أجرأ الناس على استحداث البدع والمنكرات التي لم ترد في كتاب ولا سنة . انظر كتاب قصة نسب الفاطميين للدكتور عبد الحليم عويس ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٢ / ٢٦٧) .

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١ / ٤٩٠) .

وشطحهم وذلك تحت ستار ما يدعونه من محبة النبي ﷺ ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(١) .

وقد كان أول تأييد رسمي ناله المتصوفة لاحياء هذه البدعة على يد الملك المظفر ملك إربل ، الذي كان يحتفل بالمولد احتفالا هائلًا ينفق فيه ثلاثمائة ألف دينار ، ويعمل فيه للصوفية سماعًا من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم (٢) .

وقد استمرت هذه الاحتفالات بهذه البدعة إلى زماننا هذا وحسبك ببدعة أنشأها ملاحدة باطنيون معروفون بالبدع والمنكرات ، وتولاها من بعدهم متصوفة ضالون مضلون لم يتركوا شيئا من باطلهم وبدعهم إلا وأدخلوه فيما يسمى بالمولد النبوي .

ولا عجب في اتفاق الطائفتين على هذا الأمر فهم يجمعهم مشرب واحد اذ الكل يزعم أن الشريعة لها ظاهر وباطن .

فمما لاشك فيه أن فعل ما يسمى بالمولد بدعة من البدع التي لا أساس لها في القرآن ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح وهي بالإضافة إلى ذلك لا تحقق المراد من حب الرسول ﷺ فتحقيق محبته وتعظيمه كما سبق وأن بينا ، هو في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنا وظاهرا ونشر ما بعث به والجهاد في ذلك بالقلب واليد واللسان ، فهذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان .

ويضاف إلى كون فعل هذا الأمر من البدع التي نهى الشارع عنها ما فيه

---

(١) الآية (٧٩) من سورة البقرة .

(٢) البداية لابن كثير (١٣ / ١٣٧) .

كذلك من مضاهاة ومشابهة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام فإن النصارى تحتفل بيوم مولد عيسى ويتخذونه عيدا وذلك بإيقاد الشموع وصنع الطعام وارتكاب المحرمات وفعل الموبقات من شرب للخمور وفعل الفواحش وغير ذلك من المهازل والقبائح ، وفي هذا يقول بعضهم معللا مشروعية الاحتفال بفعل المولد (إذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيدًا أكبر فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر[1] .

ونسى هذا القائل أو تناسى تحذير النبي ﷺ من مشابهة اليهود والنصارى فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرا وذراعًا ذراعًا حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم » .

قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى ؟

قال : « فمن » [2] أى فمن هم غير أولئك .

○○○○

---

(١) التبر المسبوك للسخاوى (ص ١٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتابه والسنة باب قول النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم . انظر : فتح الباري (١٣ / ٣٠٠) ح ٧٣٢٠ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٨ / ٥٧) .

المطلب الثاني

بيان ما يفعل في الموالد من الغلو والمنكرات

لقد اتخذ أصحاب الطرق الصوفية من المولد ستارا لترويج باطلهم ونشر بدعتهم عند الجهلة من عوام الناس .

فهم باسم محبة الرسول ﷺ يقيمون مثل هذه الاحتفلات ، وبذكر شيء من سيرته يفتتحونها ، ولكن سرعان ما يظهر الباطل وتنجلى الغشاوة فيرى صاحب البصيرة ألوانًا وأشكالًا من الغلو والبدع المنكرة تظهر من خلال ما يتلفظ به من أقوال ، وما ينشد فيه من أشعار ، وما يقام من حركات وأفعال ، مبدية بذلك الوجه الحقيقي والهدف الرئيسي من إقامة مثل هذه الموالد .

ومن عجيب حال هؤلاء أنهم سموا كل اجتماعاتهم التي تقام فيها هذه الأباطيل مولدا مع أن التسمية لا تساعدهم على هذا الإطلاق ، وما ذاك إلا أنهم عرفوا أن رواج باطلهم لا يتحقق إلا تحت هذا الستار ليروج أمرهم على خفافيش الأبصار اتباع كل ناعق .

فمن البدع والمنكرات التي تقام في هذه الموالد ـ وما أكثرها ـ مايحصل من الغلو في حق النبي ﷺ ، وذلك من خلال القصائد التي يطلقون عليها اسم المدائح النبوية ، والتي لا تخلوا من ألفاظ الغلو في شخص الرسول ﷺ والتجاوز عما حدده الشارع مما يليق بمقامه الكريم من الإجلال والتقدير .

فالمتأمل لتلك القصائد يجدها مرصوفة بعبارات التوسل والاستشفاع والاستغاثة ، وجعل النبي ﷺ هو المتصرف في هذا الكون وجعله أول الموجودات والقطب الذي تدور عليه الأفلاك ، وجعله الغاية التي من أجلها

وجد هذا الكون إلى غير ذلك الافتراءات والأباطيل التي شحنت بها تلك القصائد .

وهذه مقتطفات من بردة البوصيري [(١)] تمثل جانبا من مظاهر الغلو التي يتردد في عبارات ما يسمونه بالمدائح النبوية :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من	لولاه لم تخرج الدنيا إلى العدم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
لو ناسبت قدره آياته عظما	أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
وكل آى أتى الرسل الكرام بها	فإنما اتصلت من نوره بهم
وكلهم من رسول اللّه ملتمس	غرفا من البحر أو رشفا من الديم
لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه	طوبى لمنتشق منه وملتثم
أقسمت بالقمر المنشق أن له	من قلبه نسبة مبرورة القسم
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به	إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غني الدارين من يده	إلا استلمت الندى من خير مستلم
يا خير من يمم العافون ساحته	سعيا وفوق متون الأينق الرسم
خدمته بمديح استقيل به	ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم
إن آت ذنبا فما عهدى بمنتقض	من النبي ولا حبلى بمنصرم
فان لى ذمة منه بتسميتى	محمدا وهو أوفي الخلق بالذمم

(١) هو : محمد بن سعيد بن حماد البوصيري ، شاعر صوفي غال ، له عدد من القصائد في المدائح النبوية ، وقد عرف عنه قلة علمه ، وسلاطة لسانه ، وتكففه للناس وقد ذكر محقق ديوانه عددا من الخصال التي تدل على حقيقة الرجل وقدره .

انظر : مقدمة ديوان البوصيري بتحقيق محمد سيد كيلاني .

إن لم تكن في معادى آخذا بيدى فضلا والا فقل يازلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكارى مدائحة وجدته لخلاصي خير ملتزم
ولن يفوت الغني منه يدا تربت ان الحيا ينبت الأزهار في الأكم
يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم
ولن يضيق رسول اللّه جاهك بى إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم[1]

فتأمل هذه الأبيات وما فيها من غلو واطراء ومظاهر شركية تجاوز فيها الشاعر كل الحدود .

حيث جعل الرسول عليه الصلاة والسلام هو الغاية في خلق الدنيا وعلة وجودها « وجعله بمنزلة الإله فهو يغني ويفقر ويغفر الذنوب ويقيل العثرات وهو الملاذ والملجأ في الدنيا والآخر بل انتهي به الأمر إلى أن جعل تصريف الكون كله بيد رسول اللّه ﷺ »[2] .

فماذا أبقى للخالق عز وجل وخاصة عند قوله :

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

« فإذا كانت الدنيا وضرتها من جود الرسول ﷺ ومن بعض علومه علم اللوح والقلم ، لأن « من » للتبعيض ، فماذا للخالق جل وعلا »[3] .

فهذا هو بعينه الغلو والإطراء الذي حذر النبي ﷺ أمته منه .

---

(١) ديوان البوصيرى (ص ٢٤٠ - ٢٤٨) وهذه الأبيات منتقاة من قصيدته المعروفة بالبردة .
(٢) تنبيه أولى الأبصار (ص ٢٤٩) .
(٣) منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان (ص ١٦٣) .

وبالاضافة إلى ألفاظ الشرك وعبارات الغلو التي تحملها جل القصائد والمدائح « فان الاحتفال عادة ما يختم بدعوات تحمل ألفاظ التوسلات المنكرة والكلمات الشركية المحرمة ، لأن جل الحاضرين عوام أو غلاة في حب التوسلات الباطلة التي نهي عنها الشارع »[١].

أضف إلى ذلك مايدعونه من أن النبي ﷺ يحضر هذه الموالد إما بجسده كما يدعيه بعضهم أو بروحه كما يدعيه البعض الآخر منهم ، وسوف اتعرض لهذه النقطة في المبحث القادم بإذن الله .

هذا فيما يتعلق بما يحصل في هذه الموالد من غلو في حق النبي ﷺ .

ويضاف إلى هذا الأمر ماقد يحصل في بعض الموالد من منكرات وبدع أخرى كالرقص الصوفي ، والذكر البدعي ، وضرب الدفوف ، والتزمير بالمزامير[٢] .

وقد يحصل فيها اختلاط الرجال بالنساء وشيء من الفجور وشر الخمور ولكن لا يطرد لا في كل البلاد ولا في كل الموالد[٣] .

فنعوذ بالله من حال أهل الزيغ والضلال .

○ ○ ○ ○

---

(١) الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاحجاف (ص ٣١) .

(٢،٣) الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاحجاف (ص ٢٨) .

المبحث السادس

حكم القول بحضوره في مجالس المحتفلين ورؤيته بالعين الباصرة

إن من يتأمل في كلام الصوفية فيما يتعلق بشأن غلوهم في حق النبي ﷺ بما في ذلك التوسل والاستشفاع والاستغاثة به وطلب تفريج الكروب ومغفرة الذنوب وغير ذلك مما تقدم الإشارة إليه يجد أن محور دعواهم يقوم على دعوى أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه[1] وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت ، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة ـ مع كونهم أحياء بأجسادهم ـ فإذا أراد اللّٰه تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها ، لا مانع من ذلك[2] .

والصوفية ليسوا على رأي واحد في هذا الأمر بل هم مختلفون مضطربون وفي حالهم هذا يتذكر المرء قول اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[3] .

فهم مختلفون في حقيقة المرئى :

فقال بعضهم المرئي ذات المصطفى بجسمه وروحه كما تقدم في النقل السابق .

---

(١) لا يقصد هؤلاء بالحياة هنا الحياة البرزخية وهذا يتضح من سياق العبارات التالية لهذه العبارة ، فهم يرون أن النبي ﷺ يخرج من قبره وله التصرف الملكوت العلوى والسفلى .

(٢) غاية الأمانى في الرد على النبهانى (١ / ٥٢) .

(٣) الآية (٨٢) من سورة النساء .

وبعضهم يقول ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه ، بل مثالا له ، وصار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعني الذي في نفسه .

وقالوا : والآلة تارة تكون حقيقة ، وتارة تكون خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل ، فما رآه في الشكل ليس هو روح المصطفى ﷺ ولا شخصه ، بل هو مثال له على التحقيق .

وفصل بعضهم فقال : رؤية[1] النبي ﷺ بصفته المعلومة إدراك له على الحقيقة . ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال[2] .

وقال بعضهم : « ومنهم من يرى روحه في اليقظة متشكلة بصورته الشريفة . ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته ﷺ ، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته ﷺ[3] .

وأعجب من ذلك كله ما ذكر عن بعضهم من أنه رأى السماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ .

وزعم من زعم أن السؤال عن كيفية رؤية المتعددين له عليه الصلاة والسلام في زمن واحد في أقطار متباعدة ينحل به ، ولا يحتاج معه إلى ما أشار إليه بعضهم وقد سئل عن ذلك فأنشد

كالشمس في كبد السماء وضؤها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا[4]

---

(١) لا يقصدون هنا الرؤيا المنامية وإنما يقصدون رؤية اليقظة فهم يقولون : إن رؤيته أكثر ما تقع بالقلب ثم يترقى الحال إلى أن يرى بالبصر على ما زعموا .

(٢) غاية الأماني (١ / ٥١) .

(٣) التيجانية (ص ١٢٧) .

(١) غاية الأماني (١ / ٥٢) .

فانظر إلى هذا الغلو عندهم ، نعوذ بالله من حال أهل الزيغ والضلال

ويحسن قبل الشروع في تفنيد هذا الباطل وبيان فساده أن أشير إلى الوجه الآخر لهذه الدعوى .

فهذه الطائفة لم تكن لتدعى هذه الدعوى إلا لما فيها من المكاسب والأهداف والغايات التي يتحصلون عليها من وراء ذلك .

فمنهم من يستغل هذه الدعوى ليحصل على اجازة من الرسول ﷺ للطريقة التي ابتدعها والأذكار والأوراد التي اخترعها لتصبح بعد ذلك شرعا لأتباعه .

ومنهم من يستغل ذلك لايهام الناس بأن ذلك من كراماته ليحظى لديهم بالمنزلة والمكانة إلى غير ذلك من الغايات والمآرب .

هذا وإن لموضوع رؤية النبي ﷺ جوانب متعددة يخصنا منها ما يتعلق بعنوان المبحث وهو دعوى رؤيته يقظة بعيني الرأس .

فهذه الدعوى مخالفة للشرع والعقل .

أما من جهة الشرع فليس هناك دليل شرعي يثبت حصول ذلك وغاية ما دلت عليه النصوص امكانية الرؤيا المنامية ، فحملها أهل الباطل على الرؤية البصرية ، ومما يؤكد فساد هذا التأويل للرؤيا واقع القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية من المصطفى ﷺ ، فلم ينقل عن أحد من أهل هذه القرون الثلاثة أنه رأى النبي ﷺ يقظة بعد موته .

مع أنه قد حدثت في أزمانهم حوادث كان الحاجة إلى ظهوره شديدة جدا لو كان ذلك ممكنا .

فالصحابة قد وقع بينهم اختلاف في عدد من المسائل الدينية والدنيوية وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، ولم يبلغنا أن أحدا منهم ادعى أنه رأى في

اليقظة رسول الله ﷺ وأخذ عنه ما أخذ ، وكذا لم يبلغنا أنه ﷺ ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيره .

« وقد قال ابن عبد البر لمن ظن أن الرسول ﷺ قد كلم بعض الناس بعد وفاته عند حجرته .

فقال له ابن عبد البر : ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ؟ فهل من هؤلاء من سأل النبي ﷺ وأجابه ؟

وقد تنازع الصحابة في أشياء ، فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم ، وهذه بنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابها ؟[1] .

وأما من جهة العقل فلما يترتب على هذه الدعوى من اللوازم الباطلة فليزم منها :

١ـ أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى في قبره منه شيء فيكون من يزوره في ذلك الوقت يزور مجرد القبر ويسلم على الغائب .

٢ـ أن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه .

٣ـ أن يكون الشخص الذي رآه يقظة له حكم الصحابة رضوان الله عليهم .

٤ـ أن يكون الكلام الذي تكلم به النبي ﷺ تشريعًا جديدًا لهذه الأمة وهذا لاشك فيه ، طعن في كمال هذا الدين وكونه عرضة للتبديل والتغيير .

وهذه الجهالات لا يلتزم بها من كان له أدنى مسكة عقل .

ومن ظن أن جسد رسول الله ﷺ المودع في المدينة خرج من القبر وحضر في المكان الذي رآه فيه فهذا جهل لا جهل يشبهه .

---

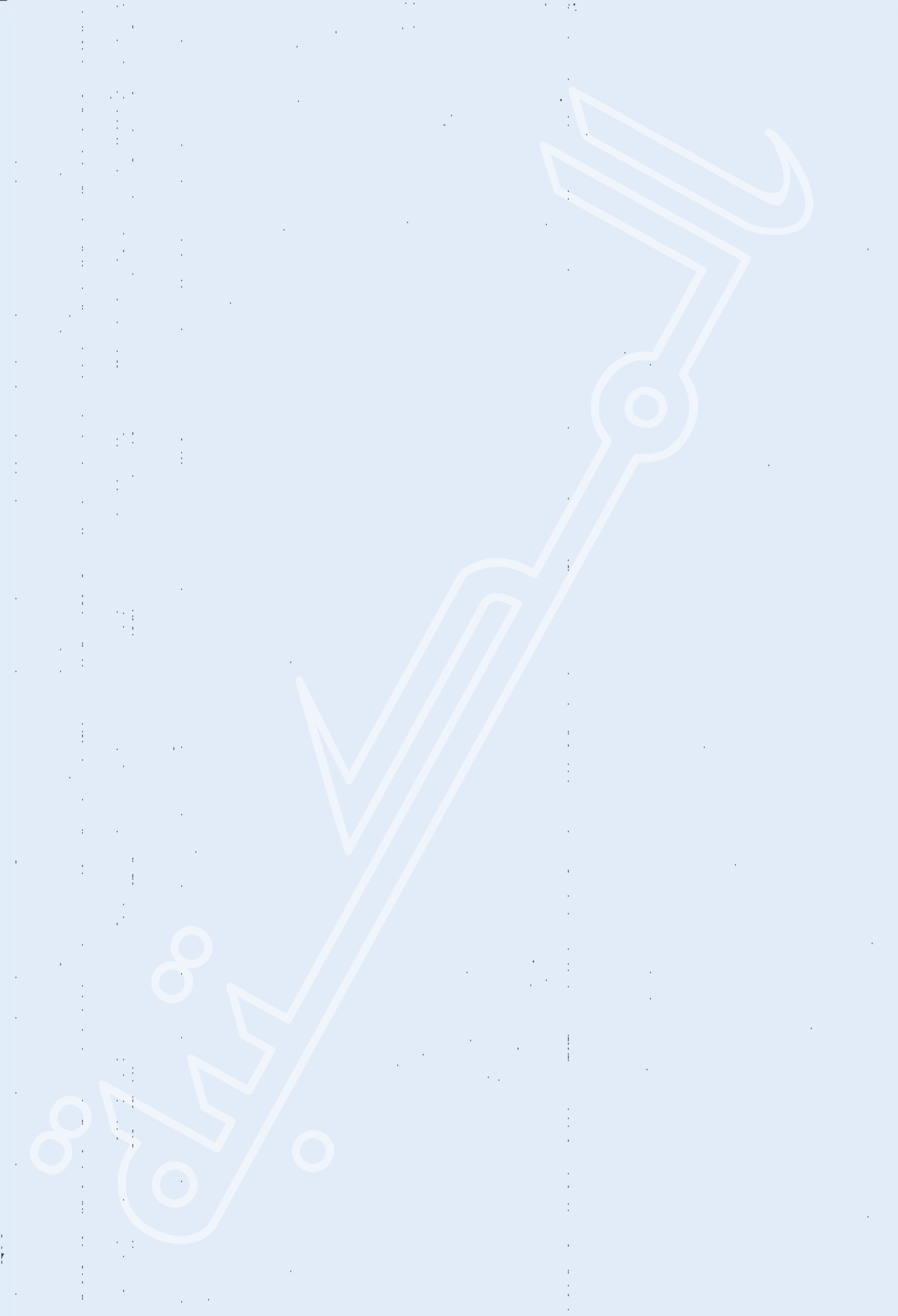
(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٠٧) .

فقد يراه في وقت واحد ألف شخص في ألف مكان على صور مختلفة .
فكيف يتصور هذا في شخص واحد ؟»[١] .
هذا وان الذي يعتقده علماء السلف هو أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية الله أعلم بكيفيتها ، وقد حرم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم ، وأن هذه الأجساد لا تخرج من القبور حتى يبعث الله الخلائق كما في الحديث عنه ﷺ « فإن الناس يصعقون فأكون أول من تنشق عنه الأرض »[٢] .
وعنه ﷺ أنه قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ... » الحديث[٣] .
فالرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولا يتصل بأحد من الناس .
بل هو منعم في قبره وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة .
والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

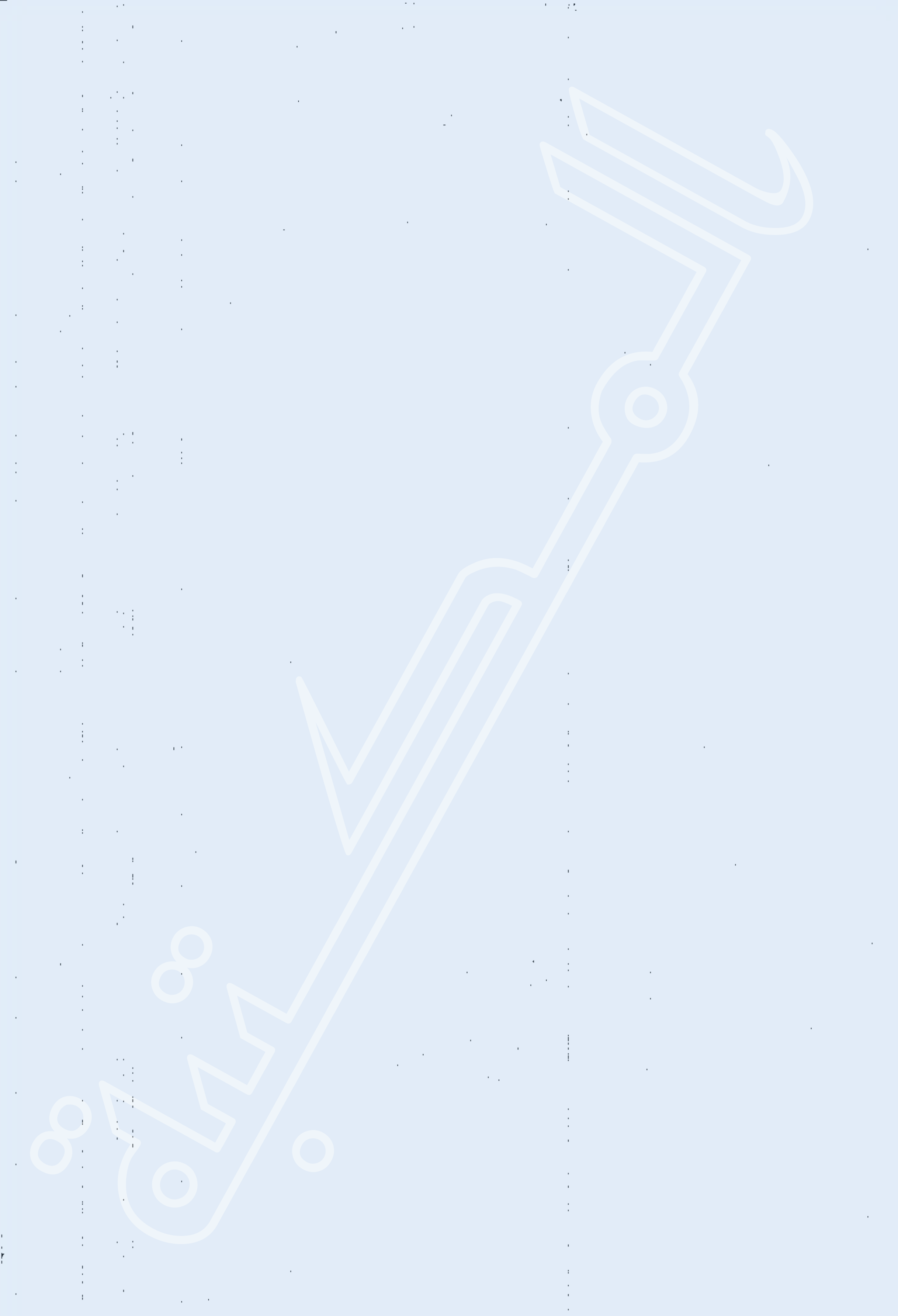
o o o o

---

(١) صيد الخاطر (ص ٤٢٩) .
(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودى . انظر : فتح الباري (٥ / ٧٠) .
(٣) تقدم تخريجه ص ٤٥٧) .



الخَاتِمَة



الخاتمة

جريا على عادة الباحثين في ذكر النتائج التي توصلوا اليها في نهاية أبحاثهم ونظرا لأهمية ذلك في الرسائل العلمية فإني ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثى بما يلى :

١ـ هذه الحقوق المذكورة في ثنايا هذه الرسالة تشكل بمجموعها أحد أصلي الدين ، وهي معني « شهادة أن محمدا رسول اللّٰه » .

٢ـ هذه الحقوق لا يدخل فيها ما هو حق خالص للّٰه عز وجل من أمور الألوهية أو الربوبية .

فما كان حقا للّٰه عز وجل فلا يجوز صرفه لغير اللّٰه لا للنبي ﷺ ولا لغيره ، وهذا ما أكدته نصوص القرآن والسنة .

٣ـ أن أمور هذا الدين لا تقوم على التحلى والتمني والدعاوى الزائفة وإنما تقوم على الاعتقاد الصحيح الذي يصدقه قول اللسان وعمل الجوارح .

٤ـ أن النصوص من آيات وأحاديث وآثار قد وضحت ما يجب على هذه الأمة في هذا الجانب فقد أرشدت ودلت وبينت وفصلت وهذا هو الشأن في جميع جوانب هذا الدين ، فقد أكمل اللّٰه عز وجل لنا هذا الدين ، وقد بلغ رسوله ﷺ ما أوحي إليه من رب العالمين البلاغ المبين .

فلسنا في حاجة بعد ذلك إلى من يزيد على هذه الحقوق أو ينقص منها ، وإنما علينا أن نتبع ونقتدى ولا نبتدع .

٥ـ أن على الأمة أن تعرف ما أوجب اللّٰه عليها من حقوق تجاه نبيها ﷺ فذلك عقد من عقود الإيمان لا يتم ايمان العبد الا به .

وعلى المسلم بذل الوسع في تعلم هذه الحقوق وتعليمها ونشرها بين الناس .

٦ـ وجوب الإيمان بالنبي ﷺ وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به ، لأنه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ولذلك كان أول أركان الإسلام « شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله » .

٧ـ أن برهان الإيمان بالنبي ﷺ ومحبته وتعظيمه يرتكز على محور الاتباع والتأسي ، ولذلك كان السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجهم أشد الناس حرصا على ذلك .

٨ـ خص الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ بحقوق مما يزيد على لوازم الرسالة تفضلا من الله عز وجل وتكريما فعلينا حفظ تلك الحقوق والقيام بها .

٩ـ على الأمة أن تحفظ حرمة النبي ﷺ بعد وفاته في خاصة نفسه وفي آله وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، وفي كل ما له صلة بأمر هذا الدين .

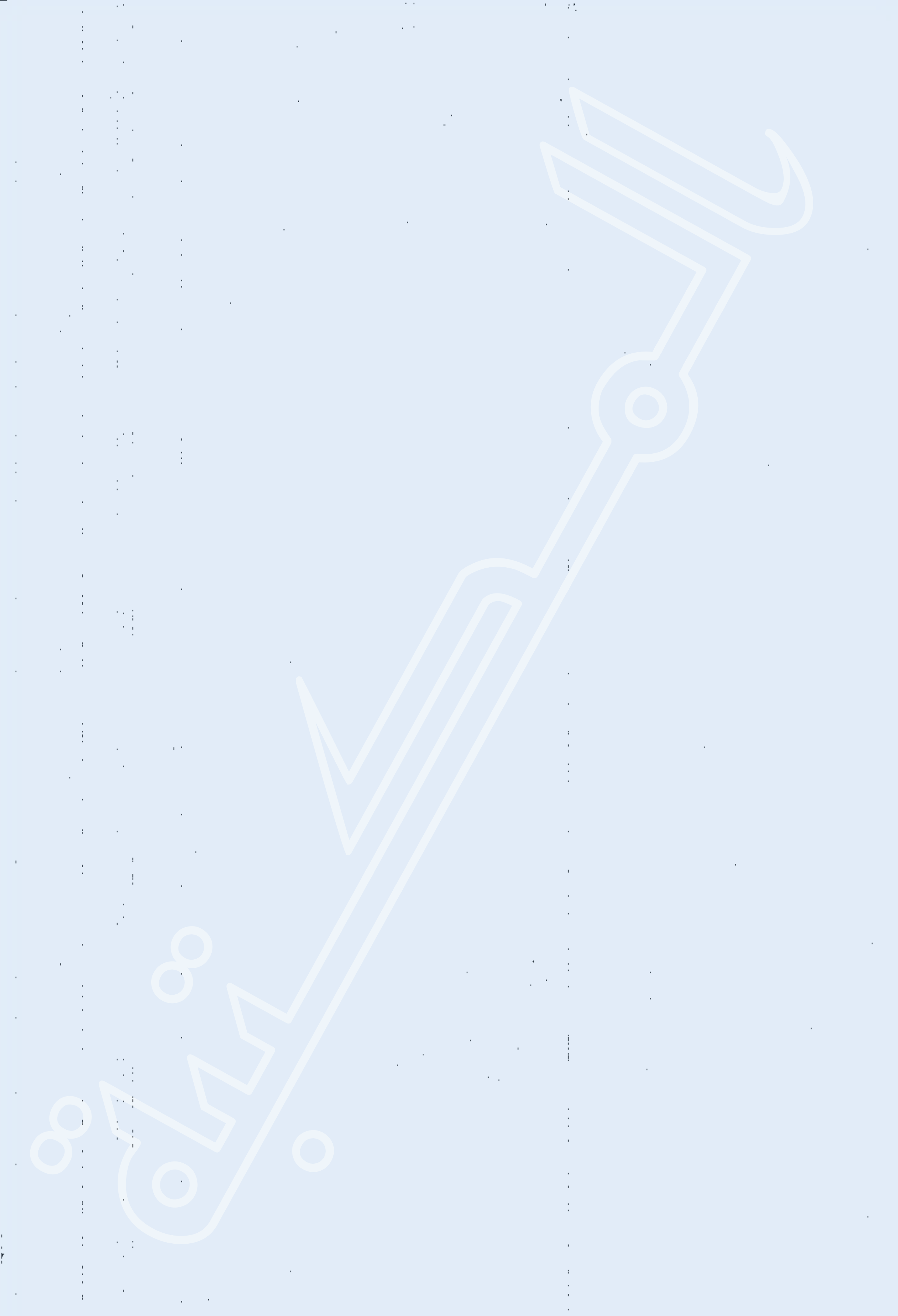
١٠ـ على المسلم أن يحذر أشد الحذر من مخالفة هدي النبي ﷺ لما في ذلك من الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة .

١١ـ الغلو في حقه ﷺ لا يزيد إلا بعدا عن شرع المصطفى ﷺ ، ولا يحقق لصاحبه محبة ولا تعظيمًا .

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن التأسي والاقتداء والثبات على الحق ، وأن يحشرنا في زمرة نبيه ﷺ إنه جواد كريم وعلى كل شيء قدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

○○○○



الفهارس العامة للكتاب

• • • •

١ـ فهرس الآيات القرآنية

سورة يونس

سورة هود

○○○○

٢ـ فهرس الأحاديث

الحديث الصفحة

o o o o

٣. فهرس الآثار

○○○○

٤ . الكلمات الغريبة

o o o o

٥ ـ فهرس المواطن

○ ○ ○

٦ـ فهرس الفرق

٥ ٥ ٥ ٥

٧. فهرس الأعلام المترجم لهم

الكنى

النساء

○○○○

٨ ـ فهرس المراجع والمصادر

١ـ الإبداع في مضار الابتداع : للشيخ الأستاذ علي محفوظ (ت ١٣٦١هـ) ط دار المعرفة بيروت .

٢ـ الإحكام في أصول الأحكام : للآمدى ، سيف الدين على بن محمد ـ دار الفكر ـ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

٣ـ آداب الشافعي ومناقبه : للرازى أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤ـ الأدب المفرد : للبخارى محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) دار الكتب العلمية بيروت .

٥ـ إرشاد الطالب : للشيخ سليمان بن سحمان ، مطبعة المنار ، مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٤٠ هـ .

٦ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب : لابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) الناشر : دار الكتاب العربى .

٧ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين على بن أحمد بن الأثير الجزرى ـ ط دار الشعب ـ القاهرة ١٣٩٠ هـ .

٨ـ الأصول الثلاثة وأدلتها : لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) مطبعة الكيلاني .

٩ـ الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) دار الكتاب العربى ، بيروت

١٠ـ اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكى الشنقيطى (ت ١٣٩٣ هـ) ط عالم الكتب ، بيروت .

١١ـ أطلس العلم : لعدد من الأساتذة ـ الناشر مكتبة لبنان .

١٢ـ الاعتصام : للعلامة أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ .

١٣ـ الأعلام : لخير الدين الزركلى ـ دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان الطبعة السادسة ١٩٨٤ م .

١٤ـ أعلام الموقعين : لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨ هـ .

١٥ـ إغاثة اللهفان : لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار المعرفة بيروت ، لبنان .

١٦ـ كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : لابن تيمية ، أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) مطابع المجد التجارية .

١٧ـ الأم : للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) مطبعة كتاب الشعب .
١٨ـ الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف لأبي بكر بن جابر الجزائري ـ مطابع الرشيد بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ .
١٩ـ الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية : ليوسف بن إسماعيل النبهاني ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
٢٠ـ إيضاح الدلالة في عموم الرسالة : لشيخ الإسلام ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الثاني) ط إدارة الطباعة المنيرية ، الناشر محمد أمين دمج ، بيروت ١٩٧٠ م .
٢١ـ كتاب الإيمان : لابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة .
٢٢ـ بداية السول في تفضيل الرسول : للعلامة العز عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ـ المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ
٢٣ـ البداية والنهاية : لابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ .
٢٤ـ البدع والنهي عنها : للإمام محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي ـ دار الرائد العربي بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .
٢٥ـ بدائع الفوائد : لمحمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) دار الكتاب العربي ـ بيروت .
٢٦ـ تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدى محمد بن عبد الرازق ـ ط المطبعة الخيرية ـ مصر الطبعة الأولى .
٢٧ـ تاريخ البغدادى أبو بكر أحمد بن على (ت ٤٦٣ هـ) ط دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .
٢٨ـ تاريخ الجهمية والمعتزلة : جمال الدين القاسمي الدمشقي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .
٢٩ـ تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) : للطبرى محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٨ م .
٣٠ـ التاريخ الكبير : للبخارى محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) دار الكتب العلمية المصورة على نسخة حيدر آباد .
٣١ـ التيجانية : لعلى بن محمد الدخيل الله ـ الناشر دار طيبة ـ الرياض .

٣٢- تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن : للأسعردي ، إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني - ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الأول) ط إدارة الطباعة المنيرية .

٣٣- تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) الناشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

٣٤- التحفة العراقية في الأعمال القلبية : لشيخ الإسلام ابن تيمية تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (الجزء الرابع) ط إدارة الطباعة المنيرية . الناشر محمد أمين دمج ، بيروت ١٩٧٠ م .

٣٥- تدريب الراوى في شرح تقريب النواوي : للسيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) بتحقيق عبد الوهاب بن عبد اللطيف - الناشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة مصر . ط الثانية ١٣٨٥ هـ .

٣٦- تذكرة الحفاظ : للذهبى ، أبو عبد الله شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ) دار إحياء التراث العربي - طبعة مصورة عن مطبعة دائرة المعارف بالهند .

٣٧- تعظيم قدر الصلاة : لمحمد بن نصر المروزى (ت ٣٩٤ هـ) ط دار الأرقم للطباعة والنشر ، استانبول ، تركيا - الناشر مكتبة الدار - المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٣٨- تفسير ابن كثير « تفسير القرآن العظيم » ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى (ت ٧٧٤ هـ) ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان عام ١٤٠٢ هـ .

٣٩- تفسير البغوى « معالم التنزيل » : للبغوى الحسن بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) ط مطبع المنار ط الأولى .

٤٠- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ط شركة ومكتبة مصطفى الحلبى وأولاده ، مصر - الطبعة الثالثة .

٤١- تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ) ط دار إحياء التراث العربى .

٤٢- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط الدار العلمية للطباعة والنشر دلهي الهند .

٤٣- تنبيه أولي الأبصار الى كمال الدين وما في البدع من الأخطار : للدكتور صالح بن سعد السحيمي ، الناشر دار ابن حزم للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

٤٤- تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق : لمحمد أحمد عبد القادر الشنقيطى المدني - مطابع الجامعة الإسلامية ، الطبعة الثانية .

٤٥- تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني - طبعة مصورة من طبعة دائرة المعارف بالهند .
٤٦- تهذيب اللغة : للأزهري ، أبي منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ) المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة (تحقيق عبد السلام هارون) .
٤٧- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم : لأحمد بن إبراهيم بن عيسى - بتحقيق زهير الشاويش - المكتب الإسلامي .
٤٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ) الناشر المكتبة السلفية .
٤٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ط مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .
٥٠- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي روايته وحمله : لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) ، ط دار الكتب العلمية ، ط دار الفكر بيروت .
٥١- الجامع لشعب الإيمان : للبيهقى أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) « رسالة ماجستير » بتحقيق فلاح بن ثاني بن شامان تتضمن أول الكتاب إلى نهاية الشعبة السابعة . وقسم آخر بتحقيق محمد بن عبد الوهاب العقيل وتتضمن الباب الرابع عشر إلى نهاية الثامن عشر .
٥٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : لابن رجب : زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ط دار المعرفة بيروت .
٥٣- الجامع الفريد : ويحتوى على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية - ط مطبعة المدينة ، الرياض .
٥٤- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام : لابن القيم : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) تحقيق محيى الدين مستو . دار ابن كثير للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ . ونسخة أخرى ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٥٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط مطابع المجد .
٥٦- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : لابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .
٥٧- حقوق آل البيت : لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) الناشر دار الكتاب العربى .
٥٩- الخصائص الكبرى « كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب » للسيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٥ هـ

٦٠- درء تعارض العقل والنقل : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق محمد رشاد سالم ـ ط مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى .

٦١- كتاب دراسة حديث نضر الله امرأ : للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ـ مطابع الرشيد بالمدينة المنورة .

٦٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطى جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ط دار المعرفة .

٦٣- دلائل النبوة : للحافظ ابن نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ط بدون .

٦٤- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : للبيهقى : أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) بتحقيق د / عبد المعطى قلعجى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٦٥- ديوان الأعشى : ط القاهرة ، عام ١٩٥٠ م .

٦٦- ديوان أبي الطيب المتنبي : ط . دار صادر ، بيروت .

٦٧- ديوان البوصيرى : محمد بن سعيد بن حماد ـ بتحقيق سيد كيلاني ـ ط مطبعة الحلبى القاهرة (١٩٩٣ هـ) .

٦٨- الرد على الاخنائى : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ط الدار العلمية للطباعة والنشر ، دلهي ، الهند .

٦٩- الرد على الزنادقة والجهمية : للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ط المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٩٣ هـ .

٧٠- رسالة التقليد : لابن القيم : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) بتحقيق محمد عفيفي ـ ط المكتب الإسلامى ، بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

٧١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للألوسى أبي الفضل شهاب الدين محمد البغدادى (ت ١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

٧٢- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء : لابن القيم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) بتحقيق د / بسام على سلامة العموش ـ الناشر دار ابن تيمية للنشر ـ الطبعة الأولى .

٧٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن القيم : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٧٤- رياض الصالحين : للنووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) ط مؤسسة الرسالة .

٧٥- زاد المعاد في هدى خير العباد : لابن القيم الجوزية ـ بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط الناشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ـ الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٦ هـ .

٧٦- زاد المهاجر إلى ربه « الرسالة التبوكية » لابن القيم الجوزية - الناشر مكتبة المدني ومطبعتها .
٧٧- الزهد : لعبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١ هـ) بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٧٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - ط المكتب الإسلامي .
٧٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة : للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - ط المكتب الإسلامي .
٨٠- السنن : لأبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) بتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد - نشر وتوزيع دار الحديث ، حمص ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ .
٨١- السنن : للترمذى ، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) بتحقيق أحمد شاكر - ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان .
٨٢- السنن : للنسائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر (٣٠٣ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت .
٨٣- السنن : لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - ط دار إحياء التراث العربى ونسخة أخرى بتحقيق محمد مصطفى الأعظمى - ط شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .
٨٤- السنن : للدارقطني على بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) من مطبوعات السيد عبد الله هاشم اليماني ١٣٨٦ هـ بالمدينة المنورة .
٨٥- سنن الدارمي : للدارمي عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥ هـ) ط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
٨٦- السنن الكبرى : للبيهقى أحمد بن الحسين بن على (ت ٤٥٨) مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد .
٨٧- السنة : للحافظ أبي بكر عمرو بن عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧ هـ) بتحقيق ناصر الدين الألباني - ط المكتب الإسلامى - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .
٨٨- السيرة النبوية : لابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (ت ٢١٣ هـ) بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد - ط شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة .
٨٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحى بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ) دار إحياء الكتاب العربى ، بيروت .
٩٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للالكائي : هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري (ت

٤١٨ هـ) بتحقيق د / أحمد بن سعد الغامدي ، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع .
٩١- شرح العقيدة الأصفهانية : لشيخ الإسلام ابن تيمية - الناشر دار الكتب الإسلامية - مصر .
٩٢- شرح العقيدة الطحاوية - ط المكتب الإسلامى - الطبعة الرابعة
٩٣- شرح النووي لصحيح مسلم : للنووي أبي زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) الناشر دار الفكر للطباعة والنشر .
٩٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضى عياض أبي الفضل عياض بن موسى بن عباس اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ) بتحقيق على محمد البجاوى - الناشر دار الكتاب العربى ١٤٠٤ هـ
٩٥- الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية : لمرعى بن يوسف الكرمى الحنبلى (ت ١٠٣٣ هـ) بتحقيق نجم عبد الرحمن خلف - الناشر دار الفرقان ، ومؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .
٩٦- الشريعة : للآجري أبي بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠ هـ) بتحقيق محمد حامد الفقى - الناشر حديث اكادمي ، باكستان ط الأولى ١٤٠٣ هـ
٩٧- الصارم المسلول على شاتم الرسول : لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط مطابع الحرس الوطني .
٩٨- صحيح الجامع الصغير وزياداته : للألباني محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامى .
٩٩- صحيح ابن خزيمة : للامام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ) بتحقيق الدكتور محمد مصطفي الأعظمى - المكتب الإسلامى .
١٠٠- صحيح مسلم « الجامع الصحيح » للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١ هـ) دار المعرفة بيروت لبنان .
١٠١- صيد الخاطر : لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ) المكتبة العلمية ، بيروت .
١٠٢- طبقات الحنابلة : للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى - تصحيح محمد حامد الفقي - ط السنة المحمدية ، القاهرة .
١٠٣- الطبقات الكبرى : لابن سعد محمد بن عبد الله بن سعد البصرى (ت ٢٣٠ هـ) دار صادر بيروت .
١٠٤- طبقات المفسرين : للداودي شمس الدين محمد بن على بن أحمد (ت ٩٤٥ هـ) الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٠٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين : للإمام ابن القيم الجوزية - دار الكتب العلمية ، بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .
١٠٦- عصمة الأنبياء : للرازي محمد بن عمر بن الحسن (ت ٦٠٦ هـ) الناشر دار المطبوعات

الحديثة ، جده ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
١٠٧ـ عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية : لأحمد بن سعد الغامدي ـ الناشر دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ .
١٠٨ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية : لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن على (ت ٥٩٧ هـ) بتحقيق إرشاد الحق الأثري ـ الناشر إدارة العلوم الأثرية ، فيصل آباد باكستان .
١٠٩ـ عمل اليوم والليلة : للنسائي أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) بتحقيق د / فاروق حمادة ـ الناشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
١١٠ـ عمل اليوم والليلة : لابن السني : أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري (ت ٣٦٤ هـ) بتحقيق سالم بن أحمد السلفي ـ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية ط الأولى ١٤٠٨ هـ .
١١١ـ كتاب العين : للخليل بن أحمد الفراهيدى ـ ط وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية .
١١٢ـ غاية الأماني في الرد على النبهاني : الألوسى محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ) دار إحياء السنة النبوية .
١١٣ـ غريب الحديث : للخطابي : حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ) بتحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوى ـ ط دار الفكر ـ دمشق ١٤٠٢ هـ .
١١٤ـ فتح الباري : لابن حجر العسقلاني : محمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) ط دار الفكر .
١١٥ـ فتح القدير : الشوكاني محمد بن على بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ .
١١٦ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث . للسخاوى محمد بن عبد الرحمن ـ بتحقيق عبد الرحمن عثمان ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
١١٧ـ الفرق بين الفرق : عبد القاهر طاهر البغدادى ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد نشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
١١٨ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل : لابن حزم الظاهري ، أبي محمد على بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) الناشر مكتبة الخانجى بمصر .
١١٩ـ فضل الصلاة على النبي ﷺ : للإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت ٢٨٢ هـ) بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ منشورات المكتب الإسلامى بدمشق ـ الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ .
١٢٠ـ الفوائد : لابن القيم الجوزية ـ ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٢١ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : للشوكاني محمد بن على (ت ١٢٥٠ هـ) بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٢٢ـ في ظلال القرآن : لسيد قطب ـ ط دار العلم .

١٢٣ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق د / ربيع بن هادى عمير المدخلي الناشر : مكتبة لينة للنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ

١٢٤ـ قاعدة في المحبة : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق د / محمد رشاد سالم ـ الناشر مكتبة التراث الإسلامي .

١٢٥ـ القاموس المحيط : للفيروزآبادى ـ ط عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية .

١٢٦ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع : للسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ) الناشر دار الكتب العربى ، بيروت ، الطبعة الأولى .

١٢٧ـ الكامل في التاريخ : لابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ) ط دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ هـ .

١٢٨ـ الكامل في ضعفاء الرجال : لابن عدى : عبد الله بن عدى الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ) دار الفكر للطباع والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٠٣ هـ

١٢٩ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٥ هـ

١٣٠ـ الكفاية في علم الرواية : للخطيب : أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب (ت ٤٦٣ هـ) الناشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

١٣١ـ الكواشف الجلية عن معاني الواسطية : لعبد العزيز بن محمد السلمان ـ مطابع المجد التجارية ـ الطبعة العاشرة .

١٣٢ـ لسان العرب : لابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ـ ط دار صادر ، بيروت .

١٣٣ـ لسان الميزان : لابن حجر العسقلاني أحمد بن حجر (٨٥٢ هـ) طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف بالهند ـ مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .

١٣٤ـ اللباب في تهذيب الأنساب : لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ) دار صادر ، بيروت ١٤٠٠ هـ

١٣٥ـ الماسونية ذلك العالم المجهول : صابر طعيمة ـ دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٦ هـ .

١٣٦ـ مجلة البحوث الإسلامية : العدد التاسع

١٣٧ـ مجلة الجامعة الإسلامية : العدد الثاني السنة الرابعة .

١٣٨ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمي علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ) دار الكتاب ، بيروت الطبعة الثانية .

١٣٩ـ مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ط دار العربية ، بيروت .

١٤٠ـ كتاب : محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة : تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون ـ ط دار القلم ، دمشق .

١٤١ـ مدارج السالكين : لابن القيم الجوزية ـ بتحقيق محمد حامد الفقى ـ ط الكتاب العربي ، بيروت لبنان ١٩٧٢ م .

١٤٢ـ المدخل إلى السنن الكبرى : للبيهقى أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) بتحقيق د / محمد ضياء الرحمن الأعظمي ـ الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامى .

١٤٣ـ المستدرك على الصحيحين : للحاكم محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد .

١٤٤ـ المسند : للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) ط دار صادر بيروت .

١٤٥ـ مشكاة المصابيح : للتبريزى محمد بن عبد الله الخطيب ـ بتحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامى ، بيروت ١٣٩٩ هـ .

١٤٦ـ معارج القبول : للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ـ ط المطبعة السلفية ومكتبتها .

١٤٧ـ المعجم الكبير : للطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ـ الدار العربية ، بغداد ط الأولى .

١٤٨ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : لمحمد فؤاد عبد الباقى ـ الناشر المكتبة الإسلامية ، استانبول تركيا .

١٤٩ـ معجم مقاييس اللغة : لابن فارس : أحمد بن فارس ـ بتحقق عبد السلام هارون ـ ط مكتبة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية .

١٥٠ـ معرفة علوم الحديث : للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى (ت ٤٠٥ هـ) المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت .

١٥١ـ المغني : لابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠ هـ) الناشر مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ١٤٠٠ هـ .

١٥٢ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة : للسيوطى عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ط مطابع الرشيد ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ .

١٥٣ـ المفردات في غريب القرآن : لحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ط دار المعرفة بيروت .

١٥٤ـ مقالات الإسلاميين : لأبي الحسن الأشعري : على بن إسماعيل (ت ٣٢٤ هـ) ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٥٥- الملل والنحل : للشهرستاني محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) تحقيق محمد سيد الكيلاني - ط مصطفى الحلبي .

١٥٦- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا : للسيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) بتحقيق سمير القاضي - الناشر مؤسسة الكتب الثقافية .

١٥٧- منزلة السنة في التشريع الإسلامي : للدكتور محمد أمان بن علي الجامي - مطابع الجامعة الإسلامية الطبعة الثالثة .

١٥٨- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية - بتحقيق محمد رشاد سالم - ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

١٥٩- المنهاج في شعب الإيمان : للحليمي أبي عبد الله الحسين بن الحسن (ت ٤٠٣ هـ) بتحقيق حلمي محمد فوده - دار الفكر .

١٦٠- منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان : للدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

١٦١- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان : للهيثمي علي بن أبي بكر - بتحقيق محمد عبد الرزاق حمزة - الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٦٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف « بخطط المقريزي » لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) الناشر : مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - الطبعة الثانية .

١٦٣- الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي : للإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) دار النفائس الطبعة العاشرة ١٤٠٧ هـ .

١٦٤- ميزان الاعتدال : للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) بتحقيق علي البجاوي - دار المعرفة ، بيروت .

١٦٥- كتاب النبوات : لشيخ الإسلام ابن تيمية - ط دار الكتب بيروت .

١٦٦- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض : للخفاجي أحمد شهاب الدين - الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٦٧- النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ) بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - الناشر المكتبه العلمية ، بيروت .

١٦٨- هذه هي الصوفية : لعبد الرحمن الوكيل - دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م .

١٦٩ـ الوافي بالوفيات : للصفدي ـ طبع سنة ١٣٨١ هـ .

١٧٠ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى : للسهمودي على بن أحمد (ت ٩١١ هـ) بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ الناشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة .

١٧١ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) بتحقيق د / إحسان عباس ـ دار صادر بيروت .

١٧٢ـ الولاء والبراء في الإسلام : لمحمد بن سعيد بن سالم القحطاني ـ الناشر دار طيبة .

○○○○

فهرس موضوعات الجزء الثاني

○ ○ ○ ○